الجزء الأول | المجلد الثاني والخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



عدد خاص

بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس

محمد كرد علي

المحرم من سنة ١٣٩٧ هـ

كانون الثاني «يناير» من سنة ١٩٧٧ م



الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

١٨٧٦ — ١٩٥٣

(عن لوحة زيتية بريشة الفنان سعيد تحسين)

بسم الله الرحمن الرحيم

يشتمل هذا العدد على ما كُتب أو قيل في الاحتفالات التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق خلال الأيام الخمسة بين ٢٣ — ٢٧ من ذي القعدة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٥ — ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٧٦ م ، تخليداً لذكرى رئيسه الأول الأستاذ محمد كرد علي ، ووفاء له ، وتأكيداً على رسالة المجمع في الحياة المعاصرة .

وقد وافق ذلك عرفاً حميداً من أعراف المجلس الأعلى للعلوم في إحياء ذكرى عالم من كبار العلماء كل عام ، فكان أن احتفل المجلس في اسبوع العلم السادس عشر ، في الوقت نفسه ، بذكرى الأستاذ الرئيس على أنه أحد العلماء الأعلام الذين كان لهم أثرهم في الحضارة العربية الإسلامية وأحد رواد نهضة البلاد في عصرنا .

وإذا كانت الوعكة الصحية التي ألمت بي طيلة أيام الاحتفال المذكورة قد حالت دون مشاركتي الفعلية في هذه المناسبة الغالية ، فإنه ليشرفني أن أقدم هذا العدد بهذه الكلمات ، راجياً أن يتاح للمجمع الاستمرار في أداء رسالته التي انشىء من أجلها ، ووضع اللبنة الأولى في بناء صرحه الأستاذ الراحل المؤسس ، وأن يكون في احياء ذكرى هذا المجمعي الأول ، سابقة طيبة وسنة حسنة تحمل في الطيات أنبل معاني الوفاء لعلمائنا الخالدين .

وفقنا الله وهدانا سواء السبيل .

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور حسني سبح

حفل افتتاح اسبوع العلم السادس عشر (*)

خطاب الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

سيادة ممثل رئيس الجمهورية وزير التعليم العالي ، الزملاء الأماثل ،
سيداتي سادتي

يحتم عليّ الواجب قبل كل شيء أن أتقدم بوافر الشكر لرئاسة مجلس الوزراء ووزارة التعليم العالي باسم مجمع اللغة العربية لما كان من جميل استجابتها لرغبة المجمع في إحياء هذه الذكرى وإقامة هذا الاحتفال. ومثل هـــذا الشكر لمختلف الهيئات الرسمية وغير الرسمية التي أعانتنا على إنجاحه .

والشكر كذلك للزملاء والاخوة الذين لبّوا دعوة المجمع ، وأخصّ أولئك الذين تجشموا عناء السفر من أطراف الوطن العربي ، فأهلاً وسهلاً بهم وبكم جميعاً مع أطيب التمنيات في الحلّ والترحال .

وبعد فإنّ افتراصَ الفرص لإحياء ذكرى مولد رجل عظيم أو وفاته لسنة حسنة درجت عليها كلّ أمة لها من تاريخها ما تعتز به ، ولها من سيرة عظمائها ما ترتبط به . وفي ذلك كله معنى الوفاء ومعنى التقدير وفيه معنى الموعظة والحافز لشحذ الهمم واقتفاء الأثر .

والمجلس الأعلى للعلوم الذي تعوّد أن يقيم سوق العلم هذه في كل

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٦

عام ويجمع العلماء والباحثين من عرب وأصدقاء ليبسطوا ما توصلوا إليه من بحث ودراسة في شتى آفاق العلم والمعرفة – يضيف إلى عمله مأثرة جديدة لا تقل عن مآثره الأخرى هي احتفاؤه بإحياء ذكرى أحد علماء الأمة على مثل ما فعل قبلُ في إحياء ذكرى ابن الهيثم وابن النفيس وابن زهر وغيرهم ممن كان لهم أكبر الفضل في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية .

ومجمع اللغة العربية بدمشق وقد حتّم عليه الواجب أن لا يغفل عن إحياء ذكرى مرور مئة عام على مولد مؤسسه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جنانه ، قد التقى والمجلس الأعلى للعلوم في هذه المرة على الاحتفال بأحد الخالدين هو الأستاذ محمد كردعلي من الذين أبلوا بلاءً حسناً بل وتفانوا في خدمة الأمة في مختلف آفاق العمل المجدي والنافع ، فكان من بناة النهضة القومية التي نتعم بها .

لقد كتب كثيرون من الكتاب والمفكرين مقالات وبحوثاً كثيرة في سيرة هذا الرجل العظيم ونشروا عديداً من الكتب وهم متفقون جميعاً على أنه :

هو الكاتب المبدع الذي يكاد ينفرد بأسلوبه الخاص .

وهو المؤرخ البارع مؤلف خطط الشام الموسوعة التاريخية الغنية عن التعريف.

وهو الصحفي القدير والعفيف اليد الذي أسس أول صحيفة يومية معروفة هي المقتبس ونشر المئات من المقالات في صحف القاهرة عندما التجأ إليها .

وهو المؤلف الفذّ الذي نشر كثيراً من الكتب

وهو مؤسس مجلة المقتبس التي أصدرها في القاهرة ثم انتقل بها إلى دمشق .

وهو الذي أنشأ وغذّى مجلة المجمع ، فلا يكاد جزء من أجزائها يخلو من مقال له أو نقد أو تعريف .

وهو من أبرز دعاة الإصلاح ، لاقى في سبيله ما لاقاه من هجرة وتشريد واضطهاد وتقديم للمحاكمة في العهد العثماني .

وهو المحقق الثبت — إذ حقق الكثير من كتب السلف ورسائل التراث .

هذا إلى فضائل أخرى يندر أن تجتمع في شخص واحد .

إن هذه السجايا التي كانت للأستاذ الرئيس ليست كل ما صنعه في حياته من صنيع سيبقى أبد الدهر ، إن له مزايا أخرى أستميح لنفسي أن أدعوها بالمزايا غير المدونة إذ قلّ من ذكرها له ، مع ما لها من الشأن الكبير .

لقد شب المرحوم كرد علي في الربع الأخير من القرن السابق وهو القرن الذي عرف بالانحطاط والظلم والاستبداد ، وقيض الله لهذا الشاب الموهوب من يهديه سواء السبيل في جميع نواحي الحياة ، ذلكم هو الشيخ طاهر الجزائري الذي قال عنه الأستاذ الرئيس إنه صدر الحكماء ، وإنه من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم . فسار كرد علي على هدي أستاذه واقتفى أثره فأكثر من المطالعة في كتب السلف وقرنها بمطالعته بعض المجلات التركية والفرنسية التي كانت تصل إلى يده فدب الوعي فيه وأخذ على نفسه إنقاذ وطنه مما آل إليه من فساد . وتربى على يدي ذاك الأستاذ الجليل حفنة من المستنيرين والمثقفين الذين كانوا يتحلقون حوله ويغترفون من معين علمه ، وانتهى الأمر بتلك الفتية اليقظة إلى تشكيل جمعية النهضة العربية — وكانت سرية في عهد السلطان عبد الحميد —

ثم أشهروها علنية بعد إعلان الدستور العثماني — وكان من أبرز أعضائها الشاب محمد كرد علي وكان لها أنشطة مختلفة ترمي إلى رفع مستوى الشعب وبث الروح القومية فيه بعد أن قضى عليها الحكم التركي بقسوته وجوره .

وكان من أعمالها تأسيس مدارس ليلية لتعليم الأميين وفتح دور للقراءة والتزود بالعلوم العصرية التي كانت بحكم العدم .

ولقد أغنى الشاب كرد علي الذي كان في عداد هذه الفئة النابهة عمل هذه الجمعية بعد أن زار بلاد الغرب ولاحظ أن مافيها من تقدم وازدهار هو نقيض ما هي عليه الحالة في الوطن .

وتجسّد عمله بإيفاد أول بعثة علمية إلى خارج القطر ، وأعانه على ذلك صلته ببعض أثرياء هذا البلد الطيب الذين كانوا أصدقاءه وكانوا يثقون به بحكم ما ناله من شعبية منقطعة النظير فيما يكتبه في المقتبس ، الصحيفة اليومية المحببة إلى الجميع ، إلا الفئات التي تخاصمه لأنها كانت تشايع الحكم الفاسد القائم .

لقد توفق الشاب كرد علي بإرسال أول بعثة شعبية إلى بلاد الغرب كان من بينها الأمير مصطفى الشهابي والسيد الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي اللذين أصبحا بعدُ من رواد نهضة هـــذا القطر فضلاً عن عملها المجمعي المعروف .

ولا شك أيها السادة بأن هذه البعثة العلمية التي كان للأستاذ كرد علي اليد الطولى في فكرتها واختيارها وتنفيذها وتأمين أموالها وتوجيه أفرادها هي الأولى من نوعها في تاريخ هذا القطر .

وأعاد الأستاذ الرئيس الكرة بعيد تسلمه منصب وزارة المعارف في مطلع عهد الانتداب الفرنسي إذ قاد بعثة علمية حكومية في هذه المرة ،

قادها وصاحبها إلى فرنسا وهي تضم نخبة ممتازة من الشبان منهم الأستاذان المرحومان جميل صليبا الذي درّس الفلسفة فكان من أعلامها والأستاذ الأمير جعفر الحسني الذي درّس الآثار واهتم بصيانتها والتنقيب عنها .

ولا غرو فقد أسس المرحوم كرد علي في المجمع داراً للآثار كانت نواة دار الآثار العامرة الحالية . وإن من أتيح له زيارة المجمع في ذلك الحين كان يرى في باحة المجمع عشرات التماثيل الحجرية كما كان يرى في غرفه الخزائن المغلقة التي تحوي الكثير من الآثار الصغيرة مما عني الأستاذ الرئيس بجمعه بشتى الوسائل . وظل هذا المتحف جزءاً من المجمع العلمي العربي عدة سنين وأشرف عليه الأمير جعفر الحسني بعد عودته من الدراسة وبعد انفصاله عن المجمع ، ولم يكن هدف الأستاذ الرئيس إلا صون هذه الآثار وحفظها من الضياع والسرقة لكي لا تتسرب إلى خارج البلاد شأن ما كانت عليه الحال فيما مضى .

وعني الأستاذ الرئيس أشد العناية في اقتناء الكتب النفيسة من مطبوعة ومخطوطة ، منها ما خص بها المكتبة الظاهرية ومنها ما جعله خاصاً بمكتبة المجمع ، منها ما كان شراء ومنها ما كان استهداء من كبار أصدقائه الأعلام من القطر المصري خاصة .

ولم يفت الأستاذ الرئيس تشجيع من يتوسم فيه الخير والجدّ والعمل وما مطبوعات التراث في المجمع إلا بتشويقه وتشجيعه ، كما حفل في شأن الشعراء النابهين فأقام لهم في المجمع حفلاً تكريمياً كان من أثر ذلك أن أضحوا في عداد الأدباء والشعراء المرموقين في هذا البلد ، من أمثال المرحومين أنور العطار وزكي المحاسني وعبد الكريم كرمي والدكتور جميل سلطان أمدّه الله في حياته وقد رأى من الوفاء إعداد قصيدة بمناسبة هذا الاحتفال وقد تضمنها البرنامج .

هـذا ولن ينسى للأستاذ الرئيس أبداً ما بذله من جهد عندما تسنم رئاسة مجلس المعارف غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى قبل تأسيس مجمع اللغة العربية وبعده حين عمل مع من اختارهم فأحسن الاختيار من علماء أعلام أسهموا في إيجاد مسميات عربية حضارية للاستعاضة بها عما شاع وذاع على الألسن من ألفاظ أعجمية تركية في كثرتها أو عربية مشوهة ، وإن هـذه الألفاظ المستحدثة سرعان ما تسربت إلى الأقطار الأخرى وهي تعد بالمئات .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأحسن اليه بقدر ما أحسن إلى لغة القرآن وما ذاد بقلمه عن حوض الإسلام ورد تخرص المتخرصين عليه واقتراءات المفترين .

وإنه ليحزن النفس حقاً ألا يكافأ هذا العبقري في حياته لأن المعاصرة أبت إلا أن تكون حرماناً وأن لا يفتأ جهال الناس يحسدون علماءهم وشرارهم يحسدون خيارهم .

بيد أن المجمع العربي بالأمس ، مجمع اللغة العربية اليوم ، عمل ما استطاع على الوفاء لمؤسسه ورئيسه ما يقرب من ربع قرن فسعى واستجيب لمسعاه من قبل أولي الأمر في تسمية أحد الشوارع باسمه وإطلاق اسمه على مدرسة ثانوية واعتبار هذا الأديب الكبير في عداد الأعلام الذين يدرسون لطلاب الشهادة الثانوية وإصدار طابع باسمه ثم إقامة هـذا الحفل الذي أجدد الشكر في الختام لكل من أسهم في إنجاحه وتلبيتكم هذه الدعوة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد محمد كرد علي (*)

خطاب الدكتور محمد علي هاشم

وزير التعليم العالي

رئيس المجلس الأعلى للعلوم

أيها السادة المجمعيون .

أيها السادة العلماء .

إنه لمن دواعي السرور أن نلتقي بكم في دمشق الخالدة ونحن نخوض معركة المصير لإرساء القواعد الثابتة لمجتمعنا ولتحرير اجزاء عزيزة على كل منا من وطننا العربي الكبير . وإن دل هذا الاحتفال على شيء فإنه يدل على أننا في قطرنا بدأنا نحيي ذكرى أولئك الرواد الذين أسهموا ببناء هذا الوطن فحق علينا وضعهم بالمكان اللائق والاعتراف بالفضل للسابق والالتزام بخط السير الذي رسموه والنهج الذي وضعوه . وإن التقاء أسبوع العلم والاحتفال بذكرى مؤسس مجمع اللغة العربية في بلدنا يعني في نفوسنا معنى جليلاً يلح علينا ويستبد بنا ، فقد كان محمد كرد علي أحد أعلام نهضتنا البارزين ، علمنا كيف نفيد من تراثنا لنفاخر بما حواه من ذخائر ، وعلمنا الحرص على سلامة لغتنا وصفائها . إنه جهد في أن تكون اللغة خالصة للفكر قادرة على التعبير عنه .

لقد تعود الذين يترجمون لكرد علي أن يتحدثوا عن المجلات التي أصدرها ، والكتب التي حققها أو ألفها . وفي اعتقادنا أن العمل الأكبر

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٦ .

والانجاز الأفضل الذي صنعه كرد علي إنما هو مجمع اللغة العربية. إنه حين دعا اليه، ونهض به، وجمع العلماء فيه، وأرسى تقاليده، وربط ما بينه وبين العلماء في الأقطار العربية المختلفة وما بينه وبين المستشرقين في الدول الأجنبية كان ينظر إلى بعيد، كان ينظر إلى عمل أجلّ تتضافر فيه جهود العرب، كل العرب، على خدمة العربية وعلومها. فبفضل كرد علي شهدت أرض العرب وفي دمشق مولد أول مجمع عربي سنة ١٩٢٠، ثم جاءت القاهرة بعدها تنشىء مجمعاً مماثلا سنة ١٩٣٤، وتلتها بغداد في ذلك سنة ١٩٤٧ وأخيراً ها هي عمان تحذو حذو إخوتها فتنشىء فيها مجمعاً هذا العام.

لقد كان مجمع دمشق ملتقى الكفايات العلمية الجادة ممثلة في أعضائه العاملين، وفي أعضائه المراسلين، وفي أولئك الذين يناصرونه ويدركون الأبعاد التي يتحرك فيها، والغايات التي يتطلع اليها. من أجل ذلك جاءت الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الأسد لتبقي هذه الروح وثابة دفاقة ولتبعث بها القوة والدفع من أجل تحقيق الأهداف إيماناً منها بأن مهام المجمع مهامّ خطيرة الشأن بعيدة الأثر، مهام الدفاع عن كيان الأمة والحفاظ على وجودها، وهي مهام لا تقل عن المهام المنوطة بمن يدافع عن الوطن بروحه ويدفع عنه بسلاحه، وكما يحمي الجندي حدود بلاده يحمي المجمع حدودها الفكرية والنفسية.

أيها السادة:

مهما اختلفت النظريات التي تعالج مفاهيم قوميتنا فمن المؤكد أن اللغة العربية تبقى روحها ولسانها وعقلها، وتبقى المشعل الدائم الذي يبدأ من أعماق الماضي ويستمر إلى أبعد آماد المستقبل، فاللغة العربية ليست واحدة من هذه اللغات المستحدثة، والعرب ليسوا هذه الأمة الجديدة ولا هذا التاريخ القريب. فوجودنا يمتد في ضمير الزمن إلى البعيد البعيد في الماضي

وبقاؤنا سيستمر إلى البعيد البعيد في المستقبل ، وتظل لغتنا عنوان هـــذا الوجود وهي فكر العرب وحضارتهم ؛ إن في أحرفها وأصواتها ، ومفرداتها وتراكيبها ، وصورها ومجازاتها ، منبع عواطفنا وأفكارنا وتطلعاتنا .

لقد علمنا كرد علي أن ساحات العمل اللغوي هي نوع من الجهاد لا يقل بحال عن ساحات النضال الاخرى بل يفوقه ويتقدم عليه ، لذلك عندما كادت إحدى مؤسساتنا التعليمية أن تنحرف عن نهج التعليم بالعربية جاءت الحركة التصحيحية لتضعها في الطريق الصحيح وأجبرتها على الالتحاق بالمؤسسات الأخرى . وإننا لنفاخر بأن قطرنا جعل تدريس كل ضروب المعرفة وأنواع العلوم جميعاً باللغة العربية ، وإن هذه الظاهرة ما كان لها أن تكون لولا التعاون بين الجامعين والمجمعين فاذا جئنا نحتفل بذكرى محمد كرد علي فان هذا الاحتفال يضعنا أمام مسيرتنا العلمية .

لقد كانت سيرة كرد علي سيرة رائعة وكان يميزها في جميع مراحلها الالتزام بقضايا الوطن وقد استطاع هذا الرجل العظيم أن يفي بحقوق هذا الالتزام في حياته السياسية وحياته الثقافية وحياته الفكرية .

إننا نتمنى أن تكون هذه السيرة مثلاً رائداً في أذهان أبنائنا وعقول شبابنا ، وعليهم أن يعرفوا أن الانصراف إلى العلم وتغليبه على كل ماعداه هو السبيل إلى تكوين العلماء ، وأن حق الوطن على علمائه كبير وحق العلماء على أوطانهم كبير ، وعلينا أن نعمل جميعاً على النهوض بأداء هذه الحقوق .

أيها الأخـــوة :

في الختام اسمحوا لي أن أتوجه بالشكر لجميع الذين وفدوا إلى قطرنا لمشاركتنا في هذا الحفل وأعاهدكم على أننا في هذا القطر من الوطن العربي سنعمل لتكون أكثر وفاء لحركة القومية العربية المعاصرة في أغلى جانب من جوانبها . وشكراً لكم جميعاً والسلام عليكم .

خطاب الدكتور محيي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

سيادة الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالي

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية

الحفل الكريم

إنه لواجب أن أتجه بالشكر عميماً إلى مجمع اللغة العربية الموقر في دمشق على دعوته الكريمة التي شاء ، فضلاً منه وكرماً ، أن يوجهها إلي فأظفر بشرف المشاركة في هذه المناسبة القومية التالية ، مناسبة الاحتفال بالذكرى المئة لمولد رائد جليل من رواد اليقظة العربية ، الرئيس الأستاذ محمد كرد علي ، مؤسس المجمع ، وقائده ، والذي كانت حياته العريضة والخصبة ، ملحمة فكرية ونضالية رائعة : موقفاً أصيلاً من الحياة العربية وقضاياها ، ورؤية بصيرة لأبعادها ، ومعاناة واعية لمشكلاتها ، وإرادة صلبة ، وهمة شامخة ، وسعياً موصولاً ، وجهداً برا ، وعطاء ثرا .

وإني إذ أحيي ، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ذكرى هذا العالم والمفكر العربي العظيم ، فاني أحيي في الوقت نفسه جيلاً من روادنا الشرفاء رفعوا المشاعل ثائرين في وجه الظلام الفكري وحملوا الامانة قادرين أمام الظلم الاجتماعي ، وتأبوا مناضلين على القهر السياسي والحكم

الأجنبي ، وأحيي سورية العربية الثائرة الولود التي نبت على أرضها الحرة عشرات من هؤلاء الأبرار الذين قادوا طليعة النهضة الحديثة .

وأحيي كذلك معنى باقياً في طبيعة الفكر العربي الخلاق ، هو عبقريته الدائمة في الأداء والاستيعاب للمعاني المجردة وللظاهرات المادية ، وقدرته الغلابة على المقاومة ، وعلى الاستمرار .

ولعل في احتفالنا اليوم دليلاً أي دليل ، على أن اللغة العربية التي حملت إلى البشرية رسالة السماء الخالدة الدينَ القيم ، الإسلام ، ارتبطت بفكرة التقدم والعدالة والحرية . فقد كانت نهضة هذه الأمة العظيمة في كل حلقات تاريخها المتصل رهناً بنهضة فكرها ، وإن قادتها في مختلف العصور بدأوا من هذا المنطلق التاريخي .

وحياة الرئيس محمد كرد علي ، طيب الله ثراه ، تجسيد لهذا كله فقد قاتل تحت لواء العربية في كل قطر عربي ، في وعي رشيد بقدرة الفكر على تغيير الواقع . ولقد فطن في وقت مبكر إلى خطورة الإعلام وأهميته ، فاتخذ من الصحافة ميداناً لنضاله السياسي والعلمي ليصل بذلك بين الحياة العامة وهموم الجماهير العريضة من ناحية ، وبين الأمجاد الشامخة في قيمنا الأصيلة ، وبين متطلبات المعاصرة من ناحية أخرى تأثيلاً للأصالة ، وطلباً للإبداع . فلقد استطاع رحمه الله أن يجمع في مرونة قادرة بين ألوان من النشاط والمواقف وأن يؤلف بينها ، فهو يعكف على التراث تحصيلاً لأمهاته ، واستيعاباً لشوارده ، وفهماً لأسراره ، وهو يعطف على الثقافة الأوربية يجيدها ويتعمقها ، وينتفع بمضامينها ومناهجها ، ثم يعزز ذلك بالمعايشة الحية الواعية والمحصية فيطوف في أوروبا ، حيث تزدهر الحضارة

تهب أبناءَها الذين وهبوا لها حياتهم ، البقاء جزاء وفاقاً ، وإن الرئيس محمد كرد علي واحد من هؤلاء الذين يعيشون في ضمير أمتهم وفي فكرها المئات والآلاف من السنين فسلام عليه في الخالدين .

وإلى رفاق دربه وزملائه من المجمعيين الذين يواصلون المسيرة في خدمة اللغة العربية والفكر العربي كلّ التقدير ، على ما ينجزون ويعطون امتداداً للرسالة ، وأداء للأمانة ، ولهم ولأبناء الأمة العربية والإسلامية ، حيث كانوا ، حسن العزاء في الفقيد الباقي ؛ أنزله الله عنده منزل صدق .

والسلام عليكم .

المعاصرة ، ويدرس طبيعتها وظواهرها ومؤسساتها لتخلص له من كل ذلك رؤية صالحة للحياة العربية ، يظل يدعو لها في اصرار ويعمل في شجاعة وإيمان وقدرة ، ويتحمل في سبيلها التضحية بعد التضحية ويخوض المشكلة بعد المشكلة ؛ في تجرد وانكار ذات ، حتى تحقق في حياته بعضُ ما كان يحلم به . ولكنه ظل حيث هو عاملاً يعلّم ويتعلم مدى الحياة ، مثلاً من أمثلة الشموخ والالتزام ، فلم يعش في عالم الكتب بعيداً عن حياة أمته ، ولكنه وصل بينها أخذاً وعطاء في تفاعل حيّ وخلاق .

فلم يتجمد في أمجاد الماضي الذي نشر صوره العظيمة وكشف عن جوانبه المضيئة أحياءً للأمل في الصدور ، وحفزاً للهمم في الضمائر ، ولم يجر وراء بريق الحضارة المعاصرة ، يخلط خيرها وشرها وغثها وسمينها ، ولكنه وقف منها موقف الناقد المتخير ابقاء على الشخصية العربية في كل خصائصها وجلالها تنتفع من كل جديد تضيفه إلى ما لديها من القيم الخالدة ، والفضائل الباقية .

لقد كان الرئيس محمد كرد علي أحد معالم المجتمع العربي والإسلامي الحديث ، وأحد صناعه الكبار ، وإن آثاره العلمية والأدبية ستظل شاهدة على عبقريته شامخة في تاريخ الفكر العربي ، ما كان ، فيما يقبل من الزمان ، وان قصة حياته ستظل كذلك قدوة صالحة بما تنطوي عليه من صفات شخصية نادرة ، ولما ترمز اليه من معانٍ انسانية نبيلة ، تلهمُ الجيل العربي بعد الجيل قيمَ الإرادة والسعي والعطاء والوفاء .

وإذا كان الموت — وهو غاية كل حي — يطوي الوجود المادي للأحياء ، فإن الوجود المعنوي يتجاوز الموت ويستعصي على الفناء ، فالحياة

خطاب الدكتور ابراهيم مدكور

رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية
رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة

كرد علي علم من أعلام النهضة السورية الفكرية والأدبية المعاصرة ، ورائد من كبار روادها . والمجتمعات البشرية بين سير ووقوف ، بين يقظة ونوم ، وما أحوجها في فترات وقوفها إلى من يبعث فيها الحياة والحركة ، وفي أزمان نومها إلى من يوقظها وينشطها . وتجود الأيام في أمثال هذه الظروف بدعاة النهوض والتقدم ، ورسل الإصلاح والتجديد ، وكأنما خلقوا لهذا وأعدوا له .

ولا شك في أن كرد علي واحد من هؤلاء الدعاة المصلحين . مليء حياة وحركة ، ومنح شجاعة نادرة ، أقدم بها ، في سن مبكر غير هياب ولا وجل ، على ميادين الإعلام والصحافة ، وما كان أشقها وأقساها في العقدين الأول والثاني من هذا القرن ، ويعد بحق أول رائد في الصحافة السورية . وتزود بزاد وفير من الثقافة القديمة والحديثة ، عربية كانت أو أجنبية ، فغاص في بحورها وأخرج منها النفائس الكريمة . وأعطى أمته وقوميته عطاءً سخياً ، دون نزوع إلى طائفية أو عنصرية .

وبرغم أن أباه كان كردياً وأن أمه كانت شركسية ، فإنه كان

مؤمناً بالعروبة إيماناً جازماً ، يعتد بأمجادها ، ويباهي بآثارها الحضارية والإنسانية . ومن آيات عروبته أنه كان يتعصب للأمويين ويدافع عنهم ، ولعل هذا كان مظهراً من مظاهر وطنيته وتعلقه بالشام ودمشق عاصمة ملكهم ، وكثيراً ما حمل على الشعوبية والشعوبيين . ومع هذا لم يكن جامداً ولا متزمتاً ، بل كان يدعو إلى التجديد في غير ما تطرف ، وإلى الأخذ عن الحضارة الغربية في غير ما عدوان على القيم والمبادىء الإسلامية ، وكان يحرص الحرص كله على الملاءمة بين القديم والحديث .

* * *

ومجال القول في كرد علي ذو سعة ، فقد كان صحفياً وسياسياً ، أديباً ولغوياً ، محققاً ومؤرخاً ، ويطول بنا الحديث لو عرضنا لجوانبه الفسيحة والغنية . ويعنينا أن نقف قليلاً عند كرد علي في مجمع القاهرة ، وصلته بمصر قديمة ووثيقة ، قصدها في فجر هذا القرن ، وتتلمذ مع من تتلمذوا لمحمد عبده ، فشهد مجالسه ، واستمع لحديثه ودرسه ، وأشبع في القاهرة هوايته الصحفية ، فكتب وحرر في صحفها ، وبخاصة في صحيفة المؤيد ، وأنشأ مجلة «المقتبس» الشهرية وتابع اصدارها في دمشق ، حيث تحولت بعدُ فيها إلى صحيفة يومية . وقضى في القاهرة بضع سنوات كانت مجال أخذ وعطاء ، وإفادة واستفادة ، وتعليق وتوجيه . وشاءت الصدف أن تثار فيها حين ذاك فكرة إنشاء مجمع لغوي يطور اللغة ويحميها من المولد والدخيل ، وسبق أن أنشىء فيها بالفعل عام ١٨٩٢ ما كان يسمى « مجمع البكري » الذي لم يعمر طويلاً . ولكن الفكرة لم تمت ، وبقيت حية نشيطة في العقد الأول من هذا القرن ، ولعل هذا كان ارهاصاً في العقد الثاني « لمجمع دار الكتب » في القاهرة ، وللمجمع العلمي العربي بدمشق . وقد عاصر

كرد علي هذا كله ، وعاش فيه ، ولم يكن غريباً أن يختار أول رئيس لمجمع دمشق الذي ناضل طويلاً في سبيل دعمه ، وعمل جاهداً في نشر آثاره . وكان على صلة بالملك فؤاد الأول الذي تبنى فكرة انشاء مجمع لغوي رسمي يحقق ما هدفت اليه المجامع الأهلية التي أشرنا اليها ، وفي لقاء بينهما عام ١٩٢٦ شاء الملك أن يفيد من تجربة دمشق السابقة ، فقدم له كرد علي صورة صادقة ، ويمكن أن يعد بهذا ممن مهدوا لمجمع القاهرة .

وقد أريد بهذا المجمع يوم انشائه عام ١٩٣٢ أن يكون مجمع اللغة العربية أولاً ، قبل أن يكون مجمعاً مصرياً فكوّن من عشرين عضواً ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر قسمة عادلة بين العرب والمستعربين ، وبدا هيئة عالمية لا اقليمية ، ومؤسسة أممية لا وطنية . وكان بين العرب التونسي ، واللبناني ، والعراقي ، واثنان من شيوخ السوريين ، هما المرحومان محمد كرد علي ، وعبد القادر المغربي . فكرد علي من المؤسسين الأوائل لمجمع القاهرة ، ومرحلة التأسيس من المراحل الدقيقة في حياة أي مشروع أو عمل : فيها توضع اللبنات الأولى ، وترسم الخطة ، ويحدد المنهج . وتنبه مجمعيو القاهرة لهـذا كله ، فقضوا دوراتهم الأولى كلها تقريباً في وضع اللائحة الداخلية لمجمعهم ، بينوا فيها أهدافه ، وشرحوا نظم عمله ، وفرقوا في وضوح بين المجلس واللجان ، ورأوا أن الدراسة الحقة إنما تتم في قلب اللجان وعلى أيدي هيئة محدودة من الخبراء والمتخصصين ، وعلى هذا نسير حتى اليوم . فجمعوا في اختصار بين تجارب المشرق والمغرب ، وأفادوا من خبرة العرب والمستعربين . ولم يكن كرد علي بعيداً عن هؤلاء وهؤلاء ، فأتاحت له رحلاته المتلاحقة أن

يتصل بعدد غير قليل من المستشرقين المعاصرين ، واختير بعضهم ، بوحي منه في الغالب ، عضواً مراسلاً بمجمع دمشق ، وأضحى علماً من أعلام الفكر والقلم في العالم العربي في الثلث الأول من هذا القرن .

قضى كرد علي في مجمع القاهرة نحو عشرين سنة ، زاملته في سبع منها ، وكان حريصاً الحرص كله على أن يشترك في أدوار انعقاده المتعاقبة ولم يتخلف عنها إلا لضرورة قاهرة . وكانت أطول ما تحظى به اليوم ، فكنا نقضي في مؤتمرنا السنوي وفي صحبة زملائنا العرب والمستعربين شهراً ونصفا على الأقل ، وقد نزيدها احياناً أسبوعاً أو أسبوعين . ولم يقنع كرد علي بالاشتراك في المؤتمر ، بل انضم الى عدد غير قليل من لجان المجمع ، فكان عضواً في لجنة الأصول ، ولجنة الآداب والفنون الجميلة ، ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ، ولجنة الإحياء والطب ، ولجنة الأعلام الجغرافية .

والكرد علي إسهام واضح في مؤتمر المجمع ولجانه ، فألقى في المؤتمر بعض الكلمات ، وعرض بعض المقترحات ، ونشر في مجلة المجمع طائفة من البحوث . واستمعوا إليه في افتتاح دور الانعقاد الثالث يقول : « بتوفيق الله أتم هذا المجمع دور الرضاعة حولين كاملين ، واليوم يدخل دور الحضانة . يتعهده أولياؤه بالغ العناية ، ويربونه على نحو ما يربى الطفل في خير البيئات ، لأن حياته مما يهم خمسة وستين مليوناً من العرب ... إن من عهدت إليهم الولاية على هذا الطفل يشعرون أنهم في حاجة إلى العون من كل قادر على تغذيته بما يربي غرائزه ، ويفسح في ملكاته كلما تقدمت به السنون ، تلك دعوة كريمة من مجمعي قديم ، يوم

أن كان مجمع القاهرة في المهد ، ولا نزال نوجهها اليوم بعد أن جاوز هذا المجمع سن الأربعين .

أما مقترحاته وبحوثه فمتعددة ومتنوعة ، فهو الذي وجه النظر إلى ضرورة الإجابة عن سؤال السائلين واستفتاء المستفتين ، ودعا إلى نشر مقررات المجمع بين جماهير المثقفين ، ومتابعة ما يمكن أن يوجه اليها من نقد أو ملاحظة . وتلك ولا شك ثمرة من ثمار تجاربه طوال خمس عشرة سنة في مجمع دمشق قبل أن ينضم الى مجمع القاهرة . وله بحوث أكاديمية مثل «عجائب اللهجات» ، وأخرى عملية تطبيقية كاحياء بعض الألفاظ المهملة ، واقتراح ألفاظ جديدة تسد حاجات العلم والحضارة . وهو في هذا أميل بوجه عام الى إحياء اللفظ القديم السهل ، وفي اللغة كنوز لم يكشف عنها بعد . وكثيراً ما ندد باستعمالات حديثة سرت الى العربية عن طريق بعض اللغات الاجنبية شرقية كانت أو غربية .

ولنقف قليلاً عند بحث ألقاه في افتتاح مؤتمر الدورة الثانية عشرة ، بعنوان : «من عمل المجمعيين» ، وفيه مجموعة ضخمة في نحو خمسمائة كلمة فصيحة يقترحها نظائر لكلمات حضارية في اللغة الفرنسية ، ولم يخل من ملح وطرائف ، وفيه يقول في صراحة أخاذة : «المجالس في العادة تتناقش في المعاني ، ونحن معاشر المجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا أن نقصر مناقشاتنا في الألفاظ ، والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً ، وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر السبل ... ومع ما يلاقي المجمعيون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ، ويهزأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ... وغفر

الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلما ، ونسبوا إليه وضع لفظ « الشاطر والمشطور والكامخ بينها » لكلمة « سندويتش » ... وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال ألفاظ استظهروها ، يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر ... واذكر أن أحد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ . وكنت يومئذ آخذ الأدب عن أحد المشايخ وكان إماماً في اللغة ، وما ان عرضت عليه الجريدة حتى ردها ، وقال إنها لا تفهم بدون شرح ، وحاولت فعلاً شرحها على طريقة الكتب الصفراء ، وفي شرحي لها اختلط رأسها بذنبها ، وامتزجت حواشيها الأربع بعضها ببعض . واذكر أيضاً أن أحد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري والفيروزابادي . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول أمرهم أن يسيروا على طريقة الشنقيطي أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات » .

وواضح أن كرد علي يعبر في كل هذا عن عصر مضى ، وأصبحنا نؤمن جميعاً بأن اللغة للحياة ، وحياتها في أن تلائم أذواق الناطقين بها ، فتخف على مسامعهم ، وترق على ألسنتهم ، وتصدر عنهم ولا تفرض عليهم . وبهذا تستعيد العربية مجدها ، وتجد مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى .

* * *

أيها السادة :

لقد قصرت حديثي في هذه الذكرى الكريمة ، كما رأيتم – على

جانب واحد من جوانب كرد علي ، وما أكثرها ، ولا أزعم أني وفيت هذا الجانب حقه . وكل ما قصدت هو أن أشير الى صلة وثيقة وقديمة بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، عرف لها وزنها منذ البداية ، ولا نزال نعول عليها التعويل كله . وميدان البحث اللغوي فسيح ، وما أحوجه إلى أن تتضافر عليه الجهود ، وأن يضطلع به أولو العزم والقوة . واني لشاكر اصدق الشكر للسيد الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق وللسادة أعضائه أن أتاحوا لي الفرصة لكي أؤدي الأمانة ، وأقول كلمة الوفاء والتقدير في هذه المناسبة باسم مجمع القاهرة . رحم الله كرد علي رحمة واسعة ، وأحسن له الجزاء على ما قدم للغته وأمته ووطنه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

السادة الأعلام

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فالمناسبة التي نحتفي بها من أكرم مناسبات العربية في جميع أقطارها ، ومن أجدرها بالاستجابة الحرة المطاوعة من قبل أي مثقف عربي ، ألم بنهضة العرب الحديثة وعرف الرادة الأوائل من أبنائها .

وإذا جاءت الشام في مقدمة الأقطار العربية الرائدة لهذه النهضة – وهي بالحق كذلك – فإن المحتفى به يجيء في طليعة الرادة في هذا القطر ، فالاحتفاء بذكراه يعني أول ما يعني احتفاءً بريادة القطر الشامي للنهضة العربية ، وتنويهاً بحقيقة ما قدمته هذه البلاد للأمة العربية ، ويعني ثانياً الاحتفاء بأبي الرادة ومعلمهم الذي ثقفت الشام به ، وبإخوان تعاوروا معه الأبجدية الأولى من كتاب النهضة الحديثة .

أما العراقيون – وبينهم أعضاء المجمع العلمي العراقي – فحين تلقوا الدعوة لهذه الذكرى – أكبروا في الشام روح الرعاية العلمية ، لذكرى جديرة بالرعاية ، وقدروا أن في مشاركتهم بعض الوفاء لشخصية سبق أن آثروها بالعرفان وبالتقدير ، في كتب وبحوث عادت جزءاً من تاريخ الرجل ومعالم شخصيته .

فإليك ، أبا الجامع ، منا الاجلال والتقدير والعرفان بالسبق إلى إبداع الروح المجمعي ، وتقديم المثال الرائع في ذات مجمع دمشق الخالد .

أيها الســادة

لو أن علماً من أعلام الأمة يغني عن تعريف لكانه الرئيس المحتفى بذكراه ، ولو أنّ تعريفاً ضاق بالمعرَّف ووقع دونه وضوحاً وجلاء ، لكانه التعريف الذي يرد تجليت لشخص محمد كرد علي ، فالرجل أجلى من أن يعرف بقوم انتسب لهم ، أو قطر أقام فيه ، أو هيئة عمل معها

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمري ولكن منه شيبان

ولقد قرأت سيرة الرجل وآثاره من قبل ، وأعدت قراءتها احتفالاً بهذه المناسبة فكانت على جلالها من بعض مظاهر تأثيره في قومه ، وأثره في النهضة الحديثة ، بل كانت المظهر المنظور لعالم غير منظور .

المظهر المنظور من سيرته أن أنشأ مجلة ، وأصدر صحيفة ، كانت يومها من أمهات الصحف والمجلات ، والعالم غير المنظور الهيمنة المطلقة على ما أنشأ والروح التي نُفِثت في كل حرف من حـــروفها ، وكل رأي ضمنته تلك الحروف .

العالم المنظور أن أنشأ مجمعاً لغوياً ورأسه ، وغير المنظور أن كان كل شيء في المجمع ، أو بدا وكأنه كل شيء في المجمع . العالم المنظور أن صادق وخاصم ، وسالم وعادى ، وعاش حياته محارباً أو مجاهداً في أكثر من ميدان ، خرج منها جميعاً بالظفر ، أو بالسلامة في أدنى تقدير ، والعالم غير المنظور أنه لماذا كان كذلك ، وكيف تم له كل ذلك .

مفتاح شخصيته في تقديري اعتداده بنفسه اعتداداً ما كان يرضيه منها إلا بلوغ أبعد الغايات في أكثر من مجال من مجالات الحياة ، ثم ما ساوره بأن ذلك من قدره القادر عليه ، والممكّن منه ، لذلك تراه يعمل في ميادين موزعة على عدة اختصاصات ، بإيمان من قدرة تهيىء له أنها قادرة على ولوج كل هذه الاختصاصات . يعينه على القناعة بما قدّر لنفسه ، وأقدرها عليه ، دأبٌ وحرص على أداء الواجب يوشك أن يبلغ به ما يبلغه المتخصصون الغاوون المنقطعون لفرع من فروع المعرفة .

كان الرئيس محمد كرد علي فاعلاً بفاعلية ذاتية ،مريداً بإرادة لدنيّة ذاتية ولكنه فاعل بذاته لأمته ، ومريد لمجتمعه بشخصه ، ومن هنا اختلط الأمر على بعض معاشريه وخلطائه ، فحسبوا فاعليته الذاتية أنها لغرض ذاتي وإرادته الذاتية اللدنية أنها إرادة لمحض تحقيق غرضه ، فكثر بذلك مناوئوه وشانئوه ، وانبرى لخصومته بل لعدائه فئات تعمل في صفه ، بل فئات تسعى لتحقيق ما هو ساع إليه . ولو فُهِمَ محمد كرد علي – كما يجب أن يفهم – لانتقلوا من صفوفهم إلى صفه ، بل لو استطاع الرئيس أن يغير ما بذاته – وكان من الخير ألاّ يستطيع – لخلت حياته العلمية والاجتماعية من كثير من المتاعب ، ولتجنب المضايقات والمعوّقات التي ألقاها المعوّقون على طريق رسالته .

كان موسوعياً بأشمل ما تعنيه الموسوعية من معنى ، تنوعاً في المعرفة ووفرة الانتاج ، وبلوغاً بها الحدّ الذي تقع دونه همم الموسوعيين ، ولكن الموسوعية عنده لم تتحيف الموضوعية التي يطالب بها العصر الحديث ، ولا التخصص الذي لا بد منه من أجل التوفر على أسباب الاحاطة .

ولقد توارد على صعيد دراساته كثير من المحدثين المتخصصين بالدراسات

الأدبية أو التاريخية أو الاسلامية ، فما وجدوه واقفاً من تلك القضايا بمبدأ عما وقفوا ، بل لم يجدوا فيما انتهوا إليه بالتخصص والموضوعية كثيرَ فرقٍ عما انتهى إليه بالشمولية والموسوعية .

وكان الرئيس صحفياً يجيء العمل الصحفي في مقدمة أعماله ، والنعت به من أظهر نعوته ، ولكنها صحافة الرأي لا الخبر ، وصحافة الدعوة إلى مهيئات الأحداث وإثارة أسبابها ، وليس إلى تسجيل الأحداث وما تسبب من حدوثها .

والفرق بالغ بين الصحافتين ، تلك صحافة مريدة قاصدة ، وهذه – إن صدقت – صحافة متلقية شاهدة ، وشتان بين أن تترقب الحوادث وترصدها ، وبين أن تمهد لها وترهص بها ، فأنت في الثانية مفكر مدبر ، وفي الأولى حاكٍ مصوِّر .

آمن بالعربية لغةً فدعا إلى تحريرها وتطويرها ، وصدَّق الدعوة بما نشر من آثار وحرَّر من أفكار ؛ وآمن بالعربية أمة لها شمائلها وخصائصها ومقوِّماتها فدعا إلى تحريرها وسيادتها ، وصدق الدعوة بكفاح سياسي مرير . وشفع الكفاح بالحجة التاريخية والسند العلمي فخرج من ذلك بها أمة من أرحم الأمم حين تسود ، ومن أقدرها على ردِّ الحيف حين تساد ، وجليّ للمحبِّ والشانيء أنها من الأمم الراقية ذوات التاريخ الحضاري ، المشهود له بالفضل على الانسانية .

آمن بالإسلام ديناً يعبد به الله وحده فطالب بتنزيهه عن شبهات الشرك وتجريده من طقوس الرهبانية ، وآمن به نظاماً حياتياً ميسراً يفرض العمل ويرفض العطل ويريد اليسر ولا يرضى العسر ، وقدر أنه والعلم ردفان، وأنها للانسانية عونان ،تعيش بها عيش سلام وتعاون وإخاء .

ذلك ، أيها السادة الأعلام ، غاية ما تهيأ لي من انطباع عن سيرة الرئيس الرائد لا أدعي أنني استوفيت فيها جوانبه أو وفيت بها حقه ، وإنما هي إلمامة تعبر عما بلغتُ من سيرته ، وليس عما بلغته سيرته .

أيا المجامع ، نم قرير العين بما خلد لك من ذكر ، وما كتب لك من صالح عمل ، واهنأ فإن جملة ما أسست وشيدت قائم يتسامى مع الأيام ، بجهد النفر الصالح من تلاميذك وأبنائك في الجامعات وفي مجمع الخالدين ، وإن الجامعات العربية علت لها صروح في كل صقع من أقطار أمتك ، فتضاءلت الأمية التي كنت تخشاها ، وانتشر العلم الذي تعمل على نشره ، وأوشكت العربية تعود لغة علم وحضارة بل لغة لها في المحافل الدولية قلم ولسان .

وأنت أيها الشيخ الجليل الرئيس الدكتور حسني سبح . منّ الله عليك بالعافية ، ولا خلا لنا مجلس منك ، فبارك الله في سعيك ، ومدّ عمرك ، وكتب لك ولإخوانك في المجمع نائباً وأعضاء وأميناً سعادة العيش ، مع أقصى ما ترجون لمجمعكم وأمتكم من تقدم وتوفيق .

وفي ختام كلمتي أستأنف تحية وشكراً للسادة السامعين .

خطاب الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

سيداتي سادتي ، أيها الحفل الكريم

إنه لشرف كبير لي أن أشارك باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، في هذا المهرجان العتيد ، مهرجان الذكرى المئوية لميلاد الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي ، طيب الله ثراه وجزاه عن العروبة والإسلام خير الجزاء . وإنني باسم مجمع اللغة العربية الأردني الفتي ، أقدم جزيل الشكر ، إلى مجمعنا الرائد بدمشق ، حصن العربية الأكيد ، وحامل لوائها الخفاق في مجال تعريب العلوم والتقنية الحديثة . ونحن نعتبر أن هذا المهرجان ، الذي أقيم لتكريم ذكرى أحد علمائنا الأجلاء الذين كافحوا من أجل إعادة العربية إلى سابق مجدها ، إنما هو مهرجان للعربية ، لغة العلم والحضارة والتقنية الحديثة . فإلى شيوخنا الأجلاء ومن سار على دربهم تحية إجلال وتقدير واعتزاز .

لن أتحدث ، أيها السادة ، عن الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، لأنني أترك ذلك إلى الثقات ، ممن صاحبوا الأستاذ الرئيس والذين يسعدنا الحظ أن نستمع إليهم ، ونلتقي بهم ، ولكنني أود أن أقف عند جزئيتين مهمتين ، تزاحمان أفكاراً كثيرة خصبة ، تثيرها مؤلفات الأستاذ الرئيس وتحقيقاته الكثيرة ، في حياته الطويلة المعطاء : إحداهما عامة والأخرى خاصة على مقياس .

فأما الفكرة العامة التي تلح على ذهني ، كلما مررت بمؤلفاته ، فتتمثل بتجسيد الأستاذ الرئيس رحمه الله ، مفهوم العروبة الحقة ، إنه المفهوم الإنساني الأصيل للعروبة المشرقة بجذورها الإسلامية العميقة ، التي تمدها بالحياة والخير والخصوبة . فالعرب مادة الإسلام وحملة لوائه ، والعربية لغة القرآن الكريم ، دستور الأمة الذي ينير لها الطريق ، وبالتالي فمن كره العرب كره الإسلام . هذه هي الركائز الأصيلة التي ألمسها في شخصية علم من أعلامنا المكافحين في سبيل توطيد دعائم العروبة والإسلام . فقد رأى الأستاذ الرئيس رحمه الله أن يهدي كتابه القيم «كنوز الأجداد» مثلاً ، الى أستاذه الذي أشرب قلبه حبَّ العرب على حد قوله . يقول في الإهداء : إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم ، صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، أهدي كتابي «كنوز الأجداد» . فقد هداه تفكيره الإسلامي العميق ، ونزعته السلفية الأصيلة إلى التعالي عن النزعات الإقليمية والطائفية والعرقية . فانتقدها انتقاداً مراً ، وهاجمها دون هوادة . كان يتحدث عن قضايا الوطن العربي ومشكلاته ، بروح المواطنة الحقة ، وهل المسلم إلا مواطن في دار الإسلام ، لا تحده حدود ، ولا تعيقه حواجز . ففي هذا الإطار الرحب نستطيع أن نفهم شخصية الأستاذ الرئيس ، وهو العراقي الأصل ، الكردي الجنس ، الشآمي الموطن والولادة والوفاة .

كان الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، من أعلامنا المكافحين في سبيل وحدة العرب وتحررهم من نير الاستعمار والتخلف . وإن شعوره الأصيل بالمواطنة الحقة في ديار العروبة ، لهو ترجمة حقيقية لعقيدته الإسلامية ،

وتأدبه بآداب القرآن ، وتفهمه لأسرار العربية . فالعروبة عند الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، ليست عروبة الدم والعرق ، إنما هي عروبة العقيدة واللغة والانتماء .

وأما الفكرة الأخرى ، التي أشرت اليها فهي حديثه عن جذور مجمع اللغة العربية الأردني : ففي الفصل الذي عقده بعنوان « كفاءة عمان » في مذكراته ، أشار إلى محاولة مبكرة لم يكتب لها النجاح في الأردن ، لتأسيس مجمع لغوي قال :

« أسس المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢١ م ، وعلى ما صادف من مثبطات أنتج ما ساعدت بيئته على إنتـــاجه ... » ، إلى أن يقول : « وأرادت بعض الحواضر العربية أن تحذو حذو دمشق في تأسيس المجامع العلمية ، فجاءت مصر بعد أعوام ، فأنشأت مجمعها اللغوي . فوضع ألوفاً من المصطلحات العلمية الجديدة ، وبسّط قواعد اللغة العربية . وكانت بغداد وعمان وبيروت تفرعت بنيل الغرض الشريف . » إلى أن يقول : « واتفق أن كان مجمع عمان ناقص التركيب لقلة الرجال فأخفق .. »

وها أنذا اليوم ، أيها السادة ، أقف باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، بعمان ، لكي نحتفل بالإجلال والتكريم بالذكرى المئوية لميلاده . وإن روحه الطاهرة ستسر بالنجاح بعد الاخفاق ، بقيام مجمع « عمان » بعد اجتيازه تجربة مثمرة على مدى خمسة عشر عاماً من خلال اللجنـــة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر . فقد مرت أعوام كثيرة ، بعد إخفاق مجمع « عمان » الذي أشار إليه الأستاذ الرئيس رحمـــه الله ، ولكن في سنة ١٩٦١ تأسست اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، ثم تحولت

الآن إلى مجمع اللغة العربية الأردني . وسيكون من أولى مهام مجمعنا الأردني إن شاء الله ، أن ينضم إلى اتحاد المجامع اللغوية الشقيقة في دمشق وبغداد والقاهرة .

كان رحمه الله يتطلع بأمل الى الحواضر العربيـة الأخرى ، لكي تنضمّ ، في سبيل الكفاح من أجل العربية ، إلى الجهود الخيرة الـتي تحتضنها دمشق الخالدة . لقد أدرك رحمه الله مع زملائه الأخيار ، أن الأمة لا يمكن أن تلحق بركب الحضارة وتصل إلى الإبداع إلا من خلال لغتها القومية ، وأن العربية – من حيث هي لغة – مؤهلة لاستيعاب جميع المعارف الإنسانية ، كما برهنت على ذلك في تاريخها الزاهر عندما أصبحت لغة العلم والحضارة في العالم .

سئل الأستاذ الرئيس ، في يوم من الأيام ، عن أسباب نجاح مجمع دمشق ، فأجاب إجابة عامة بقوله : لأن أعضاءه أخلصوا في خدمته منذ وضع أساسه . ونحن الآن نعتقد ، أنه إلى جانب هذا الإخلاص والتفاني ، فإن المجمع عرف ببصيرته النافذة ، أن النظرية تبقى جوفاء حتى يملأها العمل . فاتجهت عناية المجمع بدمشق منذ البداية ، بأمور اللغة ، عنايـة فائقة ، في المدارس على اختلاف مستوياتها من الابتدائية حتى الجامعة . وانطلق إلى تحقيق أهدافه انطلاقة علميـة صحيحة ، فاستعان بالأساتذة المختصين بجميع أنواع المعرفة وبذلك جمع بين القدرة اللغوية وبين الاختصاصين بمفاهيم الألفاظ الفنية . وهكذا تحققت أيها الأخوة أول تجربة في تاريخنا الحديث لتعريب الطب والعلوم بجميع فروعها ، في جامعة دمشق الحبيبة ، فاحتلت دمشق الخالدة بجدارة وبحق مركز الريادة والقيادة

في معركة تعريب العلوم والتكنولوجيا الحديثة . ونحن نعتقد أن حركة التعريب مرتبطة ارتباطاً عضوياً بحياة أمتنا وتقدمها . فقد أصبح من البديهي القول : بأن الإنسان يستطيع أن يستوعب بلغته القومية أضعاف أضعاف ما يستوعبه باللغة الأجنبية مهما تكن درجة اتقانه لهذه اللغة . وبالتالي فإن الأمة لا تستطيع أن تصل إلى حد الإبداع إلا من خلال لغتها القومية . وإن القول بالتعريب لا يعني مطلقاً إهمال اللغات الأجنبية ، بل على الضد من ذلك ؛ فإن عملية الترجمة والنقل يجب أن تكون مستمرة ومتوازية من اللغات الأجنبية إلى العربية ومن العربية إلى اللغات الأجنبية . ونحن إذا رجعنا الى تاريخنا العلمي ، وجدنا التجربة إياها ، ووجدنا دور الريادة للمدينة الخالدة ذاتها ... أليست في دمشق الفيحاء بدأت حركة تعريب الدواوين وترجمة أمهات كتب الطب والفلك ... أليست في هذه المدينة ، حاضرة الخلافة ، بدأت حركة الانعطاف الحضارية في تاريخنا القديم . وها هي الآن تعود لكي تقوم بدورها التاريخي ، في جعل العربية لغة العلم والحضارة . فتحية إلى دمشق وتحية إلى جامعتها الزاهرة وإلى علمائها الذين أرسوا قواعد التعريب في كلياتها ومعاهدها .

إن المشكلة الأساسية ، التي يجب أن تواجهها مجامعنا اللغوية ، وجميع المؤسسات العلمية ، تنحصر بتمكين الإنسان العربي أن يعبر عن جميع حاجاته الحضارية في حياته اليومية ، وفيما يتعلمه بالمدارس والمعاهد والجامعات ، بلغة عربية فصيحة ، حية وموحدة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وليس بحفظها في بطون الكتب .

أيها السادة ، لا أريد أن أثقل عليكم بجزئيات ، وإن كانت مهمة ،

ولكنني أود أن أؤكد على وحدة اللغة . فاللغة الأدبية موحدة بالرغم من عوامل التشتت والفرقة . فالنص القرآني كفيل بوحدتها . ولكن الخطر الداهم الآن يتمثل بنشوء لغات علمية مختلفة ، مع الأسف ، في أوساط من يؤمنون بالتعريب . فهناك مصطلحات علمية في مصر تختلف عنها في سوريا وفي العراق وليبيا والأردن وهكذا . ويحضرني في هـــذا المجال مثال صارخ . فهناك مثلاً كتاب في الرياضيات الحديثة ، ترجم في مصر ، وترجم في سوريا ، وترجم في الكويت ، وترجم في العراق ، وترجم في الأردن . وفي كل بلد تستعمل اصطلاحات مغايرة للاصطلاحات المستعملة في البلد الآخر .

إن نشوء مثل هذه اللغات العلمية خطر على وحدة الأمة ، وتشتيت جهود علمائها .

هناك قضايا كثيرة ، يجب أن تواجهها مجامعنا اللغوية والمؤسسات العلمية والرسمية متعاونة متكاتفة . وإن سبل معالجتها والتغلب عليها تتركز بصورة رئيسية على المواقف السياسية الــتي تتخذها الحكومات العربية . فإن الارادة السياسية التي ترتكز على التنظيم والتخطيط هي العامل الأساسي في تعريب العلوم وتوحيد مصطلحاتها .

لقد قامت مجامعنا اللغوية وعلماؤنا الأجلاء بجهود مشكورة ، ولكن مع الأسف ، بقي أكثرها محفوظاً في المكتبات وعلى الرفوف ، ولم يجد طريقه إلى الاستعمال . وواضح أن ذلك لا يعود إلى تقصير العربية ولا إلى تقصير هؤلاء العلماء ... ونحن نعتقد أن كثيراً من الإخفاق مرده إلى

هذه العزلة المفروضة ، بين النظرية والتطبيق ... بين المجامـــع اللغوية والمؤسـسات التعليمية والرسمية .

أيها السـادة ، لا أريد أن أسترسل ، بإثارة قضايانا اللغوية ، ولكنني أعتبر الإشارة إلى بعضها ، في هذا الحفل الجليل ، تكريماً لروح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، مؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق ، وأحـد الأعلام الذين تفانوا في خدمة لغة القرآن . فإلى روحه الطاهرة الرحمة ، وإلى ذكراه الإجلال والعرفان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ محمد بهجة الأثري

عضو مجمع اللغة العربية في بغداد

وزير التعليم العالي المحترم

أصدقائي وأحبائي العلماء الأجلاء رئيس مجمع اللغة العربية وأعضاءه العاملين .

إخواني الزملاء الأشراف أبناء دمشق الميامين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قدمت فيمن قدم إلى بلدكم وبلدنا الطيب الجميل الساحر ، بعد فراق طال أمده ، شيقاً إلى مباهجه ، محبوراً بلقاء أهله ، وسعيداً بالمشاركة فيه في أمر جامع خطير – لا تقوم لأمة ما حياة حرة مستقلة سعيدة إلا به ، ألا هو العلم ..

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وإن من سعادتي أن يكون حظي من المشاركة في « اسبوع العلم » – وأنا أرجو أن يكون الأسبوع رمزاً إلى الدوام والاستمرار – تكريم ذكرى ميلاد قائد النهضة العلمية في هذا الوطن العربي الأصيل ، العالم المجدد والمفكر المصلح والكاتب العبقري ، صديقي الأمثل ، الأستاذ الرئيس :

محمد كرد علي ، مؤسس أول مجمع علمي في بلاد العرب رحمه الله وطيب ذكراه .

وأنا إذا نعتُّ مع الناعتين هذا الرائد السباق الجليل بـ « الأستاذ الرئيس » فإنما أعني رئاسته في العلم والإصلاح والجهاد والبناء ، ولا أعني رئاسة المنصب كما عنى مثل ذلك قديماً من قدروا نبوغ أبي علي ابن سينا فلقبوه : « الأستاذ الرئيس » وكلا الرجلين إنما رأس بعلمه ومزاياه ، وعلا المنصب به ولم يعل بالمنصب . وكان الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أمة في رجل ، لا ينازع في ذلك منازع ، وكان في عصره واحداً من العظماء .. ممن يصدق عليهم في تاريخنا العلمي الزاهر قول أبي العلاء :

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة ، وهم بعد الممات جمال الكتب والسير

وسيرة هـذا الرجل الفذ ، سيرة يتجسد في مراشدها المثل الحي للقدوة الصالحة في العلم والعمل ، في الطماح والانبعاث ، في الثورة على الفساد والجد في البناء .

وتحيتنا لصاحبها تحية لمجد علمي طارف أثله ، وتحية لحياة عقلية مثلى رسم طريقها ، وأقام عليه الصوى والمنارات الهادية .

وهي سيرة حافلة بالمآثر يضيق هذا الموقف عن استيعابها ، ولهذا آثرت في تحيتها الشعر رمزاً وإيماء ، والشعر – كما قال صاحب سلاسل الذهب : البحتري – لمح تكفي إشارته ، وإني لأرجو ألا أكون فيما طوعته من مياسمها اللمح والرمز والايماء ، قد أخللت بشيء من حقيقة صاحبها العظيم .

الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الأستاذ محمد بهجة الأثري

وطنَ الشموس الأعلياء سماءا … النّاشرين لك الفخارَ لواءا
أكبرتُ قدرَك للنبوغ .. توفُّه … عطفاً ، وتُشعره هوىً ووفاءا
رعياً لآصرة الذّمام ، وطالما … شدَّ الذّمامُ أواصراً ودماءا
قُتِل الجحودُ ، فكم أكنَّ مآثراً ، … وأمات أحياءً ، ودكَّ بناءا
لله أنت ! رفعتَ شأنك باذخاً … لمّا غدوتَ تكرّم النّبغاءا
هم أصلُ مجدك في الحياة وسرُّه … وبهم حياتُك تستديمُ بقاءا
في المحنة العظمى اذّكرتَ معظّماً … فحلا .. أفادك نهضةً شمّاءا
لمّا طوى عادي المنون مثاله … وسلا البنون حياته الصمّاءا
وافيتَ محتفلاً به مستحفياً … تضفي عليه الهالةَ الزّهراءا
إنّ المواهب والمآثر والنّهى … لمعٌ .. تنير الأحجية الدكناءا
رتبٌ جلائلُ .. كلّما صدق امرؤٌ … أفعاله ، ألقتْ به أضواءا
تزنُ الموازينُ الرّجال بثقلهم … وزناً ، فلا حطّاً ، ولا إعلاءا
أذممتَ أم أطريتَ .. لست بناقصٍ … شأناً ، ولستَ بزائدٍ سيماءا
قلْ في الحقيقة ما تشاء ، فإنّها … تبقى الحقيقةَ جوهراً وصفاءا

* * *

أدمشقُ ..! والدُّنيا دِمشقُ جمالا … وجداولاً ومَنازِهاً وبهاءا ،

ماحالُ زَهْوِكِ بعدَ بَيْنِ (محمدٍ)؟ … ووِسامُ لونِكِ . هل ظَلِلْنَ وضاءا؟

كانت به الدُّنيا لَدَيْكِ وضيئةً … تزداد من قسماته لألاءا

زهراءَ .. تضحكُ من تضحُّكِ وجهِه … وتَسُرُّه ويَسُرُّها استهواءا

(قيسُ) الهوى .. بهواكِ عاشَ مُدَلَّها … غنّى بكِ الدُّنيا صباحَ مساءا

وجلاكِ (ليلى) في البلاد خريدةً … تَسبي العقول وتَسْحَرُ الشعراءا

ناغاكِ فاردةَ الفُتُون ، ولم يُعَبْ … شيخاً تعشَّقَ غادةً حسناءا

فيحاءَ ، ناضرةَ الإهاب ، شَذِيَّةً … أبداً تفوح شَذِيَّةً فيحاءا

نَضَّرْتِ خافِقَه فرَفَّ تصابياً ، … ونَعَشْتِ ناعمه فخَفَّ زَهاءا

وزَكَتْ محبَّتُهُ ، فلم يَمْذُقْ بها … مَلَقاً يشوب صفاءَها ورياءا

مُغْرًى بزهو الحُسن .. كلُّ كريمة … في الكون يُغلي حسنها إطراءا

أغلاكِ أنكِ حرَّةٌ عربيَّةٌ … تَلِدُ العلاءَ وتَنْسِلُ العظماءا

وهواكِ من هذا الهوى في نفسه … يتجاريانِ براءةً ووفاءا

إنَّ العروبة في هواه مودَّةٌ … تَصِلُ القلوبَ وتَعطِفُ البُعَداءا

إنَّ الذي رزق الشمائل خصَّها … منه بأكرمها جَدًا وغَناءا

هُنَّ العرائس في المحاسن ، لا ترى … في أمَّةٍ أخرى لهنَّ كِفاءا

شاقَتْهُ إسلاماً ، ونُبْلَ حضارة … خلصت كمسبوك النُّضار نقاءا

روعاء .. قد ملكت حجاه ، فرقَّها … عطفاً ، وأغلى حُبَّها إغلاءا

أجرى بها القلمَ المثقَّفَ ناطقاً … بالسِّحر يختلب القلوبَ أداءا

يجلو مفاتنَ كلِّ شيءٍ عندَها … صُوَراً كأوضاح السماء رُواءا

وإذا زرى فَسَلْ شُعوبيَّ الهوى … أصلاه حاميةَ اللظى حمراءا

يُعطي على الأقدار كُلًّا حقّه ... بـــلاغةً تستوقف البُلَغـــاءا
جمعت إلى الأدب المصفّى شهدُه ... عقلاً إذا دَجنَتِ العقول أضاءا
(عبدُ الحميد) يوَدُّ حلوَ بيانه ، ... و (ابنُ المقفّع) يَجْتَدِيهِ الماءا
ضمَّ الجديد إلى القـــديم ممازجاً ... وكساه من سحر البيان مُلاءا
وأتى المعاليَ والمعانيَ غضّةً ... يبغي الجمـــالَ ويبدعُ الآراءا
وهفا إلى التاريخ ينفض سرَّه ... ليُفيد من عِبَرِ العصور وِقاءا
ومشى إلى حرَم التراث معظِّماً ... ما جلَّ من أعلاقه إسناءا
وأعَزُّ ما بنَتِ الأبوّةُ من علًى ... ملأتْ طِفاحَ الخافقَيْن ضياءا
أعظِمْ بفطنته وصدق بلائه ! ... هُدِيَ السبيلَ وواصلَ الإسراءا
أنضى الثمانين الطِّوالَ جلادةً ... يُعْلي البناءَ على البناء وِلاءا
لقيَ الألاقيَ الشِّدادَ ، ولم يهِنْ ... عزماً ، ولم يتهيّبِ البُرَحاءا

* * *

أيُّ امرئٍ عالي السَّنا هذا الذي ... صدَقَ الكفاحَ وعلّم الأبناءا !
الرائدُ السبّاق .. لم يكذب له ... أهلاً ، ولم تفتُرْ خُطاه وِناءا
الناهضُ الوثّاب .. يمضي عزمه ... بأحدَّ من غَرْب السِّنان مَضاءا
الموقظُ النُّوّام من غفلاتهم ... ليُسابقوا الأقوامَ والأحياءا
الألمعيُّ .. يرى ظنونك صادقاً ... ويُحِسُّ ما أسررته استجلاءا
المبدعُ الأدبَ الطريف مُحمَّلاً ... فِكَراً كأفواف النبات زكاءا
الجامعُ الأعلام ، والمستنفرُ الـ ... أقلام ، والمستوثبُ النجباءا

* * *

في كلّ يومٍ من سَناه ولادةٌ … تحبوه من رَوْح الخلود فَناءا
كـ (دِمَشْقَ) جلوةَ غُرّةٍ زهراءا … ورُؤىً تخايَلُ فتنةً وبهاءا
كالنّبْع من (بَرَدَى) تَدفّق سَلْسَلاً … وكما الرّوابيَ والبِطاحَ رَواءا
كـ (الرّبْوَة) الفنّاء.. أعلت هامةً … مِلْءَ الفضاء تَرفُّعاً وإباءا
كـ (الغُوطَة) الخضراء.. متدثّرة وفاً … وزهت ملاعبَ وانتشت نَعماءا
كـ بساتِنها الضَحْيَاء .. ورقّت منظراً ، … وَسَناً يمور توهّجاً ، وَسَناءا
كرياضها المُستلطَفات أناقةً ، … الصّادحات بهـا الطيور غِناءا
كروجها صدراً على ضاحي السَّنا … رحباً ، وطيباً مِسمحاً مِعطاءا
كنسيمها الهافي .. تنفَّسَ وَرْدُها … فيـه ، فحمّله شَذاهُ رُخاءا
كنعيمها الخضِل البنيع ، ورَبا بها … غَضّاً ، ولَذّ حلاوةً وصفاءا
.. هذي المَفاتِنُ ، كيف أخلص زهوها … صَفْواً ، وأربى فوقها ما شاءا

* * *

أمُشيّدَ الصّرح العظيم .. تمرّدت … شُرُفاته ، وتوطّدت إرساءا
والنّاطحات السُّحب ، .. تقصُر دونَهُ … قُنَناً ، ويشمخ فوقهنّ سَماءا
و « جِنانُ بابِلَ » تستظلّ بظلّه … متقاصرات دونه استحياءا
فَتَبيتُ وتَفنى « النّاطحات » ، وعمرُه … هو والخلودُ تلازماً ولقاءا
لم يُبْنَ من زُبَر الحديد مَناكباً … صُمّاً ، وبِنْيَةَ جندلٍ خرساءا
.. أعليتَ في الوادي المبارَك عرشَهُ … وجعلتَ ثَمَّ دِعامَـهُ العلماءا
والعلمَ ، والفِكَرَ الثّواقبَ كالضّحى … رُوحاً له ، وشِعارَهُنّ رِداءا
آويتَهُنّ إليه فاستذرتْ بِهِ ، … وإليـه لاذَ بيانُها وأفاءا

أمُّ اللغات .. قوامُها وبلاغُها ، وكفى بهـا شرفاً له وعلاءا

* * *

يا(مجمع الفصحى)الحبيب .. زها بِنا ، وزهتْ به ، وتقدَّسَتْ أسماءا
عجَباً عُجاباً ! مالُ زادِكَ باخلٌ ، لكنْ زادَكَ كالغمام سخاءا
كُتُبٌ تتابَعُ سائراتٍ ها هنا وهنا على طول المدى سُفَراءا
سَبْحاً بآفاق البلاد .. تَجُوبُها شُهُباً زواهرَ تحسر الظلماءا
من أين ذاك؟ وكيف ؟علّكَ ساحرٌ يُعشي العيونَ ويُوهِم الأشياءا !
لا والّذي بَرَأَ الحقيقةَ علمُه ، وأقام أعيانَ الوجـــود سواءا
ما كان غير الصدق باعث همّةٍ يُعطي من النَّزر الشَّحيح ثَراءا
أرساك للقصد الشّريف نَبالةً مُرُسٍ تنخّلَ رفقةً شرفاءا
دامت على الرَّسم القديم ، وأمعنت في الجهـــد إخلاصاً له وفداءا
لا تأكل المالَ المرتَّبَ باطلاً ، وتُثيبُهُ المُطَواءَ والثُّوَباءا

* * *

يا بانيَ العلياء . بُلِّغت الرِّضا ، ورُزِقتَ فردوسَ النّعيم حباءا
فير فَرْفٍ خُضْرٍ. تُضاحك مُنْفساً قدّمتَهُ ، وتسامر الحُنَفاءا ،
أرأيتَ غيرَ الصِّدق يورث طيِّباً ، ويُذيق من كَرَم الرّضا صهباءا ؟
(المجمع) المعمور .. ذِكرُكَ عالق بسمائه ، وبك استطال سماءا
جبَلاً (دِمَشْقٍ)..(قاسيونٌ) ثالثٌ لكما رُسُوٌّ قواعد وضحاءا

* * *

أفتى (دِمَشْقَ) وشيخها وعظيمها وأجلَّ مَن أسدى يداً بيضاءا

إنْ أنسَ ، لا أنسَ الودادَ وحظوةً أَلبستَنيها حُلّـــةً سِيَراءا
ديباجُها الكرمُ الصميمُ وطيبةٌ تتفقّـــدُ البُعَداءَ والخُلَطاءا
خُلُقٌ خُصِصتَ به وعمَّ وفاؤه كالشمس جلّلتِ الوجودَ ذُكاءا
.. كرُمتْ لديَّ معانياً ومغازياً والسِّنُّ دونَ جلالِها علياءا
أغليتَ شأنيَ ناشئاً ، ورفعتَ لي بين الأعاظم في البــلاد لواءا
أعززْ بها ثقةً .. لو انَّ كِفاءها روحي ، لجُدتُ بها عليك جزاءا
ثقة .. وقفتُ حيالَها مُتيمّناً ، شاقت مَضائيَ أن يزيدَ مَضاءا
ذقتُ اللذاذة من كفاحيَ بالذي أوحت ، ولم أبطر بها خُيَلاءا
وطويتُ أدراجَ الطريق إلى المدى يا ليتَ شعري ! هل بلغتُ رجاءا ؟
فلأوسِمنّك ، ما حَييتُ ، ترحّماً يســتنزل الرضوانَ والآلاءا
فتّشْ فؤاديَ تَلْقَ فيه صحيفةً للأصفياء ، ترَ اسمكَ الطُّغراءا !

خطاب الدكتور عدنان الخطيب

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

كانت الدنيا ثم كان الناس ، ثم كانت الأعراف والحضارات ، وبنت كلّ جماعة من هؤلاء أمجادها ومفاخرها .

وتقلّب الناس في النعمى والبؤسى ، تقلب الجديدين على هـــذه الحياة الدنيا .

وكان لهم في كل بؤسى ونعمى مُثُلٌ من نور يهتدون بهديها فيرعونها حقّ رعايتها تمدهم بالنور إذا حزب الأمر ، وتهديهم سبلهم إذا دعا الداعي ليوم عصيب .

وكان من هذه المثل ، رعاية الأمم ، الأمم على اختلاف نصيبها من الحضارة ، لذكرى عظمائها بناة مجدها ، والذائدين عن تراثها وقيمها ، حتى لقد غدا من أهم معايير هذه الحضارة وأدق موازين الأخلاق وفاء الشعوب لهؤلاء الصفوة من القادة المصطفين .

ومن أجل ذلك ، كانت الأمم العريقة كالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء .

ويوحي من هذه الحقيقة الخالدة ، ويبدي من هذه المثل الرفيعة كان هذا الحفل الذي نشهده اليوم !

* * *

سـادتي :

قبل مئة عام أنعم الله على دمشق ، لاحجب عنها ما عوّدها من نعم ، بطفل ليس له في أصوله من دماشقة إلا واحد .

درج الصبي على أرض دمشق ، دمشق الطيب أهلها ، النمير ماؤها ، الشذّى هواؤها ، فاستولت على فؤاد الفتى وغدا أسير هواها .

شبّ الفتى ، وعرف أنّ النور شعّ من دمشق في يوم غبر ، فأضاء صباحه طليطلة علماً وحضارة ، ورقصت على سناه بالمجد بغداد ، فهام الفتى بمدينته ، وغدا بها كلفاً ، يحب لها الخير كلّ الخير ، ويحاول دفع الشر عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وغني قلب الفتى بحب دمشق ، فأوسعه لحب الشام كلها ، فاتسع القلب للحبّ الجديد ، فدفعه ذلك إلى قصّ الخبر عنها في أيام مجدها ، وفي أيام امتحن الله بها جلد أهلها على المكاره وإيمانهم بربوبيته .

وعشق الرجل الحرية فأنزله الغناء بها أرض مصر العظيمة ، مصر الطيبة السمحة الكريمة ، ورأى الرجل قلبه يتسع من جديد للحب الجديد فأحب مصر وأحب أهلها وتغنى بمحامدهم ، غناء لا يعدله إلا غناؤه بما للعرب من فضائل ، وبما في الإسلام من حقائق ، فوقف نفسه للدفاع عن حضارتهم ولغتهم تجاه كل شعوبي وفاجر ، وآلى على نفسه أن يذود عن الدين ويردّ شبهات الملاحدة والمستشرقين .

هذا الدمشقي البار ببلده وبالأمة التي اختارها الله لحفظ لغة التنزيل العزيز ، هـذا الدمشقي الذي أحب الشام ومصر وكلّ العرب ، وكلّ الوحدين ، هو محمد كرد علي ، محمد كرد علي الذي نحتفل اليوم بذكرى مولده قبل مئة عام ، إنـــه العبقري الفذ ، والمؤرخ والأديب ، والعالم المصلح ، والصحافي اللامع ، صاحب الأسلوب البليغ والبيان الناصع المشرق ، إنه الرجل العظيم الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة يعتز بها ويكمن وراء كل جملة فيها دليلٌ قاطع على واسع علمه ، وعمق تفكيره ، وصدق حبّه للعرب والإسلام .

إنه الرجل الذي أنبته دمشق فأعطاها قلبه وثمار قلمه ، وترك فيها المجمع الذي تعتز به وتفاخر ، لأنه أقدم المجامع في بلاد العرب ، المجامع اللغوية التي تقوم اليوم لتحمي الفصحى من أعدائها ، ولتغنيها حتى تساير ركب الحضارة في عصر العلم والتقنية .

لقد انتقل محمد كرد علي إلى الرفيق الأعلى منذ نيف وعشرين سنة فهل عرف الناس فضله وحسن بلائه ، وهل وفوه حقه ؟

من صور الوفاء لهذا الرجل العظيم أنّ دمشق يوم وداعه زحفت باكية حزينة تشيّعه ، ثم حنت على رفاته فضمّها ثراها الندي مضمخاً بالعطر والحب والتقدير .

من صور وفاء دمشق أن محافظة المدينة أطلقت اسمه على بقعة من ترابها العزيز . وأن وزارة التربية في القطر العربي السوري أدخلت أدبه الرفيع في مناهج التعليم . وأنّ مواصلات الدولة البريدية جعلت رسمه يجوب آفاق الدنيا يحمل للناس ذكرى مولده لتهيج في صدورهم ما تهيج .

من صور هذا الوفاء أنّ نقابة المحامين ، نقابة الرجال الذائدين عن الحق العاملين على سيادة القانون ، فتحت صدرها وقاعتها لعقد ندوات احتفالاتنا هذه .

وكرّم الفكر الإسلامي محمداً كرد علي يوم علت أصوات نفر من أعلام الرجال تشاركنا الاحتفال من عليكرة في المشرق إلى رباط الفتح في المغرب مروراً ببوادبست على نهر الدانوب .

وكرمته مجامع اللغة العربية واتحادها حين ندبت رؤساءها الأعلام لمشاركة مجمع دمشق مهرجانه .

وكرمت الدول العربية مجتمعة ذكرى ميلاد الرجل فأقبل على دمشق لمشاركتها احتفالاتها ، الشاعرُ الأديب والمفكر العربي الكبير مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ويكرمه المجلس الأعلى للعلوم في سورية يوم يدعو رئيسه إلى الاحتفال بذكرى مولد العالم المصلح والمؤرخ الثبت خلال اسبوع العلم هذا .

ونجتمع اليوم في بيت كان من أعرق بيوتات دمشق الخالدة للاحتفال بذكرى ميلاد الرجل الفذ برعاية السيد رئيس الجمهورية ، وهل من تكريم لهذه الذكرى أبلغ من هذا التكريم !!

للسيد الرئيس ولكل من شارك في تكريم مؤسس المجمع العلمي العربي آيات الشكر وخالص التقدير .

رحم الله محمداً كرد علي وطيب ثراه وجزاه كفاء ما قدم لأمته .

شامية محمد كرد علي

الأستاذ شفيق جبري

كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف ، فقيل له في ذلـــك فقال : تزدحم الأفكار في صدري فيقف القلم لتخيّره . فلما حاولت أن يمضي لي قول في الاحتفال بذكرى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في واسع رحمته ، تذكرت قول ابن المقفع فشعرت بازدحام الأفكار في صدري ، فإنّ حياة الأستاذ مديدة الآفاق ، فلا يدري القلم بأيّ أفق منها يبدأ ، وحسب هذه الحياة أنّ صاحبها عاش في عصر استفاضت فيه حوادث السلب والنهب والقتل والمصادرات وقطع المناخير والآذان وظلم الأبرياء والاستبداد والقضاء على كلّ حرّية ، فضلاً عن طبقة من المشايخ كان الأستاذ الرئيس يعتقد فيهم الجهل والفساد وسوء السيرة ، وخلاصة هذا العصر ظلمات في سياسة الدولة وإدارتها وفي سيرة بعض رجال الدين وفي تسلّط الأعيان وقد لخّص خصائص هذا العصر في فصل من فصول مذكّراته عنوانه : عيدنا الوطني ، فكيف يستطيع أستاذ مثل كرد علي أن تملأ هذه الأمور عينه وأذنه وأن يغضي عليها أو يتغافل عنها ، ففكّر في سبيل الإصلاح وطريق المعالجة فلم يجد سبيلاً أرشد من الصحافة ،

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

فهي الأداة التي استعملها على نحو ما قال « للمطالبة بالإصلاح وطرد لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتفوع بالمشاريع المنتجة وبعث القرائح واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة » .

لا شك في أن طريقاً مثل هذا الطريق في الإصلاح والمعالجة لا يدخل السكينة على قلب صاحبه ؛ فقد غالب الأستاذ الرئيس الدنيا وعالبته ، وبلا خيرها وشرّها ، وذاق حلوها ومرّها ، وانقلبت عليه وانقلب عليها ، ومارس الرجال ومارسوه ، ووقع في شرّهم ووقعوا في شرّه . ومن قلّب النظر في مذكراته اهتدى إلى نوع من الحياة لم يكتب لها الهدوء في أيامها ، ولكنه على الرغم من هذا كلّه لما أشرف على الثمانين من عمره خاطب نفسه مخاطبة من لم يبال بكل ما مرّ به في سبيل الإصلاح فرجع إلى صفاء عقله فقال :

« يا نفس لا تنضي ولا تعتبي فقد عمرت طويلاً ، ومتعت كثيراً ، وفتنتِ بجمال الوجوه وجلال الطبيعة ، وهمتِ بصنع الخالق والمخلوق ، واستكثرت الخلان والمعارف ، وسعدت إذ كنتِ أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم ، وإلى الرجاء أدنى من القنوط ، وإلى السرور أكثر من الغم ، وعشت في سلطان الرضا طيّبة الطعمة لا يد لأحدٍ عندك » .

لقد كُتب لي من الاتصال به ما لم يُكتب مثله إلاّ لقليل ، فكان وزيراً للمعارف مرتين ، فتهيأ لي بعد طول المخالطة أن أقف على كثير من خصائصه ، على ظواهره وبواطنه ، على مزاجه وطبعه وخلقه ، ولكني أتعدّى هذا كلّه في كلمتي وأحبس ذهني على ناحية واحدة من نواحيه ، على

فرط حبّه لأرضه وعلى ما نشأ عن هـذا الحب من التغنّي بالذين أعطوا هذه الأرض ما وهبه الله تعالى لهم من فضله . وقبل أن أشرع في الإشارة إلى هذا الحبّ وهذا التغنّي أرى من الواجب عليّ أن أختصّ بالشكر الأساتذة الذين لم ينسوا محمد كرد علي ولم يغفلوا عن الاهتمام بذكراه ، فكأنهم أدركوا أن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، آخر عصرٍ متصل بأول العصر الذي يليه ، يستتمه ما شاع فيه من المحاسن . وما يقال في اتصال هذه العصور يقال في اتصال رجالها على مختلف منازلهم ، فليس من الإنصاف في شيء أن يمل عصر من العصور العصرَ الذي سبقـه ، وليس من العدل في شيء أن يهمـــل رجال زمنٍ من الأزمان التنويهَ بفضائل من سبقوهم ، سواء اتفقت آراؤهم ومذاهبهم أم اختلفت ، فإنّ في مثل هذا الإهمال طمساً لحقائق التاريخ واستنكاراً للمحسنين إلى هذا التاريخ ، ونحمد الله تعالى على أن مجمعنا لم ينس أوّل رؤسائه محمد كرد علي ، ولا ريب في أن تذكّره إيّاه يدخل السرور على قلبه في عالم الغيب ، فلقد شكا إهمال الناس لرجالهم من أصحاب الفكر والبيان الذين أنشؤوا ثورة العقول قبل إنشاء ثورة السيوف ، وأفصح عن هذه الشكوى وذكّر أصحاب الأمر والنهي بفئة صالحة كانت من العاملين الممتازين فقال :

« نحن لا نومىء هنا إلى من لم يكونوا مع الثائرين في وقت من الأوقات ، بل إلى من كانوا مع الثائرين من البداية إلى النهاية وكانت عين الرضا متجلّية على كل من حمل السلاح ، أما من شقيت حياتهم في إعداد الأفكار للثورة الحقيقية ومهّدوا السبل لإثارة الأفكار وجاهدوا سنين حتّى لقّنوا الأمة معنى الوطن والوطنية والعرب والعربية فهؤلاء لاحظّ لهم من التنويه لأنهم ما حملوا السلاح ».

لاشك في أنه يعني نفسه بشقاوة الحياة في إعداد الأفكار للثورة الحقيقية وتمهيد السبل لإنارة الأذهان ، ولا شك في أنه يعني نفسه بتلقين الأمة معنى الوطن والوطنية والعروب والعروبة ، فإذا كانت نهضتنا الحديثة قد نسيت الأستاذ الرئيس محمد كرد علي فإن مجمعنا لم ينس رئيسه الأول الذي أحبّ أرضه وقومه أشدّ محبّة ، وأوحى إليه هذا الحب ما أوحى من مقالات ومحاضرات وكتب أعربت عن منزلة أرضه وقومه في أعماق نفسه أبلغ الإعراب ومكّنت هذه المنزلة من قلوب أهل عصره كلّ التمكين .

انتدبت الحكومة العثمانية الأستاذ الرئيس محمد كرد علي خـــلال الحرب الكبرى الأولى ليكون في جملة الوفد الشامي إلى الآستانة ، فودع غوطة دمشق في مقال كلّه شعر . ولا مندوحة لي عن الرجوع إلى بعض مقاطع هذا المقال ، من هذه المقاطع قوله :

« وداعاً غوطة دمشق الفيحاء ، مجلى الطبيعة ومغنى الأنس وروضة الطيبات ومهبط التجلّيات ، سلام زكيّ كتربتك المسكية ، جميلٌ جمال بسطك السندسيّة ، عطِر كأنوار أدواحك الجنيّة ، وتحيّة طيّبة تتساقط على عمرانك تساقط الوابل والطلّ على جنّاتك الغنّاء ، وحراجك الغلباء ، وأشجارك الميلاء ، وغلاتك الكثيرة الإتاء » .

وإذا تغنّى في هذا المقطع بطبيعة الغوطة وأرضها فقد تغنّى في المقطع التالي بطيرها وحيوانها فقال :

« سلام غوطة دمشق كلّما غرّدت أطيارك فملك على المشاعر سجع الحمام واليمام ، وهديل العندليب والهزار ، وتغريد العصفور والشحرور ، كيف لا تستهوينّ النفس ونعيق الغربان ونقيق الضفادع إذا ردّدهما الصدى في

لياليك يفسّرها القلب بمعانٍ لا تُفهم منها في الكور الأخرى كما يفسّر في النهار ثغاء الماعز وجؤار البقر وخوار الثيران » .

إذا كنتُ قد حبست ذهني على أفق واحدٍ من آفاق الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، على أفق محبّة الوطن ومحبّة قومه ، فما ذلك إلاّ لأنّ الأستاذ ، نضّر الله عظـــامه ، رأى في غوطة دمشق ما رآه بعض الإفرنجة في مدنهم ، فإن مدن الوطن في نظرهم إنما هي بمنزلة الكتب ، ولكنّها كتب مصوّرة ، يقرؤون فيها أخبار أجدادهم ويرون فيهـا صور الأجداد ، إنّهم يقدّسون دور أحقر مدينةٍ من مدنهم لأن هذه الدور قد أوى إليهـا الحبّ والبغض واللذة والألم في قرون متواليةٍ ، إنهـــا تحتفظ بأسرار رهيبة وتعرف أشياء كثيرة عن الموت والحياة ، ولو كانت حجارتها تتكلّم لقالت لأهلها أشياء تُضحك وأشياء تُبكي .

لقد فتن الأستاذ الرئيس بغوطة دمشق أعظم فتنة ، فإذا اعتزل دمشق إلى ريفه في الغوطة ، إلى داره في قرية جسرين ، فإنّما يعتزلهـا ليصغي إلى أحاديث كتاب مجالسه إصغاءه إلى حفيف الشجر وتغريد الطير وثغاء الغنم وجؤار البقر ، فللغوطة في نفسه منزلة رفيعة ، فقد فُتن بكل شيء فيها ، فتن بخضرتها وطيرها وحيوانها وكثيراً ما سمعته يقول : لكل شجرة من شجرها ولكل بقعةٍ من بقاعها منزلة في قلبي ، فقد كان يقضي فيها بعض لياليه ويجمع فيها خواطره ويؤلّف فيها مؤلفاته ، وهذا النوع من التعلق بالأرض والحنوّ عليهـا والحنين إليهـا إنما هو الوطنيّة المجرّدة من الجعجعة وأباطيل البيان لأن هذه الأباطيل تجعل الحبّ باطلاً ، فارغاً ، فمن وراء منعطفات السواقي والأنهار ووراء الحدائق والأشجار بلاد الملوك

القدماء والقصور المصقولة كما يُصقل الجوهر ، فيذكرنا هذا كله وطننا القديم وما كان عليه في العالم ، فنشعر بفرط الحنوّ على هذا الوطن وهذه الأرض .

لم ألمح إلى ما ألمحت إليه من إفراط الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في محبة وطنه وقومه على شكل هادىء ، صاف ، إلاّ لأن هذه المحبة قد نشأت عنها مؤلفاته القيّمة وفي مقدمتها خطط الشام ، فقد أضاف بخطط الشام إلى وطنيته الصافية قوميته الراسخة ، أي جمع بين محبة الأرض ومحبة من ملكوا هذه الأرض وتعاقبوا عليها أحقاباً طويلة ورزقوها ما أوحاه إليه أدبهم وعلمهم وفلسفتهم وحضارتهم . وما خطط الشام على نحو ما ذكره الأستاذ الرئيس في مقدمته إلاّ : « زبدة الوقائع والكوائن وأخبار الصعود والتدلّي والمظاهر الغريبة التي ظهرت بها هذه الديار في غابر الأعصار » . فالأستاذ أحبّ أرض الشام ورجالات الشام ، أحبّ كل عظمائها ، ولم يقتصر حبّه على عظماء الشام وحدهم وإنما أحبّ عظماء العرب بأجمعهم على اختلاف ديارهم .

ولقد حمله حبّه للعرب وتغنّيه بحضارتهم على أشدّ الدفاع عمّا تمّ على أيديهم من جلائل الأعمال ، ومن طالع نقده لبعض الكتب في مجلة المجمع العلمي العربي شعر بشعوره القويّ بالدين وبالقومية ، ولولا الخوف من الإطالة لتبسطت في الاستشهاد بهذا الشعور .

أمّا في الدين فكان يكره الحشو والتفريق بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان وكان يتمنّى أن تكتب كتب الدين في عصرنا بأساليب أبي يوسف في الخراج والزمخشري في الكشاف والغزالي في الإحياء وابن

حزم في الملل والنحل ، وأمّا دفاعه عن القومية فكان يقف بالمرصاد لكل كاتب يُحس بأن في كتاباته عن العرب بعض الانحراف عن الحقيقة لتعصّب أو لأمرٍ آخر ولا يهمّه في هذا الباب أن يكون لهذا الكاتب صلة بأصحاب الأمر والنهي فكان شديداً على من تحدّثهم أنفسهم بسلب العرب مزاياهم .

أفيحتاج كاتب من بلغاء الكتّاب أو مؤرّخ من كبار المؤرّخين إلى أكثر من هـذا الفضل لتخليده على ترادف السنين ؟ . وإذا كنت لم آت في هذه الكلمة الوجيزة على كل ما اختصه الله تعالى به من المحاسن فإني أكتفي بتلخيص هذه المحاسن في كلمـة واحدة ، فإني أرى في « شاميّة » الأستاذ الرئيس محمد كرد علي جملة عبقريته وتفاصيلها . وأحمد الله تعالى مرّة ثانية على أن جمعنا ورجال هذا المجمع لم ينسوا منزلة الأستاذ العظيم الذي أضاءت عبقريته ظلمات الشام من بدء حياته إلى أن دخل جنّة الخالدين .

في ذكرى العلامة محمد كرد علي

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

إن التغيرات السياسية الكبرى في التاريخ العالمي التي شهدتها العصور الغابرة ، قد جاءت نتيجة للفتوحات الحربية التي قام بها آنذاك الآشوريون والبابليون والفرس وفرضوا خلالها سلطانهم على شعوب أخرى غريبة عنهم . ونتيجه للتكاثر السكاني المتزايد فقد استعرت نار التسلط والهيمنة في جموع البشر . أما القادة الذين أنعم عليهم بالمقدرة فقـــد شقوا طريقهم إلى الانتصارات بحد السيف في خضم الحروب التي خاضوها . وكان كل نصر من تلك الانتصارات يواكبه بؤس وفاقة الملايين ، وذلك إلى حين نهوض شعوب جديدة جوعى ومتعطشة للدماء ، تحت رايات قادتها ، لتطرد بالعنف والقوة حكامها الذين استولوا في حينه على مقدراتها بحكم الفتح والغزو ، مرسية في الوقت نفسه دعائم سلطانها القائم بدوره على القهر والعنف .

وفي مقابل هذه الحركات المتكررة على شكل موجات من التاريخ العالمي آخذ بعضها بخناق البعض الآخر ، فإن الاسـلام يقف على طرفي نقيض منها بصفته نظام دولة . حيث ان الاسلام ليس اجتياحاً وهيمنة وشهوة في السلطان ، بل هو أسمى من ذلك بكثير ، إنه قوة معنوية

زاخرة جبارة ، استطاعت عن طريق الدين الحنيف أن تبعث الحياة من جديد في الامبراطوريات القديمة بواسطة تلك الحضارة الأصيلة التي انطلق بها العرب من قلب الصحراء المجدبة . ومن المعروف أن كلاً من الجيش البيزنطي والفارسي كانا مزودين آنذاك بأقوى وأفضل الأسلحة المتواجدة في ذلك الزمن . بينما لم يكن في أيدي العرب من الأسلحة إلا ما هو قديم ، مما درجوا على استعماله في حروبهم القبلية مثل السهام والحراب والسيوف والمقاليع . وخلال الحروب القبلية في الجاهلية لم يتطور فن الحرب وسوقيته ، حيث كانت الحروب تحسم عن طريق المبارزات والبطولات الفردية . والإسلام بصفته مجموعة تعاليم معنوية وخلقية كذلك فقد عوّد العرب على مزاولة فريضة الصلاة التي تقام بصورة جماعية ، وبطريقة تقرب من النظام العسكري ، وهي ممارسة تطورت في وقت لاحق لتغدو تدريبات سوقية في فن الحرب . ولقد استطاع الإسلام ، باعترافه بأنبياء اليهود والمسيحيين ، بل وبتقديسه لهم ، أن يوحد صفوف كل المؤمنين في معسكر واحد ، وهم الذين تمكنوا بقوة التعاليم الدينية المعنوية ، وبالرغم من تخلف مستوى تسلحهم الحربي ، من قهر الجيوش البيزنطية والفارسية والتغلب عليها . وإلى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية الأخرى ، فإن كون الإسلام بمثابة دين عالمي لكافة البشر هو العامل الرئيسي الذي قاد خطى أولئك العرب الذين كانوا في حينه فقراء إلى تلك البقاع الخصبة والغنية ، ممن أعلن أهلوها ، بعيد مقاومة قصيرة الأمد ، عن آيات الولاء طوعاً لا قسراً .

وهكذا فلم يكن السيف أو الشهوة في تملك الخيرات المادية الفانية هو الذي انتصر ، بل كان الانتصار لتلك القوة الروحية الهائلة التي جعلت

المسلمين في كل مكان يندفعون ويفتحون ، متسلحين بالتعاليم القرآنية الكريمة وناشرين كلمة الله . والآيات القرآنية الدفاقة المعاني والساحرة المباني هي التي أعلت راي الظفر للإسلام . ولا يوجد هناك أي كتاب قادر على منافسته في مجده هذا ، ولا تستطيع أبرع الترجمات له أن تجعل المرء يتحسس ، حتى ولو على وجه التقريب ، تأثيره ذاك . وكل إيمان وعلم المؤمنين إنما يتبثق من ثناياه ، وهم يرون فيه رائعة شاعرية أسمى من كل تقليد أو تشبيه ، وينظرون إليه كأروع إبداع في اللغة العربية . بل إن أولئك الذين ينظرون فيه نظرة العلم الموضوعي المحايدة ، بمحّصين مضمونه ومحتواه ، يجدون أنفسهم مجبرين على الاعتراف بأثره الجبار . ومن معين هذا الكتاب الكريم اختار المؤمنون تلك الحقيقة الخالدة ألا وهي أن هذا الكون قد خلقته وتوجهه قوة روحية واحدة . وعلى هدي من هذا الكتاب تطور ونشأ المجتمع الإسلامي — العربي ، أحد أكبر إبداع التاريخ الانساني قاطبة . وهو يشتمل في ثناياه على مختلف علوم الفلسفة والعلوم الطبيعية واللغة وإدارة الحكم وتصريفه كما يتناول الإنسان ، مبتدأ التاريخ وخبره ، وطوّر عنه نظاماً للتشريع استطاع أن يتملك ناصية المؤثرات الخارجية المتغيرة منذ ألف وخمسمائة عام ، مؤمّناً في الوقت نفسه التوفيق الفردي للمؤمنين مع ممارسة المساواة في القوانين . كما ان نظاماً اجتماعياً شعبياً بكل ما في الكلمة من معنى قد نشأ على هدي من الشريعة ، التي تمثل أحد أروع إبداعات العقل البشري .

ولقد قام العرب بنقل العلوم الاغريقية والهندية إلى لغتهم الخاصة بهم ، وأنقذوا بذلك علوم العصور القديمة لتكون بمثابة ركيزة ترتكز عليها

النهضة الفكرية الأوروبية . ولقد اكتسب الفكر مجالاً رحباً في الإسلام عن طريق تفسير القرآن والاجتهاد في فهم مراميه . ولقد كانت حركة المعتزلة بمثابة التوقد المتوهج للعقل الإنساني ، إلا أنها لم تنزلق فى منزلقات التطرف ، حيث إن المعتزلة يعتبرون أنفسهم أهل التوحيد والعدل . وهكذا فإن حريتهم الفكرية لم تحد بهم عن طريق المثل العليا الأساسية للأخلاق . ومما يسجل لهم أنهم اتخذوا من العقل أساساً لدرسهم وتبحرهم وذلك في القرن الثامن الميلادي ، عندما كانت أوروبا كلها غارقة في ظلام السبات الفكري . وكانت الفلسفة في الإسلام قد انطلقت من الثيولوجيا ، أي من المسائل الخلقية ، وهو أمر لم يحدث مثله في أوروبا إلا عقب انصرام قرون عديدة ، حيث لم يجر التوصل فيها إلى الثيولوجيا العقلانية إلا عن طريق ترجمات كتب الفلاسفة العرب . ولا يزال هذا الفضل العربي تراثاً مجيداً حتى يومنا هذا ، وكل منكر له إنما هو متنكب لجادة الصواب ليس إلا . ولقد تجلت الروح العربية وتسنمت القمم عن طريق نقلها وتطويرها للمؤثرات الخارجية بصورة عقلانية هادفة ، تستند على مراقبة الطبيعة وعلى أخذ التطور التاريخي للمجتمع بعين الاعتبار ، خاصة وقد واكبت كل ذلك بتحسسها القانوني للأخلاقيات .

وعبر سيرة المجتمع العربي نلتقي بتلك الإبداعات الروحية الثرية التي أغنى بها كنز المعارف الانسانية . فإلى جانب الثيولوجيا العقلانية ، فإن الأفكار القائمة على الحدس الشعوري قد شكلت معاً التصوف ، وقد قام الغزالي في أثره الخالد « إحياء علوم الدين » بخلق تناسق متكامل للتصورات الصوفية الأدبية الجياشة .

ولقد كان الغزالي مسلماً مؤمناً ، ولذا فقد تقبّل الأمور التي لايستطيع العقل إثباتها وتسجيلها كحقائق معترف بها . وتقوم نظرية الغزالي على فلسفة الأحاسيس ، التي تتجلى من خلالها مخاوف الإنسان وإحساسه بالوحدة ، كما يتجلى فيها أيضاً يقين الانسان بأنه يعتمد على قوة عقلانية ومحبة له ، هي قوة الله ، التي يستطيع أن يستغيث بها من أعماق يأسه ، والتي لا حدود لرحمتها وعفوها .

والأدب العربي يفخر ، عن حقّ ، بالعديد من الإبداعات التي تمثل أموراً فريدة من نوعها . واقتصر هنا على الاستشهاد بذكر واحد فقط من بين الإبداعات الغزيرة والعديدة ، ألا وهو « مقدمة ابن خلدون » ، التي تشتمل على العلوم الطبيعية وعلم الأحياء ، والاشتراكية وكافة القضايا المتعلقة بها وبالاقتصاد وبالاجتماع على حد سواء ، وهي تقدم إجابات على كل الأسئلة المتعلقة بتلك الموضوعات بشكل يجعل الجيل الحالي يتقبلها بشعور من التقدير والعرفان .

هذه هي الأفكار التي جاشت في خاطري ، هنا في المجر ، وأنا أحني الرأس إجلالاً أمام الذكرى العطرة للمثل والقدوة المنفورن له محمد كرد علي تغمده الله برحمته الواسعة .

انطباعات عن محمد كرد علي

الأستاذ محمد الفاسي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله .

أيها السادة الكرام والعلماء الأجلة والزملاء الأماثل .

أحييكم باسم إخوانكم في الجانب الغربي من عالمنا العربي الإسلامي وأحيي دمشق الفيحاء من أختها فاس الزهراء ، وأعبّر لكم عن عظيم امتناني لإتاحتكم هذه الفرصة لتجديد العهد لأصدقاء أعزاء ولمشاهدة هذه النهضة الشاملة التي تتجلى في هذا القطر الشقيق ، داعياً المولى تعالى أن يوفق قادته إلى تحقيق أهدافهم لاسترجاع أراضيهم المغتصبة وفي تعميم الرفاهية لهذا الشعب الكريم المغوار المتشبث بالعروبة في لغتها وفي ثقافتها .

وإذا كانت مناسبة إحياء ذكرى رجل عظيم من أبرز رواد النهضة العربية الإسلامية في هذا القرن هي الغاية من التقائنا هذا فإني أريد أن أحدثكم قليلاً عن وشائج القربى بين بلاد المغرب وبلاد الشام إحياءً لما كان يعمل له الأستاذ الرئيس محمد كرد علي من توحيد كلمة العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

إنكم تعلمون أن المسلمين الأولين الذين فتحوا المغرب والأندلس كانوا من عرب الشام لذلك طبعوا أفكارنا في كثير من مظاهر الحضارة بالطابع الإسلامي. فمثلاً: عندما أسسوا المساجد الأولى ببلادنا جعلوا قبلتها إلى الجنوب كما هو الشأن في البلاد الشامية، وذلك تلقائية بدون أن يلتفتوا إلى الموقع الجغرافي حيث إن الكعبة المكرمة بالنسبة إلينا تقع إلى جهة الشرق. ولما تنبه المغاربة إلى هذا الخطأ صار المؤذنون في المساجد التي قبلتها إلى الجنوب يقولون بعد الأذان: تحرفوا بتحريفة الإمام يرحمكم الله. وهكذا الأمر إلى الآن في أعظم مسجد بالمغرب وأجله: جامع القرويين بفاس الذي مر على بنائه اثنا عشر قرناً وسبعة عشر عاماً.

ومن جراء هذا سمي الجنوب بالمغرب القبلة وأهله بالقبليين. ولغة المغرب في كثير من مفرداتها شامية فنقول الحليب لا اللبن ونقول الانجاص لا الكمثرى. وفي عوائد فاس شبه بما شاهدته في هذه المدينة الخالدة مثل جعل نباتات الزهور في السطوح والشرفات. ومثل أسواقها المسقفة. وإني شعرت وأنا أجوب أسواق الحميدية وكأنني بالقيسارية والعطارين بفاس. وماء دمشق العذب كماء فاس النمير، وحتى الطبيعة لها شبه، حيث إن مدينة فاس تحيط بها بساتين الفواكه المتنوعة كما هو الشأن في غوطة دمشق. ويطل على جانبيها جبل زالغ كما يطل قاسيون على هذه المدينة الجميلة. والذين رأوا منكم مدينة فاس لمسوا هذا التشابه وهذا التوافق.

ومن أعجب الموافقات أن مدينة فاس كان يخترقها نهر من غربها إلى شرقها فعمدنا إلى تسقيفه ومد طريق عليه، وهذا ما شاهدتكم تفعلونه الآن.

وأهل المغرب في كل زمان كانوا يحنّون إلى هـذه الديار الشامية بمعناها الأعم القديم أي بما في ذلك مدن القدس والخليل فبذلك يحكي لنا التاريخ مرافقهم في المشاركة في الحروب ضد الصليبيين وتطوعهم للجهاد في صفوف البطل العظيم السلطان صلاح الدين . وليس كذلك من الصدف أن هبوا في رمضان سنة ١٩٧٣ إلى الاستماتة مع إخوانهم في حرب الجولان وتحرير القنيطرة الشهيدة وقد وجد عندهم نداء صاحب الجلالة الحسن الثاني أيّده الله استجابةً عامة لما عرفوا به من الميـــل العظيم إلى الجهـاد في سبيل الله .

أما التحدث عن هذا الرجل العظيم الذي نحيي ذكرى ولادته الميمونة على الأمة الإسلامية منذ مئة سنة مضت فهـذا أمرٌ لا تسعه الخطب لأن الرجل، مع بضعة رجال نبغوا في هذا القرن ، كان أكبر من كل مايمكن أن يذكر عن علمه وتأليفه وتأسيسه لأول مجمع في بلاد العرب . وذلك أن الأمة العربية الإسلامية أنجبت في عصور حضارتها الزاهرة نبغاء في كل ميادين المعرفة والفن . وكان المستوى الثقافي إذ ذاك يساعد على انبثاق تلك العبقريات . ولكن محمد كرد علي وشيوخه من أمثال محمد عبده وطاهر الجزائري وشيخ الجميع جمال الدين الأفغاني ومعاصري محمد كرد علي من أمثال الأمير شكيب ارسلان والشيخ رشيد رضا ـ كل هؤلاء برزوا في عهد انحطاط وخمود وجمود تقاعست فيه الهمم عن متابعة أعمال أسلافهم وتشبثوا بقشور العلم ، وابتعدوا عن الروح الإسلامية الصافية وتعلقوا بالخرافات والبدع . وقام هؤلاء الدعاة والمصلحون ينادون بإصلاح الأوضاع في كل الميادين الدينية والثقافية والسياسية .

وقد كان لمحمد كرد علي نصيب وافر من هذه الحركة المباركة الجبارة وإن كنت أنا شخصياً لم أحظ بمعرفته لأن الفترة التي كان يمكن أن ألتقي فيها به كانت ونحن نكافح في سبيل استقلالنا . ولكننا كنا تغذينا بما كان يصلنا من كتبه ومقالاته . ويعتبر ، مع من ذكرت من رجالات العرب زعماء الإصلاح والوطنية الحقة ، من المفكرين الذين أوقدوا شعلة الوطنية في نفوس شباب المغرب الذين تزعموا حركة الإصلاح والكفاح في سبيل الاستقلال من أمثال الزعيم الراحل ابن العم علال الفاسي ، والأستاذ محمد غازي ، والأستاذ عبد الخالق الطريسي رحمهم الله .

ونجد في كتابات كثير من رجالاتنا الاعتراف بفضل محمد كرد علي على تكوينهم . وقد قرأت لأخينا وزميلنا في المجامع العربية الأستاذ عبد الله كنون شافاه الله صفحة بديعة في التنويه بأثر محمد كرد علي عليه . ولا ننسى أن الشبان الذين خاضوا ميادين الكفاح السياسي والثقافي في البلاد العربية تأثروا هم أيضاً بسيرة محمد كرد علي وأفكاره ومبادئه .

ولعل من أبرز ما عمل لخير الأمة العربية كفاحه في سبيل اللغة العربية ، ليس فحسب بتأسيسه لأول مجمع في العالم العربي ولكن بما كان ينشره من مقالات ومن دراسات في المجمعَيْن الأبوين وفي مجلتيها وفي غيرهما من دوريات البلاد المشرقية . وإنه بمحبته للغة العربية وتعلقه بها لمثال صادق لكثير من علماء العجم الذين ثقفتهم لغة القرآن والذين هم نتاج البيئة العربية . ويحضرني في هذا الصدد قولة الفيلسوف العالم الفذ البيروني حيث قال : « لأن أُسَبَّ بالعربية أحبُّ إلي من أن أمدح بالفارسية » . بمثل هذه الروح كافح محمد كرد علي وقاوم مناوئيه في سبيل إنشاء الأداة التي يتمكن

بواسطتها من المحافظة على هـذه اللغة وتصفيتها من الشوائب . وإن لنا في كفاحه هـذا الذي سطر مراحله الدكتور عدنان الخطيب في كتابه « مجمع اللغة العربية في دمشق في خمسين عاماً » لعبرةً تحدونا إلى العمل المتواصل مع التيقن من بلوغ الغاية ، لأن التحدي هو مفتاح النجاح . وكأنني في قولي هذا أخاطب نفسي لأنني منذ سنين وأنا أسعى وأدعو إلى تأسيس مجمع مغربي يتخصص في دراسة الحضارة الإسلامية العربية في الجناح الغربي من العالم الإسلامي . وقد قرب أن ينبلج الصبح عن هذه المؤسسة بفضل رعاية جـلالة الملك العالم الحسن الثاني أيّده الله . وإننا في طريق إتمام وضع القوانين التي سيصدر بها قريباً مرسوم ملكي يرسم قواعد هذا المجمع وسيكون على بعد الزمان من مآثر محمد كرد علي ، وإن من سنّ سنّة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وفضل محمد كرد علي في تأسيس أول مجمع في العالم العربي فضل كبير لأنه إذا كانت المجامع الأولى في العالم الأوربي وليدة اهتمام الملوك ورجال الدولة فإن المجمع الذي أسسه رحمه الله وليد فكرة رجل واحد لا ملك ولا زعيم وإنما عالم مفكر رائد .

وأريد أيضاً أن أذكر هنا أنه ليس من باب الصدف أن تكون سوريا هي البلد العربي الوحيد الذي تدرّس فيه سائر المـواد في كل مراحل التعليم باللغة العربية فذلك نتيجة هذه الروح المؤمنة بصلاحية اللغة العربية التي بثها في هذه البلاد محمد كرد علي . وقد لمّح إلى هذا سيادة الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم في كلمته الختامية يوم افتتاح الاحتفال بهذه الذكرى ، والاعتراف جميل بفضل رائدنا الجليل جازاه الله خيراً عن لغة كتابه الكريم .

وإن معهد التعريب الذي أسسته في سنة ١٩٦١ جامعة محمد الخامس لما كنت رئيسها لهو كذالك وليد فكرة محمد كرد علي . وقد كانت وزارة التربية الوطنية دعت إذ ذاك إلى عقد مؤتمر التعريب حضره كثير من رجالات العلم والأدب العرب ، وكان لي شرف رئاسته ، وقد دعوت فيه إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية ، هـذه القضية التي تشغل بال المسؤولين عن التعليم الجامعي والعلماء الباحثين ، كما تعرضت لأول مرة إلى مسألة الأرقام العربية التي يسمونها انكليزية وإن كان كل العلماء في العالم العربي اقتنعوا الآن بأصالة أرقامنا ، وأن الذي أدخلها إلى أوربا هو الراهب المسيحي الذي صار بعد ذاك البابا سيلفستر الثاني ، وقد تعلمها في جامعة القرويين ونقلها باسم Chiffres arabes كما لايزال يسميها الأوربيون إلى الآن .

أقول إن كانت هـذه الحقيقة ثابتة عند العلماء المشارقة اليوم فإن البلاد العربية التي تستعمل الأرقام الهندية لم تقدم بعد على إبدالها بالأرقام العربية . وأول من يتعين عليه أن يبدأ بهذا العمل هو سوريا معقل العروبة العتيد ، وما ذلك على همتكم بعزيز ، زيادة على ما في ذلك من الاتفاق مع العالم بأسره الذي استعمل حروفنا ، ولئلا تنقطع الصلة بالكتب القديمة فلا مانع من تعليم تلك الأرقام العشرة كما يفعل الأوربيون بتعليم أبنائهم الأرقام الرومانية العديدة . زد على كل هذا أن استعمال الأرقام العربية يوفر على الشعب مشقة استعمال الطريقتين في لوحات السيارات وأرقام المنازل كما هو الشأن في مصر ، وفي المطارات وفي كثير من المناسبات للاضطرار لاستعمال الأرقام العربية مع الأرقام الهندية . ولي اليقين أن محمد كرد علي لو أدرك هذا الزمان واكتشف أن عرب المغرب حافظوا على هذه الأرقام

العربية ، لأنه في وقته كانت الصلات منقطعة بيننا بسبب الاستعمار ، لتسارع إلى الدعوة لاستعمالها .

وأخيراً فإن من آثار دعوة محمد كرد علي للعناية باللغة العربية والمحافظة عليها ونشرها ما عملنا له من إدخالها لليونسكو في الأسبوع الماضي كلغة عمل ، وقد صودق في مؤتمر نيروبي لهذه المنظمة على المرحلة الأخيرة من جعلها في مستوى واحد مع اللغات الأوربية الأربعة التي كان لها وحدها هذا الشرف ، مع العلم أن اللغة العربية هي لغة العالم الثالث الوحيدة التي نالت هذا الشرف .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وجازاه أحسن الجزاء بما أسدى من خدمات للأمة الإسلامية وللغة العربية ، ووفقنا جميعاً إلى متابعة هذا الكفاح الشريف حتى تتبوأ في كل الميادين المقام اللائق بمجدنا القديم .

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لرجال مجمع دمشق وعلى رأسهم الزميل الرئيس الدكتور حسني سبح شفاه الله وعافاه ونائبه الدكتور عدنان الخطيب وكل أعضائه الكرام على دعوتي للمشاركة في هذا المهرجان مهرجان الوفاء وتقدير العلم والعلماء ، كما أتوجه بالشكر لرجال الحكومة السورية وفي مقدمتهم الرئيس القائد حافظ الأسد والوزيرين الجليلين الدكتور محمد علي هاشم والدكتور شاكر الفحام وكل العاملين على إنجاح هذه الذكرى على ما أسدوه إلي من رعاية وحسن استقبال .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد كرد علي
من علماء العرب الخالدين

الدكتور ناجي معروف

الرئيس محمد كرد علي : شخصية فذة ، عديدة النواحي ، متشعبة الجوانب ، حافلة بجلائل الأعمال ، ومن أهم أعماله ومزاياه في نظري بعد إنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق إيمانه بالعلم أساساً لكل عمل باعتبار ما يبنى على العلم يبقى ويخلد ، وما لا يبنى على العلم يزول وينهار ، وأمران آخران جديران بالبحث والدراسة :

أولهما : أنه كان مؤمناً بالعربية وأهلها .

وثانيها : أنه كان يقف بالمرصاد للشعوبيين ، يرد طعونهم على العرب والإسلام ، ويفند حججهم بحجج وبراهين لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

ومن الحق أن أقول : إنني نشأت على حب محمد كرد علي في كتاباته وبحوثه وكتبه منذ عهد النشأة ، وأشربت مبادئه وآراءه العربية والإسلامية ، وردوده على الشعوبيين والمستشرقين المتعصبين على العرب والإسلام ، تلك الردود التي اتسمت بالبحث العلمي والرصانة في التفكير ، والتحري عن الحقائق ، والصفة بالنزاهة والإنصاف وعدم التحيز وبخاصة في كتابيه :الإدارة في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية .

ومن هنا كان للمرحوم محمد كرد علي أثر كبير في نزعتي القومية، وتوجيهي وجهة عربية إسلامية، وكان لي مدرسة عالية تعلمت فيها الاعتزاز بالعرب والعربية، والحضارة العربية، والثقافة الإسلامية، حتى أصبح رائدي البحث عن كل جديد في هذه الحضارة العربية العتيدة من حيث أصالتها، ومن حيث عروبة المدن التي أنشئت عبر العصور، ومن حيث عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في المشرق والمغرب، وقد أثبتُّ في كتابي الأخيرين وفي الكتب التي تنشرها لي وزارة الإعلام العراقية أن ألوف العلماء المسلمين الذين يضافون إلى البلدان الأعجمية إنما هم من العرب الخُلَّص.

وإذا كنت قد تطرقت في هذه الكلمة إلى ذكر العلماء العرب المنسوبين إلى المواطن الأعجمية فلأني وجدت وأنا أصلح الصفحات الأخيرة من «تجارب» كتابي الخاص بعروبة العلماء المنسوبين إلى الأرباع الأربعة في خراسان: نيسابور ومرو وهراة وبلخ أن المرحوم محمد كرد علي أشار قبلي بزمن طويل إلى عروبة اثني عشر عالماً من أعلام العرب المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في كتابه أمراء البيان، وبحث في عروبة الصاحب ابن عباد.

قال، رحمه الله، في عروبة الصاحب بن عباد (١) وكأنه يتكلم عن نفسه:

أجمع من ترجموا لابن العميد أنه فارسي من أهل «قم»، ولا يفهم

(١) أمراء البيان ج ٢ ص ٥٥٠ — ٥٥١

من كونه فارسياً أنه من صميم الفرس ، فقد يسكن العربي قمّ وقزوين وشيراز ونيسابور والري وهو عربي بأصوله ، فينسب إلى البلد الذي نزله أو ولد فيه ، وما هو فارسي بالمعنى الذي نفهم به اليوم معنى هذه النسبة ، ولا يبعد أن يكون ابن العميد أو أجداده عرباً أقحاحاً ، نشأوا في تلك الأرض فنسبوا إليها . وقد حدثنا التاريخ بأن مئات من علماء المسلمين وأبناء الأنصار والمهاجرين هاجروا إلى البلاد التي فتحت على أيدي العرب في الشرق والغرب فنسبوا إلى أوطانهم لا إلى آبائهم كما كانوا من قبل ، فضاعت بذلك أصولهم .

وليس من المستحيل أن يكون غرام ابن العميد بالعرب والعربية موروثاً وتأصل فيه بالدرس ، وكم من غريب عن هذا اللسان خَدَمَهُ خدمةَ أبنائه الأصليين . وقد قال أبو الريحان البيروني ، وهو من خوارَزْم ومن أعظم علماء الإسلام : « الهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علمٍ نُقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودّ وجهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية » .

وقال ، رحمه الله تعالى ، في الهامش المرقم (١) من الصفحة ٥٥٠ من كتابه « أمراء البيان » :

« تُعلَم أصول من اشتهروا في فارس من العلماء بإلقاء نظرة على كتب الأنساب ، والوفيات ، وتراجم المحدّثين وغيرهم .

فقد نسبوا صاحب الأغاني إلى أصفهان ، وهو أموي عربي [1]

---

(١) وفاته سنة ٣٥٦ هـ ، كتابنا عروبة العلماء ... في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

ونسبوا صاحب القاموس إلى فيروزاباد ، وهو بكري عربي (١) .

ونسبوا القزويني ؛ صاحب آثار البلاد ، إلى قزوين ، وهو عربي من سلالة مالك بن أنس (٢) .

ونسبوا ابن حبّان البُستي ، صاحب التآليف العظيمة ومن طبقة البخاري إلى بُست ، وهو تميمي (٣) .

ونسبوا أبا حيّان التوحيدي إلى شيراز ، وهو من صميم العرب (٤) .

وكان أبو داود السّجستاني ، صاحب السنن ، من الأزد (٥) .

وأبو العباس النَّسَوي ، مصنف المسند ، من بني شيبان (٦) .

وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب المسند ، من بني قشير (٧)

---

(١) وفاته سنة ٨١٧ هـ . وهو مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب شيخ الإسلام . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .

(٢) وفاته سنة ٦٨٢ هـ . كان مدرساً بالمدرسة الشرابية بواسط . كتابنا عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .

(٣) وفاته سنة ٣٥٤ هـ . كتابنا عروبة العلماء .. في المشرق الاسلامي ج ١ ص ٣٧٥ — ٣٧٧

(٤) علي بن محمد ولد بشيراز (أو نيسابور) وتوفي سنة ٤١٤ هـ في رواية . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .

(٥) وفاته سنة ٢٧٥ هـ . كتابنا عروبة العلماء في المشرق الإسلامي ج١ ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٦) وفاته سنة ٣٠٣ هـ . وهو النسائي أيضاً . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٧٧ — ١٧٨

(٧) وفاته ٢٦١ هـ , كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٥٦-١٥٧

والهَرَوي المفسر من ولد أبي أيوب الأنصاري [١] .

وأبو الوليد النيسابوري ، فقيه خراسان ، أموي من ذرية سعيد بن العاص الأكبر [٢] .

والفخر الرازي المفسر عربي [٣] .

وقال ابن قتيبة : إن خارجة بن مصعب هو من بني شجنة من ضُبَيْعَة ، وكان أفقه أهل خراسان وأرضاهم عندهم، وعقبه بخراسان ، وكان أبوه مصعب بن خارجة مع علي بن أبي طالب » [٤] .

ومع أنني حاولت أن أبحث في المشرق الإسلامي عن العلماء المسلمين الذين ينحدرون من أصلاب عربية فإنني وجدت المرحوم محمد كرد علي يؤكد هذا الأمر ، ويحاول أن يؤكد أيضاً أن العربي هو من يحذق العربية ، ولو كان من أصول غير عربية . وفي هذا دلالة كافية على سعة أفقه ، ومبلغ تفكيره ، وتحرّيه عن علماء العرب واعتزازه بهم وإعجابه بلغة العرب . وإنك لتجد في محاضراته التي ألقاها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٣ م ، أي منذ أكثر من أربعين سنة ، تعابير مختلفة تمّ كلها

(١) هو أبو ذر الهروي الأنصاري المتوفى سنة ٤٣٤ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٤٨٩ — ٤٩٠ .

(٢) هو حسان بن محمد الأموي المتوفى سنة ٣٤٩ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٩٠ — ١٩١

(٣) وفاته سنة ٦٠٦ هـ . وهو عربي من سلالة أبي بكر الصديق . كتابنا عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .

(٤) وفاته سنة ١٦٨ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٢١

عن حبه للعرب وإعجابه بهم ، وبحضارتهم وثقافتهم بله الدين الإسلامي الذي بشروا به في العالم .

وإليك فيما يأتي مقتطفات من أقواله وآرائه التي دونها في الكتابين المذكورين عن العرب والعروبة والحضارة العربية ، مفتخراً أو مدافعاً ، أو مناقشاً للشعوبيين والمستشرقين مفنداً لآرائهم بحجج ووثائق من تاريخ العرب أنفسهم ، أو بأقوال من آراء المستشرقين المنصفين الذين أنصفوا العرب والإسلام .

قال طيب الله ثراه وعطر ذكراه :

كان الصحابة (١) « عظاماً في كل مظاهرهم حتى أدهشوا الأمم بجميل صنعهم ، وأنشأوا في نحو مئة سنة مملكة عظيمة لم يسبق لأمة قبلهم أن دانتهم في مثل ما تم على أيديهم » (٢)

وقال : « إن ما نقله العرب عن غيرهم من تراتيب الممالك معروف ومعترف به ، والإنصاف يقضي أن يُسجل لهم قسطهم من الأعمال المنبعثة مباشرة من قرائحهم المزينة بأخلاق عالية ، ما عهد ، فيما نظن ، مثلها كثيراً في الأمم السالفة ولا الخالفة » (٢) .

وقال : يقول دريول Driault « .. كان الفتح العربي في طرفي البحر المتوسط أعظم وأخصب من الفتح الروماني ، وقد دامت ممالكه قروناً ، وكانت مصانعه أعظم أثراً من مصانع رومية ، وما هي إلا عنوان

(١) كان عددهم (١١٤) مئة وأربعة عشر ألفاً .

(٢) الإدارة في عز العرب ص ٦

ثقافة عالية جداً . وقد كان لهم الأثر المشهور في إسبانية إلى آخر القرن الخامس عشر » (١)

ويقول بارتلمي سان هيلير . « تَدَمَّثَتْ نفوس قساة الطباع من سادة القرون الوسطى بملابستهم العرب وتمازجهم بهم وعرف الفرسان بدون أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم شعوراً أرق وأشرف وأعرق في الإنسانية من شعورهم » (٢) .

ويقول لوبون : « . كان للمدنية الإسلامية تأثير عظيم في العالم ، وتم لها هذا التأثير بفضل العرب ، بل العناصر المختلفة التي دانت بالإسلام . وبنفوذهم الأدبي هذبوا الشعوب البربرية التي قضت على الامبراطورية الرومانية . وبتأثيرهم العقلي فتحوا لأوربا عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية ، وهذا ما كانت تجهله . وعلى ذلك كان العرب أساتذتنا مدة ستمئة سنة » (٣).

ويقول لوبون أيضاً : حاول « رنان » أن يثبت عجز العرب ، في محاضرة ألقاها في جامعة السوربون عن الإسلام ، فنقض بيده كل مزاعمه ، فقد ذكر مثلاً أن ارتقاء العلم كان بفضل العرب خلال ستمئة سنة (٤) .

ونقل رحمه الله عن لوبون قوله : .. لأصحابنا كولدزيهر المجري ومركليوث الانكليزي ولامنس البلجيكي أقوال بعيدة عن محجة الصواب في الإسلام (وهناك) طبقة راقية تأخذ بمذاهب العلم والأدب وتتفاخر

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٠

(٢) ن . م الجزء الأول ص ٨

(٣) ن . م الجزء الأول ص ٩

(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٠

إلى اليوم بمجد العرب وتاريخهم ، وتحرص على إحياء مدنيتهم ، ودراستها ، حرصها على إحياء كل علم نافع (١) .

وأنحى المرحوم محمد كرد علي باللائمة على أولئك الذين أصدروا أحكاماً جائرة على العرب ومدنيتهم فقال : « ومنهم من أعمى التعصب المذهبي بصره وبصيرته فكال الباطل كيلاً ، وخلط وخبط تحت أستار العلم والبحث » (٢) .

وقال أيضاً : « إن من أعظم العابثين بتاريخ المسلمين المنكرين أثر العرب في الحضارة جماعة ... قد جعلوا همهم الأكبر .... تشويه بعض الحقائق الثابتة .... ومنهم ، بل من المقدمين فيهم ، مؤلف اسمه « لامنس » عاهد تاريخ الإسلام على مناقضته ، وتمحض للحط من قدر العرب منذ عرفوا بين الأمم (٣) .

ويذكر المرحوم محمد كرد علي الشعوبيين الذين ألفوا الرسائل والكتب ، وصنفوا المسامرات والخطب ، وراجت عندهم أسواق المادح والمقابح ، وناهضوا العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب ، وقاموا ينقصون من حضارتهم وتاريخهم ، لأغراض في نفوسهم لا تخفى على أرباب البصائر . ويقول : لهؤلاء الشعوبيين طرق غريبة في الحط من العرب ، يتناولون فيها كل مسألة تؤدي مباشرة أو غير مباشرة إلى العبث بمزايا تناصرت الأخبار على تفرد العرب بها (٤) .

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٤

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٤

(٣) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٠

(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٥ — ٣٦

ويقارن محمد كرد علي بين المستشرقين المنصفين وغير المنصفين منهم فيقول : إن « لامنس » الشعوبي البلجيكي يسقط من شأن مؤرخي العرب كما يسقط من شأن علماء الافرنج ، وبراون الانكليزي يقول : إن كتب العرب في التاريخ أوسع الكتب وأدقها ، ويرى أن التاريخ في بعض المؤلفات العربية لم يكتب على نسقه في أوربا . ويذكر بالإعجاب ابن خلدون وابن الأثير ، والطبري ، والفخري وغيرهم . قال : وفي باب العلم والفلسفة والأخلاق نجد من المؤلفات مالا يوجد له مثيل [1] .

ويقول محمد كرد علي : شق على بعض الشعوبية أن تُنسب مزيّة للعرب فسلبوهم كل فضائلهم المحسوسة الثابتة في الإسلام والجاهلية . وشق على آخرين ، وهم معترفون ضمناً بفضل العرب ، أن يقوم العرب بقسطهم من خدمة الحضارة . وينقل من كتاب « أخلاق المسلمين وعاداتهم » لگوتيه Gautier قوله :

لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية من فضيلة المسامحة لم تكن تتوقع من أناس يحملون ديناً جديداً ... وما فكر العربي قط في أشد أدوار تحمّسه لدينه الجديد أن يطفىء بالدماء ديناً منافساً لدينه [2] .

وردّ على كارادفو [3] (Carra de Vau)فقال : أخطأ في قوله : إن معظم مدنية المسلمين قامت بعناصر غير عربية . وقال أيضاً : فاته أن من دخلوا في الإســـلام من الفرس والقبط والسريان

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٨
(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٤٢
(٣) اسم كتابه « المفكرون في الإسلام » Les Penseures de L,islame

والروم وغيرهم درسوا في مدرسة العرب وأخذوا لغتهم وثقافتهم ودينهم وعاداتهم . وإذا كان ابن سينا والغزالي والبيروني والرازي مثلاً أعاجم بأصولهم فهم عرب بتربيتهم وثقافتهم .. (١)

وحاول المرحوم محمد كرد علي أن يقتبس نبذاً من أقوال العلماء الغربيين في العرب عدوهن ما وافق رأيه في العروبة والعربية والإسلام ، فنقل عن كوستاف لوبون الفرنسي قوله :

« كان المسلمون من الشعوب الوحيدة التي حملت علم التمدن حقيقة ، وهم الذين فازوا وحدهم بنشر المواد الجوهرية من المدنية وأعني بها : الدين ، والمصانع ، والصناعة ، بين ظهري عناصر جديدة من غير عنصرهم » . ثم قال وتساءل لوبون أيضاً بقوله : « هل من الواجب أن نذكر أن العرب ، والعرب وحدهم ، هم الذين هدونا إلى العالم اليوناني واللاتيني ، وأن الجامعات الأوربية ، ومنها جامعة باريس ، عاشت مدة ستمئة سنة من مترجمات كتبهم ، وجرت على أساليبهم في البحث . وكانت المدنية العربية من أدهش ما عرف التاريخ ... وإن العرب هم الذين مدنوا أوربا في المادة والعقل والخُلق ... ومتى درس المرء ما عمل العرب ، وما كشفوه من العلم يثبت له أنه ما من أمة أنتجت مثل ما أنتجوا ..... ولئن كان تأثير العرب في الغرب عظيماً فإن تأثيرهم في الشرق أعظم . وما من عنصر أثّر تأثيره قط ..... وإن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » (٢)

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٢

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٤

وذكر عن أحد علماء ايطاليا رينالدي - قوله : « لماذا لا نسمع كلمة إعجاب بالشعب العربي العظيم الذي ترك في طريق المدنية آثاراً عديدة ، والذي حمل معه أعظم المساوقات ، وأجزّ الخدم للنوع الإنساني ؟ » [١]

وقال بريس دافن الفرنسي في كتابه « الفن العربي » : « إنه بعد سقوط الدولة الرومانية لم يكن هناك شعب يستحق أن يعرف غير الشعب العربي ، وذلك أولاً لكثرة فحول الرجال الذين أخرجهم هـذا الشعب العظيم ، وثانياً لما أحدثته في العالم فنونه وعلومه من التقدم العجيب مدة قرون عديدة » [١] . ونقل عن كستلو قوله في كتابه قانون التاريخ : « كان التقدم العربي بعد وفاة الرسـول عظيماً ، جرى على أسرع ما يكون ..... فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة ... . وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل النور العقلي ، وتمثلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة والفلك والكيمياء والطب والعلوم الروحية فأصبحوا سادة الفكر ... » [٢] .

ونقل عن لوثروب ستودارد الأمريكي مؤلف حاضر العالم الإسلامي قوله : « ما كان العرب قط أمة تحب إراقة الدماء ، وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضـد من ذلك أمة موهوبة ، عظيمة الأخلاق والسجايا ، توّاقة إلى ارتشاف العلوم .... » [٣] .

ونقل عن كتاب إيقاظ الغرب للإسلام « لهيدلي » قول « ليونارد » : ولقد وصلت المدنية الإسلامية عند العرب إلى أعلى مستوى من عظمة العمران

---

(١) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٥
(٢) » » » » » ٥٦
(٣) » » » » » ٥٨

والعلم فأحيت المجتمع الأوربي ، وحفظته من الانحطاط ، ولم نعترف – ونحن نرى أنفسنا في أعلى قمة من التهذيب والمدنية – بأنه التهذيب الإسلامي ، ولولا مدنية العرب ، وعلمهم ، وعظمتهم في مسائل المدنية ، وحسن نظام مدارسهم لكانت أوربا إلى اليوم غارقة في ظلمات الجهل ، وكيف ننسى الخسارة الفادحة التي جنيناها على آداب العرب ؟ بل الجناية التي جنيناها على العلم أجمع بتدميرنا عن جهل وغرور ألوفاً من كتبهم ... » [1] .

ونقل عن كوتييه قوله : « إن محصول المدنية العربية في العلم على اختلاف أنواعه يفوق محصول المدنية اليونانية كثيراً ، ذلك لأن العلم العربي كان له أصول قديمة » [1] .

وبعد : فهذا يسير جداً مما دوّنه (الأستاذ المرحوم) محمد كرد علي في دفعه عن العرب ، والعربية ، والذبّ عن حضارتهم ، إما نقلاً عن كبار علماء الغرب المنصفين ، ومناقشة الشعوبيين منهم ، أو مما توصل إليه نتيجة دراسته الدائبة للدين الإسلامي والحضارة العربية ومزايا العرب والعروبة . وقد رد بكل ذلك على منازع الناقمين على العرب والعروبة والإسلام . وإنك لترى أنه رحمه الله تعالى كان يتسقط الأخبار من أفواه العلماء ، ويلتقط كل ما هو حسن عن العرب ، ويدوّن كل صفة حسنة وصف بها العرب ، وينفي عنهم كل معيب وقبيح .

وإنني لسعيد جداً أن تتاح لنا هذه الفرصة لنكرر هذا الدرس البليغ الذي درسناه على هذا الأستاذ الكبير قبل أكثر من أربعين سنة ، وأن نحيي الذكرى المئوية لولادته ، وأن نكثر من الترحم عليه . فقد دافع عن الإسلام وعن العرب وعن لغة العرب ، وذب عن حضارة العرب ، وكان حقاً من علماء العرب الخالدين .

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٧٢ – ٧٣

تحيــة دمشق (*)

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

يا قلبُ هلّلْ وكبِّرْ ! دمشقُ : جنّةُ عبقرْ
بدتْ لعينيَّ منها رغمَ السحابِ المكوَّرْ
مشاهدٌ مشرقاتٌ وأدورٌ تتنوَّرْ
ازينتْ وتحلّتْ في كل عضوٍ بجوهرْ
لها من المجدِ تاجٌ من البدورِ مضفّرْ
ولم تزل في قواها تطوي الدهورَ وتنشُرْ
قدْ عشتُ فيها خيالاً مع « الوليدِ ابن بُحترْ » (١)
يهفو اشتياقاً إليها في عهدِ «فتحٍ» و «جعفرْ»(٢)
مصوِّراً ما تبدَّى منْ حسنِها ، وتأزَّرْ
بريشةٍ حملتها يدُ صَناعٍ تُعبِّرْ
باللفظِ حلّى المعاني من الرشاقةِ يخطرْ

(*) القصيدة التي استهل بها الأستاذ الصيرفي بحثه التالي عن الأستاذ كرد علي .

(١) إشارة إلى السنوات التي قضاها الشاعر في تحقيق ديوان البحتري .

(٢) الفتح بن خاقان ، والخليفة جعفر المتوكل .

وجئتُها ذاتَ يومٍ والعودُ ما زالَ أخضرْ
ترى الحقيقةَ عيني مجلوَّةً دونَ مِئزرْ
أرى الملائكَ فيها بينَ الأنامِ تظهّرْ
أرى الطبيعةَ تزهو فتىً يَشوقُ ويَسحرْ
لوحاتُها ومتى بها يدُ القديرِ المصوِّرْ
والماءُ في بَرَدِها كفضةٍ تتحدَّرْ
والخيرُ في غوطتيها على الأفانينِ مثمرْ
تفاحُها كخدودٍ خجلى من اللثمِ تحذرْ
وكرمُها حانُ شعرٍ يدنو ليُجنى ويُعصرْ
والحورُ يعلو شموخاً على كواهلِ « دُمَّرْ »
و « النَّيْربانِ » وِشاحا فتّانةٍ تتبخترْ
قد وُشِّيا في اتِّساقٍ بالزَّهرِ غضّاً منوّرْ
في كلِّ لونٍ بهيجٍ منهُ النسيمُ تعطَّرْ
يا للجمالِ الموشّى بينَ الوشاحِ المُحبَّرْ
دِمشقُ آيةُ مجدٍ تغزو السِّنينَ وتقهرْ
سماؤها في علاها تُرَدِّدُ « اللهُ أكبرْ » !
فوقَ المآذنِ تعلو تسبيحةً تتكرَّرْ
وأرضُها وثراها تِبرٌ ، ومِسكٌ ، وعنبرْ
وأهلُها منْ تقدَّمْ وجهٌ منيرٌ منضَّرْ
والشِّعرُ فوقَ لهاتِهمْ يُصغي لهُ كلُّ مِنبرْ
من كلِّ مُبدعِ شِعرٍ رَثى ، وغنّى ، وصوَّرْ
وكلِّ كاتبِ نثرٍ يَسبي العقولَ ويأسِرْ

وكلّ صاحبِ فِكرٍ في كل فـنٍّ تَبحَّرْ
وكلّ عـالمِ دينٍ هَدى السبيلَ ونوّرْ
وللبطـولاتِ سِفرٌ مـع الخلودِ مُسَطّرْ
من ثائرينَ أزاحُوا ليلَ الدخيلِ المُسَيطرْ
لكنّ أحداثَ يومٍ من القطيعةِ أغبرْ
قد حلأتني اعتسافاً عن سلسبيلٍ مقطّرْ
فعدتُ منهـا بقلبٍ من الأسى يتفجّرْ
بزفرةٍ تتسعّرْ ومُهجـةٍ تتفطّـرْ
كآدمٍ وهو يُقصى عن الجنانِ وكوثرْ
كان انفصالاً ، ولكنْ لم يستطعْ أنْ يدمّرْ
مشاعرَ الحبّ فينا أو يسـتبدّ ويأمُرْ
دمُ العروبةِ فينا صافٍ ، وإن يتكدّرْ
مهما اختلفنا فإنا أهلٌ ، وصهرٌ ، ومعشَرْ
بين الجوانحِ أنتمْ - رغمَ المسافاتِ - حُضَّرْ

* * *

وبعدَ عشرٍ وخمسٍ من السنينَ يُقدَّرْ
أنْ أستعيد خطايَ على ثراهـا المعطّـرْ
والشيبُ جلّلَ رأسي والسّقمُ فيَّ تجبّرْ
لكنّ قلبي شبابٌ لمّا يشبْ أو يَكبَرْ
أرنو إلى كلّ حُسنٍ باللحظِ وهو محيّرْ
إنْ رفرفَ القلبُ خفقاً قـام الحجى فتصدّرْ
وإنْ تقدّمتُ باعاً قالَ السّقامُ : تأخّرْ !

ما للمقام ومالي ! أنا على الحسن أسهرْ
الحسنُ كأسي وخمري أصحو عليه وأسكرْ !

* * *

« فيحاء » جئتك أسعى سعيَ الحجيج لِمَشعَرْ
شعري صلاةُ فؤادٍ من النفاق مطهَّرْ
نزلتُ في صبح فجرٍ من المؤاخاة أسفرْ
طوى الأشقاء فيه ليلاً كئيباً تعكَّرْ
جلاهُ عزمٌ وحزمٌ لِـ « حافظٍ » ولـ وأنورْ »
صِيغوا كفاحٍ مريرٍ من التعجرف يثأرْ
ودَيْدَبانا حفاظٍ لكلِّ شبرٍ مُحرَّرْ
وقائدا عزماتٍ إلى انتصارٍ مظفَّرْ
وكاتبا صفحاتٍ من الخلود ستُذكرْ

* * *

يا مجمعيِّي دمشقٍ عن الوفاء أعبِّرْ
اخترتموني ضعيفاً بين الشوامخ أظهرْ
في مجمعٍ - لرجالٍ بناةِ فكرٍ - موقَّرْ
اخترتموني - حفظتم - فجئتُ أسعى لأشكرْ
والحرُّ إنْ أسرتهُ يدٌ ، فمنْ يتنكَّرْ
أسرتُموني فعفواً إذا بياني قصَّرْ !

محمد كرد علي

نموذج فريد في ريادة تحقيق التراث

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

عندما بدأت المطابع العربية في الآستانة والقاهرة وبلاد الشام (كما كان يطلق عليها حينذاك) تدور في ريث وأناة في السنوات العشرين الأخيرة من القرن الماضي لتنشر على الناس بعض ذخائر التراث الفكري العربي على قدر طاقة تلك المطابع في ذلك الحين ، وحين أخذت بعض دوائر الاستشراق في أوربا على عاتقها نشر طائفة مما تيسر لها جمعه من تراثنا المجيد ، وقبل أن يحث القرن العشرون خطاه لتطلع شمسه بإشعاعاتها الجديدة غامرة الشرق باعثة فيه نهضة جديدة ووثبة فريدة ... كانت سماء « دمشق » الفيحاء عاصمة الأمويين ومسرح جولات العلماء والشعراء والأدباء الذين ملأوا الدنيا نوراً ، تطل على الفتى الذي ولد — بعد أن مضى عام من الربع الأخير من القرن المنصرم — في مدينة دمشق وهو يحث خطاه ولما يبلغ بعدُ الرابعة عشرة من سنيّ حياته نحو ينابيع الثقافة ومناجم كنوزها ومخابىء دررها سعياً وراء الحصول على كتاب أو صحيفة مما تنشر تلك المطابع ليقضي ليله ساهراً مع أنجمه يلتهم في نهم وشغف ما في الكتاب أو الصحيفة غير مبالٍ بإضعاف نظره أو إرهاق بنيته ، وحين يضع ما بين يديه ليستسلم إلى

سنة من النوم ، تراود خياله قبل النعاس وخلال النوم صورة الكتب وهي مصفوفة على الأرفف التي شاهدها في بيت زاره وهو في السادسة من عمره لا يفقه من أمرها شيئاً وقتذاك ، ولكنه تمنى وهو الطفل الساذج أن يكون له في المقبل من حياته مثل هذه الصفوف من الكتب .

وكان ثمة حلم آخر يراود خيال الفتى بعد أن كبر — بين حين وآخر — هو أن يستطيع بهذا الإدمان الدؤوب على الاطلاع في جلد عجيب والنهم الشديد إلى الاستزادة من كل طارف وجديد من العلم والمعرفة ، أن يشق — فيما بعد — طريقه إلى عالم هؤلاء الأعلام من رجال الفكر والأدب واللغة ليتسنم مقعده بين هؤلاء الأفذاذ . وفي ذهنه مع هذا الحلم الكبير خيال آخر لا يبارحه لشخصية أعجب بها طفلاً وفتى وشاباً وشيخاً ، وحفظ لها في نفسه كل إجلال وتقدير ووفاء منذ رأى صاحب هذه الشخصية وهو يفد على مدرسته كمفتش ، فملك عليه حواسه ، واستولى عليه الإعجاب به ؛ فعاش هذا التلميذ حاملاً لهذا الأستاذ العالم هذا الإعجاب طيلة حياته وبعد وفاته .

كان هذا الفتى الذي لا تكاد المطابع أن تسد نهمه إلى القراءة الجادة هو « محمد كرد علي » أو « محمد فريد » كما أسماه أبوه ، والذي ولد منذ مائة عام أي في سنة ١٨٧٦ م . وكان هذا الأستاذ المفتش هو الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام [1] ، والذي انتقل إلى

(١) انظر الدراسة الواعية التي كتبها الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب وألقاها محاضرات على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ونشره المعهد المذكور في القاهرة سنة ١٩٧١

جوار ربه بعد حياة حافلة بكل مجيد من الأعمال في الخامس من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٠ ، أي قبل وفاة تلميذه الوفي باثنتين وثلاثين سنة . والذي كان يقول عنه هذا التلميذ : « أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في هذه الديار كالأستاذ محمد عبده في مصر » .

* * *

ومشى الفتى بعد ذلك مع القرن العشرين المشرق خطوة بخطوة ، يتسع أفقه باتساع قراءاته لآثار أمراء البيان حتى يحقق حلمه الكبير فيتسنم بينهم مقعده المأمول ، كما تتسع رحاب البلاد لأدبه وعلمه ، وحين تضيق به بلده لظروف سياسية قاهرة ، تفتح له القاهرة صدرها رحباً ليعود إليها ثانية في إعزاز وتكريم ، فيشارك في تحرير الكثير من مجلاتها وصحفها ، ويلتقي فيها بطائفة من أعلام الفكر وقادة الرأي . ويصدر في القاهرة أوائل عام ١٩٠٦ مجلته « المقتبس » شهرية علمية أدبية على مدى ثلاث سنوات برزت فيها شخصية « محمد كرد علي » المحقق المعنيّ بتراث العرب ، والرائد لنشر هذا التراث بطريقة علمية صحيحة ، إذ يعارض ما ينشره على عدد من النسخ حين يتهيأ له الحصول على ذلك . ويجمع طائفة مما نشر في مجلته من كنوز هذا التراث في كتاب يضم القسم الأول منها بعنوان « رسائل البلغاء » . وكما تبرز في هذا الكتاب شخصية المحقق العالم ، تبرز شخصية صاحب الذوق الرفيع فيما يختار للتحقيق والنشر . وبين هاتين الشخصيتين تتجلى شخصية هذا الرجل الوفي لأستاذه الشيخ طاهر الجزائري فيقدم في كتابه ما قام بتحقيقه أستاذه لكتاب « الأدب الصغير » لابن المقفع .

ويقدم الطبعة الأولى لهذا القسم ، المنشورة في القاهرة عام ١٣٢٦ هـ =

١٩٠٨ - بقوله : « خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من أهل القرون الأولى . وقد وقع الإجماع على أن عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب كانا من زعماء هذا الشأن ، وأن أسلوبهما أحسن أسلوب في إحكام ملكة البيان . كانت حكم ابن المقفع أول ما كتب لي الوقوف عليه من رسائل هذين الإمامين ، عثرت عليها في قسم المجاميع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية في مجموع كتب سنة ٨٤٤ هـ فنشرتها في مجلة (المقتبس) ، ثم نشر فيه أستاذي العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائري كتاب الأدب الصغير لابن المقفع أيضاً ظفر به في مجموع عند أحد أعيان بعلبك من بلاد الشام » .

ويختم هذه المقدمة بالكشف عن الهدف النبيل الذي يقصد إليه من نشر هذه النوادر من تراثنا الخالد بقوله : « وإني لأرجو أن تكون هذه الأوراق خير مثال يحتذيه المتأدبون في كتابتهم وأن يقع فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على ما يتمم بعض الأحكام على الحضارة العربية ، وأن يستخدمها الدعاة لإصلاح الأخلاق خير ذريعة يعالجون بها أدواء النفوس ، فيكون منها عموم النفع كلما كررتها ألسن الأناء ، وكرت عليها الأعوام والأيام » .

على أن صورة المحقق المدقق والحجة الثبت مع التواضع الشديد الذي لازمه طيلة حياته وظهر في كثير من مقدمات ما نشر من تآليف وتحقيقات ، لتظهر واضحة جلية — وهو يخطو من حياته عامه الثاني والثلاثين — حيث يقول في مقدمة هذه الرسائل ، وقد هاله ما وقف عليه في مخطوطة كتاب « المنثور والمنظوم » لأحمد بن أبي طاهر المحفوظة بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) قسم الأدب - من أخطاء وتصحيف وتحريف :

« ولغلبة التحريف على كتاب المنثور والمنظوم[1] اضطررت مرة إلى حذف جمل برمتها والإشارة إليها أو أبقيتها على علاتها وأشرت إليها بعلامة استفهام إذا كان يفهم مع التحريف حاصل المعنى . إلا أن الغلط وقع في الأكثر في رسالة الصحابة وولي العهد واليتيمة » .... ثم يقول : « كنت أود لو قيض لي الرجوع إلى الأصل الذي نقلت عنه نسخة المنثور والمنظوم لأعارض عليها ما أنشره اليوم في هذا المجموع عساني أسقط فيها على مرافات الناسخ الثاني ، ولعل ما تعذر علي إثبات صحته من عبارات ذينك الصدرين المقدمين يتيسر لغيري من الباحثين العارفين فيرشدوني إلى أصل آخر أو يهتدون إلى وجه الصواب في هذا الكلم الطيب » .

وكان دستوره في تحقيقاته أن يثبت في المتن الرواية التي يعتقد أنها أقرب إلى الصحة أو ترجح عنده أنها كذلك ، ويبقي الاختلاف للحاشية ، وإذا أعجزه إثبات الصحيح في كلمة أو جملة أبقاها على حالها مع الإشارة إلى أنه توقف فيها ، ثم إصلاح بعض الأخطاء بالاستعانة بما تيسر له من المصادر ، وإبقاء ما لم يهتد إلى ما رسمه الناسخ متجنباً التخمين والاستنباط ما أمكن .

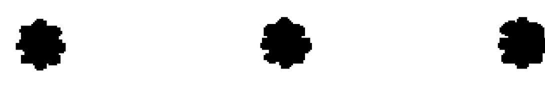
ولقد ظل هذا دأبه في السعي وراء الحقيقة ، وحث غيره في هذا التواضع الجم - على البحث معه أو بعده ، والاهتداء إلى وجهها الصحيح السليم من كل شائبة . وهو خلق فريد في نوعه .

* * *

(١) ما ذكره الرئيس « كرد علي » عانينا منه نحن في الرجوع في تحقيقاتنا عند النظر في مخطوطة المنثور والمنظوم المحرفة تحريفاً غير معقول والكلمات الناقصة التي ترك ناسخها بياضاً في موضعها .

ونراه ، بعد أن نشر لابن المقفع أيضاً « الدرة اليتيمة أو الأدب الكبير » بتحقيقه هو معارضةً على ست نسخ يقول — وقد وقع على يتيمة ثانية لابن المقفع كذلك — مظهراً لنا صورة العالم البصير والناقد الخبير بأساليب هؤلاء الأعلام ، والمطلع على ما كتب الأقدمون عنهم ، في سمت القاضي الذي يحكم عن علم وإدراك وروية في مثل هذه المشكلات :

« وقعت شبهة لبعض أهل العلم فيما إذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبلُ هي اليتيمة بعينها ، أم هي يتيمة ثانية لابن المقفع . ويزول هذا التناقض إذا لوحظ ما قاله إمام المتكلمين أبو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة ، فإنه ذكر في كتابه إعجاز القرآن أن الدرة اليتيمة كتابان : أحدهما يتضمن حكماً منقولة ، والآخر في شيء من الديانات . غير أنه يبقى هناك إشكال في أنه ليس في إحدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات ، كما قال الباقلاني . وإذا رضينا بالظن فنقول : إن هذا الاسم وضعه أناس لبعض رسائل ابن المقفع ، ومن هنا نشأ الاشتباه فعددها الناظرون . ويبعد أن يقال إن ابن المقفع سمّى الرسالتين معاً باسم واحد لمخالفته في الظاهر لمقتضى الحكمة . ولو قلنا إنه سمّى إحدى الرسائل ، فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ما قال » .



ثم نراه بعد أربعة أعوام من نشره للقسم الأول من « رسائل البلغاء » يعيد نشره من جديد في طبعة ثانية يقدم لها بقوله :

« نشرت القسم الأول من رسائل البلغاء وفيه ما عرف لعبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والحكم لأول مرة سنة

١٣٢٩ هـ = ١٩٠٨ م فوقعت موقع الاستحسان من رجال العلم والأدب وجهابذة الذوق السليم في كلام العرب ، وأقبل المتأدبون عليها حتى نفد المطبوع منها في مدة وجيزة . وها قد صحت العزيمة الآن على إعادة طبعها في هذا المظهر مضافاً إليه ثاني رسائل نادرة جعلت القسم الثاني من الرسائل ، وكانت نشرت أيضاً في سني مجلة المقتبس السبع الأولى ، ومنها ما نشره كاتب هذه السطور [أي محمد كرد علي] ، والآخر لبعض مؤازري هذه المجلة من الأعلام . وقد نظر الأستاذ سليم أفندي البخاري الدمشقي في رسالة الأدب الصغير واليتيمة لابن المقفع وعلق عليها حواشي وفوائد ، فمعظم الحواشي التي عليهما هي له . وعارضت الأدب الصغير على الطبعة التي نشرها منها في العام الماضي (أي سنة ١٩١١ م) الأستاذ أحمد زكي باشا المصري معتمداً فيها على مخطوطين منها عثر عليهما في إحدى مكاتب الآستانة وأثبتّ في الهامش الاختلاف بين النسخة البطلكية والنسخة الاستانبولية . أما الرسائل الأخرى فإن الرسالة العذراء لابن المدبر ورسالة ابن القارح هما مما أسعدني الحظ بنشره ، ورسالة مُلقى السبيل(١)

---

(١) ضبط في كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » (٤٣) : « مُلقَى » مما يؤيد سكون اللام لأن القاف لم تشدد . ثم ورد هذا التعليق في الحاشية رقم (١) من تلك الصفحة : لأبي الربيع الكلاعي كتاب : « منابذة الأمل الطويل ، بطريقة المعري في ملقى السبيل » (انظر نفح الطيب ٢ : ٧٦٩) . وفي مكتبة جامع الزيتونة معارضة أخرى للحافظ الكبير محمد بن الأبار القضاعي سماها : « مظاهرة المسعى الجميل ، ومحاذرة المرعى الوبيل ، في معارضة ملقى السبيل » وهي برقم ٤٧٩٩ وضبطت فيها كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة . وفي مكتبة الأسكوريال برقم ٥١٩ معارضة ثالثة لذي الوزارتين محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي » . ثم ضبطت القاف مفتوحة =

لأبي العلاء المعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني نشرهما الأستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي ، وكتاب العرب في الرد على الشعوبية لابن قتيبة نشره الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ، ورسالة رشيد الدين الوطواط والمنتخب من عهد أزدشير في السياسة نشرهما الأستاذ أحمد بك تيمور المصري ، وكتاب الأدب والمروءة لابن جناح الربعي نشره الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي » .

وها هو يرينا هنا صورة أخرى يتجلى فيها حرصه على الاقتراب بعمله وعمل أستاذه من درجات الكمال بقدر ما يستطاع — والكمال لله وحده — ثم هو لا يغمط عمل إنسان أو جهده فهو يذكر ما بذل سليم البخاري في إعادة النظر في الأدب الصغير الذي حققه طاهر الجزائري ثم لا يقف عند ذلك فيعاود هو النظر فيه على ضوء ما رجع إليه أحمد زكي باشا من مخطوطات أخرى ....

ثم يرينا في هذه الصورة كذلك جانباً من جوانب خُلُقه الكريم هو روح التعاون وعدم الأثرة حين يذيع على الناس ما نشره طائفة من

= غير مشددة في صفحة ٥٣٨ .

وقد أشار الأستاذ محمد سليم الجندي في كتابه « الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره » (٩٠٢) إلى معارضة ابن الأبار وضبط كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة في اسم هذه المعارضة .

ولكن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ناشر « ملقى السبيل » لم يشر إلى ضبط الكلمة وتركها غفلاً إلا من فتحة فوق الميم . (انظر رسائل البلغاء ص ٢٨٣ الطبعة الثالثة) .

المحققين الأعلام في مجلته « المقتبس » من تحقيق بعض الرسائل النادرة فيضمها إلى مجموعته .

* * *

ويجيء في الطبعة الثالثة التي نشرها سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م في القاهرة أيضاً - وهذا وفاء كريم منه للبلد الذي احتضن الطبعتين الأولى والثانية ، ولوفاء طبيعة فيه - وقد أضاف إلى هذه الطبعة « يتيمة السلطان » لابن المقفع بتحقيقه هو ، وهي مما لم تظفر به الطبعتان السابقتان من آثار ابن المقفع التي نشرها فيها . قال عنها إنها « رسالة بين مجموع مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٦٧٢ مجاميع ، وهي في نحو من ثماني عشرة ورقة بخط فارسي مجوّد ، ولا يعرف لها تاريخ كما ليس بها إشارة إلى الأصل المنقولة عنه ، وهي غير كاملة كما يدلّ على هذا ختامها ، وبين عبارات هذه اليتيمة ما جاء بلفظه فيما سبق لابن المقفع أو في ثوب من اللفظ قريب منه . أما عن صحة نسب الرسالة إلى ابن المقفع فذلك شيء لم يُعِنّا عليه ما كان بين الاختيار والطبع من زمن قصير . وها هي ذي الرسالة بين يدي الباحثين منشورة بعد أن كانت مطمورة ، وهم على الأيام شركاؤنا في التنقيب والبحث » .

ثم يضيف إلى هذه الطبعة الجديدة رسالة أخرى هي « قانون البلاغة » لأبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفى سنة ٥١٧ هـ ، وهي مما نشره المجمع العلمي العربي [مجمع اللغة العربية حالياً] في المجلد السابع من مجلته وشفعها بما نشره في هذه المجلة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي عن كتاب « جاويدان خرد » . وتبعها بما نشره في المجلد الرابع من مجلة المجمع أيضاً من رسالة « تهذيب الأخلاق » ليحيى بن عديّ ، وكان بعض

القدماء نحلها للجاحظ . وأتبع حِكَمَ ابن المقفع المنقولة من كتاب الأدب بحكم أخرى له جاءت في مخطوط كتب سنة ٥٥٧ هـ ذكر فيه أنه كتاب « الأدب الصغير لأبي عَمْرو عبد الله محمد بن المقفع » ؛ ثم بيتيمة له . وشرح مافاته وفات غيره التعليق عليه في الطبعتين السابقتين .

وهذه أيضاً سُنَّةٌ سنّها الأستاذ محمد كرد علي — رحمه الله — وسار عليها المجمع الموقّر في سنوات سابقة حيث كان يعيد طبع ما نشر بعض العلماء الأجلاء من تحقيقات في المجلة لنوادر من التراث ... ولعل المجمع الموقّر يعيد نشر الكثير مما تضمّه المجلة في سنواتها الطويلة المثمرة كرسائل منفردة ، أو كرسائل مجموعة ، سيراً على سُنّة الأستاذ الرئيس الأول ، فإن ما نشر على حدة أصبح في حكم المخطوط النادر ، وما نشر في متن المجلة قد لا يعلم به إلا قِلّة من الأدباء .

* * *

إن هذه الملامح التي عرضناها من خلال أول عمل شرع فيه العلامة الجليل الأستاذ « محمد كرد علي » في ميدان التحقيق ، وأوضحنا منها دستوره الذي عمل بأحكامه ، لهي صورةٌ متميزة ونموذجٌ فريد لمحقق رائد أفنى حياته في خدمة اللغة العربية حتى أنشأ لها مجمعاً خالداً على الزمن — بإذن الله — وهو أقدم المجامع العلمية الرسمية في العالم العربي يقترب الآن بخطاه الواسعة من سنواته الستين ، وأنشأ له مجلة جديرة بالتقدير والاحترام جاوزت عامها الخمسين ، وهما يحتضنان التراث العربي أكرم احتضان ويحنوان عليه أعظم حنان ، كما أقام مكتبة قيّمة ضمّت الألوف من المؤلفات والمراجع والمخطوطات .

وإن هذا النهج السليم الذي سلكه هذا العالم الجليل — بهذه الملامح

الكريمة لم يَخْلُ منه كتاب من الكتب الخمسة التي حققها ونشرها بعد «رسائل البلغاء»، وهي:

١ ـ «سيرة أحمد بن طولون» لأبي محمد عبد الله بن محمد المديني. طُبع في دمشق سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م.

٢ ـ «المستجاد من فعلات الأجواد» لأبي علي المحسِّن بن علي التنوخي. من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦ م

٣ ـ «تاريخ حكماء الإسلام» لظهير الدين البيهقي أبي الحسن علي ابن زيد من سلالة خزيمة بن ثابت الملقّب بذي الشهادتين صاحب رسول الله ﷺ. وهو غير البيهقي المحدّث والبيهقي الأديب. من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.

٤ ـ «كتاب الأشربة» لأبي محمد عبد الله بن مُسلم بن قُتيبة. من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م.

٥ ـ «البيزرة» تأليف بازيار العزيز بالله الفاطمي. وكان هذا الكتاب آخر عمل علمي قام به الفقيد العظيم وأشرف عليه وكتب مقدمة له تاريخها ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٧١ هـ = ١٢ آب (اغسطس) ١٩٥٢ م. وتم طبعه بين منشورات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م بعد انتقاله إلى رحاب ربّه الكريم في الثاني من نيسان (ابريل) ١٩٥٣ م.

وهو في هذه الكتب الخمسة لم يحِدْ قطُّ عن هذا المنهج السليم، ولم يُغفل لإنسان أعانه في عمله ذِكرَ هذا العون... وهذا خلق العالم الكبير، والرائد الخبير، والحجّة القدير، والناقد البصير.

وإن هذا الوفاء الذي ألمعنا إليه حين أشرنا إلى وفائه لأستاذه الشيخ طاهر الجزائري، وأشرنا إليه في طبعه «رسائل البلغاء» ثلاث طبعات في القاهرة، وفاءً لمدينة القاهرة التي عاش فيها فترة من الزمن ... هذا الوفاء هو من أبرز صفات هذا الرجل العظيم المتعدد المواهب والجوانب، فلقد امتد هذا الوفاء فشمل الأعلام من الأدباء والعلماء والمؤرخين والحكماء – على اختلاف عصورهم ومواطنهم – والذين عاش مع آثارهم منتفعاً بعلمهم، متشرباً أساليبهم، محيياً تراث بعضهم أو دافعاً غيره لإحيائه، حيث سجل تواريخ حياتهم في كتابيه: «**أمراء البيان**» الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة في جزءين سنة ١٩٤٨، و «**كنوز الأجداد**» الذي نشره المجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٠ ... كما شمل هذا **الوفاء الوطنَ الذي ولد تحت سمائه وفوق بطحائه** واستمد حياته من غذائه وفيض مائه، وتقلّب في نعمائه، وتلقّى العلم على نوابغ أدبائه وعلمائه، وتربّع على مناصبه العلمية ومراكزه الثقافية، فألف ونشر من أجله مَعْلَمته التاريخية «**خطط الشام**» في ستة أجزاء[1]، ثم سجل تاريخ «**غوطة دمشق**» التي

---

(١) ذكر المرحوم الأستاذ الدكتور سامي الدهان في «مجلة المجمع العلمي العربي» (ص ٢٤٥ من المجلد الثلاثين. الحاشية رقم ٢) أنه قرأ في الكلمة التي ألقاها الأمير مصطفى الشهابي لحفل استقباله عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر إشارة إلى هذا الكتاب يقول فيها عن الأستاذ الرئيس: «وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة».

فلعل المجمع الموقر يعمل على تحقيق أمنية منشئه، وأن يضاف إلى أجزائه =

أحيا ، ونشره له المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٢ . وشجع محققين آخرين ونشر لهـــم تحقيقاتهم عن « فضائل الشام ودمشق » للربعي ، و « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ، و « تاريخ داريا » للقاضي عبد الجبار الخولاني ، وغير ذلك .

* * *

رحم الله الفقيد العظيم ، وجزاه الجزاء الأوفى عما قدم للأمة العربية ولغتها وآدابها وعلومها وتاريخها وأعلامها من جهود باقية على الزمان ، لا يمسها جحود أو يأتي عليها نسيان . ورفع قدره في أخراه ، كما رفع قدره في دنياه ، وأبقى في العالمين ذكراه .

= السنة ما كان قد نهضت به اللجنة التي تشكلت لوضع معجم خطط الشام مشفوعاً بالمصورات لتتم الفائدة من هذا الكتاب القيم . ويقدم هذا كله تحية لروح الفقيد العظيم في إحياء ذكراه .

تحية إلى روح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الدكتور عيسى الناعوري

حين يخطر على بالي اسم المغفور له محمد كرد علي ، يسبق اسمه إلى خاطري لقبُ « الشيخ الرئيس » . ولست أدري - أو لعلي أدري - لماذا يقترن هذا اللقب القديم - الذي عُرف به ابن سينا وحده في الماضي - باسم محمد كرد علي كذلك ، فأراه لا يقلُّ جدارة به عن شيخ العلم القديم ، الطبيب الرئيس ابن سينا .

وحين أفكر في الجوانب العديدة التي اشتهر بها الشيخ الرئيس محمد كرد علي ، أراني لا أدري أيها أعظم وأجدر بالتقدير والتكريم في هذه الذكرى المئوية لولادته ، التي أحسنَ مجمعُ اللغة العربية الدمشقي صنعاً في الاحتفاء بها : أهي مؤلفاته العديدة ؟ أم هي « خططه » الشامية الشهيرة ؟ أم هي تأسيسه للمجمع العلمي العربي في دمشق ، وإدارته ورعايته له - بين العواصف الهوج - حتى وفاته ؟ أم هو فكره الحكيم المتزن ، وتواضعه الجم ، وأخلاقه الرفيعة ؟ أم هو حفاظه على لغة الضاد - لغة القرآن الكريم ، ولغة القومية العربية ، وما عمله من أجل بعثها وإحيائها ، واستعادة زهوها وقوتها ومكانها في حياة القرن العشرين ؟

كل هذه جوانب ، لا تدري أيها أجدر بالتقدير والتكريم ، ولكنها كلها بالتقدير أكثر من جديرة .

الجيل الذي جاء فيه « الشيخ الرئيس » محمد كرد علي كان جيلاً عظيماً : واجه العواصف الماحقة للعروبة ولغتها العزيزة بإيمان الجبابرة ، وصمد لها صمود الرواسي ؛ فحفظ اللغة العربية من التتريك ، والفرنسة ، والتكلنزة ، ورد سفينتها إلى شاطىء السلامة ظافرة منتصرة . وكان كرد علي جباراً من أولئك الجبابرة ، وصخرة من تلك الصخور الراسية التي تحطمت عليها الأنواء الهوج ، ولم تتأثر بها ، ولا بهجماتها العنيفة المستمرة .

جهاد الشيخ الرئيس من أجل تكوين المجمع العلمي الدمشقي ، ومن أجل استمراره ، ومن أجل جعله ضرورة ملحة ، وشعلة وهاجة ؛ لا مجرد مجلس يجتمع فيه شيوخ للدردشة وقتل الوقت ، كل هذا معروف مشهور ؛ وفضل محمد كرد علي فيه لا ينكره منكر . ولست بسبيل أن أفصل ذلك ، فإن هنالك من سيفصله غيري ممن رافقوا الشيخ الرئيس في عمله المجمعي ، وممن عرفوا جهاده وجهوده ، وممن قبسوا من علمه وفضله ، فهم به أعرف وأدرى ، وهم أقدر على أن يقولوا فيه كلمة الحق التي يستحق ، للتاريخ وللعلم ، ولإعطاء الحق لذويه . ولكنني مع ذلك أود أن أذكر بالتقدير العميق أنه ، لولا فضل الشيخ الرئيس محمد كرد علي ، فلربما ظل مجمع دمشق حيث توقف بعد فترة قصيرة من إنشائه ، هي فترة تأسيسه الأولى ، عندما عُطّل عمله في نهاية شهر نوفمبر ١٩١٩ ، « وصرف رئيسه وخمسة من أعضائه من وظائفهم ، توفيراً لرواتبهم ، واكتفى بعضوين إداريين للقيام بالإشراف على داري الكتب والآثار » — كما يقول الدكتور عدنان الخطيب في كتابه (مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً) الذي صدر عام ١٩٦٩ في منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق .

لعله كان من الممكن أن يظل المجمع واقفاً عند ذلك الحد، بسبب العواصف السياسية والاقتصادية التي كانت الحكومة العربية الفيصلية يومئذ تدور وتلف في قلب دوامتها ؛ وفي ظل الخوف من المستقبل الذي كان على كف عفريت من مؤامرة سايكس بيكو، والتهديد الفرنسي بغزو سوريا، لولا أن «عُهِدَ بتاريخ ٧ أيلول «سبتمبر» ١٩٢٠ إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بوزارة المعارف. فأعاد الحياة والنشاط إلى المجمع العلمي ... وعاد المجمع العلمي العربي يسير بخطى حثيثة، بجهود رئيسه العظيم، الذي كان يدعمه بنفوذه الأدبي العميق، وبسلطات الحكومة ...» — كما يضيف الدكتور عدنان الخطيب كذلك، وكما يعترف بعدئذ بأنه «لم تمض عشر سنوات على تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق، حتى أصبحت هـــذه المؤسسة، الفريدة من نوعها في العالم العربي، صرحاً شـــامخاً .. ملأ أسماع الناس، من عرب ومستشرقين .. وكُلُّ ذلك بفضـل جهود الأستاذ الرئيس محمد كرد علي، وما عرف عنه من همة عالية، وحيوية فائقة ؛ وبفضل الصلات التي أحكمها مع أكابر العلماء وأهل الفكر من مختلف الأمم والشعوب ...»

كان اهتمام محمد كرد علي بتأسيس المجمع، ثم باستمراره رغم كل شيء وكل عائق، نتيجة لشعوره بالحاجة الماسة إليه. كان (التعريب) يومذاك ضرورة قومية قصوى — كانت (العثمنة) هي السائدة في لغة المدارس، ولغة الدوائر الحكومية، ولغة الحياة العامة. وكان العثمانيون قد خرجوا من الأرض العربية، وعاد الحكم العربي والروح العربية يحتلان مكانهما فيها ؛ فلم يَعُد من الممكن أن تظل تتعايش على الأرض العربية (العثمنة) الماضية، والروح القومية العربية. واللغة العربية كانت دائماً، وما تزال،

وستبقى ، أهم عنصر يربط العربي بالعربي ، ويُبقي جذوة العروبة مشتعلة في الصدور . وكان لا بد إذن من (التعريب) . وكان مجمع دمشق ، برئاسة محمد كرد علي ، وبهمته ، وبدأبه ، وبجهوده الشخصية ، معقد الأمل في عملية (التعريب) — أو عملية رد العربية ، ورد العروبة ، إلى مكانيها الأصيل ، وإلى أهلها الأقحاح ، فبذلك تبعث القومية العربية بعثاً حقيقياً . وكان لا بد من السرعة في عملية التعريب هذه . واستطاع المجمع الدمشقي في زمن قصير أن يؤدي رسالته في الإحياء اللغوي والقومي بأكثر مما كان ينتظر منه .

وزالت العثمنةُ عن لغة الدواوين ، ولكن جاء عنصر غريب آخر ، هو الحكم الفرنسي الاستعماري ، الذي حاول بدوره (فرْنسة) كل شيء عربي ، مثلما فعل من قبل في أقطار المغرب العربي : تونس ، والجزائر ، والمغرب . وكان على مجمع دمشق — ونسميه في تلك الفترة بمجمع محمد كرد علي ، فلن يكون في ذلك مبالغة ، ولا خروج على الواقع ، ولا تجنٍ على زملاء محمد كرد علي ورفاق جهاده ، وكلهم للتقدير والتعظيم والفضل أهل — كان على مجمع محمد كرد علي ذاك أن يقف طوداً شامخاً ، يحول دون هذه (العجمنة) الجديدة . وقد أفلح أكثر مما كان ينتظر منه .

أتراني بما أقول أكرّم مجمع دمشق في ذكرى مؤسسه المثوية هذه ، أم تراني أكرم المؤسس نفسه في ذكراه ؟

كلاهما جدير بالتكريم ، فقد اقترن كلاهما بالآخر في تلك الفترة اقتراناً لا يجوز معه الفصل بينهما : بين المجمع والمؤسس .

فلكليهما أطيب التحية في هذه الذكرى الغالية على قلب الضاد ، وعلى قلب العروبة الشريفة المناضلة لأجلِ حياة أفضل وأرسخ جذوراً .

قصة المذكرات (١)

الدكتور عدنان الخطيب

- ١ -

تاريخ كلمة بين الأصالة والتوليد

يقول أرباب المعجمات : الذال والكاف والراء أصلان عنهما يتفرع كلم الباب ، أحدهما : ذكرتُ الشيءَ : خلافُ نسيتُه ، وذكرته ذِكراً وذُكراً وذِكرى وتذكاراً : حفظتُه واستحضرتُه وجرى على لساني ، وما يجري على اللسان بين الناس ، قد يدوّنه البعض في قرطاس .

وذكرَ الشيءَ : عابَه ، والناسَ : ذكر عيوبَهم ، والتذكُّر : ذكر الشيء بعد نسيانه ، والاستذكار : الدراسة للحفظ . والذاكرة عند المولدين : قوة من قوى العقل تبعث على استذكار المعلوم في الذهن ؛

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق مساء يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

(١) كتب الدكتور عدنان الخطيب بحثاً مطولاً عن « مذكرات محمد كرد علي » تحت عنوان « قصة المذكرات كاملة » وقد حال ضيق الوقت في ندوات الاحتفال دون قراءة القصة كاملة ، فاجتزأ منها بالمقدمة التي تنشر هنا ، وستنشر كاملة في كتاب مستقل .

وعند الحكماء : قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها؛ وعند الفلاسفة : القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره . والمذكِّرة : ما تحفظه أو تدونه ليذكِّرك أو تبعث به ليذكر غيرك ، أي لتجعل الذاكرة تعمل عملها .

وفي مصطلح المترجمين المذكرة : ما يعبر عنه بالافرنجيـــة بكلمة Note حيناً ، وبكلمة Mèmoire أحياناً . وعند رجـال القانون : بيان مجمل أو مفصل يقدم إلى القاضي تشرح فيه بعض المسائل القانونية أو تفند فيه مزاعم أو بيانات الخصم ، وقد تطلق على أمر يصـــدره القاضي لينفذ .

خلق الإنسان نسياً ، يحفظ شيئاً وينسى الكثير ، والناس مذ عرفوا الكتابة ، بدأ أفراد منهم يحفرون الحروف والرموز ليذكروها أو أو يذكرها من يمرّ بها ، ثم أخذ آخرون يثبتون حادثاً أو يجلون غامضاً كي لا يُنسى ، وقام علماء يؤرخون للعظائم ، وارتد بعضهم يسجل ما سمعه عن ما جرى منها لينتفع الناس بذكراه .

وصف كثيرون رحلات قاموا بها ، ودوّن كثيرون معلومات جمعوها يوماً فيوماً أو كلما حصلوا عليها حفظاً لها من الضياع ، جرى هذا في الشرق وفي الغرب ، وكان المؤلفون هنا وهناك يُعَنْوِنون كتاباتهم ، بأسماء تدل على الموضوع الذي كتبوا فيه أو تبين عن الدافع إليه أو ترمز إلى الغـاية منه ، وكان من أجلّ كتب التراث ما عنّن بـ « السيرة » أو دون في « السير » ، كما كان مما وصل إلينا من كتب ما أطلق عليه اسم « التذكرة » .

وفي الغرب ترك كثير من الكتـاب والأدباء مدونات تحت أسماء



رسم الطابع التذكاري الذي صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على مولد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

(تصميم الفنان عزيز إسماعيل)

مختلفة مثل « خواطر » و « اعترافات » و « أسرار » و « قصة حياتي » و « مذكرات قضائية » كما شاع لدى رجال السياسة تدوين ذكرياتهم ولا سيما بعد الحروب الطاحنة أو المعارك الفاصلة ، يفندون فيها ما قاموا به من أعمال أو يشرحون الملابسات التي اكتنفت بعض مواقفهم فدفعتهم إلى سلوك معين أو إجراء مستغرب ، مطلقين على ما دونوه اسم « Mèmoires » ، وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى عكف كثير من الرؤساء والوزراء والقواد الذين حكموا بلادهم خلال الحرب على تدوين الحوادث التي شاركوا فيها وعرض الأسباب التي يرونها تسوّغ لهم ما فعلوه ، ونقلت إلى العربية عشرات من الكتب تحمل كلها تقريباً اسم « المذكرات » .

فكيف طغت لفظة Mèmoires لدى الافرنج على غيرها من الكلمات التي كانت شائعة قبل زمن ليس ببعيد ، ومن أين جاء المترجمون بلفظة « مذكرات » ، ولماذا اختاروها دون غيرها من ألفاظ عربية ؟ . ولماذا فضلوها على لفظة « ذكريات » التي نرى لها حتى اليوم أنصاراً يحبون لها أن تحتل عناوين كتبهم ؟.

لقد مرّ على البشر زمن كانوا فيه إذا ما تنازع اثنان منهم على حق قنعا ، وأحدهما مكره طبعاً ، بتحكيم القوة بينهما ، فيتبارزان أمام الناس بالشائع من السلاح ، ويغدو الحق لمن غلب ، ثم أصبح للمهاوة في المبارزة أثرفي إنهاء الخصومة بين المتنازعين ، وعندما تولى القاضي في الدولة الحكم في المنازعات بين الناس ، غدا الخصمان يتبارزان أمامه بمساعدة من يتقن عرض النزاع ويحسن البيان عن أوجه الحق لدى

موكله ، يقارع خصمه بالحجج ويجبهه بالنصوص معتمداً على نصاعة الأسلوب وفصاحة الكلام .

وهكذا وسمت المحاكمات في العصور الحديثة بطابع المبارزة ، غير أن السلاح فيها أصبح : علماً من القانون ، ومهارة في العرض ، وروعة في البيان ، وكان على المترافع أمام القاضي أن ينهي كل هذا برقعة Mèmoire يدون فيها خلاصة ما قال ، ويوجز فيها أهم ما أطال في شرحه ، لتكون سنداً يستعين به الخصم للردّ ، وتذكرة للقاضي تلم له أطراف النزاع قبل أن يقطع بالحق .

وشاعت كلمة Mèmoire في البلاد العربية مذ تسربت إليها تشريعات الفرنجة وأصول التقاضي لديهم ، مترجمة بلفظة « مذكّرة » .

وأحب المشتغلون بالسياسة ـ ومضى وقت كان أكثر هؤلاء في الشرق كما في الغرب ، من رجال القانون ـ إثباتَ ملخص ما جرى في مفاوضات اشتركوا فيها أو تدوين ما وقع في اجتماعات حضروها ، في « مذكرات » تحفظ المعلومات التي عرفوها وحقائق ما شاركوا فيه ليتمكنوا من الرجوع إليها إذا ما دعت إلى ذلك مصلحة ما ، ثم أخذ نفر من رجال السياسة يتابع تدوين ذكرياته حتى كانت كتب كاملة تحمل اسم « مذكرات » فيها قصة كاملة لموضوع عام أو تاريخ حقبة من الزمن يحكي سيرة كاتبه من خلال الحوادث التي كان بطلاً لها أو مشاركاً فيها .

ولم يقتصر تدوين « المذكرات » على رجال السياسة ، بل كان للقضاة والأطباء ، فضلا عن الأدباء والصحافيين ، نصيب كبير في تدوين الذكريات حتى غدا ما يسمى بـ « أدب المذكرات » أدباً عالمياً مرموقاً

في مختلف اللغات ، يتهافت الناس على قراءته للتمتع بما يتضمنه من أفكار أو بيان رائع ، أو للاطلاع على تراجم ذاتية قيمة ، أو لمعرفة حقائق سياسية مستورة ، أو وثائق تاريخية مجهولة ، وبعض المذكرات كانت تتضمن كل هذا أو بعضه .

إن المذكرات ، بصورة عامة ، ذكريات شخصية تحمل في الغالب بأسلوبها أو روحها الطابع المميز لكاتبها ، ويمكن تصنيف المذكرات في ثلاث فئات .

الأولى : يجمعها وصف « المذكرات السياسية » وهي مفيدة لتأريخ فترة من الزمن أو لتفسير حوادث وقعت خلالها ، وقد لا يكون الهدف من تدوينها . إلا الدفاع عن سلوك قام به صاحبها أو عن رأي ارتآه خلال تلك الحوادث ، أو رد تهمة ألصقت به .

الثاني : مذكرات اجتماعية ، وأصحابها يهتمون عادة بتصوير عيوب الناس أو شرح مزايا فيهم ، رغبة منهم في إصلاح المفاسد ، أو محاولة لتطوير مجتمعاتهم أو النهوض بها .

الثالثة : المذكرات الأدبية ، وقد تتضمن سيرة ذاتية لأصحابها ، مفصلة واضحة أو موجزة ، لا يلتزم بالتتابع في حوادثها ، وكثيراً ما يستخدم بعض الكتاب في مذكراتهم الأدبية الخيال أو الرموز لغايات قد لا يصرحون بها تاركين إداركها للقراء .

هذا وفيما نشر من مذكرات ، ما يصعب تحديد اتجاهه إلى إحدى هذه الفئات ، وفيها ما قد يكون مجرد انطباعات وذكريات سجلها الكاتب حتى لا تنسى ، وهي تتضمن بعض ما في الفئات كلها مرتبة أو غير مرتبة .

- ٢ -

المذكرات بين التأريخ والأدب

قلم الأديب حرٌ طليق ، أما قلم من يتصدى لكتابة التاريخ ، فيجمع العلماء على وجوب اتصافه بـ « **العدالة** » لا تحرفه عن تدوين الحقيقة رغبة ولا رهبة ، ولا يثنيه عن قولة الحق هوى ولا ميل ، يسجل الحقيقة غير متزيد فيها ولا متستر على شيء منها ، وهم يشترطون فيمن يؤرخ للعصر الذي يعيش فيه « **الانصاف والتجرد** » ، حتى إن بعضهم يوصي المؤرخ بالابتعاد عن كل مامن شأنه أن يشكك في عدالته أو يريب في إنصافه ، فلا يسرف في مدح من يحب ولو كان فاضلاً ، ولا يشتط في نقد من يكره ولو كان سيئاً .

أما من يتصدى لتدوين ذكرياته ، فشأنه غيرُ شأن المؤرخ ، فلا يمكن أن يطالبَ امرؤ يترجم لنفسه ، أن يتجرد عن عواطفه فيعدد مثلاً مثالبه الشخصية ، ويكشف للناس عما جبل عليه من مطامع ، أو ينقد تصرفاته وسلوكه ، ولكن إن فعل فهو حرٌ !

كما أنه لا يمكن أن يطالب امرؤ يدون ذكرياته أن يسجل الحقائق كما رآها مبغضوه أو خصومه ، فالمرء لا يلجأ عادة إلى كتابة مذكراته أو تدوين سيرته الذاتية إلا ليبين عن حقيقة قد ينكرها الناس أو يجهلونها ، أو ليكشف عن الحقائق كما رآها بنفسه ، أو يشير إلى الأسباب التي مكنته من رؤيتها ، أو ليسجل مشاعره إزاء بعض الحوادث أو صانعيها .

إنما يشترط فيمن يدون « المذكرات » **الصدق والانصاف** : **الصدق**

فيا يرويه أو ينقله ، والانصاف مع من يكرهم فلا ينحلهم رأياً لم يرتأوه ولا يزور على لسانهم كلمة لم يتفوهوا بها ، ولا يتهمهم بفعل هم منه برءاء ، فإن التزم بهذا الشرط تغدو مذكراته من الوثائق التي يمكن للمؤرخين أن يعتمدوا عليها .

- ٣ -

ثلاثة نماذج من أصحاب المذكرات

عرفت سورية في تاريخها الحديث عدداً من رجال السياسة ، نشروا سيرهم الذاتية في « مذكرات » فأغنوا المكتبة العربية بوثائق فذة، أضاءت جوانب هامة من الواقع الاجتماعي المتخلف ، أو من التاريخ السياسي المضطرب ، وكشفوا حقائق كانت مجهولة ، أو كانت غائمة تكتنفها الشبهات وتدور حولها أقوال تشوبها الأهواء .

وكان في طليعة من نشرت مذكراتهم بعد « مذكرات » الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، ثلاثة من كبار رجالات هذا الوطن (١) ، أخلدوا إلى كتابة سيرهم الذاتية وتدوين ما عرفوه من الحوادث السياسية ، بعد نضال طويل وكفاح مرير في سبيل الوطن ورفاهه وأمنه ، فترجموا لأنفسهم وسجلوا الأعمال التي قاموا بها وهم يتولون أمانة الخدمة العامة ، عارضين على الناس ما عرفوه من خفايا السياسة ، وسخة كانت أو نظيفة .

لقد أثنيت مرة على مذكرات هؤلاء الرجال فأرضى ثنائي كثيراً

---

(١) هم الأساتذة حسن الحكيم ويوسف الحكيم أطال الله حياتهما وخالد العظم رحمه الله .

من العلماء وطلاب الحقيقة ، ولكنه أغضب بعض رجال السياسة ، فأنكروا علي رأيي ، لأن هؤلاء يختلفون عن أولئك في تقويم الأشياء وتقديرها ، ولا سيما إذا كان لهم صلة بهذه الأشياء ، أما أنا فقد عرفت الرجال الثلاثة وعرفت ما جبل عليه كل واحد منهم من خلق .

إن الرجال الثلاثة لم يدونوا في مذكراتهم كل ما يبحث عنه المؤرخ من حقائق تاريخنا السياسي ، إذ كان الواحد منهم لا يهتم إلا بما عرفه أو اتصل به أو شارك في صنعه ، كما كان أسلوب كل منهم نابعاً من مزاجه الخاص ، ومن تحليل شخصي للحوادث التي دوّن تفصيلاتها ، واختلافهم هذا ما كان ليفسد تقويم ما كشفوا عنه من حقائق التاريخ كما عرفوها أو كما خيل إليهم أنهم عرفوا حقيقته .

الأول منهم رجل صدق واستقامة ، رفعته إلى قمة العمل العام أخلاقه ومزاياه ، فسعى ما وسعه الجهد في خدمة الوطن ، بدأ يدون ذكرياته عن الطريق الذي مشى فيه خطوة خطوة ، ودوّن مشاهداته واصفاً ما رآه دون أن يعطي اهتماماً كبيراً لما يجهله من خلفيات ماشاهده ، وصور من رآهم من الناس أو عمل معهم من رجال السياسة ، دون أن يهتم بما تنطوي عليه صدورهم من عواطف ، كما سجل ما سمعه أو قرأه دون أن يركض وراء الدافع إليه أو يتحرى عن الباعث عليه ، وكان في جميع ما كتبه صادقاً في روايته منصفاً في أحكامه .

والثاني منهم كان رجل قانون أمضى جلّ حياته يقطع بالحق منازعات الناس ، مشرفاً على توزيع العدالة بينهم ، ثم أخذ يدوّن ذكرياته في العهود التي عمل خلالها على دعم سيادة القانون ، فجاءت مذكراته وكأنها كتبت على المنصة التي كان يجلس عليها ، إثباتاً للوقائع التي جرت

أمامه أو أثيرت في مجلسه دون التفات إلى غير الموثق منها ، ووصفاً حياً المتداعين وشهود الجلسة ، وقد بدا التهذيب في تصرفاتهم ، كما بدت النظافة في ثيابهم ، دون التفات إلى حقيقة أخلاقهم وما تحت ثيابهم من سوءات .

أما الثالث رحمه الله فوارث مجد قديم ، جُبل على حب الفن ، كان يتلهى برسم من يراهم وهو في أحرج المواقف ، دفعه طموحه إلى خضم السياسة فخاضه حتى علقت أوحالها بثيابه فخلعها ثم عرّى من عرفهم من الرجال ، وأخذ يرسمهم بقلمه كما بدوا لناظريه بادئاً بنفسه مسجلاً عيوبه وعيوبهم غير مفتقد عيوب نفسه ولا حافل بجوانب الحسن والجمال عند من يكرههم ، ولكنه كان صادقاً في تسجيل عواطفه ومشاعره تجاه من وقفوا في سبيل تحقيق طموحه ، كما كان جهده وعنته في إنصافهم من خلال ما كتبه واضحاً بيناً .

- ٤ -

الإنسان الذي تعددت عبقرياته ولم يستطع ارضاء نفسه

بدأت عبقرية محمد كرد علي بالتفتح والقرن التاسع عشر الميلادي قد شارف على الانقضاء ، كان العالم الغربي يومئذ في أوج التقدم الحضاري الناجم عن الثورة الصناعية والتوسع الاستعماري ، بينما كانت بلاد الشرق الأدنى تتثاءب وهي بين النوم واليقظة ، ومبادىء الثورة الفرنسية قد تسربت إلى بعض الطبقات فيها بقصد القضاء على النظم السياسية والسلطات الاستبدادية القائمة فيها يومئذ .

كانت الدولة التي كنا جزءاً منها تتمخض عن ثورة عارمة ، ما لبثت أن انفجرت سنة ١٩٠٨ ، وقام فيها نظام جديد يخفي بين برديه استبداداً أشد مما كان بحجة صيانة أحكام الدستور وكفالة سيادة القانون ، وانتهى الأمر بأصحاب النظام الجديد إلى المغامرة في حرب عالميــة لم تنته إلا وخارطة العالم السياسية قد تبدلت .

في بلاد العرب أعلنت الثورة ضد الاحتلال والتمزق ، وفي سورية قامت مملكة مستقلة ، ولكن المطامع الاستعمارية لدى الدول المنتصرة ، أعاقت الاستقلال وزادت في التمزق وفرضت الانتدابات ، وابتدأ العرب في صراع جديد في سبيل الحرية والوحدة والتقدم .

في هـــذه الفترات المضطربة من تاريخ العرب السياسي ، عاش الانسان محمد كرد علي صحافياً يعمل على نشر الوعي بين الناس ، وأديباً يسعى لاحياء العربية وتراثها المجيد ، وكاتباً يحاول إصلاح المجتمع والنهوض به ، ومؤرخاً يجمع لبلاد الشام خططها وما تفرق من أخبارها ، ووزيراً يطلع على كثير من الأمور التي تجري وراء الأستار .

دخل محمد كرد علي من مطلع شبابه في خدمة الحكومة بدمشق ولكن الصحافة استهوته فترك الحكومة ليشتغل فيها فوجدها في بلده وليدة تحبو ، وتطلع إليها تدرج في مصر وارتحل إلى القاهرة ليخوض غمار المهنة التي استهوته حتى واتته الفرصة فعاد إلى بلده ليواصل الانغماس في متاعبها لأنه كان يراها أعظم وسيلة « للمطالبة بالإصلاح وطرد لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة وبعث الفراغ واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة » .

غير أن الأحوال السياسية لم تكن تسمح بقيام صحافة حقيقية ترضي الإنسان في محمد كرد علي ، فقد كان على الصحافي يومئذ أن يبتعد عن أمور كثيرة ليتقي المتاعب وأحياناً ليحفظ حياته ولهذا قال : « وأكثر ما يجب أن يتوقاه المحرر ذكر شيء يمس السلطان من قريب أو بعيد أو يمس عمله ورجاله وجيشه وإدارته وسياسته ، وألا يشير إلى مسألة تاريخية فيها ذكر الخلافة والحرية والشورى والدستور وقتل الملوك وخلعهم » .

يكتب محمد كرد علي في النقد الاجتماعي ووصف التخلف وكيفية « تسرب الجهل إلى العبث بالعقول » حتى لم يبق « من العلم الحقيقي غير قشوره » مئات من المقالات صور فيها الناس في تشدقهم بالأقوال وتخاذلهم بالأفعال ، ونقد سلوكهم ، كما نقد ظلم الولاة واستهتارهم بمصالح الرعية ، وبرغم حذره الشديد من كل هذا واكتفائه بالتلميح دون التصريح في أحيان كثيرة فقد تعرض لمخاطر التعرض لرجال الدولة فأقيمت عليه الدعاوى ولوحق من قبل رجال الأمن وطلب رأسه في بعض الحالات فاضطر إلى المغامرة والفرار مجتازاً البوادي والقفار يلبس لبس الاعراب وينتحل تجارة الجمال .

رغب محمد كرد علي في أن يؤرخ لبلاد الشام من غابر الأزمان حتى عصرها الحديث ، فأعد للأمر عدته وألزم نفسه بالشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للتأريخ ، ثم قدم « خطط الشام » واضعاً جهده في « العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من المبالغات والخرافات ، وتحل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه من شية شبهة أو شائبة غلو » ثم قال : « وعنيت في قسم التاريخ السياسي أن أبين علل الحوادث

وتسلسل الكوائن ودواعي الأحوال القريبة والبعيدة واستخراج النتائج واستنباط القواعد ، والتاريخ ربيب الحرية لا يتصرف فيه على هوى من يكتبه أو يقرؤه ولا على أذواق المعاصرين وميولهم . وما دام موضوعه الاعتبار بالخالي لمعرفة الحالي والآتي ، فهو جدير بأن يتحرى فيه الحق ، ولا يدون سواه ولا يتناغى فيه بغير الواقع » .

في كل ما كتبه محمد كرد علي كان الصحافي الحق والناقد المنصف والمؤرخ الصادق ، وعندما التجأ إلى مصر وجد فيها من الحرية ما افتقده في بلاد الشام فاحبّها ، كما وجد فيمن تعرف إليهم من المصريين ما حببهم إليه ، فأخذ يشيد بمصر والمصريين بقلمه ولسانه حتى انه أهدى أضخم جهوده إلى صديق مصري ، وأنزل مصر منزلة الشام من حبه لها معتقداً أنهما شقيقان يتم كل منهما الآخر وهو يقول عنها : « انتفع الشام وهو القطر الشقيق الأصغر لمصر المحبوبة ، بالنهضة المصرية أكثر من عامة الأقطار العربية ، للجوار وأواصر القربى وكثرة التشابه بينهما » .

وألزم محمد كرد علي نفسه بالدفاع عن مصر العزيزة على قلوب العرب والمسلمين ، ضد كل من يحاول الانتقاص من مركزها من العالم العربي والإسلامي ، حتى أنه دفع إليّ ذات يوم مجلةً قائلاً : « اقرأ ما كتبه منتقص من فضل مصر على العرب ، وتولَّ الرد عليه إن كنت تحب الدفاع عن الحقيقة التي يتجاهلها أمثال هذا الكاتب ، وكان ردّي من بواكير ما نشرته لي مجلة المجمع العلمي العربي .

كان لمحمد كرد علي مجلس يوم الثلاثاء يرتاده العلماء والأدباء وأهل الفضل ، وتسلل ذات يوم إلى هذا المجلس رجل باسم الأدب والشعر ،

وكان الناس قد تسامعوا بشادة وقعت في مصر بين كرد علي وزميل له من كبار المجمعيين ، دافع كرد علي عن العربية وسمعة مصر في العالم الإسلامي ، وهاجم رأي من لا يهتم بالعرب وبالعربية ولا بسمعة مصر عند المسلمين . واستثار الدخيل على مجلس محمد كرد علي غضبه بدفاعه عن كاتب لم يلتزم جانب الحق في النزاع وملق المستخفين بالعربية .

لقد كان هذا الكاتب عضواً في مجمع دمشق رشحه للعضوية محمد كرد علي نفسه وأعلى شأنه في البلاد ، وأرسل كرد علي إليه ذات يوم مقالاً ينقده على كتاب أصدره متخيلاً فيه قصة تعيب تاريخ العرب والمسلمين ، فأهمل نشر النقد غير معتذر عن إهماله للأستاذ الرئيس .

وغضب الأستاذ الرئيس من ذكر اسم الكاتب في مجلسه فجرى على لسانه كلام يجري على لسان من يغضب ، وقام الدخيل على مجلس الأستاذ الرئيس ينشر ما كان في المجلس وما لم يكن ، **فكانت الشرارة التي التهمت بلهيبها جزءاً من منزلة محمد كرد علي في مصر ودمرت قلعة من الحب والتقدير** كان رحمه الله قد تعب في بنائها .

أن محمداً كرد علي إنسان قبل أن يكون مؤرخاً وأديباً وصحافياً ، انسان مرهف الحس ، يحب ويكره ، يحب الخير والصدق والجمال ، ويكره الشر والكذب والفساد ، إنسان عصبي المزاج يطرب ويغضب ، تطربه الكلمة الحلوة ويسره المنظر الجميل ، تستخفه النكتة في موضعها وتنقبض نفسه من أي انحراف يراه أو يسمع به ، كان يتألم من الظلم ينزل بأحد الناس ، ويغضب إذا ما استثير أو استغضب .

لقد ارتضى محمد كرد علي لنفسه التقيد بشروط التأريخ عندما أرخ ،

واتبع الحذر من سطوة الرقيب واستبداد الدولة عندما مارس الصحافة ، والتزم وهو يدعو إلى إصلاح المجتمع بالموضوعية ، دون أن يسمي من عرفهم من الحشويين أو المفسدين أو المخرقين .

ولما بلغ محمد كرد علي الستين من العمر وزهد بالدنيا ومناصبها ، وجد نفسه يحمل في صدره عبئاً ثقيلاً من كبت ما في صدره من حب وبغض تقيداً بشروط التأريخ ومجاملة لما تعارف عليه الناس .

فأحب أن يجرد ما علق في ذاكرته من انطباعات وارتسامات ، وأخذ يقيد ما يرد على قلمه حراً ، غير مقيد بتاريخ أو بترتيب أو تصنيف ثم وصف ما بدأ في صنعه بقوله :

« أصوّر بهذا التقييد طائفة ممن عشت بينهم صورة صادقة ، وأدوّن كل حق عرفته ، ليشاركني أبناء هذا الجيل والذي بعده في الإنكار على من أضجروني بقصورهم ، وآلموني بغرورهم .

كتبت كتباً كان الجدّ سداها ولحمتها ، وما جوّزت لنفسي الحياد عن قوانين المؤلفين ، ولا الصدود عن آيين المتقدمين والمتأخرين ، وأريد هنا أن أنزع قيوداً أثقلتني وأنا أراعيها ، وأن أبعد عن ذاك الطراز المقيد وأخرج إلى هذا الأسلوب المطلق .

أحاول اليوم ، وقد رأيت الدنيا مهزلة ، وذقت حلوها ومرّها ، وكرعت خلها وخمرها ، أن أهزل أحياناً ، وأسخر أحياناً ، وأضحك أحياناً ، وأبكي أحياناً ، لأن نفسي سئمت الالتزام بالجد ، وتبرمت من الاضطراب فيه زمناً طويلاً ، وطبيعتي تعصى على العيش الرتيب .

وأمنية النفس يوم تنشر هذه المذكرات ألا يشمئز منها تاليها

وسامعها كثيراً ، وأنا إلى هذا لا أطمع أن يجمع الملأ على استحسانها ، فتلك بغية ما تمت حتى الآن لتأليف ، ومن أين لصفحات محدودة أن تستوفي عامة شهوات النفوس .

وإذا كنت لا أستخذ أمام من كان في أيديهم النفع والضر ، فأنا لا أصانع من لا يرضيهم إلا سكوتي عن مساويهم . دأبت على قتال الأردياء ، والشباب غض ، والرغبة في إطالة حبل الأجل عظيمة ، فحري بي ألا أكف عنهم ، وأنا أطوي آخر مراحل العمر ، وأنفض اليد من بهرج الحياة .

قصدت بما دونت التحذير من دجل الدجالين ، والتنبيه على أحابيل المبطلين ، والعمل على مكافحة الظالمين ليعرف أن كل جيل لا يخلو من دعاة يحلو لهم الجهر بالحق مهما جشمهم ، ومن أفضل الطرق إليه ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم .

جربت السكوت عمن لم يأتوا ببرهان واحد على حبهم الخير ، وما جنيت من الإغضاء إلا البلاء .

الجهر بالحق ، ومقاومة الظلم ، من أول مراتب النهوض « والساكت عن الحق شيطان أخرس » .

* * *

سادتي

لقد أخذت اليوم أكثر من حقي في الكلام عن محمد كرد علي وإن كان حقه علي وعلى أمثالي من تلامذته لا يوفى بأضعاف ما صنعناه في هذه الاحتفالات .

إن قصة مذكرات محمد كرد علي وما دار حولها من جدل بين عارفي فضله وبين مبغضيه لم تكمل ، والكلام على ما حوته من معلومات قيمة تفيد المؤرخ الدارس والباحث في أحوال المجتمع الشامي والمصري في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كلام طويل ، فاسمحوا لي أن أرجىء تتمة القصة إلى مناسبة أخرى .

وليسمح لي صديقي علامة العراق وشاعر العربية الكبير محمد بهجة الأثري أن أستعير ختام تعريفه بالمذكرات حفظه الله .

« ... وذكرت متنزهات الدنيا بين يدي أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد فقال : « هذه متنزهات العيون فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟. قالوا : « وما هي ؟ » قال « كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبي العيناء » قال الأثري حفظه الله : وأنا أضيف إليها رابعاً : كتاب المذكرات ، فهو بِدْعٌ في كتب هذا العصر ، وما يرجى من نفعه أمتع وأفضل وأغزر .



تمثال نصفي للأستاذ محمد كرد علي

(صنع الفنان عفيف البهنسي)

محمد كرد علي من خلال المقتبس

الدكتور شكري فيصل

- ١ -

تقع مجلة المقتبس من حياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي موقع بداية الشوط في مضمار واسع قطعه هذا الفارس على مدى ثمانين عاماً مباركات أو تزيد، لم يتوقف — أو لم يكد يتوقف — خلالها عن العَدْو وراء غاياته البعيدة.

والحق أنها لم تكن غاياته في نفسه فحسب، ولكنها كانت غاياته في أمته .. فلم يكن بينه وبين أمته هذه الفواصل أو الستور .. فتح لها قلبه، وقصر عليها عقله، ونذر لها جهده، وظل حياته كلّها يتحرق شوقاً إلى مطامحها، ويتحرك قدماً نحو تطلعاتها.

ولم يكن في حياة كرد علي حَدَثٌ دفع به واندفع هو به، وأنشأه ونشأ به، ولوّنه وتلوّن به، كما كان حادث إصدار المقتبس في القاهرة في هذه الفترة المبكرة من حياته وهو يغادر الثلاثين، فترة اكتمال الفتاء، ووضوح النّماء، وجمال التفتح.

- ٢ -

وإذا كان هذا موقع المقتبس من حياة كرد علي فإن لها كذلك

هذا الموقع المتميز في حياة الجماعة العربية التي كانت تمضي في أول مراحل طريق النهضة .. كانت بدأت تُحسّ وجودها المغبون في بعض جوانب الحياة : في حياتها اللغوية وحياتها الثقافية دائماً ، وفي حياتها السياسية أحياناً .. وكانت تتطلع إلى وجود جديد يضع العرب في مكانهم من المشاركة والمساهمة ضمن المجتمع العثماني الكبير الذي كانوا يعيشون فيه .. ، وكانت بدأت تتململ .. وكان في إيمان جماعاتها وجمعياتها والمصلحين الذين أخذوا يرفعون الصوت فيها أن العلم وحدَه هو سبيلُ الجماعات إلى وجودٍ صحيح سليم ، وأنه لا سبيل إلى هذا العلم إلا أن يتصل ما بين ماضي العرب وحاضرهم .. تُشاع الحياة في هذا الماضي وتضاء جوانبه ، ويُجيى تراثه ، ويُعرَف أعلامه ، وتدخل لغتُه دورةَ الحياة حتى تكون لغة الحياة .. ثم تُشق الطرق إلى المستقبل الذي يضع العرب في مكانهم من الإسهام الحضاري والمشاركة الإنسانية .. على الخلاف الذي كان ، بين أن يتم ذلك في وجود عربي مستقل ، وبين أن يكون ضمن المجتمع الكبير الذي كانوا أبعاضاً منه .

وإنما كانت تعمل المقتبس من أجل هذه النهضة الفكرية وتتحرك بها ولها .

- ٣ -

ومن التقاء ما بين موقع المقتبس من حياة كرد علي وموقعها من حركة النهضة العربية العلمية تتخذ هذه المجلة الرائدة سماتها وشياتها ، وتكتسب صبغها المميّز ولونها الخاص ، وتتحرك على محاور ، بعضُها هذه المحاور مما كانت تشاركها فيه المجلاتِ الأخرى وبعضها مما تنفرد به ، لا يشاركها سواها أو لا يكاد .

وتستطيع أن تنظر في المجلات التي كانت تعاصر المقتبس من مثل المنار والهلال والمقتطف .. وستلاحظ أن صاحب المقتبس كان يريد أن يشارك الآخرين في بعض ما يتجهون إليه .. ولكنه كان فيما بينه وبين نفسه حريصاً على أن يتفرد وأن يتميز .. بعض هذه المجلات كان يغلب عليه الطابع العلمي أو السمة الأدبية أو النزعة الإصلاحية السلفية .. ولكن أياً من هذه الطوابع لم يكن يستبد بالمقتبس أو يغلب عليها . . فقد فتحت صفحاتها لهذه الأشياء كلها ولكثيرٍ غيرها ، على اختلافٍ واضح في حظوظها من الاهتمام وأنصبائها من الرعاية .

ولم يكن ذلك عملاً عفوياً وإنما كان عملاً مقصوداً .. كان المنطلق والهدف في آنٍ عند كرد علي « السعي في سبيل الإفادة والاستفادة » كما قال في خاتمة السنة الأولى . . وهل هنالك حدود محدودة لهذه الإفادة والاستفادة ؟ .

— ٤ —

هذه المزاوجة بين جملة من المحاور التي سيتحرك عليها كرد علي في المستقبل ، تتمثل في هذه السلسلة من الثنائيات :

ا — هنالك في البداية هذه المزاوجة بين الماضي والحاضر : الماضي العربي الذي يستحق الإشادة به ، والوقوف عنده ، والإفادة منه ، والحاضر العربي الذي يحتاج أن يُعالج ويُداوى .

ب — ثم تكون هذه المزاوجة بين الشرق والغرب : فالشرق روحه وتقاليده التي لا يستطيع أن يخرج منها ، والغرب نهضته ومدنيته التي لابد من الإقبال عليها والأخذ منها .

حـ — ووراء ذلك هذه المزاوجة بين اللغة العربية واللغات الأجنبية :

فلغتنا جزء منا ، ولكن حاجتنا إلى اللغة الأجنبية جزء من التمهيد لمستقبلنا .

د ـ ثم تكون عند كرد علي بعد ذلك هذه المزاوجة بين القديم والجديد : القديم لأنه آية قدرتنا على المشاركة الحضارية ، والجديد لأنه هذه المشاركة الواجبة .

هـ ـ وبعد ذلك تكون هذه المزاوجة بين العلم والأدب : الأدب بمعناه العريض هو الذي يغلب على التراث العربي وهو الذي يشغل أكبر الحيز فيه ، على حين أن العلم هو الذي يشغل أكبر الحيز في ميدان المعارف الإنسانية المعاصرة ، ويشكل قطب اهتمامها .

بل إننا لنلمح هذه المزاوجة في جزئيات من هذه المحاور . . ففي نطاق الأدب العربي كان كرد علي كذلك حريصاً على أن يبتعث العرب أدبهم كله .. أدبهم الذي قالوه في المشرق وأدبهم الذي قالوه في المغرب .. ولذلك كان من جهده أن وقف وقفات طويلة عند ابن حزم وابن زيدون على نحو ما وقف عند الجاحظ والقاضي الفاضل .

وفي نطاق الثقافة الغربية كان كرد علي يقرأ الفرنسية ويترجم عنها ويقبس منها كثيراً من المقالات .. ولكن مجلته لم تَصْفُ لهذا المورد وحده وإنما كان حريصاً ، فيما يبدو ، على أن تكون هنالك ترجمات كثيرة عن اللغات الأخرى : مقالات عن اللغة الانجليزية ؛ وملامح من ملامح المجتمعات الأميركية في شعر شعرائها أو أدب أدبائها .

وحين كانت حركات الإصلاح تتطلع حولها هنا وهناك تلتمس النموذج أو الأسوة ، كان أمام كرد علي فيما تقودنا إليه مقالات المجلة مثالان يلح عليها : أحدهما من اليابان هذه الدولة الشرقية ، والآخر من أمريكا هذه الدولة التي لم تكن قد انزلقت بعدُ في مهاوي التحيز ، ولم يكن يعرف العالم منها إلا قسمات وجه بريء .

- ٥ -

وأحسبني - في رصد هذه المزاوجات - دللت على طابع أساسي لا في مجلة كرد علي فحسب ، بل وفي حياة كرد علي كلها .. ولعلي لا أخطىء إن قلت إن هذه الثنائية أيضاً يمكن أن تستقطب على نحو أو آخر ، شخصية كرد علي ، في الذي كان من مواقفها أو آثارها أو سلوكها .

أكان ذلك ضريبة العصر الذي كان كرد علي فيه ، عصر التحولات.. أم كان أثراً للنزعة العلمية المتسامحة التي كان يتحلى بها والتي كانت تقود إلى مثل هذه الثنائية المتوازنة ، لأنها كانت لا ترى أنها وحدها صاحبة الحق المطلق ، وأن الحق مشاع على حد تعبير كرد علي في واحدة من مقالاته .. أم هما الأمران معاً تقدما بكرد علي نحو هذه المواقف المتكاملة ؟.

- ٦ -

وقبل أن أمضي شوطاً آخر في دراسة الخطوط العريضة للمقتبس ومعرفة هويتها والكشف عن أبرز ملامحها ، أريد أن أقول إن المقتبس مجلة من نوع خاص .. ليست هي مجلة كرد علي لأنه هو صاحبها فحسب ، ولكنها مجلته لأنه هو الذي كان يشرف عليها ، ولأنه هو الذي كان يختار أبوابها يضيف إليها حيناً ويحذف منها حيناً آخر ، ولأنه هو الذي كان يعدّ الكثير من مقالاتها .. كان يكتب المقال مرة ، ويترجمه مرة ، ويقبسه مرات أخر .. ولأنه هو الذي كان ينسج صفحاتها سطراً بعد سطر مما يفكر فيه أو يتحدث عنه أو يحاور حوله أو يقترحه ويراه ويسمعه .

وإنك لتلاحظ واضحاً أنه كان هو المحرر وكان المترجم ، وأنه إذا استعملنا مصطلحاتنا المعاصرة ، كان مجلس الإدارة ورئيس التحرير وكان المخرج ، وأخشى أن أقول إنه كان كذلك المصحح . -

ومعنى هذا أن المقتبس كانت هي فكرة كرد علي وكانت عمله .. أقدم على إصدارها لا يملك إلا قلمه .. ولعله كان يتطلع من وراء الغيب إلى بعض الأقلام التي تساعده .. ولذلك لم يكن عجيباً أن يتلاقى في الصفحة الأولى من العدد الأول هذان المقطعان :

أما أحدهما فهو هذه الضراعة الحارة التي تعبر أصدق تعبير عن تهيّب هذه الخطوة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ إليك المفزع وفيك الرجاء ومنك الهداية

فاحلل اللهم عقدة من لساني وعلمني بالقلم ما لا أعلم

كما علمت عبادك المخلصين واهدني صراطك المستقيم »

وأما الآخر فهذا التطلع المؤمل من خلال هذه الدعوة الصريحة :

« فليتفضل مَنْ أوتوا حظاً من العلم ، فكان همُّهم نفع الإنسان من حيث هو إنسان وخدمة المعارف لأنها مشاعة في الأمم نافعةٌ للعمران ويمنّوا عليها من فيض قرائحهم وثمرات أبحاثهم » .

وما بين هذين المقطعين وما بعدهما كان التعريف بالمقتبس ومذهبها الذي ستذهب فيه .

– ٧ –

ولكن السؤال الكبير هنا : كيف كان يعمل كرد علي في المقتبس ؟ كيف كان يطمع إلى إقامتها وحدَه ، والعهدُ بالمجلات أن ينوء بها العصبة أولو القوة ، وكرد علي يصدرها في القاهرة وهو بها حديث العهد ، ليس حوله أحد من أهله الأدنَين ؟

١ – إذا تجاوزنا السجايا الأخلاقية الرفيعة التي تتمثل في عزيمة كرد علي الطموح وإرادته المنيدة .. وذهبنا نتلمس طرائق كرد علي في العمل على

إصدار مجلة في رأس كل شهر تنهض لهذه المجلات الأخرى ذات الجذور الغليظة في القاهرة ، كالمقتطف والهلال والمنار - وجدنا أن كرد علي كان قدرة عجيبة على القراءة والعمل .. كان يكثر من القراءة ، وكان يفيد من كلّ ما يقرأ .. كان يقرأ بالعربية كما يقرأ بالفرنسية والتركية ، وكان يقرأ المطبوعات كما كان يقرأ المخطوطات .. ومن كل ذلك كانت تستوي له بعض البحوث ، أو يوحي إليه - أريد يلهَم - بعض المقالات ، أو يندفع في طريق الاقتباس والترجمة .. قراءاته هي التي كانت تثيره ، وهي التي كانت تفتح الآفاق من حوله .

إن كرد علي يعترف بذلك ويدلّ عليه بنفسه ، وبمثل صراحته .. فهو ينشر مثلاً مقالاً بعنوان : « فتيان يؤلفون » (١) فمن أين وقعت له فكرة هذا المقال ؟

لنستمع إلى كرد علي يحدثنا عن ذلك فيقول :

« تناقلت الصحف الدورية في الغرب هذه الأيام رأياً للمسيو إميل فاغي Emile Faguet من رجال العلم في فرنسا وأحد الأعضاء الأربعين في المجمع العلمي الباريزي قال فيه : [إنه لا ينبغي للكاتب أن ينشر ما كتب لينفع به الناس قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره - وأرجو أن تذكروا أنه كان آنذاك في الثلاثين - وما هو ، قبل هذا السن ، إلاّ معلم نفسه ومرّنُ قلمه] .

هذا الكلام الذي قاله مجمعي عريق في الغرب أومض في رأس كرد علي في الشرق وابتعث عنده فكرة جديدة فمضى يقول :

(١) المقتبس م ١ ص ٨٣

[وقد أذكرني هذا الرأي بأن في أمتنا من نبغوا قبل بلوغهم تلك المدة المعينة وأفادوا واستفادوا من ثمرات عقولهم . ولا يحضرني الآن من أهل الغرب إلا اسم الشاعرين الانكليزيين كيت وشيلي اللذين قضيا في نحو الثلاثين من عمرهما وقد راق شعرهما كثيراً من الناقدين .

أما في الشرق العربي فقد توفي ابن المقفع صاحب كليلة ودمنة وغيره من الكتب وهو في السادسة والثلاثين ، وتوفي سيبويه وهو لم يتجاوز الأربعين وقد برز في النحو حتى كان من لا يحفظ كتابه لا يعد بشيء في علم الإعراب ..] .

ومضى يكتب مقاله يتابع مثل هذه الأسماء لينتهي إلى هذه الخاتمة :

[هذا ومن يستقرِ التاريخ يجد أمثلة كثيرة للنوابغ قبل السنّ الذي ضربه الكاتب الافرنسي . على أن النفع إذا لم يحصل ممن بلغ الرشد فأحرِ به أن لا يحصل أصلاً ، وحصول النفع الحقيقي من ثمرات أعمال الكاتب قد لا يكون في الثلاثين ولا في الأربعين من عمره ولذلك قيل :

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يفخَر فليس له افتخار]

مثل هذا الموقف في مقاله : « فتيان يؤلفون » نجده وراء مقال آخر بعنوان : « عميان يؤلفون » (٢) .. بدأه كرد علي على النحو التالي : [تكاد تكون قاعدة لا تختلف أن من فقد إحدى حواسه تقوّى فيه غيرها ، فمن فقد بصره مثلاً تقوى ذاكرته ، ومن فقد سمعه يشتد إدراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت أنه كان ضريراً ، وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانجليزي وعلمت أنه كان كذلك ، وقرأت ترجمة أبي العلاء

(١) المقتبس م ١ ص ٣١٥

المعري الشاعر العربي وقلت إنه كان مثلها ، وقرأت ترجمة ابن الخناط . وقع في نفسي أن أكتب مقالاً في عميان صنفوا وأجادوا أيام كان العرب يؤلفون ويجيدون . فمنهم قتادة بن دعامة ..] ومضى يعددهم ويذكر آثارهم .

أترون إذاً إلى هذا الذهن اللمّاح الذي كان وراء صناعة المقتبس ومقالات كرد علي ؟ .

ب – ولكن كرد علي لم تكن هذه سبيله وحدها .. لم يكن يجوس ماضي العرب بهذا الضوء أو ذاك من الأضواء التي تتوالد عنده من مثل هذه المقارنات .. إنما كان يلجأ إلى الترجمة . ففي مقال له عنوانه : المجنون بالكتب (١) يكتب كرد علي هذه المقدمة القصيرة : [الغالب أن عشاق الكتب كعشاق الجمال أو هم أضلّ سبيلاً ، فتراهم هائمين خاملين لايسون على شيء في الأرض ولا يحفلون بعظائم الأمور فضلاً عن صغارها ، يجعلون الكتب روحهم وراحهم وريحانهم ، بل فرضهم ونوافلهم وأحاديثهم وأشغالهم . وكل شيء إذا جاوز الحد انقلب إلى الضدّ . وكذلك الحال بعاشق الأسفار ، فربما جوّز لنفسه السرقة ، ولكن سرقة الكتب ، بل وربما أفتى بحِلّ ذلك لمن يستفتيه] .

ثم يكشف كيف تأدّت له هذه الفكرة فيقول : [ولقد قرأت فصلاً لأحد كتاب الفرنجة فآثرت تلخيصه كما يلي . .] ثم يمضي في هذا التلخيص .

وقد يجاوز مثل هذه المقدمة القصيرة التي يمهد بها لموضوعه ليباشر الموضوع بعيداً عن هذه المقدمات فيقول : (٢) [من مقالة لأحد علماء الفرنسيين نشرت حديثاً في إحدى المجلات العلمية] ويتابع فيترجم المقال .

هذان نحوان استعان بهما كرد علي في صناعة مجلته .

(١) المقتبس م ١ ص ٨٥ (٢) المقتبس م ١ ص ٩

حـ - أما النحو الثالث فقد جاء نتيجة لاهتمامه بالتراث وتطلعه إليه .. كانت تقع له المخطوطة من المخطوطات فيتحدث عنها في باب ، ويتحدث عن مؤلفها في باب آخر ، ويقتطف منها هذه المختارات في باب ثالث :

فالوهراني مثلاً « ركن الدين أبو عبد الله محمد الوهراني الجزائري » الذي كان خطيب داريا ، القرية الدمشقية المعروفة ، كاتب من كتبة الرسائل والإنشاء في دمشق ومصر على عهد صلاح الدين ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية واتصل بالعماد الأصفهاني والقاضي الفاضل ومن في طبقتهما . له كتاب مخطوط اسمه منشآت الوهراني .

وقع هذا المخطوط للأستاذ كرد علي فتحدث عنه في باب « مطبوعات ومخطوطات » وقال [(١)] إنه [كتاب مخطوط في تسعة كراريس ظفرت به في بعض الخزائن ولا أريد أن أدلّ عليه ، إذ ما كلّ ما كتب ينبغي العناية بنشره . الكتاب جدّ في قالب هزل ، وعلم على مثال جهل ، وحقيقة في طرز خيال ، فما رأيته خلواً من شاردة تُنقل ونكتة تؤثر . . وكلام المؤلف على خلطه وضبطه يضحك العبوس، وقلما تنقبض منه النفوس ..] .

الأستاذ كرد علي يكتب هذا التعريف وكأنه يفتح الطريق لدراسة الكتاب . ثم ينقل مختارات منه لتمام التعريف به في باب آخر هو نُفاضة الجراب « ص ٥٥ » . وصفحات غيرها تحت عنوان خاص هو نكات الوهراني .

د - وأما النحو الرابع من الأنحاء التي كان يسلكها الأستاذ كرد علي في إقامة مجلته فذلك هو هذه المقتبسات التي كان يقبسها من هنا وهناك ،

(١) المقتبس م ١ ص ٤٠

ومن كتابات المعاصرين بوجه خاص ومن مطبوعاتهم .. كان إذا قرأ شيئاً أعجبه أسرع إلى إثباته .. فهذه صفحات مقتبسة من فصل للمرحوم عبد الله فكري وتلك مقيدة للرافعي يقرؤها في تجارب ديوان يُعدّ للطبع فيضع لها هذا العنوان : من الغزل العصري ، ثم يذيله بقوله : من الجزء الثالث من ديوان الرافعي الذي يصدر بعد أشهر .

ألم يقل كرد علي في فاتحة مجلته معرفاً بها : « إنها نشرة تصدر على رأس كل شهر عربي تقتبس ما تتمثل فيه فائدة صالحة من كلام الثقات الأثبات من مشارقة ومغاربة وقدماء ومحدثين .. » .

ألم يقل في أعقاب ذلك : « وقد سُميت المقتبس ولكل شيء من اسمه نصيب » !

ألم يكن للمجلة من ذلك أكبر نصيب ؟ .

ه — وليست المخطوطات وحدها هي التي كانت تمدّ كرد علي في صناعة مجلته وإنما كانت المطبوعات كذلك بعض الطرق إلى تغذية المجلة .. فقد كان يظهر الكتاب المطبوع في دمشق أو في القاهرة أو في غيرهما من عواصم العربية فيبادر كرد علي إلى قراءته .. وقلّ أن يقرأ كرد علي دون أن يكتب .. ولذلك يكتب عنه في باب مخطوطات ومطبوعات .. يعرضه وينقده وقد يوجّه أصحابه .. ويختار منه صفحات أو فصولاً يكتبها في باب خاص هو باب « صحف منسية » .. ثم لا يهمل أن يتحدث عن صاحبه في طالعة مجلته على أنه واحد من صدور المشارقة والمغاربة وهو الباب الذي كان يصدّر به المجلة .

و ـ وليست هذه الأنحاءُ وحدها موارد كرد علي التي يردها ، ومصادره التي يصدر عنها .. وإنما نجد في المجلة بابين هما أثر من آثار الاقتباس : اقتباس من المجلات الأجنبية سبيله الترجمة ، كما في باب سير العلم أو سير العلم

والمجتمع كما سماه بعد ذلك .. واقتباس من المجلات العربيـــة وسيله القراءة والاختيار .

ومن الحق أن أقول هنا إنّ هذه المقتبسات في هذين البابين لم تكن تتجاوز الجُذى الصغيرة .. لم تكن أبحاثاً في العلم ولا عرضاً لنظرياته وإنما كانت طرائف من طرائفه . وذلك هو الذي يفرق ما بين مجلة كرد علي وما بين المقتطف مثلاً .. ولم تكن الأسطر القليلة من هذه المجلة أو تلك من المجلات العربية أو الأجنبية إلا اشارات خاطفة لبعض ما يكتب هنا وهناك .

ومن المؤكد أن بعض هذا الذي كان ينشر من هذه المقتبسات كان يوقد به ناراً يصطلي بها أو نوراً يهتدي به .. إن ذلك كان يمهد الطريق أمام كرد علي لتوسعة هذه الإثارات أو الإشارات . فحين نشر مثلاً نبذة صغيرة من مقال في إحدى المجلات الفرنسية عن حريق مكتبة الاسكندرية ورثه ذلك سلسلة من المقالات بعد ذلك .



- ٨ -

وكذلك يتبدّى لنا من هذا العرض المتمهل أمران : أحدهما الأبواب الرئيسة في المجلة ، والآخر : كيف كان كرد علي يصنع هذه الأبواب .

ويستقر في نفوسنا أن الرجل كان يملك وقته وكان يملك عزمه ، وكان يملك قدرته الهائلة على أن يستثمر هذا الوقت خير استثمار ، وأن يستفيد ويفيد مما يقرأ على خير ما تكون الإفادة والاستفادة .. أو على حد تعبيره المحكم الذي استعمله ذات مرة : على خير ما يكون الاقتباس والإقباس .

واضح جداً أن منطلق كرد علي الأول في عمله في المجلة إنما هو قراءاته .. ثم يكون تنوّع هذه القراءات بين العربية والفرنسية والتركية ..

ثم يكون تنوّع القراءات بين المطبوع والمخطوط .. ثم يكون استثمار هذه القراءات في الأبواب المختلفة على هذه الانحاء المختلفة : استيحاءً أو استلهاماً، اقتباساً أو تلخيصاً ، ترجمة كاملة أو مقتضبة ، تحقيقاً أو تمهيداً للتحقيق .

وعلى قدر ما كان من قراءات كرد علي كان من كتابته .. كان أسرع الناس إلى قلمه ، وأقدر الناس على أن يجري به على الورق ، وكان قلمه أسرع الأشياء في تلبيته لا يسأله تلبثاً أو تمهلاً ، وكان أطوعَ له من بنانه .. لا أرناً ولا صَعْباً ، وإنما كان مذللاً منقاداً .. إنه لم يكن أداة خارجة عنه يستخدمها ، وإنما أضحى جزءاً منه يتحرك به كيف يشاء ويحركه كيف يشاء .

وحين تحدث كرد علي في المذكرات ذات مرة في أنه قد تمر الأشهر لا يكتب فيها صفحة فإن ذلك لا يعني استعصاءَ القلم عليه ، وإنما يعني أنّ مزاج كرد علي كان قلقاً ، أو أنه كان يتأنى بخمّر ما يريد أن يقوله .. وإلاّ فقد آخى كرد علي أتمّ مؤاخاة بين ذاته وعمله ، بين قراءاته وكتابته .. وكأنما كانت كتاباته الكثيرة في الجملة هي الوجه الآخر لهذه القراءات الكثيرة .. كانت استجابة لها ، واستلهاماً منها ، وتطابقاً معها .

— ٩ —

وأحسب أن مثل هذه الاستجابات المتطابقة بين قراءاته وكتاباته هي التي تتيح لنا أن نفسّر ما كان قد وُجّه من نقد إلى كرد علي .. نقد مكتوب حيناً ونقد متداول حيناً آخر .

خلاصة هذا النقد أن كرد علي كان لا يلتزم دائماً بالإفصاح عن مصادره في جزئيات ما يكتب .

لقد وجه إليه هذا النقد في أول عمله في المقتبس ، على نحو ما سيوجه إليه بعدُ ، حين ينجز عمله الخالد في إصدار خطط الشام .

في الخطط نشر كرد علي في آخر الكتاب ثبتاً بأسماء العشرات من المخطوطات والمطبوعات التي اعتمد عليها وأفاد منها في جملة هـذا المؤلف الضخم .. ولكنه لم يربط بين جزئيات المادة التي عرضها وتحديد المصدر الذي أخذ عنه ، أو قل لم يفصل فصلاً واضحاً بين ما يكتبه وما ينقله ..

وفي المقتبس اضطر المرحوم رشيد رضا بعد أن رحب بالمجلة أن يقول كلاماً هـذا بعضه : [ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته إلى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه ..] [1] .

ومثل هذا الكلام ونحوه قاله أحمد زكي فيما كتب به إلى الأستاذ كرد علي : [وعندي أن الأجدر أن تترك : قال أحدهم ، وروى بعض العلماء أو أحد الأساتذة ، وتنسب القول إلى قائله مباشرة فإن هذا الباب فتح قديماً باب التلاعب في كثير من العلوم ، وكذلك اليوم فلاغنية لمن يريد أن يخدم العلم عن التصريح بأسماء المنقول عنهم] [2] .

ومضى على مثل هذا النقد الأب أنستاس ماري الكرملي فقال في خطابه لكرد علي : [عربتم فصلاً عن إحدى المجلات العلمية لم تذكروا اسم المجلة وهو أمر مهم في مثل هذا المقام . وكذلك لم تنوهوا باسم الكاتب الأصلي . وقد تكرر ذلك عدة مرات فأظن أن الأحسن ذكر كل جريدة باسمها وكل مؤلف باسمه] [2] .

(١) المقتبس م ١ ص ١١٢ (٢) المقتبس م ١ ص ٣٦٧ — ٣٦٨

وأيّاً كان الأمر في هذا اللقاء بين قراءات كرد علي وكتاباته ، وأيّاً كانت وجهته في العزو والإسناد .. فإن الذي ننتهي إليه مطمئنين أن مجلة المقتبس كانت مجلة كرد علي الخاصة يصنعها هو بنفسه وعلى عينه .

ولذلك قلّ أن نجد فيها ، وفي سنواتها الأولى بخاصة في القاهرة ، كتاباً آخرين .. هنالك قصائد للرصافي والزهاوي وبعض مقالات لأصدقائه وإخوانه من مثل أحمد زكي باشا وتيمور باشا ، أو لبعض مريديه من مثل الأستاذ محمد لطفي جمعة .. وهنالك بعض الأسماء التي لم تكن معروفة والتي كانت تكتب له من امريكا أو من غيرها .. وهنالك وهنالك .. ولكن كان هناك دائماً كرد علي الذي يكتب ويلخص ويقبس ويترجم حتى يكاد المرء لا يفرق — لولا بعض الأبواب التي سأشير إليها — بين المجلة وبين صانعها .

— ١٠ —

لقد تحدثت عن المقتبس كيف صنعه كرد علي دون أن أتوقف عند البواعث الأولى . وما أشد ما تمنيتُ لو اكتمل عندي تمثّلُ هذه البواعث التي دفعت به نحو هذا العمل ... لقد جاء كرد علي مصر يحرر في صحفها ومجلاتها .. كتب في المقتطف والمؤيد والظاهر واكتسب شهرته من خلال هذه المقالات . فلماذا آثر ، بعد ذلك ، أن يتفرّد بمجلة ينشئها وحده ، ويصدرها وحده ، ويحمل عبء مسؤولياتها المادية[1] والمعنوية وحده .. ماذا كانت العوامل التي دفعت به في هذا الاتجاه الصعب ، وما الذي حمله على هذا الاختيار العسير ؟

(١) في آخر السنة الثانية وأول السنة الثالثة حديث عن التكاليف المادية .

لستُ أملك رأياً قاطعاً ، ولم أتبين الفكرة الواضحة وإنما هو حدس من الحدس الذي يقع عليه المرء أو يقع له من خلال ما يقرأ ، ويتناهى إلى أعماقه تناهياً لا يدري كيف ابتدأ وأيّة سلك ولا كيف نما من خلال التتبع .

إن كرد علي — وقد رأى هؤلاء الذين هاجروا قبله إلى مصر وظفروا فيها بالمكانة والشهرة عن طريق الصحافة — لم يرَ أنه دونهم قدرةً .. لعل شيئاً من شعور المنافسة أو الإحساس بالغيرة كان بدأ يحوك في صدره.. والنجاح ، كما يقولون ، يدفع إلى نجاح .. وقد أرادته صحف ومجلات كثيرة على أن يسهم فيها ، ومقالاته لم تكن سبباً لشهرته هو فحسب ولكنها كانت إسهاماً في تغذية هذه المجلات وشهرتها .. فلعله من هنا بدأ يفكر في عمل مستقل ولعله كان ينظر في هـذا العمل المستقل بعين متطلعة إلى المقتطف يريد أن يوازيها أو يضيها .

إن حديثه عن المقتطف في مقالة عقدها له في المقتبس [1] يشي بذلك وينمّ عنه ، ولست أريد أن أثبت المقال أو أن أقبسه كلّه .. ولكني أتمنى على الذين يُعنَوْن بدراسة كرد علي أن يقرؤوا هذه المقالة فقد ينتهون من ذلك إلى مثل ما انتهيت .

ومع ذلك فإليكم بعض الفقرات :

« .. قلّ في المشاريع ، ولا سيما العلمية منها ، ما سار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي ، ولذلك قلّ في أربابها المأمون . أما صاحبا المقتطف فعملا أولاً تحت نظارة أستاذ لهما عظيم هو الدكتور كرنيليوس فانديك

---

(١) المقتبس م ١ ص ١٧٢

الأميركاني . ولم يخرجا عن حدّ الخطة التي رسمها لها فكانت صفحاتها بادىء ذي بدء قليلة ، وكتابتها لاتخلو من ضعف، وموضوعاتها بسيطة تتناولها أذهان الصبيان لأدنى نظر . وعلى ما قام من المنشطين لعملها في ذلك العهد من رجال البلاد لم يبلغ المقتطف الغـــاية التي كانت ترجى له من الانتشار وكثرة الانتصار » .

« ... ولقد خيف عليه السقوط أولاً .. ولو لم يمزجا عملها بشيء من التقية والمداراة وبهضا النفس في الأحايين لكانت أقل صعوبة يلقاها مثل هذا المشروع تكفي في إخفاق المسعى .. ولو ظل المقتطف يقبل المناقشة فيا يكتبه لانصرفت وجهته عن الكليات إلى الجزئيات وضاع المقصود من إنشائه فقد نصح لها أستاذهما بالعدول عن خطة المباحثات . . ومنذ ذلك أخذت كتابة المقتطف وأبحاثه ترتقي مع الزمن بكثرة مران القائمين عليه .

« .. وقد عرف المقتطف بحسن التنسيق ولطف الأداء .. كما عرف بحسن الاختيار وانتقاء الموضوعات المفيدة . . وجرى في توقع المناسبات على قدم المجلات الأميركية والانجليزية من إعداد مقـالات للنشر في كل آن ومقالات لا تنشر إلا في أوقات خاصة .. ويقول منشىء المقتطف إنه يؤلفه من مجلات كثيرة لأهل الاخصاء من علماء السكسونيين .. » .

« بقي أن أقول إن للمقتطف مغامز لا بأس بعرضها عليه ألا وهي ظهور الغرض في مطاوي ما يكتب .. » .

— ١١ —

وسلوكية كرد علي في المقتبس سلوكية رائعة تلفت النظر حقاً . . والعهد بالناس أنهم لا يحبون النقد .. فإذا بدت منهم رغبة فيه آثروا أن

يكون همساً لا يسمعه الآخرون .. ولكن كرد علي كان يتسلح بخلق رفيع عال .. فقد كان حريصاً، منذ العدد الأول ، على أن يعرف آراء الناس في عمله ، وأن ينشر هذه الآراء .. والمعجب المغرب أنه لم ينشر من ذلك ما يتصل بالتقريظ أو الثناء . . وإنما كان يعمد بين عدد وعدد إلى أن ينشر ما يوجه إلى المقتبس من نقد فحسب . فهذا هو في خاتمة العدد الثاني مثلاً ص ١١١ يحمد ويشكر الذين كاتبوه وشافهوه « من رجال الأمة أجمل شكر وحمد لما تكرموا به من عبارات التنشيط على نشر المقتبس سواء كان بالخطاب أو بالكتاب ، كما نثني أطيب الثناء على الصحف العربية على اختلاف نزعاتها وموضوعاتها التي ذكرت صدور هذه المجلة ونوّهت بها . ونسأل الله أن يحقق آمالهم وآمالنا ويصلح أحوالهم وأحوالنا .

وهنا ننشر تتميماً للفائدة ما تفضل به صاحب المقتطف وصاحب المنار الغراوين من نقد المقتبس عملاً بالتماسنا منهما .. وهاك ما قالوه ... » .

كرد علي إذن كان يطلب النقد طلباً ويلتمسه التماساً . وكان يذيع هذا النقد في مجلته ذاتها على ما قد يكون فيه من قسوة . وحسبك أن تنظر فيما نشره من نقد المقتطف له لترى أنه نقد يسيرٌ ما كان أجدره بأن يتجاوز .. وحسبك كذلك أن تنظر فيما كان من نقد المنار لترى كيف وصفه « أو وصمه » بأنه مبتدىء ، وإن كان وقع على نقاط جديرة بالنقد حقاً .

وتَنِمّ العبارات التي كان يكتبها محمد كرد علي في تقديم هذه الانتقادات عن تواضع علمي جدير بالتقدير له والثناء عليه .. وعن رغبة جامحة في الإفادة من كل ما يقال عنه أو ينبه إليه .. إنه يقول في تقدمة ما نشر من رسائل منتقديه :

« وفي مأمولنا أن نصلح ما يمكن إصلاحه من وضع هذه الصحيفة وموضوعاتها على الزمن ، حتى يجيء منها ما يفيد ويروق بعون الله وتسديده. ورجاؤنا إلى من أوتوا العلم الرجيح ورزقوا ملكة النقد الصحيح أن يقبسوا المقتبس من أنوارهم كلما عنّ لهم ذلك . ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي[1] .. »

ويبدو أن الذين كتبوا إلى المقتبس يبدون آراءهم فيه أثاروا عنده حيرته وحمّلوه من ذلك ما لا سبيل إلى تنفيذه . ويقول هو عن ذلك : « ولقد اختلفت آراء المفكرين والعالمين : فمن قائل باختصار مقالات المقتبس ، ومن قائل بإشباعها وتوفية كل مبحث حقه من الشـرح . كما اختلفت المذاهب في أسلوب إنشائه : فمن قائل إنه يصعب فهمه على غير المتعلمين أو دون الرجوع إلى المعاجم كما قال بعضهم ، ومن مصرّح أن لغة المجلات ينبغي لها على كل حال أن تكون أرقى من لغة الجرائد لأن قراءها من الخاصة أو ممن يدانيهم . ويرى الفريق الأول أنه لا بأس باستعمال ما استعمله العرب من التراكيب أيضاً ويرده بعضهم ويفنّده . واعترض بعضهم على استعمال الإشارات الجديدة - يريد إشارات التنقيط – قائلين إن ذلك لا يجدر إلا بكتب الأطفال والنساء ، واستحسنها بعضهم وأراد الإكثار منها للإفهام . ورأى بعض العلماء ضبط الكلمات المبهمة .. »[2] .

ولم يتردد كرد علي أن يعترف جهاراً بأخطائه في استعمال بعض الألفاظ والتراكيب ، فقد بدأ ذلك حين نشر رسائل هؤلاء المنتقدين له في مجلته . من مثل رسالة الأب الكرملي وفيها : « وقلتم : التوابل السلَطات

(١) آخر الجزء الثالث من المجلد الأول ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦ – ١٦٧

والصحيح أن هذه غير تلك ، وذكرتم اسم المغنطيس بمعنى البوميل ولا مشابهة بين الاثنين وكلاهما معروف عندنا باسمه ومميزاته ، وذكرتم النيترات باسم البورق وليس الأمر كذلك وبينهما بون بيّن »(١).

— ١٢ —

وبعد ، فهل أخرج كرد علي المقتبس أم كانت المقتبس هي التي خرّجته ؟. ما هي هذه الصلة بين المجلة وبين صاحبها .. أيها كان يعمل في صاحبه ويؤثر فيه وكيف كان هـذا التأثير وما مداه ؟. وهل بقي كرد علي في حدود المجلة أم هو جاوز ذلك إلى بعيد ؟.

في تقديري أن من أروع ما كان من كرد علي أنه استطاع أن يتسامى على عمله في المقتبس وأن يتجاوزه .. لم تقيد المجلة هذا الرجل الكبير .. بدأ بها ولكنه انتهى إلى الانفصال عنها .. إنه استطاع أن يغادر حدود الصحفي صاحب المجلة إلى أن يكون العالم .. ولم يصنع كرد علي المقتبس فحسب وإنما صنع نفسه من خلال المقتبس .

إن الصحافة — وحتى الصحافة الأدبية — تستنزف أصحابهـا ، تسترقهم وتمتصهم .. إن لها في الاسترقاق سطو ظالم ، وفي الامتصاص شره قطعة كبيرة من اسفنج مكروب .. وكثيرون أولئك الذين يقعون فريسة لها .. فريسة لعملها اليومي المنهك ، وطعماً سائغاً لهذه الاستمرارية التي تطبع الصحافة والتي تفرض على أصحابها قيودها وسدودها .. هم ينشئونها ويضعون خطتها ، وهم بعد ذلك يقعون أسرى لهذه الخطة .. أسرى لا يفتكون ولا يرغبون هم أنفسهم أحياناً في هذا الافتكاك .. اليوم

(١) المقتبس م ١ ص ٣٦٧ — ٣٦٨

يقودهم إلى اليوم الذي بعده ، والأسبوع مُحْكَم قيدهم بالأسبوع الذي يليه .. والشهر يحبسهم ، لايخرجهم إلاّ إذا كان محاقه ، ثم يسلمهم في ليلة مظلمة ليلاء ، إلى الشهر الذي يلد منه .. إنهم يعيشون في هذه الحلقة الدائرة ..

ولكن كرد علي الذي كان شديد الإحساس بذاته ، على تواضع حين يطيب التواضع .. استطاع أن يتسامى على الصحيفة أو على المجلة التي أنشأها .. لقد عرف كيف يصنع الشرنقة من الحرير دون أن يختنق فيها .. وخرج منها لينسج طرازاً آخر أو لنقل طُرُزاً أخرى .. ولقد استطاع أن يكون حجر الأساس الذي يرفع البنيان دون أن يخفيه البنيان .

صفحات المقتبس كانت تجربة في حياة كرد علي في فترة معينة من أجل حياة كرد علي في الفترات التي جاءت بعدها ... والمقال فيها لم يكن مقالاً كما هو الشأن في أكثر المجلات ، ولكنه كان بذرة كتاب .. بذرةً منتقاة ونقية .. والتعريف بالمخطوط والوقوع عليه كان بداية تحقيقه .. وترجمة صفحات من كتاب جديد أجنبي يطّلع عليه كان طريقاً إلى ترجمة الكتاب كله .

بل لقد كان المقتبس مضماراً لكرد علي بالذات .. ألم يمارس فيه الترجمة العلمية ؟.. ألم تكن فيه بدايات عملية التحقيق .. ألم يكن باب المخطوطات والمطبوعات نافذته على التراث القديم من نحو ، وعلى متابعة مايصدر من كتب والنظر فيها من نحو آخر ؟ .

لقد استحالت مجلة المقتبس بعد ذلك مجموعة من الكتب .. بل إني لأتساءل ما الذي يبقى من المقتبس ، من عمل كرد علي نفسه ، إذا نحن رفعنا هذه الأشياء التي آلت أن تكون كتباً ؟

المقالات التي كتبها أصدقاء المقتبس .. تلك لأصحابها .. وباب سير العلم والمجتمع ، أو باب تدبير المنزل في بعض الأعداد الأولى ، بابٌ تتجاوزه السنون ، ثم هو لم يكن يزيد على النتف الصغيرة والتي كان هدفها ، آنَ نُشرت ، الإثارةَ والارتباط بحركة التقدم ، في التطبيق العلمي بأكثر مما كان هدفُها متابعة حركة العلم المجرّد .

أما ما بعد ذلك فإننا نجده في « أمراء البيان » ، ونجده في « رسائل البلغاء » ، ونجده في « القديم والحديث » ، ونجده في « غرائب الغرب » ، ونجده في كتاب « تاريخ الحضارة » .. ولعل بعض ذلك مما نجده في الإسلام والحضارة العربية .

إن ما لم ينشر من كتابات كرد علي في المقتبس على هيئة كتاب ، من مثل ما كتبه في باب مطبوعات ومخطوطات ، استقر في ضمير كرد علي ودخل في مؤلفاته الأخرى على نحو غير مباشر ..

أتراني أستطيع أن أقول بعد ذلك إن كرد علي لم يكن يصنع مجلة وإنما كان يمارس صناعة التأليف التي سيكون لها بعد ذلك في حياته شأن أي شأن .

- ١٣ -

ولكن كرد علي كان في الواقع يصنع مجلة .. كانت المجلة للآخرين يفيدون منها .. كانت لهـذا الجيل الذي بدأ يتلمس المعرفة في صورها الجديدة .. سواء في ذلك المعرفة العلمية أو المعرفة الأدبية ، وسواء في ذلك الدراسات الإنسانية المعاصرة في اللغات الأجنبية أو الدراسات الإنسانية في كنوز الأجداد ومخلفاتهم .

ويحدثني الذين كانوا يعاصرون المقتبس كيف كانوا يترقبون صدوره ،

وكيف كانوا يتلقفون أعداده ، وكيف كانوا يتحلقون حول مقالاته وأخباره .. لقد دخل المقتبس حياة جيل كبير من قدامى المثقفين ، فأضاء لهم الطريق وقرن في حياتهم بين معارفهم التي كانوا يعرفون وبين المعارف الجديدة التي أتاحها لهم .. ودخل كذلك حياة جيل كبير من ناشئة المثقفين آنذاك فأوقد في صدورهم العزم وابتعث عندهم العمل في نطاق الثقافة العربية ، تأليفاً أو نشراً أو تحقيقاً .. ولقد كان للمقتبس في نفس قرائه مثل الذي كان له في نفس صاحبه .. ولعلها المجلة الولود التي كان ينمو صاحبها وكان ينمي من حوله .. كان يسمو هو وكان يُسْمي من حوله . يرتفع درجات ويرفع الآخرين إلى قريب من هذه الدرجات .

— ١٤ —

تلك خطوط أولى في محاولة دراسة المقتبس . إني أضع ما انتهيت إليه موضع المناقشة .

وكنت على أن أعالج المقتبس المجلة والمقتبس الجريدة .. ثم رأيت أنهما عملان من طبيعتين مختلفتين .. واشتراك التسمية بين الصحافة اليومية والصحافة الأدبية لا يجعل منهما نوعاً واحداً .. وصدورهما عن رجل واحد لا يعني إلغاء الطبيعة الخاصة للصحيفة اليومية الإخبارية والصحيفة الثقافية الشهرية .. هنالك غايات تستقطب أحياناً جهود الإنسان في أيّ ميدان كان .. كأن تغلب عليه دائماً نزعة إصلاحية أو دعوة فكرية أو سلوك محدود .. ولكن ذلك لا يعني توحّد أعماله وانصهارها كلها في شكل واحد .

ولهذا تجاوزت المقتبس الجريدة ووقفت عند المقتبس المجلة .. ثم لما مضيت أعرض المجلدات الثمانية والعددين اليتيمين بعدها ، وهي كل ما صدر منها على مدى عشرة أعوام أو تزيد توقفت خلالها المقتبس عن الصدور مرتين ،

لما مضيتُ أعرض هـذا بعد المرضة الأولى استبان لي أن المجلدات الأولى التي صدرت في القاهرة تشترك مع المجلدات الأخرى التي صدرت في دمشق ، ولكنها تختلف عنها بقدر ماتتفق أحياناً .. تغيّر الرجل لا شك بعد عقد من السنين .. لقد بلغ الأربعين واكتسب تجربة وخبرة وسفراً .. فقد رحل إلى الغرب ورأى بعينيه هذا العالم الذي كان يقرأ عنه .. وقامت أحداث تاريخية خصبة من مثل إعلان الدستور العثماني ، واختلفت عليه البيئة من حوله بعض الاختلاف .. فما كان في القاهرة لم يكن في دمشق على تواصله مع إخوانه وأصدقائه في القاهرة .

وكذلك استقر عندي أن من الخير لهذه الدراسة ومن الإحكام لأحكامها أن اقتصر على السنوات الثلاث التي صدرت في القاهرة .

وإذن فإن الكثرة الكاثرة مما انتهيتُ إليه من نتائج ووقفت عليه من ملاحظ في هذا الذي أقوله اليوم إنما هي للمقتبس القاهري . وتطابقُ ذلك مع المقتبس الشآمي يحتاج إلى فضل تتبع وعمق قِران .

— ١٥ —

وبعد ، فقد كان علي أن أقف عند جملة من النقاط الأخرى التي أغفلتُ عامداً الحديثَ عنها كأنْ أتمهل بخاصة عند المقالات التي كان يصدّر بها أعداد المجلة والتي كان لها عنوانها الثابت : صدور المشارقة والمغاربة .. وأن أتساءل كيف كان يختار هؤلاء الصدور .. أكان ذلك عفواً من العفو أم قصداً من القصد .. أكان أثراً لما يقع بين يديه أم كان عن خطة وهدف .. على وضوح الهدف وغياب الخطة .. ولكني لم أهتد في ذلك إلى ما أطمئن إليه .

وفي المجلة كتاب : بعضهم كان يكتفي بالحرف الأول من اسمه ، أهتد كذلك إلى معرفة بعضهم .. وليست تلك هي القضية الأولى وإنما دراسة هؤلاء وتصنيفهم تبعاً للمادة التي كتبوا فيها والموضوع الذي طرقوه ، أو تبعاً لثقافاتهم ومنازلهم تطرح بعض التساؤلات وقد تقود بعض هذه التساؤلات إلى بعض النتائج .

- ١٦ -

وعلى أن دراسة أسلوب كرد علي البياني أمر لا يستغنى عنه . وعلى أنه لا يمكن أن يستفاد من خلال ما نشر في هذه السنوات الثلاث في المقتبس فحسب .. على هذا وذاك فأنا أحب أن أشير إلى أن الباحثين متفقون على أنه خرج على السجع وثار عليه وآثر الأسلوب المرسل . ولكنه مع ذلك كان له في الكلمات التي يكتبها في بداية كل سنة ، وفي نهايتها أحياناً أسلوبٌ هو أقرب ما يكون إلى أسلوب فرسان النثر العربي .. بعضه من الجاحظ ، وبعضه من التوحيدي ، وبعضٌ من ابن المقفع ، وبعض من نثر القرن الرابع .. وكان كثيراً ما يحليه ببعض السجع .. ولكنه هذا السجع الحرّ المطلق إن صحّ هذا التعبير ، وببعض البديع الذي يظلّ يصدر عن إيثار الفكرة لا عن تغليب اللفظ . واسمعوا ما يقوله في فاتحة السنة الأولى :

« وستنكبّ — أي المجلة — في مسطورها مذاهب المذاهب والنحل ، وتتجافى عن طَرْق طُرُق السياسات والدول ، حتى تصفوَ مواردها من النزعات والنزغات ، ولا يستهويها في جانب ما تعتقده الحق وازعٌ ولا مُنازع ، تتمحّض للعلم المحض فلا يتحرج من تلاوتها الموافق والمخالف ، ولا يتبرم

بها العارف والعزف ، وتنطلق في الفكر وتتجوَّزُ في الاقتباس والنشر ، وتُدْرجُ في مطاويها ما وافق أغراضها ومغازيها .. »[١] .

لقد أثار هذا المقطع صديقه العلامة الأمير شكيب ارسلان .. ذلك أن كرد علي لم يجاف السجع فيما كان يكتبه فحسب بل أنكر ، فيما كان يكتب أصدقاؤه ، أن يقع لهم شيء منه .. ولذلك أصاب منه الأمير شكيب هذه الدعابة حين كتب إليه في أعقاب قراءته للعدد الأول ؛ قال : [٢]

« وآنستُ في نفسك انشراحاً ونشاطاً ، وقلةً في كمية السوداء وانحطاطاً . يدل على ذلك في مجلتك فكاهاتٌ رويتَها ، ومداعبات أتيتَها ، وأسجاعٌ ملتَ اليها . متى كنت يا محمد مولعاً بالسجع ! عهدي بك لا تطيقه ، وإذا مررتَ بالجناس ولو تمثل لك واقفاً رفسته برجلك وأكببته لوجهه . وطالما نَقِمتَ علينا التسجيع ، وأقمت علينا من النكير بعدد أنواع البديع ، وعددتَ سَجْعَ الحمام من قبيل نَجْعِ الحمام ، واعتبرت تجانس الجناس من وساوس الخناس فهاأنذا أسجع الآن ولا حرج عليَّ منك ولا تثريب ، وأجنّس وأنت ساكت ساكن وهذا أمر غريب .. فهل هداك الله إلى الصواب الآن حتى صرت في « مذاهب المذاهب وطُرْق الطرق » ، أو هل نزغت بك نزغاتٌ جداد ، وجدَّت بك أهواء لم تكن تعتاد ، أو لعلك حصرت السجع والجناس في فاتحة المجلة لأنها من المجلة كقاعة الاستقبال من البيت ، فلابد فيها من مراعاة الأمور الرسمية والسجع رسمي في المقدمات.. ولاعيب في هذه المقدمة إلاهذا السُّعدانالذي في آخرها[٣].

---

(١) واقرأ بقية المقدمة . (٢) المقتبس م ١ ص ١٦٨

(٣) كان كرد علي ختم المقدمة بقوله : سبحانه وسُعدانه .

لاتؤاخذني بالله عليك فلي عندك ثارات، وبصدري من حماطة الجلجلان حزازات، وأنت منصف فلا ينبغي أن يثقل عليك الحق كما يثقل على غيرك .. الخ ».

وددتُ لو قرأتُ عليكم فاتحة السنة الثانية وفاتحة السنة الثالثة كذلك .. لكني اكتفي بهذه الإشارة إليها والإشادة بها .

* * *

وبعدُ، فقد قلتُ إن كرد علي حين كان يصنع المقتبس للناس كان يصنع لنفسه كتبه .. أفيحق لي أن أضيف أنه كان كذلك في الحين نفسه يضع البذور الأولى لمجلة مجمع اللغة العربية ؟..

أكانت مجلة المجمع في منهجها العام وفي تشعبها على هذه الأبواب الثلاثة : المقالات . والنقد والتعريف، والآراء والأنباء إلا تهذيباً لشكل المقتبس ؟ . أكانت مجلة المقتبس إرهاصاً بمجلة المجمع أو تمهيداً بين يديها ؟ .

أفلا يحق لنا إذاً نحن الذين نفيد ونستمتع ونقبس من مجلة المجمع أن نذكر مقتبس كرد علي دائماً وأن نتوجه إليه بالتقدير المتجدد العميق .. وهل كان هذا الاحتفال إلا تجسيداً لهذا التقدير ؟ .

سنظل أيها السادة نحار أيها كان أكبر : قدرةُ هذا الرجل على العمل أم قدرته على التأثير المتصل الذي تجاوز حياته وعصره إلى عقود وعصور تأتي ستظلُّ تشهد له وستظل تحتفل به وتفيد منه ما ذكرت الأجيالُ العربية تاريخها ولغتها . وهل ينسى العرب تاريخهم ولغتهم ؟.. ما كان ذلك ولا كان ولن يكون إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذكريات وآراء عن الأستاذ محمد كرد علي

الدكتور فيصل دبدوب

رحم الله الأستاذ محمد كرد علي رحمة واسعة ، فقد ترك فقده فراغاً لا يملأ وخسارة لا تعوض .

عرفت الأستاذ الرئيس وأنا طالب في كلية الطب بجامعة دمشق (الجامعة السورية) في مطلع الأربعينات ، إذ كنت أحرص على أن لا تفوتني محاضرة له ، فكنت أبكر في الحضور إلى المجمع العلمي العربي لأكون في الصف الأول حيث كانت قاعة المحاضرات في العادلية سرعان ما تكتظ بالحاضرين من الشباب المثقف ومن شبان شيوخ الدين ، ولم أجد لحية بيضاء بينهم إلا ما ندر ؛ وقد عرفت سبب ذلك بعد تعرفي إلى الأستاذ إذ قال لي ذات مرة إنه كان حرباً على الجامدين من رجال الدين ، وهذا هو سبب القطيعة . أما المرأة فقليلاً ما كنت أرى من هـــذا الزوج (الجنس) بين المستمعين في قاعة المحاضرات إلا في محاضرة عن المرأة عنوانها « القول في حقوق المرأة » ألقاها في « ٢٢ حزيران عام ١٩٤٤ م » فقد كان عددهن آنذاك ليس بالقليل .

خبرت الأستاذ الرئيس من محاضراته عالماً غزيراً ، ولغوياً قديراً ، ومؤرخاً منصفاً ودقيقاً ، قبل أن أجلس إليه أستمع إلى آرائه ، وقبل أن

أقرأ مؤلفاته وآثاره . وحبب إلى نفسي سماع محاضراته حسن إلقائه ، ودقة ألفاظه ، وجودة تلفظه ، وتأنقه في أداء القول دون تصنع ، وتلون أسلوبه بتنوع موضوعاته ، حتى لتخاله الفنان يلبس كل واحدة من حسانه ما يناسبها من طرز وألوان أبدعتها ريشته . وأسلوب الأستاذ له طابع خاص - رغم تلونه - يضمه في إطار ؛ فهو سهل ممتنع أشبه بأساليب البلغاء في صدر الدولة العباسية كعبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي ، وهو رقيق دقيق مسترسل غايته أداء المعنى دون تكلف أو حشو ؛ فهو في هذا أشبه بكتّاب الاجتماع والفلسفة في الغرب من أمثال فولتير ، وروسو ، وسبنسر ، ورنان . يضاف إلى هذا ما رصع به بعض بحوثه من مصطلح حديث وضعه المجمع العلمي العربي أو غيره لمسميات حديثة ؛ فجمع في أسلوبه بلاغة العرب ودقة أساليب الغرب .

لقد زادني خبرة في الأستاذ جلوسي إليه في مكتبه بالمجمع العلمي من حين إلى حين كلما رفعت إليه رسالة أو مقالاً من خالي الدكتور داود الجلبي - عضو المجمع آنذاك - . ومن ذكرياتي أني زرته مرة وكان لا يقرأ ولا يكتب خلاف ما كنت أجده عليه قبلئذ من انغمار في التدوين وانغماس في المطالعة ؛ وقد استهل حديثه معي قائلاً : أنا الآن في حوار مع نفسي في أمر يهم كل مخلص في حبه لهذه الأمة ، والحوار يدور حول السبل والوسائل التي توصل أمتنا إلى ما تصبو له من مجد ومنعة : قلت أجل وما هي ؟ قال : إحياء التراث والعلم والنظام ؛ فللأجداد كنوز يجب أن نظهرها للناس لنبين دور الحضارة العربية الإسلامية في التاريخ الحضاري للعالم ، وعصرنا عصر علم ، فعلينا أن نباري الغرب فيه ، والعلم والنظام دعامتا التمدن الحديث ، ووضعها نصب أعيننا واجب علينا تحقيقه ،

فإن فعلنا ذلك كنا جديرين بالحياة ، وإن لم نفعل فقد خنا الأمانة فحقت علينا لعنة الجدود .

وبالحق فقد وفى الأستاذ مع الأجداد حين دعا إلى احياء التراث ، فآزر الباحثين - عن طريق المجمع - وبعث هو نفسه بعض المخطوطات من مرقدها فأخرجها من طواميرها وحققها وقدمها للباحثين ؛ وهي : « رسائل البلغاء » و « سيرة أحمد بن طولون » و « حكماء الإسلام للبيهقي » و « المستجاد من فعلات الأجواد » و « كتاب الأشربة » و « كتاب البيزرة » .

قلت إن الأستاذ دعا إلى التزود بالعلم والتمسك بالنظام وتجد دعوته هـذه مبثوثة في كتبه : « غرائب الغرب » و « القديم والحديث » و « أقوالنا وأفعالنا » و « المذكرات » . وفي مقاله الذي ألقاه في المجمع في « ٧ أيار عام ١٩٤٣ م » وعنوانه : « أسباب انحطاطنا » .

وفي لقاء مع الأستاذ الرئيس سألني عن مسقط رأسي الموصل ، وعن القطر العراقي من حيث الآثار الإسلامية الباقية والمخطوطات والمناخ والحاصلات على اختلاف أنواعها والسكان والعمران وما إلى ذلك ؛ ومما قاله لي في سياق حديثه إن جده قدم دمشق من العراق للتجارة ثم اتخذها دار سكن ، فلا عجب أن أحب العراق وأهله ، ولا عجب أن توسع في السؤال عنه وأسهب ، فالمرء يحن إلى موطن الأجداد بالفطرة . وقد سألته عن أرومته فأجاب أنه كردي عربي مسلم ، فعجبت ، واستطرد قائلاً : إن عجبت فلا عجب في الأمر ، فوالدي وأجدادي من الأكراد ، وليس للمرء في أرومته الخيار ، فأنا كردي العرق ، عربي الفكر والقلب واللسان ، مسلم العقيدة ، وليس لأي لغوي متعمق في لغة الضاد ، دارس

مؤرخ راسخ في دراسة التاريخ الحضاري لهذه الأمة إلا أن يكون عربي القلب والفكر والهوى ، مهما كان محتده ومهما كانت عقيدته .

فالأستاذ مسلم سلفي دافع عن الإسلام فكان حرباً على من يطعن فيه أو يغمزه من مستشرقين وغيرهم ؛ والأستاذ عربي اللسان والفكر والهوى ، لذا كان حرباً على الشعوبيين وغيرهم من ذوي الأغراض .

سألت الأستاذ مرة عن رأيه في رسالة كان قد أرسلها إليه الدكتور داود الجلبي في إصلاح الكتابة العربية باستعمال الحروف اللاتينيه وعنوانها « رسالة تيسير القراءة والكتابة في العربية باستعمال الحروف اللاتينية » « الموصل / مطبعة آل حداد / ١٩٤٥ » ، وكان قد أرسل نسخاً منها إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة أيضاً ؛ قال الأستاذ : إن رسالة خالك ليست الأولى في هذا الباب ، فقد قدم الأستاذ عبد العزيز فهمي رسالة في هذا الموضوع إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ، وكنت ضد فكرة استبدال الحروف العربية باللاتينية ولا أزال . أنا أعلم أن الدكتور داود الجلبي والأستاذ عبد العزيز فهمي ليسا موضع شك في إخلاصهما للأمة العربية ولغة الضاد ، وأن اقتراحهما هو اجتهاد ، ولهما منه ما للمجتهد إن أخطأ أو أصاب ؛ ولكن لو قدر لهذا الاقتراح النجاح - وهذا احتمال بعيد - لخسرنا تراثنا من المخطوطات العربية التي هي كنوزنا ، بها نعتز وبها نباهي الأمم ، وبها نظهر ما أضفنا من حلقات في سلسلة تاريخ الحضارة العالمية ؛ ثم أردف قائلاً : لقد أبديت رأيي للدكتور بصراحة في هذا الخصوص بكتاب أرسلته إليه .

أشاد الأستاذ الرئيس بالحضارة العربية ودافع عن الإسلام والعروبة ، وتجد تفصيل ذلك في أثره الخالد على الدهر كتابه « الإسلام والحضارة

العربية » ؛ إن في هذا الكتاب من الصفحات المشرقة ما يجعله من أوسع المراجع في الحضارة العربية الإسلامية لكاتب عربي مسلم قدير متبحر .

أحب الأستاذ الرئيس العرب وحضارتهم وأراد أن يترجم حبه فكان كتاب « خطط الشام » ، وقد أراده أن يكون تاريخاً سياسياً ومدنياً مطولاً للديار الشامية فعمل له خمساً وعشرين سنة طالع خلالها زهاء ألف ومائتي مجلد باللغات العربية والفرنسية والتركية ، وقد أخرجه في ستة أجزاء .

وأحب دمشق وغوطتها فأخرج كتابه « دمشق مدينة السحر والشعر » . فكان من إخلاصه لعقيدته ، وحبه لأمته ، وتعلقه بتربة وطنه ومسقط رأسه ، هذه الثمار التي قدمها لأبناء الجيل ، والأجيال الصاعدة من الناطقين بالضاد . فحق علينا تسميته بأستاذ الجيل .

ولئن كان الأستاذ مربي الجيل بالفكر والمعرفة ، فهو مربيه بالنفس والخلق أيضاً ، فسيرته تعلم الوفاء والصدق ، والصبر والجلد ، فقد عشق العمل يسند إليه أو يسنده هو إلى نفسه ، فيهبه كل قلبه وكل تفكيره وكل حديثه ، وإن شئت فقل كل أحلامه . أسندت إليه رئاسة المجمع فكان — كما حدثني مرة — شغله الشاغل ؛ هو أحدوثته وهو شكواه وهو مفخرته ، وكيف لا يكون له مفخرة خالدة على الدهر والمجمع هو الذي خدم اللغة بمجلته ومحاضرات أعضائه ، وبما عرب ووضع من مصطلحات في العلوم والفنون ، وبما نشر من مخطوطات وطبع من نفائس ؛ فبعث الإيمان في نفوس المثقفين بالماضي القديم والمستقبل القريب .

إن سيرة الرجل تعلم الوفاء والصدق كما قلنا ، فقد كان وفياً مع تربة الوطن ولسان الأمة وعقيدة الملة ، وصادقاً في حبه للحق والحقيقة .

جدٌّ وقت العمل لا يعرف دعة ولا يستوطن راحة ؛ وإن ركن إلى راحة بعد جهد ، أو قبل جهد ، وربما مال فيها إلى الدعابة والنكتة ليخفف عن نفسه أعباء العمل الذي قام به أو الذي ينتظره .

لقد أفادته رحلاته في بلاد الغرب فزادت في حبه للاستقصاء ؛ فتراه في عمله يستقصي دقائقه ويستشف بواطنه ويدير بيده دقيقه وعظيمه ؛ ولا يطمئن لشيء لم يشرف بنفسه عليه ؛ فالناس منه براحة وهو من نفسه في عناء . وشأنه في التأليف شأنه في العمل سواء بسواء .

والأستاذ كما عرفته ظهرة ، يشف ظاهره عن باطنه ويتمثل قلبه في لسانه . عمله في النور دائماً ، صدق في القول ، وصراحة بجرأة ، وإرادة جبارة ؛ لا يبالي من يعادي متى صادق الحق ؛ يرد من طلب منه غير الحق في أناة ، فإن أعاد الطلب رده في جفاء وغلظة .

لقد زرت مرة الأمير مصطفى الشهابي في مكتبه ، وكان آنذاك رئيساً للمجمع ؛ ودار الحديث عن جهود محمد كرد علي في تأسيس المجمع العلمي العربي ، ومما قاله الأمير الشهابي بحق الأستاذ الرئيس : « لو لم يكن لمحمد كرد علي من فضل على الأمة العربية ولغتها إلا إيجاد المجمع ورعايته لكفاه فخراً . لقد خسرنا بفقده عظيماً لا يجود الزمان بأمثاله إلا بشح » .

فأسألك اللهم — كما سلبت الأمة العربية عظيماً من أعلام الفكر — أن تعوضها عظيماً ، وأحسن إليه كما أحسن إلى أمته .

محمد كرد علي
وعلاقته بالعلماء والكتاب العراقيين

الأستاذ عبد الرزاق الهلالي

أيها الحفل الكريم :

إن التصدي للكتابة عن المغفور له ، الأستاذ محمد كرد علي ، مهمة شاقة — بالنسبة لي على الأقل — لأن تعدد صفحات حياته ، وتشعب مجالات نشاطه ، في شتى ميادين العلم والمعرفة ، تترك الراغب في الكتابة عنه ، في حيرة من أمره ، لا يدري من أين يبدأ ، وإلى أين ينتهي .

إن هذه الشخصية الفذة ، التي لها هذا السجل الحافل ، في حقول الدين والتاريخ والأدب والسياسة والصحافة والاجتماع ، يصعب على أمثالي إيفاؤها حقها ، بل إذا كان زملاؤه الذين زاملوه وعملوا معه ، وعرفوه من كثب يتهيبون من ذلك ، فأنى لي ، وأنا الذي لا أحفظ له في ذهني إلا صورة ذات لمحات خاطفة ، وإلا معلومات قليلة ، عن حياته الزاخرة بالمآثر والمفاخر ؟ أقول : كيف يتسنى لي بعد كل هذا ، أن

أستجيب لدعوة الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، فأتجرأ لكتابة كلمة بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد هذا الرجل العظيم ؟!

ولكني بالرغم من حراجة موقفي ، وترددي في الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة ، آثرت أن أزج بنفسي في هذا الخضم ، كيلا أحرم من شرف الإسهام في تخليد ذكر هذا العالم الجليل .

وفي ضوء ما تقدم ، جعلت حديثي عنه بهذه المناسبة ، خاصاً بعلاقته ، رحمه الله ، بالعلماء والكتاب العراقيين ، منذ مطلع هذا القرن حتى وفاته ، في عام ١٩٥٣ ، لا لكونه عراقي المنبت ، كردي الأرومة ، بل لكونه في طليعة المعنيين بالفكر العربي الإسلامي ، المقدرين لكل ما ينتج هذا الفكر أو يبدع ، في حقول العلم والمعرفة . ولكني قبل الدخول في هذا الحديث ، أرى لزاماً علي ، أن أشير إلى أن كثيراً من صفحات هذه العلاقة ، قد ضاع بعد وفاة أصحابها ، أو أن معظمها لا يزال مطموراً بين مخلفات هؤلاء العلماء والكتاب والشعراء ، فإذا لم يأت هذا الحديث مستوفياً معظم صفحات هذه العلاقة ، فعذري في ذلك واضح .

ومهما يكن من أمر ، فإن الذي تؤكده الوقائع ، هو أن أولى حلقات هذه العلاقة التي تلاحمت بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين إخوانه العراقيين ، بدأت منذ أن أصدر مجلته ، المقتبس ، في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، واستمر منذئذ يزيد هذه الحلقات ، ويقوي من ترابطها ، لا سيما بعد رجوعه إلى دمشق ، ثم توليه رئاسة المجمع العلمي العربي ، فيها فترة طويلة من حياته .

وقد أوصلنا البحث إلى أن المغفور له ، الأب أنستاس ماري الكرملي ،

كان في مقدمة العلماء العراقيين الذين اتصلوا بهذا الصحفي الأديب ، عندما أخذ يبعث له بنتاج فكره ونثار قلمه ، منذ العدد الأول من هذه المجلة الزائدة ، وقد أحصى الأستاذ البحاثة كوركيس عواد ، المقالات والتعليقات التي كتبها الكرملي على صفحاتها فاذا هي عشرون مقالة وتعليقاً (١) ، وكان آخرها ، مقاله المنشور في الجزء السابع الصادر في سنة ١٩١٢ بعنوان « وصف كتاب : جامع التعريب بالطريق القريب » .

وليس من شك في أن هذه الصلة الأدبية ، ومن ثم صلة العمل المشترك في رحاب المجمع العلمي العربي ، قد زادت علاقتها قوة ورسوخاً ، انعكست آثارها في كثير من المواقف والمناسبات . وأذكر منها على سبيل المثال ، ما كتبه الكرملي ، حين أصدر صديقه ، الجزء الأول من كتابه الشهير « خطط الشام » في سنة ١٩٢٥ ، إذ قال :

« وضع العلامة الكبير ، صديقنا ، محمد كرد علي ، سفراً سيكون له أبد الدهر ، أثر فخر وذخر ، كما سيكون مستمداً لكل من يأتي بعده ، ويكتب شيئاً مفيداً عن سورية . لمثل — خطط الشام — لا يتصدى إلا طائفة من العلماء ، تفرغت للتاريخ والجغرافية والعلم والأدب ، وما يتشعب أو ما يتولد من هذه الأمهات ، إذ مثل هذا التصنيف في عصرنا يتطلب وقوفاً تاماً على ما كتب في مواضيعه المتشتتة ويختار منها ما يوافق الصدق والتدقيق ، وهذه الأمور لا تتيسر إلا لنفر يعد على الأصابع . ولما كان بعض الرجال قد رزقوا حظاً وافراً من المواهب ، حتى ان واحدهم ليقوم بما يرزح تحت عبئه جماعة ، رأينا حضرة الصديق ، في

(١) الأب أنستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته كوركيس عواد بغداد ١٩٦٦

مقام عدة رجال ، فتولى بنفسه وضع هذا المصنف الفذ من نوعه ، وشحذ فوائده بل فرائده ، فجاء حافلاً وافياً بما انتدب له ، فأدى هذه الخدمة أحسن تأدية . » (١)

وظهر لنا بعد ذلك ، أن صلة قوية قامت بين محمد كرد علي وبين عدد من كبار شعراء العراق ، وفي مقدمتهم الشاعران الكبيران ، معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ، فقد أفسح لشعرهما صدر مجلته ، لأنه كان يرى في هذا الشعر ، ما يرقص ويطرب ويهذب ! ومن طريف ما وقفت عليه من صور تمثل العلاقة بينه وبين الأستاذ الرصافي ، هذه الصورة التي وردت في حديث الرصافي الذي أجراه معه المرحوم كامل الجادرجي سنة ١٩٤٤ إذ قال :

« في هذه الفترة من حياتي التي قضيتها في التدريس في (الاعدادي ملكي) وهي لا تتجاوز الثلاث سنوات ، صرت أبعث قطعاً من شعري إلى مجلة « المقتبس » التي كانت تصدر في مصر ، لصاحبها محمد كرد علي – وكان يحرر في جريدة المؤيد اليومية أيضاً – فصرت أنا والأستاذ جميل صدقي الزهاوي ، نرسل قطعاً من شعرنا فينشره في المجلة ، وفي بعض الأحيان في جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف أيضاً .

ويظهر أن الأستاذ كرد علي ، كان معجباً بشعري ، فنشر قصيدتي بمحل بارز من مجلته بعنوان « أكبر الشعر » وكانت المقطوعة – اليتيم في العيد (٢) .

---

(١) لغة العرب ، عدد شهر آذار سنة ١٩٢٧

(٢) ومطلع هذه القصيدة هو :

أطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجع

ويظهر أن الزهاوي ، اغتاظ من ذلك ، لأنه بعد اطلاعه على هذا النشر ، انقطع عني ، وصار لا يكلمني ولا يواجهني مدة من الزمن » .

كما روى الرصافي ، قصة أخرى ، تكشف عن هذه العلاقة أيضاً إذ قال :

« وكانت القصائد تصل إلى أميركا في ذلك الوقت ، وكان في أميركا جريدة لصاحبها « نعوم البعلبكي » اللبناني ، وكان يقتبس هذه القصائد وينشرها في جريدته « المناظر » ، فكتب يوماً مقالاً قال فيه : « إن معروف الرصافي ، اسم مستعار ، لا اسم لشخص حقيقي » وأورد أدلة على ذلك منها قوله « إنه لا يمكن في البلاد العثمانية ، أن يقوم رجل وينشر هذه القصائد ، وتتركه الحكومة وشأنه ولا تعمل له شيئاً » .

فكتب له محمد كرد علي ، كتاباً خاصاً يقول له فيه « إنك مخطيء ، لأن معروف الرصافي رجل حقيقي ولنا معه مكاتبات وهو في بغداد » .

فنشر البعلبكي هذا الكتاب في جريدته وعلق عليه قائلاً : « إننا لانسلم لمحمد كرد علي بهذا القول ، مالم ينقض الدليل الذي أقمناه على ادعائنا » .

ثم يقول الرصافي : فأرسل كرد علي ، إليّ هذه القطعة وكتب فيها يقول : « ان يا فلان ، اترك هذا الرجل وما يقول ، لأن الرجل يخدمنا من هذه الناحية ، فلماذا ننبه الحكومة على أن هذا الاسم حقيقي ، وهذا يسبب اضطهادنا ؟ » .

إن ما يرويه الرصافي يؤكد ما كان بينه وبين محمد كرد علي من علاقة قوية ، وقد ظهر لنا أن هذه العلاقة ذات قوة ومتانة بعد لقائها

في استانبول ودمشق ، ولا سيما بعد أن اختاره عضواً في مجمع دمشق بُعيد قيامه .

وكدليل على تقدير الرصافي لصديقه وإعجابه به ، نثبت هذه المقطوعة الشعرية التي نظمها فيه وأرسلها تحية له إذ قال :

تعودتُ إنشادي القريض المهذبا ... ونزّهت نفسي منه أن أتكذبا
ومن أجل حبي للحقيقة لم أكن ... مع الزمن الغاوي إذا ما تقلبا
ومن أجل جُهدي في استقامة منطقي ... أبَيْتُ لرائي أن يكون مذبذبا
وسافرت في البلدان طوراً مشرقا ... أرود العلى فيها وطوراً مغربا
وصاحبت من عرب وعجم أفاضلا ... بهم كنت في شتى المواطن معجبا
فلم أر في عرب وعجم لقيتهم ... كـ « كرد علي » في الرجال مهذبا
هو العالم الحَبر الذي كنت مغرماً ... بآدابه منذ الشبيبة والصبا
فقد كان في مصر ، صرير يراعه ... يؤانسني بالممتع الغضّ مطربا
وكم كنتُ في الآداب والعلم كاشفاً ... بـ « مقتبس » من نوره ما تحجبا
إلى أن أنار الشام ، بالعلم عندما ... لمجمعنا أمسى الرئيس المرتبا
إذا معجبات العلم عنّت فلا ترى ... سواك إليها يا (محمد) معربا

* * *

أما علاقة شاعرنا الزهاوي بالأستاذ محمد كرد علي ، فلم تكن لتختلف عن علاقة الرصافي ، إذ كان ينشر قصائده ومقطوعاته الشعرية على صفحات مجلته باسمه الصريح تارة وباسم مستعار تارة أخرى .

وكدليل على متانة تلك العلاقة ، نذكر بأنه عندما مرَّ بدمشق ، وهو في طريقه إلى مصر سنة ١٩٢٤ ، أقام له صديقه كرد علي ، حفلة

تكريمية في رحاب مجمع اللغة العربية ، احتفاء به وتقديراً لمنزلته وشاعريته، فألقى الزهاوي في هذه الحفلة قصيدته التي مطلعها :

ظننت بأن الشعر يغني فما أغنى وكم شاعرٍ في موقفي أخطأ الظنا

أشاد في بعض أبياتها بالمجمع العلمي قائلاً :

أرى المجمع العلمي خير وسيلة ليزداد ذو علم على شأنه شأنا
أرى المجمع العلمي يستثمر النهى أرى المجمع العلمي يستحضر الذهنا
سيجني شباب الشام منه فوائداً وعلماً لهم ، والعلم أحسن ما يجنى
وإني لفضل المجمع اليوم ، مكبر فقد جاد بالعلم الغزير وما ضنا
سيشكر ما للمجمع القومُ من يد كما شكرت أرض على الوابل المزنا
فبالعلم يُبنى المجد في كل أمة وأمّا بغير العلم ، فالمجد لا يبنى

* * *

وهكذا منذ أن تولى الأستاذ كرد علي ، رئاسة هذا المجمع العتيد ، راح يرشح لعضويته من يعرف من العلماء والكتاب والشعراء العراقيين ، فكان أول من رشح منهم ، علامة العراق المغفور له السيد محمود شكري الالوسي ، والمحقق المدقق المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي . ثم تتابعت على مر الأيام ترشيحاته ، فكان من رشحهم لعضوية المجمع منذئذ حتى وفاته عام ١٩٥٣ ، الأساتذة المغفور لهم : معروف الرصافي ، جميل صدقي الزهاوي ، محمد رضا الشبيبي ، طه الهاشمي ، طه الراوي ، الدكتور داود الجلبي ، كاظم الدجيلي ، الدكتور مصطفى جواد . والأساتذة : العلامة محمد بهجت الأثري ، وأحمد حامد الصراف وكوركيس عواد .

وبحكم صلة العمل بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين هؤلاء الأعلام ،

كان له مع الكثيرين منهم رسائل متبادلة ، فللعلم والثقافة والأدب فيها النصيب الأوفى ، إذ كان رحمه الله على علو كعبه في العلم ، واتساع أفقه في المعرفة ، لا ينفك يبحث عن الحقيقة ، ويقطع الشك باليقين ما أمكن ، فهو من أجل هذا لا يأنف من السؤال ولا يكل عن المتابعة ، رغبة في الوصول إلى محجة الصواب ، والتثبت ، قدر الإمكان ، من صحة ما سوف ينشره على الناس من بحث ، أو يحقق من كتاب .

ولم يكن بمقدوري ، وأنا أبحث عن هذه العلاقة ، الوقوف على بعض تلك الرسائل ، لضيق الوقت ، إلا أني وقفت لحسن الحظ على واحدة منها ، أثبتها في أدناه ، دليلاً على مسلكه في البحث والتحقيق ، أما هذه الرسالة ، فهي التي كان قد بعث بها إلى صديقه المغفور له العلاّمة الشيخ محمد رضا الشبيبي ، في شهر تموز سنة ١٩٤٦ ، وهذا نصها[١] :

صاحب المعالي العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي المحترم :

أخي وحبيبي :

عسى أن تكون في صحة وسلامة ، موفقاً في خدمة العلم وخدمة وطنك المحبوب .

إني في أشد شوق إليك ، وأغتبط بما أسمع الحين بعد الآخر من أخبار فضلك ، وجميل خدمتك ، ولكن طال الفراق ، ولا شيء يسليني عن اللقاء بعض السلوى ، إلا إرسال سلامي إليك بلسان الطارئين على الشام ، من إخوانك وإخواني فالله أسأل أن يريني طلعتك وأنت على ما أحب من الهناء والصفاء .

وبعد :

فقد رأيت أن أنشر كتاب « البيزرة » الذي دخل منذ ثلاث سنين

---

(١) تفضل بها علي الأستاذ أسعد الشبيبي نجل العلامة الشبيبي فله الشكر .

في ملك المجمع العلمي العربي — يراجع ما كتبته في وصفه ، في المجلد الثامن عشر من مجلته — وقد عدت إلى ما كتبه الأخ ، في الجزئين ، الأول والثاني ، من السنة التاسعة من مجلة « المقتبس » في الكتاب الذي عثر عليه في « البَيزرة » يومئذ في إحـــدى الخزائن الخاصة في النجف الأشرف .

ومن الأسف ، أن المقتبس وقف بعد ذلك : فلم أتمكن من نشر تتمة المقالة الثالثة ، وما بعدها من البحث .

فهل أنت محتفظ بالتتمة ؟ وهل بالإمكان إخراج صورة من الكتاب بالتصوير الشمسي إن لم يكن طبع حتى الآن ؟ وإذا طبع أرجو إرسال نسخة منه .

وكل ذلك لأرجع إلى تصحيح نسختي إن أمكن ، وأرجو أن تتفضل وتذكر لي ما عثرت عليه من الكتب في هـــذا العلم ، في خزائن العراق .

وفي نشر كتاب « البيزرة » فائدة علمية عظيمة من كل وجه ، ورجائي أن تكون لي عوناً على ذلك ، فقد عودتني وعودت النـاس منك ، بذل مثل هذه الأريحية في خدمة العلم والأدب ، أطال الله بقاءك ومتعك بالصحة .

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي

هذا ما كتبه إلى صديقه الشبيبي ، كما ظهر لنا أنه كتب إلى غيره من أصدقائه العراقيين أيضاً ، حول الموضوع نفسه ، فها هو ذا في مقدمة كتاب « البيزرة » الذي أصدره سنة ١٩٥٣ يقول :

« وفي الختام أتقدم بالشكر ، لأصدقائي الذين عاونوني في نشر هذا المصنف الطريف ، ومنهم العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي العراقي ، فقد تفضل وزودني بمعلوماته في كتب البيزرة ، وكذلك العلامة الدكتور داود الجلبي الموصلي ، فقد تفضل وكتب لي جريدة بما اطلع عليه من كتب هذا الفن ، ولا سيما ما كان محفوظاً في خزائن الموصل .

والشكر للأستاذ البحاثة ، عباس العزاوي البغدادي ، لتكرمه بكتابه فصل في البيزرة يثبت فيه ما عرفه من كتبها ، في خزائن العراق والأستانة » .

ومهما يكن من أمر ، فالذي لا بد لي من التأكيد عليه ، هو أن هذه الشخصية الفذة ، كان لها في قلوب هؤلاء العلماء والكتاب ، منزلة سامية ، قبل أن يظفر بها أحد ، وإن الكلمة التي كتبها العلاّمة الأستاذ محمد بهجة الأثري ، في مقدمة كتاب « محمد كرد علي » [1] لمؤلفه صديقنا الفاضل الأستاذ جمال الدين الألوسي ، أقول إن هذه الكلمة تمثل وجهة نظرهم أصدق تمثيل ، إذ قال فيها :

« .. الأستاذ محمد كرد علي ، رحمه الله ، أمة في رجل ، أهلته مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناة النهضة الحديثة ، وقادتها الكبار في بلاد العرب ، وسيرته مثال رائع لمضاء العزيمة ، وخلوص النية ، وصدق العمل ، وحب الخير ، وإرادة الإصلاح ، نافح عن العروبة والإسلام ، ودعا إلى الحرية ، وقاوم الاستبداد ، وأجال قلمه في ميادين مختلفة ، مستنهضاً وباعثاً على الحركة والإحياء . وكتب ما كتب في الأدب والتاريخ

(١) صدر في بغداد سنة ١٩٦٦

والاجتماع والسياسة ، ببيان سهل ممتنع ، ورأي سديد ، ووفر لمؤلفاته مادة غزيرة وتحقيقاً جيداً ، فزخرت بالمفيد الممتع ، وجمع عمله بين أفضل ما في القديم وأمتع ما في الحديث من المعارف الانسانية » .

وبعـــد :

فهذا ما تسنى لي الحصول عليه ، من النماذج والصور التي تكشف عن علاقة المغفور له محمد كرد علي ، وصلته بإخوانه العلمـــاء والكتاب العراقيين ، أرجو أن يكون في عرضها بهذه اللمحة الخاطفة ، شيء من النفع والفائدة والمتعة والطرافة .

وفي الختـــام :

أتوجه بالشكر الجزيل إلى سيادة الدكتور الجليل حسني سبح شافاه الله وعافاه ، وإلى الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، وإلى الأخ الكريم الدكتور شكري فيصل ، وإلى جميع أعضاء المجمع الكرام ، أشكرهم جميعاً على دعوتهم الكريمة التي هيأت لنا شرف الإسـهام في تخليد ذكر مؤرخ الشام وعالمها الكبير الرئيس محمد كرد علي طيب الله ثراه ، والسلام .

محمد كرد علي في مصر

الأستاذ أنور الجندي

إنها لسعادة كبرى أن تشرفوا مثلي بالاشتراك في هذا المهرجان الضخم لإحياء ذكرى رجل من أجل رجال الفكر العربي الإسلامي المعاصر والحديث معاً في بلادنا العربية . مجاهد ظل أكثر من خمسين عاماً من الزمان يجالد في سبيل ترقية هذه الأمة وحماية لغتها وحفظ كيانها وبعث تراثها فكان له على هذا الجيل الحاضر كله دين قائم في الأعناق سواء في مصر أو سوريا أو أي جزء آخر من هذا الوطن الكبير .

وإنا لنعترف في مصر بفضل هذه الأسرة الشامية التي عاشت في تلك الفترة قبيل بدء هذا القرن وخلاله والتي كان لها في الصحافة والثقافة أعظم الأثر وخاصة أسرة الشيخ الجليل طاهر الجزائري وتلاميذه وأحبابه : رشيد رضا وكرد علي ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربي . ذلك أن هذا الشيخ هو بمثابة العروة الوثقى لهذه الجماعة التي جددت الفكر وجددت السنّة وأقامت منهج الفكر الإسلامي الحديث على أصوله الأصيلة ووفق جوهره الأمثل ، وإن كان الشيخ الجزائري قد جاء من الجزائر والمغربي من المغرب وكرد علي من العراق في المشرق فإن ذلك كله إنما

يؤكد وحدة هذه الأمة ووحدة فكرها ويثل مجدداً تلك الحقيقة التي تقول إن الفكر الاسلامي العربي إنما يصنع رجاله فيرفعهم فوق العروق والأجناس والعصبيات إلى أفق الوحدة والإخاء الانساني. وفي ضوء هذه الحقيقة ننظر إلى العلامة محمد كرد علي في تراوحه بين مصر والشام من ناحية وبين دمشق وكل أجزاء البلاد العربية والاسلامية .

ولا ريب أنه مدين ومعترف بدينه للشيخ طاهر الجزائري وقد سجل هذا بوضوح كامل في مقدمة كتابه (كنوز الأجداد) حيث قال :

إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم :
صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري .

والحق أن الشيخ الجزائري المملاق لم يكن قوي الأثر في هذه المجموعة من رجال الشام وحدها ولكنه كان عميق الأثر في المجموعة التي عرفها وعشرها في القاهرة خلال أربعة عشر عاماً أقامها في مصر وقد ألهب وجدان من عاشروه خاصة الأحمدان : أحمد تيمور وأحمد زكي الملقب بشيخ العروبة ، ليس بأسلوبه وحديثه فحسب ، ولكن بأسلوب عيشه ونظام حياته فقد عاش في مصر لا يقبل عطاءً من أحد مها جل أو صغر ، وإنما جعل اعتماده في عيشه على الكتب التي اقتناها في حياته فقد أخذ يبيع منها بالتدريج ويسمح لنفسه ببيعها إذا تأكد أنها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نفائس خزانته نقلت إليها وتعزز الشيخ أثمانها نحو أربع عشرة سنة وكان اشتراها في صباه بأثمان بخسة فارتفعت أسعارها عشرة أضعاف أو أكثر [1] .

---

(١) كنوز الأجداد : محمد كرد علي

ولعل وجود الجزائري في مصر هو الذي دفع الكثيرين إلى ورودها وإن كان رشيد رضا قد وردها ١٨٩٨ وكرد علي ١٩٠١ أما هو فقد قدمها ١٩٠٧ وأقام بها إلى عام ١٩٢٠ .

ولا ريب أن أسلوب حياة الشيخ طاهر الجزائري يعطينا كثيراً مما نود أن نتعرف إليه في حياة كرد علي من إبائه وتعاليه على التبعية والتزلف ويؤكد كرد علي وهو يستعرض حياة الشيخ الجزائري على هذا المعنى ويومىء إلى اطراءه في حياته هو حين يقول : ولا أكون إلى المبالغة إذا قلت إن عزة النفس ، وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا ؛ كان مما تفرد به فقد كان له إباء الملوك الصالحين وزهد الزاهدين العابدين . وهو شبيه به في عقد الصلات الواسعة مع كل أهل العصر ، على اختلاف أديانهم وجنسياتهم وكان كذلك مثلاً له وشبيهاً في قول كلمة الحق دون أن يخشى لومة لائم .

لقد عاش العلامة محمد كرد علي في مصر سنوات ما بين ١٩٠١ و ١٩٠٨؛ جاءها ثم غادرها ثم جاءها مرة أخرى ثم غادرها بعد إعلان الدستور العثماني ولكنه ظل متصلاً بها بعد ذلك حتى وفاته سنة ١٩٥٣ ، لم تبرح خاطره لحظة ، ولم يمر عام أو عامان دون أن يردها ويشارك في أحفالها ومؤتمراتها ، وكان إلى آخر لحظات حياته متابعاً لما ينشر بها من فكر وكتب وصحف ، يعلق عليها وينصح ويوجه ، إيماناً منه بالنهضة العربية الفكرية ودعماً لها .

ولقد كان حريصاً على أن تطبع مؤلفاته في مصر ، وأن يقول رأيه في كل ما يطرح في صحفها أو مجتمعاتها من رأي . وقد حفلت الصحف بآثاره منذ عام ١٩٠١ إلى نهاية حياته ؛ نشرت له المؤيد والأهرام والثقافة والرسالة والمقتطف والهلال .

وقد اتصلت أسبابه بالمحبة والمودة بعشرات من قادة الفكر المصريين منهم والذين أقاموا في مصر ، وكان لهم وفياً وبهم حفياً ، وقد ضمهم إلى المجمع العلمي العربي الذي أنشأه وتولاه منذ عام ١٩٢٠ وكتب عن أعلامهم فصولاً مطولة وألقى عنهم محاضرات .

ومن أهم هؤلاء الأحمدان المصريان المحدثان (أحمد تيمور وأحمد زكي) وذلك على نسق الأحمدين المصريين القديمين (أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون وأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية مؤرخ بني طولون) كما كتب فصولاً مطولة عن أحمد فتحي زغلول والمراغي ومحمد عبده .وكان حتى آخر أيام حياته مليء القلب بالحنو والمحبة لأصدقاء القلم يردد أسماءهم ويجدد العهد بهم ، وينشيء له صداقة مع الأجيال التالية لجيل الرواد فيذكر: محمد عبد الغني حسن وشوقي ضيف وجمال الشيال وسعيد العريان وسيد قطب وعلي أدهم .

— ١ —

عاش محمد كرد علي في مصر حياة خصبة ، فقد شارك مشاركة فعلية في قيادة دفة الصحافة فتولى الإشراف على صحف ثلاث : هي (الرائد — الظاهر — المؤيد) .

وفيها أنشأ مجلة المقتبس وأصدرها ثلاث سنوات في القاهرة ثم والى إصدارها في دمشق بعد عودته إليها ١٩٠١

يقول : أول مرة دخلت مصر قاصداً زيارة آثارها ومصانعها والتعرف إلى رجالها في الطريق إلى باريس ، عرض علي صاحب جريدة (الرائد المصري) نصف الاسبوعية (نقولا شحاده) بواسطة صديقي الأستاذ رشيد

رضا صاحب المنار أن أحرر جريدة الرائد وقد جعلها واسطة للطعن في أصحاب المقطم ، وكانت جريدة الرائد من جرائد المية تصطنع الطعن بالمحتلين وكأنها ابنة جريدة المؤيد أو ذيلها وكان صاحب المؤيد يعطف على صاحب الرائد المصري .

هذه تجربته الأولى . ثم عاد إلى الشام بعد عشرة أشهر .

وهبط مصر للمرة الثانية عام ١٩٠٥ عازماً على أن يصدر المقتبس شهرية تبحث في العلوم والآداب وكانت صلته قد توثقت بالشيخ علي يوسف وبأصحاب المقتطف وكان يكتب في المؤيد وفي المقتطف .

وقد دعاه الأستاذ محمد أبو شادي صاحب جريدة الظاهر اليومية للعمل معه في القلم الفرنسي بعد أن جرى اختباره في ترجمة البرقيات التي قام بترجمتها في أقل من ربع ساعة . وكان يعمل معه في (الظاهر) الأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي وكان يترجم للظاهر من الانجليزية . وفي هذه المرحلة أخذ يترجم من الصحف الفرنسية والتركية ويكتب المقالة السياسية والاجتماعية والأدبية وقد رأس تحرير الظاهر بعد خمسة عشر يوماً من العمل بها . وأصدر المقتبس الشهري ، وقد دعاه الشيخ علي يوسف ليعمل معه ، فقال له : إن صاحب الظاهر قد ولاه رئاسة تحريرها وصرف الرجل الذي كان قبله ، واعتمد عليه فلا يسعه أن يتركه . ولما كان في المؤيد مع علي يوسف أصدقاء يعزهم منهم محمد مسعود وحافظ عوض فقد خشي أن يكون عمله في المؤيد محرجاً لهم حيث يتولى رئاسة التحرير ، بينما هما صاحبا الفضل في إنشاء المؤيد وهما في غاية الكفاءة علماً وأخلاقاً .

يقول : كيف يجوز أن أرأسها وماضيها في المؤيد ماضيها ، وهما مصريان أعرف مني بما ينفع جريدة مصرية .

ولما خرج مسعود وعوض ، وعرض عليه العمل في المؤيد قبله بزوال الحرج الذي كان قد أحس به لوجودهما ، وقد أشرف على موضوعات الأدب والسياسة والتاريخ ومقالات المؤازرين وكتابة الافتتاحيات إذا اقتضت الأحوال .

ونرى أن تحريره للمؤيد هو الدعامة الثانية لشهرته بعد مقالاته في المقتطف .

ولا ريب أن هذه الوقائع تعطي صورة واضحة لنفسية عالية في العفة والكرامة والخلق ثم يجيء بعد ذلك دوره في العمل من أجل خدمة مصر وحماية القيم الأساسية .

وقد شارك في ذلك بجهد واسع فقد حارب مع المحاربين « دنلوب » مستشار المعارف وانتقد الدور الذي كان يرمي إليه في تأخير الدروس العربية .

يقول : فأدرك رجال ذلك الدور ونشئوه ما يحمل قلبي من حب مصر ، فأعطوه ثقتهم وصداقتهم وفتحوا له قلوبهم واطلعوه على ما لا يطلع عليه إلا خاصة الخاصة .

— ٢ —

وقد أقام العلامة كرد علي في مصر مشاركاً في النهضة الصحفية والفكرية فكانت له ندوات ومجالات عديدة اندمج فيها وتعرف فيها إلى الكثيرين واكتسب منها خبرة وتجربة .

● كانت ندوته الأولى هي « بيت الشيخ محمد عبده » في عين شمس

ومحاضرته في الرواق العباسي ، ومجالسه في بيت أحمد تيمور . وكان رفيقه في هذه الندوات الشيخ محمد رشيد رضا . وكان يشهد هذه الجلسات الحافلة : حسن عاصم ، وقاسم أمين ، وفتحي زغلول ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد المهدي وحسن المنصوري ، وأحمد السكندري ، وسعد زغلول ، وحفني ناصف وإسماعيل صبري ، ومحمود سامي البارودي ، وعلي بهجت ، واسماعيل رأفت ، وعبد العزيز محمد ، والسيد محمد الببلاوي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد إبراهيم وعبد الوهاب النجار .

يقول : هذا المجلس كان المرحلة الأولى التي فتحت أمامي باب الدخول إلى المجتمع المصري وتشرفت بعشرة هذه الطائفة الممتازة .

ولقد أحب كرد علي الأستاذ الإمام ، وأحب أحباءه وكره خصومه حتى ليقول : إنه لم يقترب من (إبراهيم المويلحي) وهو من أبرز الكتاب في ذلك الحين لأنه كان يراه ينال من الشيخ محمد عبده ويتقول عليه ويضع عليه أموراً لم يفعلها : « كنت يومئذ أعشق الشيخ وأفتخر بالانتساب إليه وأعجب ببلاغته ، وكنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي في الأزهر وأغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع » .

ويتحدث عما يدور في مجلس الشيخ الإمام فيقول : قال أحدهم : أرى إبراهيم المويلحي في هذه الأيام ساكتاً عن مولانا الأستاذ . قال الشيخ : أنا أحمد الله على ذلك ولولا أن الأسد مصاب بالنسيان لافترس جميع الحيوانات .

ومن رواد ندوة الشيخ الإمام الذين عجب لأمرهم كرد علي الشيخ محمد شاكر الذي كان يقبل راحة الشيخ من قفاها وباطنها ويبالغ في

احترامه ، بينما كان معروف أنه من خصوم الشيخ قال : لاحظ الشيخ اهتمامي فما زادني على نظرة بابتسامة ، وعلمت بعد ذلك أن الشيخ هو الذي أشار إلى الشيخ محمد شاكر أن يغمزه في بعض الأحايين ويظهر للملأ أنه من خصومه ليقتنع القصر أنه وإياه على طرفي نقيض .

● الندوة الثانية : « بعكوكة وحيد الدين الأيوبي » .

ويروي الأستاذ كرد علي ذكرياته عن هذه الندوة فيقول :

عرفت صديقي وحيد الدين الأيوبي وهو وأنا في ميعة الشباب وكان من أبناء الأعيان المفكرين والمثقفين ، تعارفنا زمناً ثم التقينا وإذا به رئيس جمعية جهرية سماها اسماً غريباً « البعكوكة » وبعكوكة الناس مجتمعهم على ما في القاموس ، وكانت هذه البعكوكة تلتئم كل ليلة في قهوة متواضعة من منعطفات شارع إبراهيم باشا ثم انتقلت إلى قهوة السلام من نفس الشارع ويبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء وينفضون في ساعة متأخرة ولايقل أعضاؤها المواظبون عن ثلاثين رجلًا : من محامين وأطباء ونواب ومؤلفين وأعيان أصحاب أطيان : اجتماع للمرح والتنادر وسماع الأخبار فإن بعكوكتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة .

تلك كانت البعكوكة المفضلة التي ظل يختلف إليها كلما عاد إلى مصر وذكرها في مذكراته مرات ، متحدثاً عن خفة أرواح رجالها وتنكيتهم، ناهيك بخفة روح محجوب ثابت . يقول إن وحيد كان يكتب في الأهرام قطعاً لطيفة في اللغة والأدب والسياسة ومنها تعليقه على تصريح لأحد الساسة البريطانيين حين قال :

(إن الانجليز يرابطون في مصر لحماية الاستقلال)

فقال إن عندنا الآن إذاً احتلال واستقلال . عندنا احتقلال . وكثر السائلون عن هذا المصطلح وعما إذا كان له أصل في اللغة وهنؤوه على توفيقه للعثور على هذه اللفظة الجميلة ، وعبثاً حاول أن يقنعهم أنها لفظة وضعت وضعاً وما كان يرضى أن يقول إنه وجدها في معجمات اللغة .

● الندوة الثالثة : هي ندوة السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية . وقد شارك فيها وكانت له بالسيد البكري صلة وثيقة .

وهو يصوره حين التقى به يقول : فرأيته متكلماً منطيقاً حلو الحديث يمت إلى الأدب بصلة قوية ، وهو أقرب أن يكون شاعراً منه إلى أن يكون ناثراً وكذلك مجلسه فهو مجلس أقرب أن يكون مجلس أدب من أن يكون مجلس رجل سياسة ، ويجيد الفرنسية إجادة حسنة .

يقول : سألت عنه أستاذه الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وكنت أعلم أنه أخذ عنه كثيراً وأن بينهما صحبة وثيقة فقال لي :

ما رأيت رجلاً فتح الله عليه بغلط مثل توفيق البكري في كتابه « أراجيز العرب » فهو من أوله إلى آخره مغلط . وقال : إنه ليس في مصر من يفهم لغة العرب غير اثنين : محمد عبده وأحمد تيمور .

ويروي العلامة كرد علي : أن السيد البكري بعث إليه يستدعيه إلى داره لغرض مهم فذهب الفكر حالاً إلى أنه يريد أن يستشيرني في مسألة خاصة ، وقدم لي مبلغاً من المال لمعاونتي على إصدار المقتبس : فقلت له : يا صاحب السماحة : إن للمجلة رأس مال ودخلها يفي بخرجها وشكرته وظهر عليّ الانقباض ثم التفت وقلت له :

ثق إن جريدة الظاهر لا تدخل في مسألتكم وهذه مسائل لا تنفع القراء (وكنت رئيس تحريرها) وليس من مصلحة الجريدة أن تخوض فيها فسر لذلك ، فانصرفت ولم ألقه بعدها .

● وتحدث عن ندوة قهوة اسبلندر بار حيث كان يجتمع فيها أقطاب الصحافة إذ ذاك : محمد مسعود ، وحافظ عوض ، وداود بركات ، ويوسف الخازن ، وصادق عنبر ، ومحمد السباعي ، وسليم سركيس ، وتوفيق حبيب .

● كما تحدث عن قهوة متاتيا وجماعة دار العلوم : محمد المهدي ، وأحمد الاسكندري ، ومحمد الخضري ، وعبد العزيز جاويش ، وحسن توفيق عدل ، وسلطان محمد ، وحفني ناصف ، وأحمد إبراهيم ، وحسن منصور ، ومحمد دياب ، ومحمد عبد المطلب ، ورأسهم الدكتور عثمان غالب .

● وتحدث عن جماعة بار اللواء أمام جريدة الأهرام وما لقي بها من أرباب الثقافة العالية .

● وكان لكرد علي صداقة عميقة بزعماء الاصلاح والتجديد في الأزهر وفي مقدمتهم المراغي والزنكلوني وكان معهم على خلافهم مع الشيخ الظواهري .

ويرجع هذا إلى موقف الشيخ الظواهري منه حين طلب إليه الاعتذار عن إلقاء محاضراته في الجامعة الأمريكية وحذف له بعض جمل منها .

وهو معجب بالشيخ الزنكلوني ، وقد حضر معه دعوات كثيرة عند الشيخ اللبان والشيخ المراغي .

● وهو معجب بكل أهل الأصالة في كل ميدان وممن يحبهم وأمين

الرافعي ، يقول : عرفت أمين الرافعي وطنياً صادقاً يخدم مصر وسياسة مصر ويخدم الاسلام والمسلمين بروحه وقلمه ونبوغه ، وعرفت أنه شريف بكل ما في الشرف من معنى ، وقد عرض عليه عشرة آلاف جنيه من يحيى إبراهيم رئيس الوزراء معونة لجريدته التي كانت في حاجة إلى العون ، فرفض ، فقيل له لا تغير خطتك فقال : إني ما أخذت شيئاً من أحد بدون عوض . ولا يريد أن يعوّد نفسه لأن يأخذ شيئاً من أحد .

كما عرض عليه فتح الله بركات التكفل بوفاء ديونه على أن يبقى حراً فلم يقبل وهو في أشد الضيق . وبعد أيام توقفت جريدة الأخبار ، حتى قالت إحدى كبريات الصحف الانجليزية لما نعت أمين الرافعي : إنه مات رجلٌ يقلّ جداً في العالم من لهم مثل أخلاقه .

وهكذا كان كرد علي يحب النماذج العالية في الخلق . وتلك شميلة من شمائل شيخه طاهر الجزائري .

- ٣ -

لقد كان لكرد علي موقف واضح صريح من أهل الفضل ، وموقف صريح واضح من أهل الباطل ، فهو من أهل المثل العليا وأصحاب الأصالة وهو لذلك يحب النماذج العالية من الخلق وسيرته وحياته وذكرياته كلها حافلة بهذا الموقف الذي لا يتخلف .

ومن ذلك محبته للأمير عمر طوسون وإعجابه به وقد نوّه به في مذكراته وأشار بالتفصيل إلى ما دار بينهما من حوار قال : لما لقيته سألني سؤالين : كيف قسمت الديار الشامية بعد الحرب العامة الأولى ؟ وهل صح ما نقلته في وصف حكومة إبراهيم باشا في الشام ؟ .

وقد أجاب كرد علي في إفاضة ، وخاصة فيما يتعلق بإبراهيم باشا وتقديره له ولعمله في الشام مما عرف عن عدل حكومة إبراهيم باشا في أهل سورية وقد ودّعوه بدموعهم يوم أن غادر البلاد . وهو يذكر سجايا عمر طوسون في مذكراته بإفاضة ويذكر له تعليمه لشباب السودان وبناء المساجد بها .

ومحبته وحديثه وإعجابه بالمرحوم أحمد تيمور يفوق كل وصف فهو عنده مثلٌ عالٍ من حيث الفضل والخلق والنبل ولاريب فإن تيمور كان مؤمناً شديد الايمان بمجد الأمة ، غيوراً عليها ، وكانت مودته للشيخ طاهر الجزائري تفوق الحد ولقد كتب مقاله الأحمدان : عن أحمد تيمور وأحمد زكي فكشف عن جوهر الرجل ونبالة قصده ، وطهارة خلقه بالمقارنة إلى شيخ العروبة الذي كانت تغلب عليه مظاهر الشهرة والتفاخر والاستعلاء .

وكان كرد علي يؤمن بالصداقة على نمط عال من الحب والتضحية والوفاء ، عامل به كل من لقيه وعرفه وإن كان لم يجد في كثير ممن عرفهم مثل وفائه وتضحيته . ولذلك فقد بدا وكأنما هناك عقوق ظاهر وإن كان هو تفاوتاً في درجة الصداقة والإخلاص . أما كرد علي فهو ممن يؤمن بأسلوب خصوص الخصوص ، ويرى المودة في أعلى مراتبها بينما كان بعض من أحب وأخلص يؤمنون بالحد الأدنى للمودة فكان هذا بالنسبة إليه عقوقاً يستحق النقد والتشهير .

فهو قد أدخل كل أحبابه وأصدقائه في مجمع دمشق ، وأولى اهتمامه بآثارهم وإنتاجهم وأشاد بهم ، وكان يرى أن من حقه عليهم أن يعاملوه بالمثل ، ولكنهم عجزوا عن مجاراته في أسلوب الصداقة والود الرفيع ، ولعلهم كانوا في منزلة العموم أو الخاصة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا منزلته العالية في الوفاء التي نطلق عليها « خصوص الخصوص » إن صح

هذا التعبير . ولقد ضم العلامة كرد علي إلى مجمع اللغة العربية بأخرة ، عام ١٩٤٤ وكان له أمل في أن تنشر الرسالة والثقافة عن مؤلفاته وأن تطبع لجنة التأليف والترجمة آثاره ، ولكن هذه المؤسسات الثلاث قصرت في ذلك وهو بطبيعته حاد الطبع عجول ، متحمس ، يقايس الناس على مشربه وأسلوبه وعاطفته ، ومن هنا كان خلافه مع الأحمدين المصريين الأخيرين : أحمد حسن الزيات وأحمد أمين . وإن كان له وجه في الخلاف مع هيكل والمازني ومع لطفي السيد .

وكان كرد علي ممثلاً للشام في كثير من الأحفال والمؤتمرات ، مثل سوريا في حفل تكريم أمير الشعراء شوقي ، وفي عديد من المناسبات .

وكانت له صلة بكبار الحكام وقد عرض عليه العمل في القصر مرات ولكنه كان حريصاً على أن تظل علاقته بمصر علاقة أدب وفكر وليست علاقة سياسة .

عرف الخديوي عباس حلمي الثاني وعرف فؤاد وفاروق .

يقول : أبيت سكنى مصر مع أني أجد بين ظهراني إخواني فيها من السلوى ما لا يتيسر لي أن أنعم بمثله في بلدي . وينشد :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وفي القاهرة أخرج من المقتبس ثلاث مجلدات وطبع بمصر عديداً من كتبه : القديم والحديث ، وغرائب الغرب ، والاسلام والحضارة العربية .

وكان كرد علي يتعامل مع علماء الأزهر على النسق الذي أشاده وأعلاه في الشام الشيخ طاهر الجزائري بالنسبة للتحرر من البدع والتقليد ، وهو اتجاه كان قائماً في مصر أيضاً عن طريق الشيخ محمد عبده والسيد

رشيد رضا وكان له معارضون كثيرون من شيوخ الأزهر في ذلك الحين.

وإذا حاولنا أن نتعرف إلى خلق كرد علي في مودة الناس وحبهم وعقد الصلات بينهم على هذا النحو الواسع العريض وجدنا ذلك في أسرته فقد أشار إلى أن والده في آخر أيامه أحصى « أكثر من ثلاثمائة صديق طوتهم الخرسا (يريد الأرض) وأصبح بعدهم غريباً .

وقد أحصى كرد علي في مذكراته عدداً كبيراً من أصدقائه وأحبابه في مصر والشام وغيرهما لا يقل عما أحصى والده .

— ٤ —

أبرز ما تتمثل فيه شخصية محمد كرد علي — ونحن لا نزال في إطار حياته في مصر — وضوح شخصيته وصراحته وجرأته في الأخذ على العلماء طابع المصانعة والتزلف . وقد كان له في ذلك مواقف صريحة واضحة أبرزها موقفه من عبد العزيز فهمي في مسألة الحروف اللاتينية فقد واجهه في قوة وجرأة بينما تراجع الكثيرون عن الكشف عن زيف الدعوة وبيان أخطارها . وقد سجل هذا الموقف في مذكراته حين أشار إلى دور المجمع في مصر أواخر عام ١٩٤٤ .

ومما قاله كرد علي في هذا الموقف :

أرجو وصيفي أن لا يجاوز من موت عربيتنا الحسناء بفعل نشر لغات الأجانب بين أظهرنا وألا يدركها هذا المجمع ولا عشرون مجمعاً من مثله ، فإن هذا تشاؤم غريب ، واللغة كل يوم تزيد انتشاراً على الألسن والأقلام. ولغة حرسها القرآن هذه القرون الطويلة لا يخشى عليها البوار وهي تزيد قوة على الأيام . واستطرد يقول : يقول زميلي (أي عبد العزيز فهمي)

إنه يوشك أن تغزونا اللغات الأجنبية فتترك لغتنا ونستعيض عنها بلغة من لغاتهم ، وهذا خوف لا محل له ، لأن العربية تزداد كل يوم رسوخاً في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبفضل توفر أسباب التعليم والنشر .

وما قال : إن لغتنا كانت سبب تخلفنا في مضمار الحضارة . وما أظن شيخ القضاة إلا ويعرف أن لانحطاط الشعوب الاسلامية في بعض مظاهرها عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم . وإن برهانه هنا ضعيف لا يصح الاستدلال به على ما هو بصدده . إنه يعرف كما نعرف جميعاً أننا أنشأنا مدنية شهد بعظمتها كل من قاموا بعدنا ، وما حال هذا الخط ومن قبله القلم الكوفي دون الانتفاع بما آل إلينا من علوم القدماء ، وما وضعناه نحن من علوم وآداب كفتنا الهيل والهيلمان كما يقول زميلي الحصيف.

وتبرم حضرته من تعدد اللهجات العربية ، وأنا أبشره بأن هذه اللهجات يقل عددها ولا يزيد كما ادعى لأنها تقترب كل يوم من الفصحى بفضل المدرسة والجريدة والكتاب والخطبة والمذياع ، أي أن اللهجات الدارجة تتضاءل أمام اللغة الأدبية ، والفصحى تتغلب على العامية ، اليوم وبعد اليوم .

وما أدلى به لإثبات قضية التمثيل لنا بالأتراك هو في الواقع حجة عليه لا له ، فالأتراك لما أخذوا بالحروف اللاتينية وقضوا على الأمية فيما زعموا بهذه البدعة الجديدة التي ابتدعوها قطعوا كل صلة بينهم وبين ماضيهم وعمر هذا الماضي لا يقل عن ستمائة سنة ، وهل الشعوب إلا تكملة ماصنع أجدادها وورثوه عنهم . وشأن العربية غير شأن التركية لأن العربية تحمل تراث العالم الإسلامي كله ، وإذا عملنا عمل الأتراك نقضي على تراث علمي وأدبي وديني دام مطرداً خمسة عشر قرناً مما لم يعهد لأمة بمثله . وقد

خسر الأتراك أي خسارة بما أتوا من العبث بلغتهم فلا نريد أن نتقبل مثالهم ولا يجدر بأنفسنا الاقتداء بأهل لغة من اللغات، فمتحانا غير منحام ولغتنا تتسامى على جميع لغات الشرق .

وكذلك كان لكرد علي دوره الواضح في التحذير من الأخطار التي تواجه العاملين في مجامع اللغة وقد لخصها في إحدى دورات مجمع اللغة العربية في القاهرة في ثلاثة محاذير .

الأول : اختراع خط جديد يراد به الاستغناء عن الشكل .

الثاني : تبسيط قواعد اللغة العربية في اللغة والصرف .

الثالث : اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربية .

– ٥ –

ولقد كان كرد علي يحب مصر حقاً ، حباً خالصاً صافياً ، يرى فيه امتداداً لدعوته وفكرته وغيرته على اللغة العربية والحضارة الإسلامية وعلى تنمية مدرسة اليقظة ودفعها إلى الأمام . يقول في هذا المعنى : « لقد كنت منذ القديم ولا أتصور عندما أكتب إلا فائدة كل عربي ولا أحصر كلامي في مصر والشام ومنهاجي يتناول الأقطار العربية جميعاً ، ولكن المعلومات عن مصر كثيرة فهي أوفر سكاناً ونظاماً وحضارة ، وكلما زادت صلاحاً زاد الإصلاح إلى جيرانها . وأنا أنادي مصر كما أنادي أهل بلدي ، والبلدان في نظري سواء ، يعني مجموع الأمة ولا أخص القول حين أقول قطر دون قطر . وهدفه : أن يكون العرب دولة عظمى فيها كل ما في الدولة الأموية مثلاً من المقومات والمشخصات » .

وهو في حبه لمصر لا يمتنع عن نقدها في وجوه التقصير .

وهو مع حبه للشيخ محمد عبده لا يمتنع عن نقده في موقفه من الشيخ حسن الطويل صديقه الذي أغضي عنه بعد أن تسنم منصب الإفتاء ،

وهذه دلائل الحب البصير ، القائم على الوعي والإخلاص .

وهو يعيب على هيكل والسنهوري أنهما عينا أنفسهما عضوين في مجمع اللغة وليس لديهما الوقت للمشاركة في أعماله .

وقد ظل حتى آخر أيامه يتابع النهضة في مصر ، ويجدد ذكرياته مع أعلامها . فإن آخر ما نشر له في العدد الذي نعي فيه من مجلة المجمع دراسة عن الشيخ محمد عبده . ومن قبله المراغي ، وفتحي زغلول .

ويمكن أن يقال : إن العلامة كرد علي كان يجمع بين خصلتين في وقت واحد هما : الصراحة إلى حد الجرأة في الحق ، وغلبة العاطفة .

ويصور هذا المعنى في ترجمته لحياته التي ألحقها بخطط الشام في عبارة واضحة حين يقول : « أخلص للصاحب وأخدمه خدمة خالصة وأغار على مصلحته وربما أرفعه فوق قدره حتى إذا بدرت منه بادرة سوء نحوي أو نحو المجتمع ألوي وجهي عنه إلى آخر الدهر » .

- ٦ -

وبعد فإن في هذا الحصاد الضخم الذي خلفه المرحوم محمد كرد علي عن مصر ورجالها وصحافتها وتاريخها ما يحتاج إلى مراجعة وتعليق ، ومنها وهو الأغلب ما يطابق النظرة الصادقة المنصفة ، وخاصة ما يتعلق بلطفي السيد وعبد العزيز فهمي وعمر طوسون وفيما ذكره عن السلطان عبد الحميد وعن عبد الرحمن الكواكبي ما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

ولقد أحسست وأنا أراجع المذكرات لكتابة هذا البحث أنها حافلة بعشرات المواقف والآراء والنظرات التي نحتاج إليها في دراستنا لتاريخ أمتنا الإسلامية العربية .

وترجع صلتي بالعلامة كرد علي إلى وقت بعيد فقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر فكتبت عنه فصلاً مطولاً في كتاب (النثر العربي المعاصر) وتحدثت عن خطط الشام في بحث آخر وظللت سنوات طويلة أتابع نشاطه بين المجمعين : المجمع الذي أنشأه والمجمع الذي شارك فيه (بين دمشق والقاهرة) وراجعت كثيراً من فصوله التي كتبها في المؤيد وفصوله في الصحف المصرية والعربية ، وعرفت له قدره وجهاده وتميز المجمع العلمي العربي بخاصتي إحياء اللغة وإحياء التراث . وما زلت أشعر بالعرفان لحبته للفصحى وجهاده من أجلها . وهو في هذا يؤكد النظرة القائلة بأن الفكر هو الذي يشكل العقلية وليس الجنس أو العرق ، ولقد كان الاسلام في عظمته هو الذي شكل أمثال كرد علي على مدى التاريخ فجعلهم جنوداً للغة القرآن وتراثها .

وأعتقد أننا في مصر - جماعة المفكرين — علينا دين كبير لأمثال الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي ومصطفى الشهابي رحمهم الله جميعاً وأجزل مثوبتهم . ولقد أعد الدكتور أحمد الشرباصي منذ سنوات أطروحة ضخمة عن (رشيد رضا) وأعد الشيخ محمود القاضي هذا العام أطروحة ضخمة لم تناقش بعد عن (محب الدين الخطيب) ونأمل أن يقوم غيرهم بإعداد أطروحات أخرى عن علامتنا هذا العظيم الذي نحتفل به وعن شيخه الجزائري كفاء ما قدما من أياد بيضاء وجهود مشرقة وإضافات طيبة ما تزال حية نابضة معطاءة . والله من وراء القصد .

النــدوة الثالثة (*)

محمد كرد علي والمستشرقون

الدكتور محمد كامل عياد

كان الأستاذ (محمد كرد علي) من أبرز الشبان الذين تحلقوا حول الشيخ طاهر الجزائري ، رواد النهضة العلمية بدمشق في أواخر القرن التاسع عشر . وكان تلاميذ هذا العالم المصلح يدعون إلى إحياء التراث العربي — الإسلامي مع دراسة العلوم العصرية وأخذ الصالح من الحضارة الأوروبية .

وقد امتاز الأستاذ (محمد كرد علي) بإتقانه اللغتين التركية والفرنسية فانصرف منذ مرحلة التعليم الثانوي إلى قراءة الجرائد والمجلات الأجنبية ، وبدأ في الوقت نفسه يترجم الأخبار والمقالات وينشرها في الصحف العربية .

إنه كان يريد الإصلاح ، وكان يعتقد بأنه لا بد للعرب والمسلمين من الاقتباس عن الغرب ولا يرى أي غضاضة في ذلك ، لأن الغربيين أنفسهم قد سبق لهم اقتباس العلوم والفنون وسائر مظاهر الحضارة عن العرب والمسلمين . واختياره اسم « المقتبس » لمجلته وجريدته يشير إلى إيمانه بمبدأ الأخذ عن الغربيين مثلما كان يحرص على الاحتفاظ (بكنوز الأجداد) والاستفادة منها ..

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق صباح يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٦

وكان طبيعياً أن يتجه اهتمام الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أعمال المستشرقين بصورة خاصة لأنهم، من جهة ، يمثلون الحضارة الغربية وما امتازت به من تقدم علمي ثم ، من جهة ثانية ، لأن موضوع بحث هؤلاء المستشرقين هو التراث العربي — الإسلامي . وهكذا وجد في الاستشراق ميداناً يجمع بين الهدفين اللذين كان يسعى إليهما أي : معرفة الحضارة الغربية وإحياء التراث القومي .

ألقى الأستاذ (محمد كرد علي) في سنة ١٩٢٧ محاضرة عن « أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » [١] تكلم فيها على العلاقات بين العرب والأوروبيين منذ الفتوحات الإسلامية وخلال الحروب الصليبية وفي الأندلس وصقلية على الأخص ، وما حدث من احتكاك واختلاط وتبادل وتمازج بين الطرفين ثم ما تبع ذلك من عناية بدراسة اللغة العربية في الجامعات الأوروبية وترجمة الكتب العربية ونشرها .

ويذهب الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أن اقتباس الأوروبيين للعلوم عن العرب كان له تأثير كبير في نهضتهم التي بدأت في ايطالية بالقرن الرابع عشر وانتقلت بعد ذلك إلى سائر البلاد الأوروبية . إلا أنه لم يهتم بالبحث في هذه الناحية وإنما كان يسعى إلى الكشف عن آثار النهضة الأوروبية في بلاد العرب . فهو يقول : « تهمنا الآن معرفة أثر تلك النهضة فينا وفي لغتنا ، أي أن نعرض للجهة التي تخصنا من ذاك الجهاد العظيم الذي جهدوه في إحياء العربية ، وذلك للتنويه بمن نشروا كتبنا فأسدوا إلى لغتنا المحبوبة أياديهم البيضاء وعلمونا دروساً في تاريخ أمتنا ومدنية أجدادنا

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (٧) صفحة (٤٣٣ — ٤٥٦)

كنا نجهلها ... » (١) .

ولما سئل مؤخراً عن المستشرقين الذين تعرف اليهم كتب في الجواب على ذلك مقالاً آخر في مجلة المجمع العلمي العربي يقول فيه : « أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وأوروبا إلى بعض المستعربين (أي المستشرقين المتخصصين باللغة العربية) من أمم أوروبا واختلطت بهم وخاللتهم ووقفت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدنية الغربية وعلى الكشف عما في خزائنهم ، ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم » (٢) . ثم يذكر أسماء بعض كبار المستشرقين الذين عرفهم مثل (دوسو) و (ماسينيون) و (هوار) و (بلاشير) و (مارسيه) و (مارجليوث) و (كرنكو) و (نللينو) و (هارتمان) و (غولدتسيهر) و (سنوك هورغروني) و (آسين بلاسيوس) .

كان الأستاذ (شفيق جبري) على حق ، عندما تعرض إلى علاقات الأستاذ (محمد كرد علي) بأولئك الباحثين إذ قال : « أما معرفته بالمستشرقين وكتبهم فقد تكون آية من الآيات .. فقد أحاط علمه بتاريخ الاستشراق والاستعراب ... وله صلة بأكثر المستشرقين والمستعربين وهو مطلع على كتبهم التي نشروها وقد تكلم عليهم في مقالات ومحاضرات خاصة » (٣) .

سافر الأستاذ (محمد كرد علي) أربع مرات إلى البلاد الأوروبية . ولم تكن غايته ، كما يقول في مذكراته « تجديد القوى وتسلية الروح

(١) المصدر نفسه صفحة (٤٠٠)
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٧ — ٣٦٢)
(٣) محاضرات عن (محمد كرد علي) القاهرة ١٩٥٧ صفحة (٣٢)

فحسب ، بل كذلك التعرف إلى مدنية الغرب ودرسها في أرضها درساً علمياً ، (١) . وهو يصرح بأن وأكثر ما كان يرتاح إليه في رحلاته مقابلة علماء المشرقيات لأنهم بقربهم من منازعنا ومعرفتهم بعاداتنا ووقوفهم على غابرنا وحاضرنا أقرب إلينا من معظم من في الغرب من أهل المدارك . فهم ، بلا جدال ، همزة الوصل بين الشرق والغرب » .

يروي الأستاذ (محمد كرد علي) أنه بعد استيفاء البحث في خزائن الكتب بمصر والشام وبعض خزائن الآستانة وجمع المواد اللازمة لوضع تاريخ سياسي ومدني مطول للديار الشامية (وهذا ما حققه من بعد في كتابه « خطط الشام ») — أزمع الرحيل إلى باريس ولندن واكسفورد وكمبريدج وليدن وبرلين وغيرها للبحث في خزائنها عن مخطوطات العرب في التاريخ ، وصادف أن جاء في ذلك الوقت (أي سنة ١٩١٣) إلى دمشق المستشرق الألماني (مارتين هارتمان) فعرض عليه الأستاذ (محمد كرد علي) فكرته ولكن (هارتمان) قال له : إن الفكرة غير عملية وإن تنفيذها يستغرق حولين على الأقل وإن الأولى أن يذهب إلى (روما) ويزور خزانة المستشرق (الأمير كايتاني) صاحب كتاب (حوليات الإسلام Annali dell ' Islam) الذي جمع صور كافة المخطوطات المحفوظة في بلاد الغرب مما خلفه الثقات من مؤرخي العرب . فحمل الأستاذ (محمد كرد علي) بطاقة توصية من أحمد زكي باشا المصري إلى صديقه الأمير الايطالي الذي رحب به وسهل له مهمة المطالعة والبحث في خزانة كتبه المشهورة مدة شهر (٢) .

---

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٨٤ — ١٨٦)

(٢) المذكرات ، الجزء الأول صفحة ٣١٠ — ٣١١

وبعد تأسيس المجمع العلمي العربي ازدادت صلات الأستاذ (محمد كرد علي) بالمستشرقين في كل أنحاء العالم. فكان يراسل الكثيرين ويستقبلهم في دمشق. كما سعى إلى انتخاب ما يزيد على الستين منهم أعضاء مراسلين في المجمع ونشر عدداً كبيراً من المقالات والتعليقات لهؤلاء المستشرقين في مجلة المجمع بينها تراجم حياة بعضهم مكتوبة بأقلامهم ..

كان الأستاذ (محمد كرد علي) يشيد بأعمال المستشرقين في كل مناسبة ويدعو إلى الاقتداء بهم والإفادة من جهودهم . وقد ظل يكرر القول بأن المستعربين « كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجلّ خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة وبوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة . وقد اعتادوا أن يشرحوا غوامضها بلغة الناشر أو باللغة اللاتينية فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة ، بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة ، لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة »[1] .

وفي محاضرته الكبيرة عن « أثر المستعربين في الحضارة العربية » يصرح الأستاذ (محمد كرد علي) بأن « كل ما طبعه أولئك الأعلام من المستشرقين ينمّ عن صبر طبيعي فيهم ودؤوب غريب وأمانة يصفق لها وتحرٍّ للحق وتحرج من التلفيق حتى غدت مطبوعاتهم ، إلا ما ندر منها ، أمثال النظر البليغ والطبع الجميل ، وأكبر معوان على المراجعة والمطالعة

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٨)

والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع »(١) . ثم يضيف قائلاً : « وبعد ، فما برح العارفون منا يقدرون عمل المستعربين حق قدره ، بل يعجبون به ويحمدونه » . وهنا ينقل كلمة سمعها من أستاذه علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري يتساءل فيها : « أليس من الغريب أن يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في ألمانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الآستانة ؟ »(٢) .

ثم قارن بين عمل المستشرقين الذين ما زالوا يبالغون بالعناية فيما يطبعون والذين يتوخون من طبع كتبنا الفائدة العلمية قبل كل شيء وبين أولئك الذين عانوا صناعة الطبع والنشر في الشرق الإسلامي بعد مرور قرنين على بداية الغربيين والذين لم يكن قصدهم إلا الربح فقال : « كنا ، على عروبتنا ، نخلط ونرتكب الفاحش من الأغلاط ؛ وكانوا ، على عجمتهم ، يجيدون ويجودون ؛ وما خلونا مع ذلك من دعوى عريضة ، وظلوا هم على تواضعهم يزيدون ما ينشرون تجويداً الحقبة بعد الحقبة ، وجمدنا فلم نتقدم إلا قليلاً »(٣) .

وقد ضرب الأستاذ (محمد كرد علي) أمثلة على جهود المستشرقين وعنايتهم بإحياء أمهات الكتب من تراثنا العظيم فذكر إقدام المستشرق الألماني (هلموت ريتر) على تحقيق ونشر كتاب « مقالات الإسلاميين » للإمام الأشعري والجزء الأول من « الوافي بالوفيات » للصفدي وغير ذلك

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٧) صفحة (٤٥٣)

(٢) المصدر نفسه ، صفحة (٤٥٥)

(٣) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٩٥)

من الكتب التي ألفها أو ترجمها . وتحدث الأستاذ (محمد كرد علي) في مناسبات عديدة عن صديقه المستشرق (كرنكو Fritz Krenkow) فأشاد بجهوده في نشر عدد كبير من الكتب العربية القديمة التي حققها وطبعها في حيدر آباد (الدكن) مثل كتاب (جمهرة اللغة) لابن دريد و (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلاني و (حماسة ابن الشجري و (التاريخ المنتظم) لابن الجوزي و (المؤتلف والمختلف) للآمدي و (نحاة البصرة) للسيرافي و (معاني الشعر) لابن قتيبة و (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكري و (شرح كمال الدين الشيرازي) على كتاب (المناظر) لابن الهيثم وكتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني . ثم أثنى عليه وأعرب عن إعجابه الزائد بنشاطه وقال : « إن الأستاذ (كرنكو) بحسب العرف غريب عنا ولكنه في الواقع قريب من قلوبنا لعطفه على أدبنا وتاريخنا وديننا بلا غرض إلا خدمة العلم المجرد . » (١)

كذلك لم يبخل الأستاذ (محمد كرد علي) بالتقدير والمديح ، على أبحاث المستشرقين في مختلف الموضوعات العربية والإسلامية . فنراه مثلاً عند التعريف بأطروحة الأستاذ (هنري لاوست) عن (تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية) يقول : « إن هذا المستشرق الفرنسي قد نفذ إلى روح شيخ الإسلام ابن تيمية وغاص في تعاليمه كما يغوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق . فاستخرج لآلىء بديعة .. » (٢) . ثم قارن

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٩٦) والجزء الثالث صفحة (٩١٩—٩٢٠)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (١٦) صفحة (١٩١ — ١٩٢)

بين دراسة هذا المستشرق وبين الأطروحات التي كتبها الطلاب العرب والتي لم يكونوا يقصدون بها خدمة العلم وإنما مصلحة أنفسهم ونيل الشهادة فحسب ..

ويبدو أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد تعرض إلى شيء من النقد والعتاب لإغراقه في اطراء المستشرقين . فقد جاء في « المذكرات » قوله : « كنت كلما مدحتهم (يقصد علماء المشرقيات) أمام جماعتنا يتأففون من سماع كلامي لأنهم من الصنف الذي لا يعمل ولا يحب أن يعترف لأحد بأنه يعمل » [1] . وفي مكان آخر يقول : « يلومني بعضهم لأني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات . ولو كان اللائمون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرتهم ، ولكنهم من الجماعة الذين لم ينشروا ورقة من آثار السلف وليس لهم رأس مال إلا الثرثرة ، لا يعملون ولا يتركون غيرهم يعمل » [2] .

والحقيقة هي أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يمدح المستشرقين حباً في ذواتهم ، وإنما أراد أن يستحث همم أبناء أمته ، فكان يقدم لهم نماذج يقتدون بها في العناية بالتراث ونشر العلم واتباع طرائق البحث الحديثة . وكان بطبيعة الحال يتعمد إبراز النواحي الحسنة من نشاط المستشرقين ويسترسل في الكلام والثناء على المشهورين منهم بالاعتدال والإنصاف أو بالتعاطف مع العرب والمسلمين .

على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يجهل أهداف الغربيين

---

(١) المذكرات ، الجزء الأول (١٩٤)
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (١٧) صفحة (١٦٠)

وأغراضهم من دراسة المشرقيات. فقد أفاض في الكشف عن العوامل التي أدت إلى نشأة الاستشراق من دوافع دينية في بادىء الأمر ثم إلى أطماع سياسية - استعمارية بعد ذلك. وهو يقول: « لا بد لي.. أن أشير إلى أن أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأنهم يخدمونها في سياستها بما تصل إليه أيديهم ويهديهم إليه اطلاعهم. ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شبه نبذته دولته فلا يتوقعن إذاً من مستشرق أن يخدم غير أمته. ولهم المعذرة في ذلك... أما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم أن يخدموا آدابنا بأمانة لا يتخذونها سلماً إلى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة إلى اغتصاب حقوقنا في الحياة » (١).

وفي الواقع كان الأستاذ (محمد كرد علي) يسرع دوماً إلى الرد على بعض المستشرقين المتعصبين الذين كانوا يطعنون في العرب والمسلمين. هكذا لما ظهر كتاب الأب (لامنس) البلجيكي عن (تاريخ سورية) انبرى له الأستاذ (محمد كرد علي) ونشر في مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً انتقادياً شديداً فضح فيه أغلاطه وافتراءاته (٢). ثم عاد إلى انتقاد ما كتبه (لامنس) عن الشام وعن الإسلام ضمن موضوعات (موسوعة الإسلام) وبيّن أن جمهرة المستشرقين لا يتفقون معه في الرأي، بل يصفونه بالتحزب والتعصب وينظرون إلى أقواله بتحرز شديد (٣).

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٩)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (٢) صفحة (٢٧١ = ٢٨١) وصفحة (٣٤٧ - ٣٥٠)

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (٧) صفحة (١٢٩-١٣٢) ثم المجلد (٢١) صفحة (٣ - ١١)

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد حضر مؤتمر المستشرقين في (اكسفورد) سنة ١٩٢٨ وتحدث هناك عن نهضة العربية الأخيرة . ثم دعي إلى الاشتراك في المؤتمر الذي عقد في (ليدن) بهولندا في صيف سنة ١٩٣١ ، فتقدم إلى رصفائه أعضاء المجمع العلمي العربي يسألهم عن الموضوع الذي يرون أن يخوض فيه وأخبرهم أن كل عضو لا يسمح له بالكلام أكثر من عشرين دقيقة ، فاقترح عضو المجمع الدكتور أسعد الحكيم بأن يرد على المؤلفين الغربيين الذين ما زالوا يطعنون بالعرب والمسلمين منقادين إلى أحقاد قديمة وتعصبات ذميمة ، ووافق سائر الأعضاء على ذلك .

ويروي الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته أنه بدأ بدراسة الموضوع درساً « خفيفاً » ليكتب فيه سبع صفحات . ثم يقول إنه لما أزمع الرحيل حددت الحكومة مدة الرحلة بأربعين يوماً فاستقلها وعدل عن السفر . إلا أنه انصرف بعد ذلك من تلقاء نفسه إلى دراسة الموضوع ، وساعده اعتزاله منصب الوزارة إذ ذاك على التفرغ إلى البحث وظل يشتغل بالتأليف مدة ثلاث سنين حتى أنجز كتابه « الإسلام والحضارة العربية » الذي قال عنه الأمير شكيب أرسلان إنه خير ما كتب الأستاذ (محمد كرد علي) [1] . وقد استهله بمناقشة المستشرقين الذين نالوا من الإسلام والعرب ، ثم انتقل إلى الرد على الشعوبيين عامة الذين ناهضوا العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب وقاموا ينقصون من قدر حضارتهم وينكرون فضلهم وأصالتهم ولا يتورعون عن المغالطة والكذب .

ولكننا نلاحظ أن الفصول المخصصة لتفنيد مزاعم المستشرقين المتعصبين

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (٣١٦)

والشعوبيين المغرضين لا تؤلف إلا جزءاً ضئيلاً من الكتاب لا يزيد على مائة. صفحة في حين أن القسم الأعظم أي (٨٤٠) صفحة قد خصص لوصف مدنية العرب والإسلام وليبان محاسنها وعناية أهلها بالعلوم والآداب والفنون وللكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا . ويمكن التأكيد على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يميل إلى المجادلة والمنابذة، فلم يتعرض إلا إلى القلائل من المستشرقين الذين تعمدوا الإساءة إلى العرب والمسلمين وشوّهوا الوقائع وخالفوا الحقائق . وكان يسعى إلى نقض مزاعم هؤلاء المخالفين بالرجوع إلى آراء العلماء الغربيين أنفسهم، الذين امتازوا بالنزاهة والحياد . فكان يستشهد على الأخص بأقوال العلامة (غوستاف لوبون) الذي استطاع ، على الرغم من عدم معرفتة للعربية ، أن يؤلف كتاباً من أجلّ الكتب عن (حضارة العرب) يبرهن على سعة اطلاعه ونزاهة أحكامه .

لم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) ينتظر من المستشرقين أن يبحثوا في تاريخنا وحضارتنا من وجهة نظرنا نحن . وهو يعترف بأن البشر يختلفون في المعتقدات والعادات وأن آراءهم تتباين ، ولذلك يطالب بأن نعذر المنابذ المعتدل إذا كان يؤمن بما يقول وألاّ ننسى بأن « مجتمعنا ما كان في كافة أدواره وأطواره فائضاً بالعدل والتسامح » ثم يصرح بأن « لكل أمة لو أنصفنا مساوىء ومحاسن ، تساوى في ذلك القديم والحديث والصغير والكبير منها . » (١)

كذلك يقول الأستاذ (محمد كرد علي) : « وإذا أولع العرب

(١) الإسلام والحضارة العربية ، صفحة (١٩)

بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدّعون أنهم كانوا أول من ورّخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البادئين بأسس المدنية . وما ادّعى المسلمون قط أنهم نزلوا بحضارتهم من السماء ، بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وسعتهم الزيادة فأوصلوها بأمانة إلى أهل المدنيات الحديثة » [1] . إنه يريد من المستشرقين التقيد بقواعد البحث العلمي من من حياد وتجرد وإنصاف وجرأة في الجهر بالحقيقة .

إن الأستاذ (محمد كرد علي) كان يكره التعصب ويكافح العدوان ويدعو إلى التفاهم والتقارب . وقد انتقد المستشرقين المتعصبين المغرضين لأنهم يثيرون الأحقاد ، وهو يقول : « للبشر اليوم مقصد أسمى من الخلافات والمناقشات التي جاءت القرون إثر القرون وما زالت بحالها لم تورث النفوس إلا اشمئزازاً . . . إن البشر بعد هذا التقارب في المواصلات والأفكار أحوج ما كانوا إلى التعارف والتعاطف وإنصاف بعضهم بعضاً ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » [2] .

---

(١) المصدر نفسه صفحة (٥٥)
(٢) المصدر نفسه صفحة (١١ — ١٢)

وفاء

الدكتور جميل سلطان

عهدُ الشبابِ ومثلُه لم يُعهدِ ... ولّى مع الأحلامِ والزهرِ النديِ
طُويتْ برودُ الحسنِ من أيامِهِ ... فكأننا من بُردِه لم نرتدِ
ومضتْ حوافلُ مُزْنِه وتظنُّها ... ما أمطرت يوماً لعيشٍ مُرغَدِ (١)
وذوتْ نجومُ الأرضِ مذعطشَ الثرى ... وجفا ذرى الأفنانِ كلُّ مغرِّدِ (٢)
وبدا ضياءُ الشيبِ في إشراقِهِ ... كالفجرِ يطلعُ من إهابٍ أسودِ
فكأنهُ زهرٌ يروقُكَ حسنُه ... والزهرُ محبوبٌ وإن لم يَعقدِ
فارجعْ إلى زَهوِ الشبابِ وتيهِهِ ... تلقَ الشموعَ شوامخاً في المعبدِ
والنورَ تقذفُه العيونُ كأنّهُ ... ومضٌ يندُّ عن الضِرامِ الموقَدِ
وبكلِّ نفسٍ ثورةٌ لا ترتضي ... ما أبلتِ الأزمانُ من مُتعوَّدِ
وتطلُّعٌ لبناءِ مجدٍ خالدِ ... صُنعَ الذينَ أتوا بكلِّ مُخلَّدِ

* * *

(١) أرغد القوم : أخصبوا وصاروا في رغد العيش . وأرغد الله عيشه : جعله رغيداً ، أي طيباً متسعاً فهو مرغد العيش .

(٢) نجوم الأرض : أزهارها .

وشيوخنا الأبرارُ جـــادَ نَوالُهم غَدَقٌ من الرضوانِ غيرُ مُصرَّدِ (١)
كانوا الأئمةَ إنْ قصدتَ حِمامُهُ فخُطاكَ في هَديٍ لأشرفِ مقصِدِ
وإذا رغبتَ بخيرِ ما يرجو الفتى ألفيتَ عندهُمُ رجـاءَ المجتدي
كانوا مصابيحَ الهـدايةِ للورى في نورِهـا يَمضي المُجِدُّ ويهتدي
أتقولُ : هم مثلُ النجومِ ؟ وإنهم لأدلُّ منهـا للسبيلِ الأرشـدِ
من كلِّ ثبْتِ العلمِ موفورِ النهى متواصلِ الحلقاتِ بَرِّ المعقِدِ (٢)
عِقدٌ بأوسطِهِ تقـومُ فريدةٌ بينَ اللآلىءِ في ضياءِ الفرقدِ (٣)
ما مثلُه في الأرضِ عقداً كامـلاً ضمَّ النوابـغَ للرئيسِ « محمدِ »

* * *

ربُّ البيانِ إذا سمعتَ مقـالَهُ راعتْكَ منهُ رصانةُ المُتَشدِّدِ
وإذا سبرْتَ الغورَ من تفكيرِهِ أبصرْتَ فيهِ ثورةَ المُتَجدِّدِ
وإذا أطلَّ على الجموعِ محاضـراً من فوقِ منبرِهِ فقدْ سحرَ النَّدي (٤)
وترى ذوي الألبابِ منه بموضعٍ في حُسنِ مُستمعٍ وصدقِ تَوَدُّدِ
يُصبي القلوبَ ويستبدُّ بوعْيِهـا حُـرٌّ من الآراءِ لم يُستعبَدِ
أحيا بليغَ القولِ عذبُ مقالِهِ وأتى بصَرْحٍ في البيانِ مُمَرَّدِ
صانَ العروبةَ إرثَها وصفاءهـا واشتدَّ في ردِّ الدخيلِ المُفسِدِ

---

(١) الغدق : الماء الكثير . صرد العطاء : قلله ، والمصرد : القليـل ، وصرّد الرجل : سقاه دون الري .

(٢) عقد النية والبيع والأمر : أحكمه واشتد فيه . وهو بر المعقد : كناية عن كونه حسن الطوية .

(٣) الفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٤) الندي : يعني المجلس ، وهو المنتدي .

وإذا بغى فسيا يؤرّخ مبطلٌ ... ومشى مع الأهواء مشيَ مُفنَّد (١)
نالتْهُ من قلمِ الرئيس لواذعٌ ... تبغي الصوابَ وغيرُهُ لم تنشُد
علمٌ وتجربةٌ وفكرٌ ثاقبٌ ... وجراءةٌ لم تستكنْ لمُسوَّدِ
ومحامدٌ في نشرِ كنزٍ دائرٍ ... أغفى طويلاً في الغُبارِ الأربدِ (٢)
وإثارةٌ لعزائمٍ مطويَّةٍ ... لولاه لم تظفرْ بزندٍ مُؤيَّدِ
وبكلِ قطرٍ من جليلِ صنيعهِ ... وِرْدٌ من العرفانِ يغشاهُ الصدي (٣)
تلكَ المآثرُ إن ذكرتَ شتاتَها ... أعيتْ على التَّعدادِ كلَّ مُعدِّدِ
حتى إذا بلغَ المدى من شوطِهِ ... أفضى الزمانُ به إلى المُتوسَّدِ (٤)
ومضى عن الصرحِ الذي قدْ شادَهُ ... فرعاهُ أربابُ البيانِ المُحْصَدِ (٥)

* * *

وتتابعَ الأجيالُ يخلُفُ بعضُها ... بعضاً ويأخذُ مُطرِفٌ عن مُتْلِدِ (٦)
ثم استقرَّ الجمعُ حولَ رئيسِهِ ... علمِ البلادِ بفنهِ المُتفرِّدِ
«حُسني» الذي صحبَ البلاغةَ علمُهُ ... وشفى من الأسقامِ كلَّ مُنكَّدِ
وأذلَّ للفصحى الدخيلَ وما ونى ... عن أعجميّ نافرٍ متمرِّدِ

---

(١) فنده : خطأ رأيه وضعفه ، والمفند : المخطئ في رأيه .

(٢) الأربد : ما كان فيه ربدة وهي لون الغبرة .

(٣) الصدي : العطشان عطشاً شديداً .

(٤) المدى : الغاية والمنتهى .

(٥) أحصد الحبل : فتله فتلاً محكماً فقوي واشتد ، والرأي المحصد : الرأي الحكيم كالأحصد وهو من المجاز .

(٦) أطرف : أتى بالشيء الجديد المستحسن فهو مطرف . وأتلد الرجل : كان ذا مال تالد ، أي عريق قديم فهو متلد .

عرَفَ الأماثلُ عبقريـــةَ فضلِهِ فأقمَ بينهُمُ بأكرمِ مقعـــدِ
ولكلِ عضوٍ منهمُ الفضلُ الذي إنْ طاولتْهُ يدُ العِدى لم تَنْهدِ (١)
نشروا الفضائلَ في الأنامِ ومن يجيءْ بِحماهُمُ يشفي الفؤادَ ويَزْدَدِ
أنعِمْ بهِمْ من حافظينَ لمجمَعٍ يحمي حِمى الفصحى بجُهدِ مُجْتهدِ
فإذا أثاروا اليومَ ذكرى ماجدٍ صانَ البيانَ فذكرُهُ لم يَنْفَدِ
يُحيونَ في ذكراهُ سالفَ عهدِنا من أمةٍ غنيتْ بكلِ مُمَجَّدِ
من طالعينَ على الأنامِ كواكباً أو باذلينَ الرِفْـــدَ للمُسْتَرْفِدِ

* * *

يا تاركَ الأثرِ الحميدِ وناشرَ النـــورِ الجديدِ لكلِّ جفنٍ أرْمَدِ
مهدْتَ للغادينَ في طلبِ العُلى ما كانَ وعْرَ الدربِ غيرَ مُمَهَّدِ
وبذلْتَ في التعليمِ أقصى همةٍ وفتحْتَ فيه كلَّ بابٍ موصَدِ
وبعثتَ للغربِ الشبابَ ليجتنوا خيرَ الثمارِ فكنتَ أولَ موفِدِ
وصحبْتَهم فرأوكَ أكرمَ والدٍ ومِنَ الودادِ بنُوةٌ لم تُولَدِ
فعلى الطفولةِ منكَ قلبٌ مُروَّعٍ وعلى الشبيبةِ منكَ عينُ مُسهَّدِ
وعلى هُدى السَّنَنِ الذي أشرعْتَهُ للعاملينَ يسيرُ مَنْ بكَ يقتدي (٢)

* * *

قالوا له يوماً : رُويدكَ لا تكنْ في البذلِ للأبناءِ مبسوطَ اليدِ
إنَّ المعاهدَ إنْ علَتْ درجاتُها كانتْ أحقَ بكلِ مالٍ مُرْصَدِ
والراشدونَ المُصْعِدونَ إلى الذرى أولى من النشءِ الذي لم يُصعِدِ (٣)

---

(١) نهد : شخص وقام إليه ، وعلا وارتفع .

(٢) السنن : الطريق .

(٣) أصعد في الأرض : مضى من أرض إلى أعلى منها .

أتراهمُ نكيروا حقيقةَ أمره ؟ ولهم مِنَ الآراءِ ما لم يُجحَدِ !
أم هالهم أن تستمرَّ لهُ يــدٌ طولى على مرِّ الزمانِ السرمدِ ؟
أم أنهم وجدوا حيمى أبنائنــا هيْناً لِكَفِّ الطامعِ المتوعِّدِ ؟
فاستضعفوا الطيرَ الأنيسَ وأحجموا عن كلِّ حامٍ حوضَهُ مُستأسِدِ
والناسُ لا تخشى أغاريدَ الضحى لكنها تخشى هزيمَ المرعِدِ (١)
عجِبَ الرئيسُ لما يُقيِّدُ خطوهُ لكنَّهُ عن قصــدِهِ لم يقعُدِ
ومضــى إلى المرجوِّ من آمالهِ لِيَشيدَ الأبنــاءِ خيرَ مُشَيَّدِ
وأصاختِ الدنيا لتسمــعَ قولهُ في حكمــةٍ هي مؤونةُ المتزوِّدِ
إذْ قال : هذا الغرسُ مقبِلُ أمتي ألخونُها في العلمِ ؟ يا ويحَ الردي
أفأمنعُ الغرثانَ قوتَ حياتهِ ؟ أم أحرمُ الظمآنَ عذبَ المَوْرِدِ (٢)؟
لو قطَّعوا من راحــتيَّ أناملي لم أقتطعْ من ذُخرِ أبطالِ الغدِ
فضلٌ على الأجيــالِ أثبتَهُ أبٌ حفِظَ الحقوقَ وحالَ دونَ المعتدي

* * *

ياصاحبَ الأيدي وجسمُكَ مُبْعدٌ لكنَّ روحكَ ههنا لم تَبْعَدِ (٣)
بالأمسِ كنتَ مكرِّمي في عصبةٍ شعراءَ في عزِّ الشبابِ المُسعِدِ
فحملتُ منكَ جميلَ ما أوليتَني واليومَ صرتُ مــع الوفاءِ بموعدِ
والدَّيْنُ حقٌّ لا يُضامُ ومَنْ يقمْ بأدائهِ يرعَ الذمــامَ ويُحمَدِ
أفأستطيعُ وفــاءَ ديني بعدمــا طالَ الزمانُ وعزَّ فيهِ مُنجدي

(١) الهزيم : صوت الرعد .
(٢) الغرثان : الجائع .
(٣) لم تبعد : (بفتح العين) لم تهلك ولم تمت .

أألي وفضلُكَ فوقَ كلِّ بلاغةٍ ... من شاعرٍ جَزْلِ المَقالِ مُقصِّدِ
ويضيقُ عنكَ الحرفُ إنْ أوردتُهُ ... كفوّهٍ وافي الثناءِ مُجوِّدِ (١)
وبحسْبِ عرفاني لسانُ ذاكرٍ ... لمْ أجترحْ فيهِ ولم أتردَّدِ (٢)
أني خبرتُ العبقرياتِ التي ... أنوارُها سطعتْ ولمَّا تخمَدِ
فأكادُ أجزمُ أنَّ ما أوتيتَهُ ... لم يجتمعْ يوماً لشخصٍ أوحدِ
فلأنتَ إنْ ذُكِرَ النوابغُ أمةٌ ... جُمعتْ عليَّ في غيرِها لم توجدِ

* * *

صلّى عليكَ اللهُ في جنّاتِهِ ... وحباكَ بالنُّعمى ونورِ المَشهدِ
لجزيلِ ما أثّثتَ في تاريخنا ... ودفعتَ عن إرثٍ عريقِ المَحتِدِ
وأبنتَ أنَّ العروبةَ أمةٌ ... تبقى على الأيامِ أمَّ السؤددِ

---

(١) المفوّه : البليغ الكلام .
(٢) اجتراح الإثم : ارتكابه .

رحلات كرد علي وأثرها في أدبه

الأستاذ جمال الدين الألوسي

تحيتي إليكم سادتي مشفوعة بالشكر والامتنان لكل من أسهم بإحياء هذه الذكرى الكريمة التي تعطرت أيامها بسيرة المغفور له الرئيس الجليل محمد كرد علي . ومن حقه على الشام ومجمعها ، بل على العرب أجمع أن يحتفوا بذكراه وينشروا سيرته وجهاده وأدبه ويحيوا مؤلفاته بين أبناء العروبة ولاسيما الجيل الصاعد ، ليكون لهم قدوة تعصمهم عن مزالق الأهواء الوافدة ، وتشدهم إلى عروبتهم ومقومات دينهم الحنيف ، تعلمهم سيرته الحافلة بجلائل الأعمال الدأبَ على العمل ، والسعي وراء المعرفة ، والصبر على التحصيل والصدق في الأقوال والأفعال .

وبعد ، فإن الأستاذ الكبير محمد كرد علي يُعد من أعاظم الرجال ، ومن الرواد الذين قامت على جهودهم النهضة العربية الإسلامية الحديثة . كان أمة في رجل كما وصفه عارفو فضله ، جاهد في أحلك الأيام ونافح عن العروبة والإسلام بقلمه وبلسانه وبمقالاته ومؤلفاته ، ونصب نفسه رقيباً لكل من يتصدى للإسلام بغمز أو للعروبة بلمز ، قاوم الاستبداد ولاقى في سبيله الأَلاقي ، من أجل إشاعة الخير ، في عزيمة لا تعرف الخور ، ولا يتسرب إلى نضاله فتور أو حذر .

أحال قلمه داعياً إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي ، وشدّد النكير على الحكام الظلمة ، ودعا إلى محاربة البدع والضلالات ، وكتب مدافعاً عن مصالح وطنه ، وطالب الولاة بالعمران والإصلاح الاجتماعي ، ناقداً من غير هوادة سوء إدارة الحاكمين من عثمانيين وفرنسيين فاضحاً خراب ذممهم ناشراً طبائع الاستبداد والمستبدين بهمة عالية ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، صريح لايعرف التقية أو المواربة ، ممّا جرّ عليه الكثير من الخصومات والملاحقات والمتاعب .

كانت نزعة الإصلاح ذات جذور في أعماق نفسه بفضل فطرته وتربيته ، ولأساتذته الفضل الأكبر في إذكاء هذه الروح وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري ، وكان لآراء جمال الدين الأفغاني التي يقرؤها في العروة الوثقى ، وما كان يصله من مقالات المصلحين المجددين من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد ابن عبد الوهاب أثرها الفعال في نفسه المطبوعة على حب الخير .

انتقد عصور التخلف والطائفية ، وجرّد قلمه لمحاربة شعوذة المشايخ والمشعوذين ، يتعقب جهالاتهم وجهّالهم الذين كانوا يضلون الناس بدعاواهم التي ليست من الدين بشيء .

وكانت آراؤه تتسم بالسلفية والنزعة التجديدية التي تربّى عليها وأشار إليها في قوله : « منذ فقدنا استقلالنا وقبض على زمام إدارتنا أعراب ليسوا من جنسنا وأحياناً من غير أهل ملتنا ونحلتنا ، ويسنُّ قوانيننا غيرُنا ، وقد يسنون ما لا يلائمنا ؛ ضعفت فينا خلال هذه القرون الطويلة ملكة العلم ، وانحططنا في أخلاقنا وتفكيرنا ، وابتعدت كل طبقة عن أختها لاتشاركها عواطفها ، وكان في هذا المجتمع المنحط طبيعياً أن يأكل القوي الضعيف

وأن تغرق البلاد في بحران من الجهل وإن هبّت تتلمس سبل النجاة لاتهتدي إلى النجاة ».

وسيلته لنشر آرائه :

لم يرَ وسيلة تحقيق أغراضه السياسية وآرائه الإصلاحية أصلح سبيلاً ولا أقوم مسلكاً من الصحافة ، وقد أولع بها منذ صباه ، مال إلى قراءة الجرائد اليومية والمجلات الشهرية وسنّه لم تتجاوز مرحلة الدراسة الإعدادية ، اشترك في جريدة فرنسية أسبوعية كانت تصدر في باريس اسمها « صديق الريف » ، وولع بقراءة جريدة « لسان الحال » لأن فيها أخباراً طريفة معربة عن الانكليزية ، وكانت تصـــله جرائد مصرية ويعكف على مطالعتها ولا سيما المقتطف ، كما كانت تقع تحت يده جرائد تركية . وما بلغ السادسة عشرة من عمره حتى أخذ يكتب أخباراً ومقالات في الجرائد ، وفي هذا التكوين قال : « ما كنت أظن هذه البداءة تنتهي بي إلى الغرام بالصحافة » .

وطابعه : أن يخلو التحرير من التعقيد ، وأن يكون التعبير واضحاً يهدف إلى المعنى بإيجاز ، يتخير اللفظ السهل ، ويسعى لاستعمال الجملة البليغة ، وأفضل اللفظ عنده ماخفّ على اللسان وراق للسمع ، وتغلب على مقالاته طبيعة الاستقصاء حتى يستوفي المعنى الذي يبتغي عرضه على القراء ، حتى عدَّ من أصحاب الأساليب ، وقرنه الأستاذ محمد عبد الفتاح في كتابه (أشهر مشاهير أدباء الشرق) بالعقاد وطه حسين ومحمد عبده ، وعدّه الأستاذ جمعة إسماعيل في الأدباء الخمسة أصحاب الأساليب . وثقافتُه لا تعتمد على الصحافة بقدر ما تعتمد على كتب التراث عربية وفرنسية وتركية ، مكنته فطرته السليمة وذكاؤه الحاد ودراسته المنهجية من عربية وفرنسية وتركية وثقافية لمعارف

عصره عربية وشرقية ـ أهلته في الأخير أن يتبوأ مركزه الأدبي والاجتماعي. قرأ المخطوطات وبحث عنها في خزائن دمشق والقاهرة والآستانة وليدن وروما والاسكوريال، وفي مكتبة الأمير كيتاني، وقرأ ما حققه المستشرقون من كتب التراث. وله صداقات ولقاءات ومراسلات ومساجلات مع الكثيرين منهم، واطلع على ما ألفوه في الإسلام والعرب وكتب في أوهامهم وأخطائهم الفصول المفيدة، قال:

«أهم ما أولعت بطالعته بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربي جانب من المخطوطات التي عثرت عليها من كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأحوال الشعب ومدنياتهم، وطالعت بالفرنسية أهم ما كتبه فولتير وروسو ومنتسكيو وسبنسر وتين وسيمون، وتدارست المجلات الفرنسية الأدبية والاجتماعية والتاريخية، وجريت منذ نشأت على قاعدة مطردة لم أتخلف عنها قيد شبر، وهي أن أقرأ أكثر مما أكتب، وقلما دونت موضوعاً لم أدرسه في الجملة ولم تتشربه نفسي».

وصفه صديقه الشاعر الكبير شفيق جبري وقد زامله وعمل معه طويلاً، قال:

«لقد خالطته في وزارة المعارف، وكان وزيراً لمعارف سوريا فوقفت على كثير من خصائصه وطباعه ومزاجه، فما عرفت رجلاً أولع بمطالعة الكتب ولعه، فكثيراً ما كان يطلب من أصحاب المكتبات الفرنسية كتباً في أكثر الموضوعات ولا سيما موضوع الاجتماع، وما أذكر أنه كان يمر عليه شهر وأحياناً أسبوع دون أن يطلب كتباً جديدة للمطالعة من باريز وليبسك وروما ولندن» وقال: «إذا خلا إلى نفسه فإنما يخلو إلى مكتبته، وإذا اعتزل دمشق إلى ريفه في الغوطة فإنما يعتزلها ليصغي إلى أحاديث كتاب يجالسه إصغاءه إلى حفيف شجره، وزقزقة طيره، وما عرفنا في عصرنا من غلبت عليه محنة القراءة وشغله الميل إلى التأليف مثل الأستاذ الرئيس».

رحـــلاته إلى مصر :

دفع به شغفه إلى المعرفة والاطلاع على المدنية الغربية أن يرحل رحلته الأولى إلى مصر أولاً ومنها إلى الغرب وذلك سنة ١٩٠١ – قاصداً زيارتها والتعرف على أدبائها ومشاهيرها ومشاهدة عمرانها ، وكانت مصر كعبة الرواد ومتجمع الأحرار من أبناء العروبة ، كما كانت ملجأ المجاهدين ولا سيما أحرار سوريا . قضى في رحلته هذه عشرة شهور عمل فيها رئيساً لتحرير جريدة الرائد ، فلما انتشر وباء الكوليرا سنة ١٩٠٢ رجع إلى دمشق فراراً من الوباء ، وعاد إلى مصر سنة ١٩٠٥ ونشر « المقتبس » فتلقاه القراء بالترحاب والتقدير ، ورحبت الصحافة المصرية بها ، وعن طريقها اكتسب شهرة واسعة إلى شهرته التي اكتسبها عن طريق ما كان ينشره في الصحف المصرية ، وأسندت إليه رئاسة تحرير الظاهر بعد شهرين من عمله فيها في حقل المترجمات ، وحين خروج العدد الثاني من المقتبس أطرته المؤيد وأثنت على صاحبه فساعد هذا التقريظ على انتشار المجلة ، لأن صوت المؤيد كان يومها أعلى الأصوات ، وحاول صاحب المؤيد أن يعهد إلى كرد علي رئاسة تحرير المؤيد فاعتذر لارتباطه بجريدة الظاهر ولأن رئيس تحريرها صديق له.

لقد كانت الصحافة مدرسة كبرى عادت على الأستاذ الرئيس بالمعرفة والدرس العلمي ، وقادته إلى ميادين فسيحة من الثقافة وبوأته منزلة مرموقة بين رجالات العلم والأدب . في رحلته الأولى تعرف على الإمام محمد عبده قال : « كنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي ، وهي المحاضرات التي دأب على إلقائهـــا إلى قبيل وفاته سنة ١٩٠٥

« وكنت أغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع ، وكان واسطة التعريف محمد رشيد رضا صاحب المنار ، ولقيت من الشيخ الإمام أول تشرّفي به إطراء وعطفاً ، وقدمني إلى جماعته وأثنى على مقال كنت كتبته في مشروع السكة الحديد - الخط الحجازي - فكان تقريظه للمقال وثناؤه على أفكاره خيرَ تكريم لي في مثل هذا اللقاء في حفل حاشد بالعلماء والكبراء ، وكانت ندوة الإمام خيرَ واسطة لمعرفة طبقات القاهرة تضم العديد من أعيان مصر وعلمائها وفضلائها ، من أمثال محمد المهدي وأحمد الاسكندري والشيخ شاكر ومحمد الخضري ورفيق العظم وعبد العزيز شاويش وحفني ناصف ومحمد ديّاب وحافظ إبراهيم ، كما كانت للأستاذ كرد علي لقاءات مع رواد مقهى حديقة الأزبكية وكان من روادها المنفلوطي ولطفي جمعة وأحمد فتاح وحافظ عوض وداود بركات ويوسف الخازن وأحمد الألفي وولي الدين يكن وإبراهيم سليم النجار وسليم سركيس وعلي يوسف ، ويوسف وسليمان البستانيين وخليل مطران والشيخ طاهر . ومجلسهم كما وصفه الرئيس - مجمع علمي في مقهى - عادت عليه هذه اللقاءات والصداقات بفوائد أدبية واجتماعية كان مردودها زاداً دسماً لمجلته ولمقالاته التي كان ينشرها في الصحافة المصرية .

رحـــلاته إلى الغرب :

رحل إلى أوربا في فترات مختلفة كان آخرها في سنة ١٩٢٨ وكان من ثمرتها كتابه « غرائب الغرب » وكان أحفلها رحلته إلى إيطاليا « رومة » في سبيل الإعداد والوقوف على المخطوطات لتأليف كتابه الجليل خطط الشام.

فقد كانت أمنيته أن يزور أوربا زيارة درس واستطلاع لحضارة الغرب، ويزور المكتبات ويتعرف على ما فيها من كنوز الأجداد من المخطوطات

التي تسربت إلى مكتبات الغرب ، ولكن أشغاله الكثيرة في الصحافة والكتابة كانت تحول دون تلك الرغبة الملحة إلى أن عطلت المقتبس وطاردته السلطة بأمر الوالي ، بسبب آرائه الإصلاحية ونقده الجريء للولاة والموظفين ، وقد أثارت مقالته في « الوهابية » غضب الوالي وحرش عليه المشايخ واضطر أن يتخفى في قرى الغوطة وينتقل من قرية لأخرى ، يكمن في النهار ويجدّ السير في الليل ، يواصل سفره حتى وصل بيروت ، فكان له من هذه العطلة الاضطرارية فراغ حفزه أن يجدد العزم للقيام بالرحلة العلمية .

وفي هذه الحادثة وما لاقاه الأستاذ كرد علي من حياة التخفي والخوف وصفه الأمير شكيب أرسلان رحمه الله في قصيدة طويلة مداعباً تارة وناقداً أخرى ، ناقداً عصور الظلم والاستبداد ، مطلعها :

ألا قل لمن في الدجى لم ينَمْ طِلابُ المعالي سمير الألَمْ

ومنها :

وكم مروة تحت جنح الظلام كَسيرٌ بصدر الأريب انكتَمْ
يخاف بها حركات الغصون ويخشى النسيم إذا ما نسَمْ
وإن تَشْدُ ورقاء في أيكة تؤرقه في صوتها والنغَمْ
وكم بات للنجم يرعى إذا أديم السما بالنجوم اتّسَمْ
وطال به الليل حتى غدا يظن عمود الصباح انحطَمْ
ومن ذُعره خال أن النجوم تهدّى إلى مسكه من أَمَمْ

ومنها :

وقالوا سينفى إلى رودسٍ وقالوا سيجزى بما قد جَرَمْ
وقد قيل « فزان » من دونه وتلك السموم وتلك الحُمَمْ

وبعضٌ بسجنٍ عليه قضى ... وبعضٌ بضربٍ عليه حكم
وكرد عليٌّ غدا عبرةً ... ففاتَ ومنه الرجاء انصرمْ
فيا كردُ لاتحزنَنْكَ الخطوب ... فإن الهموم بقدر الهمَمْ
ومَن رامَ أن يتعاطى البيان ... توقّع أن يُبتلى بالنِقَمْ
فذي حرفة القول حريفة ... وكم أدركت من لبيبٍ وكمْ

كان جلَّ قصده من رحلاته المعرفة والدراسة والتعرف على معالم المدنية الغربية بالمشاهدة والمقارنة ، وقد تغني مشاهدة واحدة عن قراءة كتاب ، وما كان يشهد معهداً علمياً أو يزور جامعة أو مكتبة عامة أو يبصر حديقة أو معملاً صناعياً إلا وتراه يوازن بينها وبين ما عليه حالنا من التخلف والتأخر والفقر .

وما أثار إعجابه متحف أو مسرح أو مصنع أو مطبعة إلا وتسمعه يتحدث عن أثر الحضارة الغربية وما صنعت لأهلها من النماء والتقدم ، ليخلص من كل ذلك إلى إيقاظ أولي الأمر وينبههم إلى ما عليه أوطاننا العربية وحتى التركية من الجهالة والأمية ، قال : « نحن لا نسجل في رحلاتنا إلا ما تقع عليه أبصارنا ويترامى إلى آذاننا ونمسكه بأيدينا » .

وفي نقده وتوجيهه يفصح عن نزعته الإصلاحية ورغبته في خدمة قومه ، فما ينقل إليهم من معالم المدنية وبواعثها والدعائم التي ترتكز عليها مدنية الغرب إلا بقصد إفادة قومه ، يقول : « إن ما شاهدناه عندهم ليس إلا ثمرة عمل عظيم وجهاد منظم وإرادة قوية وأساس راسخ ، وإذا أردنا أن نبلغ بأمتنا مبلغهم فما علينا إلا أن نمد يدنا لاستخدام جميع القوى الحية في الأمة ، وأن تعمل الحكومة عملاً فعالاً لما فيه إنهاض الشعب » .

وكتابه « غرائب الغرب » حافل بالموضوعات التي تتسم بالجدة وتحتفظ

بالطلاوة والموضوعية والفائدة برغم مرور أكثر من ستين سنة على كتابتها .
ورحلات الأستاذ الرئيس المتعددة في الغرب والشرق فيها المتعة والنفع والأدب والتأريخ ، ومن أجزلها نفعاً رحلته إلى إيطاليا للانتفاع من مكتبة الأمير كيتاني :

كان الأستاذ رحمه الله يفكر في وضع كتاب مطول يشتمل على تأريخ الشام ، يتناول تأريخ سوريا السياسي والجغرافي والعلمي والأدبي ، وهو موضوع لا يسمو إلى التفكير به إلا من طبع على علوّ الهمة ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم . ومادة الكتاب شتتة في المراجع من عربية وغير عربية ، ودار في خلده أن يزور أوربا ليراجع مكتباتها ، فعرض فكرته على المستشرق « مارتن هارتمن » الألماني وأنه يزمع الرحلة إلى باريز ولندن واكسفورد و كمبرج وليدن وبرلين ورومة والأسكوريال ، للبحث في خزاناتها عن المخطوطات العربية ، فقال له إن الفكرة حسنة ولكنها غير عملية وتستلزم مالاً كثيراً ووقتاً طويلاً ، واقترح عليه أن يرحل إلى روما ويذهب إلى الأمير كايتاني صاحب كتاب تاريخ الإسلام ففي مكتبته مايغنيك : فيها صور شمسية من خزائن العالم ، وفيها كل ما خلّفه الثقات من مؤرخي العرب ، فزار مصر وحصل على توصية من أحمد زكي باشا إلى كيتاني فقدم عليه وقدم إليه رسالة التوصية ، وعرّفه الغاية التي من أجلها يمّم ساحته . رحّب به وسهل مهمته وفتح له أبواب مكتبه وأوصى مساعده المستشرق « جويدي » أن يقوم بمعاونة الأستاذ كرد علي ، فكان يقضي في المكتبة كل يوم ساعات ثلاثاً ينهل من مصادرها مدة شهر كامل ، فإذا عاد إلى المنزل الذي يسكنه راح يدوّن وير كّب الجزازات ويدون ما فيها حتى ارتوى ، ونسخ من مصادرها ما أراد وتم له تنسيق فصول الكتاب ودوّن مادته

ورتبه حسب الأقاليم ، يبحث في كل إقليم تأريخه وجغرافيته وطوبوغرافيته ، وسمّى كتابه هذا خطط الشام . قال في مقدمته :

« إن المتأخرين زهدوا في التأريخ حتى كادوا لا يفرقون بينه وبين أقاصيص العجائز وموسوعات المخرفين من القصاص والوضاعين ، مما دعا إلى العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من المبالغات والخرافات وتخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه شبهة أو شائبة غلو ، وإن كان منها ما يروق بعضهم ويتفكهون بسماعه ، ويطربون لترداده .

فخاطبت العقل أكثر من العاطفة ، وعنيت في قسم التأريخ السياسي : أبيّن علل الحوادث وتسلسل الكوائن وأستنبط القواعد والتأريخ ربيب الحرية لا يتصرف على هوى من يكتبه ولا هوى من يقرؤه ، ولا يخضع لأذواق المعاصرين وميولهم ، وما دام موضوعه الاعتبـــار بالخالي لمعرفة الحالي والآني فهو جدير بأن يتحرّى فيه الحق ولا يدون سواه ولا يتناغى بغير الواقع » .

خمس وعشرون سنة يجمع مادته ،ويحرر فصوله ، ويسوّد أوراقه ،وينقلها إلى المبيضات بيده ، ولا يعتمد على كاتب أو طابعة ، ١٩٤٣ صفحة من القطع الكبير ، الله وحده يعلم كم عانى في كتابتها وجمع مادتها ، قرأ خلال هذه المدة أكثر من ألف ومائتي كتاب باللغات العربية والفرنسية والتركيـة ، وقرأ مصورات لا حصر لها وراجع مخطوطات في خطوط مختلفة لا يصبر على فك رموزها إلا من أوتي صبراً وجلداً ، وقد رجا إخواناً له الكتابة في خطط بلدانهم . فاعترف لهم بفضلهم ، ونوّه بعملهم ، وعزا إليهم ما دونوه . وحين قامت الحرب الأولى واشتد أوارها وشغل الناس بويلاتها لم يسع

الأستاذ الرئيس إلا أن يطوي صفحات الكتاب ويقفل على أوراقه إلى أن تضع الحرب أوزارها .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تألفت لجنة من أصحابه وعارفي فضله جمعوا نفقات الطبع ، وفتحوا باب الاشتراك في الشام ومصر والعراق ولبنان وغيرها فجاءت المبالغ تباعاً حتى بلغت زهاء ألف ليرة ذهبية ، وعلى هذا النمط من التعاون تمّ طبع الكتاب ، وكان لأول مرة وربما هي لآخر مرة يطبع كتاب بهذه الطريقة ، طبع من الكتاب ثلاثة آلاف نسخة بيع منه ألفان سددت نفقات الطبع والورق ، وأهدى من الألف الثالثة للمجامع وإلى دور الكتب العامة وإلى العلماء ، ولم يعد عليه مردود الكتاب إلا بجزء ضئيل من النفقات التي أنفقها على شراء الكتب والرحلات ، ناهيك بأتعابه خلال خمس وعشرين سنة من الجهد المتواصل . نقد الكتاب جماعة من العلماء والأدباء فسجل لهم تقدم وتصويبهم وأغفل المدح والتقريظ وقال : « من طبعي أن يتدرب الناس على حب النقد للفائدة المتوقعة منه للمؤلف وللناس وللعلم ، ولم أنشر في كتبي ولا في المجلات والجرائد التي أكتبها تقريظاً أو شيئاً يشبه المدح في عملي » .

وألحق هذه النقود والتصويبات في آخر الجزء السادس من كتابه ، والناقدون يومئذ إذا ظهر كتاب لكاتب معروف أخذوه بالدرس والنقد والتقريظ ، وشعارهم : « ولا تَنْسَوا الفضلَ بينَكُم » ، وما كان من خلقهم التجريح والتبريح ولا التجهيل والتسفيه ، وإنما نقدهم في سبيل النفع العام والفائدة للقارىء والمؤلف . نقدَه أعلام لهم وزنهم وأقدارهم من مثل : أحمد تيمور وشكيب أرسلان واسكندر معلوف ويعقوب صروف والكرملي وأسد رستم وفيليب حتّي .

وكتب الأستاذ الشاعر شفيق جبري في وصفه ما نصه قال: « إن الإنسان إذا ضرب بعينيه في هذا التأريخ، فأول ما يغلب عليه دهشة يدهشها وحيرة يحارها: يدهش من هذه الأمم التي تعاقبت على ديار الشام من أولى العصور، ويحار من هذه اللغات التي تزاحمت فيها، ثم لا يخرج من دهشته وحيرته إلا بهذه النتيجة العجيبة: كيف استطاعت القومية العربية أن تُعفّي على آثار كل القوميات التي تعاقبت على الشام، كيف استطاعت لغة العرب أن تطمس آثار كل اللغات التي تنازعت في هذا الوطن الكبير، فإذا خرج من قراءة خطط الشام بهذه النتيجة علم حينئذٍ مقدار فضل مؤلفه في جمع ما تبعثر من آثار العرب والإسلام، في السياسة والحضارة، حتى ينظمها في مسلك واحد يملأ الإنسان منه قلبه وعقله.

ومؤلفاته والكتب التي أنجز تحقيقها ومحاضراته ومقالاته في التأريخ والأدب والسير والاجتماع والدين وفي الحضارة العربية إنما باعثها الدفاع عن الإسلام والعروبة والردّ على الشعوبية وعلى الاستعمار وأعوانه، ولم يفارقه المداد والقرطاس طوال حياته، وصاحَبَه القلم والكتاب حتى وهو في فراش المرض مع الدواء لا يجد عنها غنية أو بديلاً، وحسبه هذا الصرح العظيم — المجمع العلمي — الذي أشاد صرحه، والذي ما زال يشع بالعلم واللغة والأدب والذي يواصل مسيرته المباركة، ويضم هذه النخبة المختارة من رجال العلم والأدب الذين ندبوا أنفسهم لخدمة العروبة والإسلام، وأعطاه من وقته وقلمه وماله وجهده ما جعله مثابة للعلم وملتقى للعلماء والأدباء من سائر أقطار الدنيا شرقية وغربية.

وأخلص مما قدمت إلى أن تلك الرحلات التي رحلها إلى مصر وتركيا والحجاز وإلى أوربا بأوقات متفاوتة وحضر مؤتمر المستشرقين واستمع إلى بحوثهم، يضاف

إليها تلك اللقاءات مع العلماء والكتاب والشعراء والمستشرقين وما كان يردّ به على استفهام المستفهمين ويعقب على أخطاء أولئك المستعربين ، متعمدين وغير متعمدين ، كان مردود هذا اللقاح الفكري والأدبي وممارسة الكتابة المستمرة والقراءة لأمراء البيان أن تميز بأسلوب عربي مبين في الأسلوب والمضمون.

وإليكم سادتي هذه الفقرات ، كتبها في عشر الثمانين في مناجاة نفسه ، فيها الدلالة على أسلوبه الرفيع ، وفيها الدلالة على ما تنطوي عليه نفسه من خُلُقٍ هذّبه الدين وأنضجه العلم،وطبع كوّنه الأدب وصُحبته الكتابَ .وفي هذه المناجاة يبرز أسلوبه الأنيق في الكتابة قال : « يا نفس ! هو ذا الحادي يهيب بك لاجتياز المرحلة الأخيرة — دراكِ ، وخفّي في خف من أثقالك للحاق بمن تقدموك من الأهل والعشير ، فالوقت ضاق ، وأنت على أوفازٍ ، والمنزل منزل قُلعة . يا نفس ! لا تغضبي ولا تعتبي فقد عمّرت طويلاً،ومُتّعتِ كثيراً . . واستكثرت من الخلان والمعارف ، وسعدت إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم ، وإلى الرجاء أدنى من القنوط ، وإلى السرور أكثر من الغمّ ، وعشت في سلطان الرضا طيبةَ الطُعْمةِ ، لا يد لأحد عندك . علموك ما كانوا يأملون منه إعدادك للتجارة تَغْتَنينَ كما اغتنى أجدادك فأخفق تقديرهم ، وهدتك الفطرة لأمور أخرى رفعتها فوق كل اعتبار ، وصرفت فيها نقدَ عمرك ، اعتقاداً منك أن فيها سعادةً لك ولغيرك ، أخذت عن أشياخ أدخلوا الملل عليك بدساتير لهم حفظوها وما اهتدوا إلى العمل بها ، وانصرفت عنهم بشكوكٍ ومعميات ما انحلّ لك بعضها حتى اتصلت بمن خرّجوك فيما غلب عليك ، وأصبحت تنظرين في الأمور نظر العارفين ، واقتديت بأرباب العقول قبلك فيما لم ينكشف لك سرّه ، فسَلِمتِ كما سلموا ، واستسلمتِ كما استسلموا،

واغتبطت أن أرضيت هواكِ فيما قرأتِ وبحثتِ ،وفيما سجلتِ ودوّنت .

وحَظّتك الحظ فما ألِفتِ إلاّ أولي الفضل،وما حرصت إلاّ على صداقتهم، ولا اختلفت إلا إلى مجالسهم ، وما شاقك إلا سماع أخبارهم .

وكنت على الأكثر لا تصحبين إلا من تستفيدين من علمه وتجربته، وتفرين من الأحاديث الغثة فرارك من الطعام الواحد والمنظر الواحد والنغم الواحد ، وما كنت كذلك شهد الله في حبك ووفاتك ، هان عليك ما أنفقت في الضئيل من المعرفة التي كتب لك تحصيلها ، وكان استغراقك ساعةً واحدةً فيما ولعت به يوازي فينظرك أكثر المسرات والشهوات. دوجتِ على بغض الفوضى وحب النظام ، وآثرت ثورة الأفكار على ثورة السلاح، ودققت في حساب يومك وغدك وأيقنت أنلا مجد إلا عن طريق المعرفة فأحرزت لك شهرة سعيت وراءها لأول أمرك ، فلما بلغت ما أربى على رجائك رحت تزهدين فيما صرت إليه ، وتندمين على فترات ضاعت سدى ، وإن أكسبتك مرانة ومرونة وأفادتك عبرة وتجربة . كان يلذك ما ينهال عليك من الضربات في تأييد الحق وتقويم المائل ، حتى صار ذلك فيك خلقاً وجبلة ، وما عبأت بمن كانوا يحاولون التسلق إلى الشهرة بالحط منك ... علمتكِ الأيام التحلم وما كنت حليمة ، وزيّنتْ لك اللين وكنت جامحةً ، وأخذت من حوادث الدهر دروساً في الصبر والأناة بقدر ما سمح به مزاجك ، وما تقاضيت الناس ما لا يملكون ، وعذرت بعضهم على ما هم فيه ، وما كلّفتِ الأيامَ ضد طباعها ، وما أحببت أن تستثمري أحداً ولا أن يستثمرك أحد ، وقلما أتيت شيئاً وندمتِ عليه ، وما حزنت لرزية في مالٍ ولا جاه بقدر حزنك لفقد الحبيب وفراق الصديق ...»

وكنتِ تتخلين عن أصحابك في أفراحهم ، ولا تتركينهم في أتراحهم ... إذا أقبلت الدنيا على الصاحب تبتعدين عنه ، وإن أدبرت تكثرين من مواساته . عاداك من عاداك عداء المتباينين في العقلية والثقافة ، ووجهوا إليك من التهم ما كان في وسعك رده لو جوّزت إضاعة الوقت في مهاتراتهم ، ومما قرفوك به أنك مستبدة فيما يبدو لك ، مفرطة في حرية رأيك ، حلوة الصداقة مرّة العداوة ، ضنينة بجاهك تكثرين من قول : لا أكثر من قول : نعم ، وهم كانوا يريدونك أن تشهدي للمحق والمبطل ، وتدخلي فيما يعنيك ومالا يعنيك ، وقاعدتهم أن لا ضرر من العبث بحقوق الجماعة إذا كان منه تنفيس كربة الفرد .

يا نفس ! الحق مرّ والصادع به معذب ، وصاحبه أبداً هدف لطعن الطاعنين ، ومن يحاول إصلاحاً وتجديداً فهو عرضة للمصفقين والمصفرين ... أنت يا نفس لم تحسدي وحُسِدّتِ ، ولم تشمتي وشُمت بك ، وإلى هذا كنت تهللين بسقوط المنافقين والمتجسسين ، وتتهللين يوم يدب التمزيق في أموال جمعت ببيع المروءة وفساد الذمة .

أنتِ ما عاديت إلا مأفون الرأي ، وما شاكست إلا زعانف الحشوية ، وما تأففت إلا من زبانية السياسة ، وإذا غلوت في القضاء على غلوائهم فعذرك كونك من الآدميين ، يجوز عليك ما يجوز عليهم من ضعف وغلط ، والتيار قد يقذف بالواقف في جريته إلى مخاضات لا يختارها . كرهتِ يا نفس التعصب والعصبية ، وحاربت الجهل والأمية ، ومقتّ الحزبية والجمعيات السرية ، وتفانيت في الدعوة إلى الاستقلال وحب القومية ، ودعوت جهرة للعرب والعربية والإسلام والمدنية العربية .

عاشرت أجيالاً ثلاثة : كان في الأول معلموك ومؤدبوك ، وفي الثاني إخوانك ومعارفك ، وفي الثالث المستحسنون والمستهجنون لعملك ، وكان جيلك الأول خير أجيالك لما تخلله من آمال وأحلام وبشارات عما كنت ترتجين في دنياك من استفاضة الصيت وإرادة النفع ... وتعرضت للهلاك غير مرة فنجوت لا بحسن حيلتك بل بقضاء وقدر ، وأدركت بأخرة أن ليس في العالم أمس واليوم وغداً غير التكرار ، وأن البشر في بلاء ومحنة . فإذا خرجت من هذه الفانية وحسناتك عدل سيئاتك أو شالت الحسنات قليلاً في ميزانك فقد فزت فوزاً عظيماً ، فلا تسألي خالقك بعد الذي جرى لك إلا العفو والعافية » .

ذكريات وانطباعات عن كرد علي

بقلم

الأستاذ تيسير ظبيان

من الأقوال المأثورة عن الزعيم الخالد (سعد زغلول) الذي كان يمثل الشخصية المصرية في أروع صورها قوله : « إنني رجل قد وضعت تحت تصرف أمتي عقلي واختباري وبياني ، فإن استفادت الأمة من عملي فذاك ما يجعلني سعيداً ، وإلا فهو واجب قد أخذته على نفسي وأنا أقوم به لأريح ضميري » .

وهذا القول يكاد ينطبق إلى حد بعيد على علامتنا فقيد العلم والأدب والثقافة والعرفان المرحوم محمد كرد علي الذي كان يمثل الشخصية السورية في أبهى مظاهرها . ولقد أفادت الأمة من عقله واختباره وبيانه كما أفاد الشعب المصري من عقل واختبار وبيان زعيمه الراحل المرحوم سعد زغلول .

ويطيب لي أن أذكر بأنني تعرفت على علامة الشام منذ نعومة أظفاري ، وكان يحثني على التردد عليه والدي ، الذي كانت تربطه بـه

علاقات وروابط وثيقة العرى ، فقد كانا يعملان في حقل سياسي واحد أيام العهد العثماني ، كما كانا من أوائل المتظمين في حقله مربي ذلك الجيل المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، فكنت أزوره في مكتبه بين الفينة والفينة ، وكنت أنعم بأحاديثه ، وأغرف من معين فضله ، وأصيخ السمع بشغف إلى توجيهاته ، فكانت صلتي به صلة التلميذ بأستاذه ، والمريد بشيخه . وكنت أشعر وأنا في مجلسه بأنني حيال بطل عملاق : قوي الشكيمة ، حاد النظرات ، متقد الذكاء ، واسع الاطلاع ، طلق المحيا واللسان ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، عذب الحديث ، ولا يكاد يخلو حديثه من دعابة مستملحة ، أو نكتة مستظرفة ، بالإضافة إلى مايتحفك به من آراء سديدة وتعليقات هادفة في مختلف المجالات ، وما يرويه لك من قصص ومغامرات وقعت معه في شتى أدوار حياته .

ومن أبرز ما أثار إعجابي في مزاياه عطفه على الشباب وتقديره لمواهبهم ، وحثهم على اقتحام معارك الحياة وارتقاء معارج التقدم ، والثبات على المبدأ ، واحترام النظام ، والجرأة في قول الحق ، والعمل الدؤوب حتى إنه سنّ سنّة لم يسبقه إليها أحد من قادة الرأي في العالم العربي وهي إقامة الحفلات لتكريم أصحاب المواهب منهم ، وقد أقام بالفعل حفلاً تكريمياً في دار المجمع لأربعة من الشعراء الناشئين وهم : جميل سلطان ، ونور العطار ، وزكي المحاسني ، وعبد الكريم الكرمي .

وإنني لأهتبل هذه السانحة لأروي لكم ثلاثة من مواقفه المجيدة وهي تنم عن شغفه بحب بلاده ، وتراث وطنه ، ورغبته في تقصّي الحقائق

والمعلومات التاريخية أينما كانت وبأية وسيلة كانت ، كما تنم عن حدبه على الشباب وتشجيعه لهم :

● الموقف الأول :

في عام ١٩٢٤ كنت أعمل مدرساً في إحدى مدارس مدينة (ابن الوليد) وكانت معرفتي بالفقيد حديثة العهد ، فبعث إليّ برسالة يطلب فيها أن أتوجه إلى إحدى القرى المجاورة لمدينة « حمص » للتحري عن بعض النواويس التي قيل إنه عثر عليها في تلك القرية ، وإليكم نص هـــذه الرسالة التي ما زلت أحتفظ بها :

المجمع العلمي العربي في دمشق

حضرة الأستاذ السيد تيسير ظبيان من أساتذة المدرسة التجهيزية بحمص المحترم .

وردنا كتاب من سعادة رئيس المعارف بدمشق مفاده أنه عثر على قبرين من فخار في كهف مجاور لقرية فيروزة فأخذا ووضعا في مدرسة فيروزة ، فالمرجو أن تذهبوا إلى تلك القرية وتشاهدوا القبرين وتصفوهما لنا وتخبرونا هل يستحقان النقل إلى متحف دمشق ، وهل يمكن نقلهما بسهولة وبأية واسطة ، وكم يلزمها من النفقة حتى إذا رأينا أنهما جديران بالنقل وأن نقلهما سهل والنفقة ليست كثيرة بادرنا إلى اتخاذ الوسائل الكافلة بإتمام العمل ، وربما كلفناكم ذلك وبعثنا إليكم بالدراهم اللازمة ، فأجيبونا سريعاً ولكم الفضل .

٢١ شوال ٣٤٢ و ٢٥ أيار ٩٢٤

رئيس المجمع العلمي (محمد كرد علي)

● الموقف الثاني :

التمست منه ذات مرة أن يزودني بكلمة من صوغ يراعه لأضعها في كتاب أعددته باسم (الفردوس) ، جمعت فيه خير ما جادت به قرائح الفحول من كتابنا وشعرائنا في القرن العشرين فابتسم (رحمه الله) وقال : (حبذا الكتاب ، وحبذا اسم الكتاب) ثم فكر ملياً وأطرق برأسه المزدان بأكاليل من النور وقال : (وهل ثمة باقة يمكن أن يعبق أريجها ويفوح شذاها في فردوسك أزكى من أريج الغوطة ؟) قلت : وماذا تعني ياسيدي ؟ فمد يده إلى درج مكتبه وأخرج مقالاً رائعاً كان قد كتبه عن غوطة دمشق حين غادر الفيحاء في إحدى المناسبات ، وقد تغنى فيه بجمال الغوطة وبسطها السندسية وأدواحها الجنية وتربتها الغنية ، كما أشاد بذكر الفيحاء وما تمتاز به من سحر وجمال .

● الموقف الثالث :

استدعاني إلى مكتبه في يوم من أيام صيف عام ١٩٢٥ وكنت أعمل محرراً في صحيفة (ألف باء) وقال : ألم تتلقَّ دعوة المجمع لحضور الحفلة التي سنقيمها بعد هنيهة لتكريم أمير الشعراء (أحمد شوقي) لكي تغطي وقائعها في (ألف باء) ؟ قلت : بلى يا سيدي وكنت في طريقي إليكم ... قال : ولكنني دعوتك لأمر آخر ، فقد وقع اختيارنا عليك لتلقي في الحفلة قصيدة الأستاذ خليل مردم بك (وكان من عادته أن لا يلقي قصائده بنفسه بل يعهد بإلقائها إلى الآخرين) ثم دفع إليَّ القصيدة وكانت قصيدة عامرة ولكنها مكتوبة بخط مضطرب وطويلة جداً . قلت : هذا يا سيدي

شرف عظيم لا يدانيه شرف فأشكركم على ثقتكم الغالية ، ولكن الوقت ضيق ، والقصيدة كما تلاحظون طويلة فأحتاج إلى بعض الوقت لمراجعتها وتفحّص ألفاظها ، فالوقت ضيق والموقف رهيب أخشى أن لا يواتيني الحظ لأداء هذا الواجب فأتمثر في إلقائها . فأجابني وهو يداعب بأصابعه سلسالاً كان كثيراً ما يعبث به :

« في مثل هذه الظروف الدقيقة يجب أن تبرزوا مواهبكم معشر الشباب ، فلا بد من أن تلقي القصيدة مهما كلفك الأمر من جهد وعناء فتوكل على الله » . وقبل أن ينجز حديثه فوجئنا بحضور المحتفى به ، فخفّ رحمه الله لاستقباله وتركني في مكتبه أضرب أخماساً لأسداس ، بيد أن كلماته المشجعة ظلت ترن في أذني وتهز مشاعري وتفعل بها فعل السحر ، فعكفت على تلاوة القصيدة مرة واحدة استطعت في غضونها أن أتبين كلماتها وقد وفقني الله لإلقائها بيسر وسهولة . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مدينة الفيحاء نالت أرفع وسام من أمير الشعراء في هذا الحفل ، فقد خلد ذكرها في قصيدته التاريخية البليغة وتغنى بأمجادها واستفزّ صناديدها ، فلبت نداءه ووثبت وثبتها ، وصرخت صرختها ، وأضرمت ثورتها في وجه الاستعمار والمستعمرين ، وكلكم تعرفون هـــذه القصيدة الخالدة التي استهلها أمير الشعراء بقوله :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا   مشى على الرسم أحداث وأزمان

رحمك الله يا علامة الشام . فقد كنت عظيماً في علمك ، عظيماً في خلقك ، عظيماً في أدبك ، عظيماً في بيانك ، عظيماً في تفكيرك ، عظيماً في إحياء تراث أجدادك وخدمة بلادك ، عظيماً فيما أخرجته لنا من ثروات

علميـــة وكنوز أدبية ، وما فجرته في عالم العروبـــة من ينابيع الثقافة والعرفان .

أيها الســادة :

بعد كتابة الكلمة وإرسالها إلى اللجنة القائمة باحياء هذه الذكرى مشكورة ، عثرت بين أوراقي القديمة على ديوان مخطوط لأحد شعرائنا الملهمين ، وقد أكل الدهر عليه ولم يشرب ، وأبقت عليه يد الحدثان فلم يذهب ، فقد أورد هذا الشاعر في ديوانه المذكور نبذة أدبية طريفة وقصة تاريخية ممتعة ، أبطالها أربعة من المفكرين أحدهم فقيدنا الكبير (محمد كرد علي) ، وقد رأيت من واجبي إضافتها إلى هذه الكلمة . ومن دواعي الأسى أن يتنكر الآباء والأجداد لذلك الشاعر المغمور ، ويتجاهله الأبناء والأحفاد ، فقد قضى نحبه في دمشق أيام العهد الفيصلي وهو لا يزال في ربيع العمر ونضارة الشباب ، شأنه في ذلك شأن أبي القاسم الشابي ، ويكاد يحاكيه في نشأته وفي نزعته وفي دقة شعوره ، ولنا وطيد الأمل بأن مجمعنا الكريم سيعمد إلى إحياء ذكرى هذا الشاعر الشاب المبدع (عجاج المهباني) كما أحيا القطر التونسي الشقيق معالم شاعره الفذ . وكان المهباني أحد رفاقنا في كلية صلاح الدين الأيوبي التي أنشئت إبان الحرب العالمية الأولى في بيت المقدس ، ويسعدني أن أرى في هذا الحفل اثنين من زملائي القدامى في تلك الكلية وهما الدكتور كامل عياد ، والأستاذ جميل قربي .

واليكم خلاصة هـــذه القصة الطريفة كما سجلها الأستاذ المهباني في ديوانه . قال :

« كنا أربعة في القطار : أحد البكباشية الأتراك ، ومحمد أفندي كرد علي ، وخير الدين أفندي الزركلي وأنا . وكرد علي كاتب سورية الاجتماعي والبحاثة الكبير . وأما الزركلي فشاعر الشبيبة في دمشق ولا أعرف من شيوخها من يجعله تحت ظله أو يماشيه ويجاريه فيبذه .

تعارفنا في القطار ، فسرَّ كرد علي بهذا التعارف ، وكان سرور الزركلي أكثر . وكنت أعرفهما ولا يعرفانني . وملنا إلى بعضنا كل الميل . وأخذنا نتجاذب أطراف الأحاديث ، ونتلو من أشعار الشعراء بين قديم وحديث .

ووقف القطار بنا في موقف الزبداني فهوينا نتمشى ، وهناك البائعات يصحن (يالله عالتفاح) وآخرون من الصبية يدورون حاملين الخبز واللبن .

بين تلك البائعات فتاة في ريعان العمر ، في لباس القرويات ، ذات جمال باهر ، وطرف ساحر . نظرنا إليها مثبتين النظر فضرج خديها الحياء ، ومالت عنا بجيد أدماء . صعدنا إلى القطار وقد آن أن يتزحزح فأخذنا ننظر إليها من النوافذ . وبينا نحن كذلك إذا بالدم يسيل من أنفي ، فمال خير الدين إلى مقعده وأخذ القلم وكتب عفو الساعة :

سفرت تخجل المها والظباء فرنونا نغازل الحسناء
غادة تشبه الهلال محيا وبهاء ورونقاً وصفاء
كونت حسنها الطبيعة فتاً ناً كما كونت الجمال ذكاء
هي كالظبي في النفار ولكن هي فاقته مقلة كحلاء
شعرت أننا نطيل إليها نظرات الهوى فصدت حياء
سكب العاشق المحب دماء مستعيضاً عن الدموع الدماء

ليس للحب رأفة بالمحبين فصبراً على الهوى وعناء
أنا أسلمت للغرام فؤادي صانعاً في حشاشتي ما شاء

وقدم شعره هذا إلي فأخذت دفتره وكتبت عفو الساعة :

لا تلمني إذا شكوت فإني مغرم لما بكيت اشتكاء
قد أسالت دمي بلحظ وأودت بفؤادي وعذبتي جفاء
ذات حسن لو أسفرت في دجى اللـ ـيل لحال الظلام منه ضياء
غادة قد منحتُها حبة القلـ ـب وداداً تصونها وصفاء
فتولت بها وضنت علينا بوداع لو كان كان شفاء
قال لي صاحبي أتعشق والعشـ ـق عذاب يجده في القلب داء !
قلت دعني فإنما الحب شأني ولئن كان شقوة وعناء
حب غيري يريق دمع ذويه وغرامي يريق مني الدماء

قيس دمشق

الأستاذ حسني فريز

دمشق أوّلُ حُبٍّ رفَّ بالأملِ ... وروعةُ الوجدِ في آلائه الأوّلِ
مِنْ قبلِ أن تُعرف الأشواق كان لها ... سحر يدق على الأفهام والمُقَلِ
هزت سريريَ أمي وهي منشدة ... حُبَّ الشآم بقلب خافق ثمِلِ
فلم يَزلْ نامياً حتى رأيتُ لها ... مطالع العزِّ والأخلاق والمُثُلِ :
بردى الذي عبقت بالعطر غوطته ... وما تناغى به الأطيار من قُبَلِ
وما تفتّحَ من زهر على فَنَنٍ ... واهتزَّ من ورَقٍ في روضك الخضلِ
وما تأطّرَ من دلٍّ الصبا غُصُنٌ ... يتيه بالحسن لا بالحلي والحُلَلِ
وما تأمل ذو وجد ومعرفة ... بما يكون من المعلول والعللِ
وإذ أبو النصر في أكناف غوطتها ... متيّم بكمال الحكم في الدولِ
والصالحون وأهل الله موئلهم ... على اختلاف الرؤى والرأي والنحلِ
ومذ ألمّ بأرض الهند فارسها ... أطاف بالصين جند الشام في جذلِ
في الغرب كالشرق فتح لا مثيل له ... وذكره سائر في الناس لم يزلِ

* * *

وجاء دهر توارى نور بهجتها ... وصار وجه المنى والمجد للخجلِ

كذاك دهرك ما ينفك ذو غير … وكل ما شهد الإنسان ذو أجل
فقيّض الله نورَ الدين يتجدها … ويبعث الروح في القلاّب والوكل
رسالة الحق بالأعمال جسّدها … وحشّد الناس بالإيمان والمثل
ولم يجاهد بأقوالٍ ينمقها … ولا بكتبٍ يزجّيها مع الرُسُل
ولا بتفسير نصٍ أو روايته … ولا بتعليل أمْر بيّن الدخل
ولم يَقُلْ إن أوربا تناجزنا … وما لنا باصطلاء الحرب من قبل
بل قال إني إلى ربي لمتجه … والله حسبيَ في فرضٍ وفي نفل
وجاء تلميذه الميمون طالعه … يتمّ خطة ذاك السيد البطل
أتى الهمام صلاح الدين فاضطربت
له العدى وأثارت كل محتمل
قلب وعقل وسيف باتر حرد
وكيف يرضى بجرح غير مندمل
وجمّع البغي في حطّين قوّته … وجاءه الحق بالايمان والأمل
وَعَسْكرُ الظلم يخشى الناسُ مظهرَهم … كأنهم قِطَعٌ قدّت من الجبل
واستنصروا بحديد سال فوقهم … يحمي الجلود ولا يحمي من الوجل
وكيف يحميهم والجوّ ملتهب … عند الظهيرة والطعنات كالشعل
وكان جند صلاح الدين معتمداً … على الشهادة إن لم يُودِ بالسفل
لما تبيّن أن النصر حالفه … وأن أعداءه صاروا إلى الفشل
أهدى إلى الأرض شكراناً لناصره
لله ، لا لصواب الرأي والحيل
وطهّر الأرضَ منهم بعد صبْرِه … وعادت الدارُ للأشواق والغزل
حتى أتى من بني عثمان أفتكهم … فراح يسلك فينا أشأم السبل

وقبلَ هذا أضعنا البحرَ فانحسرتْ ظلالنا وخسرنـــا عزّةَ النُّقلِ
وسيطرَ الفقرُ فالأسواقُ كاسدةٌ والأرضُ كالحةٌ من ذلكَ الشللِ
فطمَّنا الجهلُ حتى كانَ أعلمنـــا عُشُّ الخرافة والتوهين والجبـلِ
هنا .. تجليبَ الاستعمارُ في بطلٍ من الفرنسيس ذو بطش وذو دجلِ
فهزنـــا جيشـه هزاً بمعرفـــة واستيقظ الناس من نومٍ ومن وَهَلِ
وهبَّ منهـم رجالٌ كان همهُـــمُ بعثَ الحقيقة في التاريخ لا الجدلِ
فعـــاد للغة الفصحي بشاشتهــــا وكلُّ ما كان في الماضي من النبلِ
ونورهم باهـــرٌ في كلِّ ناحيةٍ وجهدهم ظـاهر في الأرض كالقللِ

* * *

وأنت يا بن عـــليٍّ من شوامخهم بالعلم والرأي والإيمانِ والعملِ
دمشقُ ليلاكَ لا هنـدٌ ولا دعدٌ وأنت قيسُ دمشق كنتَ في الأزلِ
من حبك الشام زدت الخلقَ معرفةً بما شرحتَ وما بينتَ من عللِ
قد يعذل الناس أهل الحبِّ من حسدٍ لكنَّ هواكَ بلا لومٍ ولا عذلِ
نعمتْ بالود في محياك بل نعمتْ بك البـــلادُ وظلُّ الود لم يحلِ
قد أدركَ المجدَ أعلامٌ فما ظفروا من المودة إلاّ بعـــدَ مرتحلِ
وقـــد ظفرتَ بكلتـــا الخصلتين ومن
حظ المحبين مـــا أحرزتَ من نقـــلِ
إن الغرامَ الذي زانتـــكَ نسبته قد زنته أنت في تاريخـــكَ الجللِ
فسـار مثل مسيرِ الشمسِ من أفقٍ عـال إلى أفق بالنور مكتحلِ

محمد كرد علي خزانة علم

الأستاذ محمود العابدي

في السادس عشر من نيسان ١٩٤٦ ذهبت مع وفد رسمي وشعبي من صفد للاشتراك في حفلات عيد الجلاء في دمشق – جلاء الاستعمار الفرنسي البغيض ، ولقد عشت ثلاثة أيام في فرح ونشوة لست اعتقد أنني سأعيشها مرة أخرى . لقد كانت دمشق غارقة في نشوة من الفرح والحبور لا مزيد عليها ولقد أبدعت رجالات الأحياء وشبانها بابتكار أنواع الزينات التي كانت تتخذ من المرجة (ساحة الشهداء) ملتقى لها من غياب الشمس حتى منتصف الليل .

بعد ذلك أخذت أسأل عن أصدقائي وأجتمع بهم . وتكرم اثنان منهم بوضع برنامج أسبوعي ، وفي اليوم الرابع أخذني الدكتور محمد عطايا – الصفدي الأصل والدمشقي الإقامة والمحبة – إلى دار الكتب الظاهرية وعرفني على قيّمها ثم رافقني إلى المدرسة العادلية التي هي مقر المجمع العلمي العربي في دمشق، وعرفني على رئيس المجمع ، عالم سوريا ومؤرخها وأديبها ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله ، وبعد أن تم التعارف استأذن الدكتور عطايا وذهب لشأنه وتركني أنعم بالاستماع إلى شتى أحاديث

الرئيس الرحالة الذي سبق لي أن تعرفت عليه من خلال مقالاته وكتبه المديدة – ولا سيما خطط الشام في أجزائه الستة ..

سألني عن صفد وعن فلسطين وأهلها وموقفهم من اليهود ، وعن الازدهار الزراعي والنهضة التعليمية في فلسطين – ومن ثم تطرق للمقارنة بين الاستعمارين - الانكليزي بفلسطين والإفرنسي بسورية . . . ولما أعلمته أنني مشغول بوضع مؤلف عن صلاح الدين الصفدي ابتسم وفرح إذ عرف أن مواطناً للصلاح جاء يسأل عنه وعن أخباره في عاصمة ديار الشام الكبرى . وبعد التبسط في هذه الأحاديث ألح علي أن أجيئه غداً .

وفي العشرين من ذلك الشهر شربنا شاي الصباح ، وبدأ يطرح علي الأسئلة عن الصفدي ولم يكن ينتظر مني الأجوبة – بل كان يسرع للإجابة بسيل متدفق من المعلومات التي لا يمكن أن توجد في كتاب ، وامتد بحثه المتدفق إلى المستشرقين ونبه بشدة إلى الحذر منهم - فهم على الأغلب صاحب هدف يسعى لتحقيقه – سواء أكان لخير العرب والمسلمين أو لغير ذلك - مع الاعتراف بتوسعهم وتعمقهم في أبحاثهم ، وإليهم الفضل في تجلية كثير من مظاهر الحضارة الإسلامية وإحياء التراث الأدبي للعرب – وخص منهم الأمير الايطالي « كايتاني » – صاحب أكبر مؤلف في تاريخ المسلمين ، ونوه كثيراً بالمساعدات التي قدمها له في مكتبته العامرة والتي أمضى فيها مايربو على الشهر ، وهو يأسف لهذه الشخصية العلمية كيف انصرفت مؤخراً إلى السياسة – تلك الأمنية التي لم ينجح في الوصول إليها بسقوطه في الانتخابات والتي حولته قليلاً عن موضوع اختصاصه الذي كان يمكن أن تتسع الفائدة منه .

كما خص المستشرق العالم المجري « غولدزيهر » بالثناء العاطر على جهوده

في حفظ التراث الإسلامي والاعتراف بأهميته وإقناع الغربيين بخدماته الجلّى للحضارة البشرية .

وكذلك العالم الألماني « مارتن هارتمن » وصنوه آدم متز صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع وقد عرفهم من مكتباتهم ، ومن حضوره لاثنين من مؤتمراتهم في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ .

الصلاح الصفدي :

قال لي رحمه الله : إذا رجعت إلى المجلد الثامن من مجلة المقتبس الصادرة في دمشق سنة ١٩١٤ وجدت لي مقالاً مطولاً يعطيك فكرة واضحة عن هذا المؤلف : وبالفعل عندما طلبت هذا المجلد من مكتبة دار الكتب العادلية وجدت فيه :

« صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي أحد رجال القرن الثامن . ولد في صفد سنة ٦٩٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٦٤ هـ وهو إمام في اللغة والشعر والتاريخ والفقه ، وقد تخرج على علماء دمشق في عصره فأخذ الشعر عن جمال الدين بن نباتة ، واللغة عن أبي حيان النحوي ، والفقه عن الحافظ المزي وابن جماعة ، والتاريخ عن الذهبي ، والمغازي والسير عن ابن سيد الناس . وتولى عدة مناصب إدارية ومالية في صفد والقاهرة وحلب ودمشق وقبره اليوم معروف بصفد .

وقد كان من المؤلفين المجيدين — ذكره بروكلمن في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية المطبوع سنة ١٨٩٨ وقال إن له ثلاثين مصنفاً تحوي على مئة مجلد ويكاد يكون اخصائياً في التراجم . وأهم كتبه الوافي بالوفيات يدخل في بضع مجلدات كبرى تحتوي على زهاء عشرة آلاف ترجمة من أول عهد الإسلام إلى عهد المؤلف ، وفيه ما في وفيات الأعيان لابن خلكان

وطبقات الأدباء لياقوت — مع زيادات كثيرة فاقت هذين المؤلفين . . ولقد كان يظن أن كتاب الوافي فُقد في جملة ما فقد من كتب العرب ، لكن تبين أن أجزاءه مبعثرة في خزائن الكتب في ديار الغرب .

وقد نشر المستشرق أميل لا مار في المجلة الآسيوية في باريز مقدمة كتاب الوافي مع ترجمتها بالفرنسية وعلق عليها حواشي في أربعة أجزاء ثم نشرت فيما بعد بمجلد خاص ، وفي كتابة التاريخ راعى الصفدي ما يراعيه كبار المؤرخين من القيود فقد قال : ويشترط في المؤرخ الصدق ، وألا يعتمد فيما ينقل على الذاكرة ، وأن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً وديناً ، وأن يكون حسن العبارة وحسن التصور ، وألا يغلبه الهوى فيطنب في ترجمة من يحب ويبخس في غير ذلك . وقد طبق الصفـــدي هذه الشروط في كل ما كتب في التاريخ ، وساعده على هذا الإتقان تنقله في ربوع مصر والشام في أيام كانت خزائن الكتب موفورة ، وكان الملوك وأهل الخير من العلماء والأعيان يمدون المدارس والجوامع بالكتب ، وكان الناس يتنافسون في استنساخ كل جيد منها ، ويقول العلامة كرينكو : إنا نجد في كتاب الوافي تراجم كثيرة نحاول عبثاً الظفر بمثلها في الكتب التي تماثل الوافي بموضوعها — والفهرست التام لأسماء الأشخاص الذين وردت تراجمهم في الأجزاء المعروفة من هذا الكتاب يشغل مجلداً ضخماً .

وابتدأت جمعية المستشرقين الألمانية بالنشرات الإسلامية فطبعت في اسطنبول سنة ١٩٣٠ المجلد الأول الذي يضم المحمدين وكان عددهم ٢٤٦ شخصية في ٣٨٦ صفحة ، كما نشرت مجلات الاستشراق في رومـا عدة مقالات عن الوافي وعن صاحبه » .

وتمنى الأستاذ كرد علي يوماً أن يتيح الله من يقوم بطبع كل مخطوط

من أجزاء هذه الموسوعة ، ولقد استجاب الله دعاءه ، إذ بلغ عدد المطبوع من أجزاء الوافي تسعة مجلدات حتى يومنا هذا .

التذكرة الصلاحية :

وفي اليوم الثالث وضع بين يدي مقالاً نشر في الجزء الثاني من المجلد التاسع من مجلة المجمع الصادر في آب سنة ١٩٢١ بقلم الدكتور داود الجلبي من الموصل وهذا شيء مما ورد فيه :

عثر أحد تلاميذ ثانوية الموصل النجباء في مكتبة الحزب الوطني في الموصل على كتاب مخطوط قديم مجهول . فجاءني به يسألني تصفحه لعلني أقف على شيء من أمره . وجدته مجلداً بجلد أحمر قد اسود . . وقد كتب على ورق ثخين بحبر أحمر في رؤوس المواد وأسود في المتن وأوراقه ١٨٢ ورقة ، في كل صفحة ٢٠ سطراً وعلى حافة الكتاب كتابة عسرة القراءة ، إذا أمعنت النظر فيها تقرأ : (مجموعة صلاح الدين الصفدي) .

ومن تصفح الكتاب تحققت أنه للصلاح الصفدي ، وفيه مراسلات للمؤلف مع معاصره ابن نباتة وغيره ، ويذكر صور تواقيع كتبها إذ كان رئيساً لديوان الإنشاء . هذا الكتاب حلقة من سلسلة طويلة على ما يظهر جاء في آخره مانصه : الجزء الثلاثون من أجزاء المصنف ومن خطه نقلت والحمد لله .

هل مجموعة صلاح الدين الصفدي هذه مجموعة معروفة ؟ ويحسب جرجي زيدان أنها التذكرة الصلاحية التي يقول عنها إنها كتاب مطول في الأدب والشعر في ثلاثين مجلداً .

وفي الجزء الحادي عشر من سنة المجلة تعليق بقلم المستشرق كرينكو جاء في أوله :

« لما قرأت ما كتبه السيد داود الجلبي .. من كتاب الصفدي ذكرت أني رأيت في مكتبة وزارة الهند بلندن نسختين من التذكرة الصلاحية .. وقد نقلت أبحاثاً منها ... ويظهر أن الصفدي نقل طول حياته من كتب مختلفة وقعت بين يديه، فالتقط ما أعجبه على غير ترتيب وأكثره مقتطفات نثرية وشعرية غير مطولة .

بعد أن فرغت من ترجمة الصفدي التي كتبتها في المعلمة الإسلامية وقع في ملكي أربعون ورقة بخط غير قديم من كتاب « في خطأ العوام وتصحيف العلماء » وقد نبهت في الترجمة المذكورة على أن الصفدي في آخر عمره صرف من كتب التراجم إلى كتب اللغة . ولعل هذا التصنيف آخر مؤلفاته ولم يتم . وتدل على أن النسخة ، أصلاً ، مأخوذةٌ من مسودة المؤلف كثرة البياضات بين كل فصل . ومع هذا اختصر أسماء الكتب التي نقل منها بحروف مكتوبة بالحمرة . . ورجائي أن تكون لأحد قراء المجلة معرفة بالأصل الذي نقلت منه نسختي - فإنها شامية الأصل بلا شك حيث كانت من جملة كتب الشيخ أحمد فارس الشدياق » .

ثم نشر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في الصفحة ١٨٠ وما بعدها من المجلد العاشر من مجلة المجمع تحت عنوان : **التذكرة الصلاحية** ما يلي :

« طالعت في الجزء العاشر من المجلد التاسع من مجلة مجمعنا العلمي العامر ما نشره العلامة المستشرق (ف . كرينكو) في شأن الجزئين من تذكرة صلاح الدين الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندن ، ووصفه ما احتويا عليه من الفصول الأدبية فأحببت أن أفيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من التذكرة الصلاحية بخزانة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى أن هذه المجموعة الأدبية النادرة المثيل هي مبعثرة الأجزاء ، فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودار الكتب المصرية وغير ذلك .

أما الجزء المحفوظ بمكتبة فيو في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش : « الجزء السابع من التذكرة الصلاحية » للشيخ الإمام العالم العلامة خليل بن ايبك الصفدي . وبآخره ما نصه : « تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي . وهو السابع من هذه النسخة والحمد لله رب العالمين » .

فيتضح من هنا أن عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ . فقد جمع ناسخنا كل جزأين في واحـــد . وخط هذا الجزء نسخ شرقي يرجع بحسب الظن إلى القرن الثامن — عصر المؤلف — والنسخة جميلة مقروءة اعتنى بها صاحبها وإن لم يسم نفسه » .

وفي اليوم الخامس أحضر لي المجلد السادس عشر ص ٣٨ » من مجلة المجمع لأقرأ ما كتبه عن كتاب آخر للصفدي اسمه « جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة » قال فيه :

« الصلاح الصفدي من المكثرين من التأليف ، المجوّدين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية ، هذا الكتاب ، أوله :

الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن .

قال : وبعد ، فهذه أوراق أودعتها أزاهر ما حضـــر في ذاكرتي ، وأدرجت ضمنها جواهر ما قذفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخبت

منه هذه الزبدة ، ورقمته في هذه البرود المحررة وأنبته في رباها الزاهـرة والتزمت أن أورد فيها ما رق معناه وراق لفظه ، وشق الإتيان بمثله وشاق حفظه . وهذا الأسلوب حافظ عليـه أهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه أهـــل الذوق السليم من الناظمين والناثرين ، فجلوا أبكاره المستكنة في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أقماره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا به أطرى في المسامع وأطرب ، وأسرى في القلوب وأسرب .

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر وألقابها ، قال : إن الشعر إن أثني به على حي فهو مدح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهبتَ من الأعمار ما لو حويتَه   لهنئت الدنيـــا بأنك خالد

ولو ذكر فيه لؤم أو جبن أو بخل أو ما هو ملحق بذلك فهو هجاء كقول بعض العرب :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم   قالوا لأمهم بولي على النار

زعم بعضهم أنه لم يسمع أشد هجواً من هذا البيت ، وذلك أنه وصفهم بالبخل من كون نارهم تطفأ لئلا يهتدي الأضياف إلى طلب قراهم — ثم إنه بالغ في وصفهم بشدة البخل لأنهم يطفئون النار ببول أمهم ، حرصاً منهم على الماء — ثم إنه وصفهم بالجبن والكسل لأنهم يتركون أمهم تتولى خدمتهم ليلاً ولم يأنفوا من ذلك ثم إنه وصفهم بالعقوق وقلة الأدب إذ يخاطبون والدتهم بمثل هذا الخطاب السفيه ، ثم إنه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث أن نارهم في القلة إلى غاية تطفأ ببولة المرأة . والكتاب كله على هـذا النحو في ٢٠٣ صفحة صغيرة » .

ثم قال رحمه الله : عندما عم الجهل البلاد العربية ومات من يقدّر قيمة الكتب أخذت مخطوطاتنا تتسرب إلى خارج البلاد . وفي حاضرة الدولة العثمانية عدة دور عامة وخاصة تسربت إليها الكتب العربية ومن ضمنها مؤلفات الصفدي .

ففي اسطنبول مكاتب عبد الله فكري وعاشر أفندي وكوبرلي ونور عثمانية التي فيها سبعة أجزاء من كتاب الوافي ثم مكتبة أيا صوفيا .

وفي أوربا مكاتب الاسكوريال في إسبانيا . وفي مكتبة المتحف البريطاني بلندن تسعة مجلدات من الوافي ، وفي مكتبة أكسفورد ١٢ مجلداً منه . ومكتبة المكتب الهندي بلندن . وفي مكتبة باريس مجلدان ، وفي مكتبة شيفر مخطوط كتاب أعوان العصر في ١٢ مجلداً ، وفي مكتبة برلين توجد مخطوطة التذكرة الصلاحية في ثلاثين مجلداً ، وهناك مكتبة غوطا التي تضم قطعة من الوافي بخط المؤلف ، وهناك في ليدن بهولنده وفي فينا بالنمسا مخطوطات عربية ذات أهمية .

وفي البلاد العربية مكاتب تضم مؤلفات الصفدي منها دار الكتب المصرية ، والمكتبة التيمورية فيها تسعة مجلدات من مؤلفات الصفدي ، والخزانة الزكية وخزانة أحمد زكي باشا ، وكمكتبة حلب التي تضم أربعة مجلدات من كتب أديبنا الصفدي ، والمكتبة الصادقية بتونس وفيها تسعة مجلدات ، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، والمكتبة الخالدية بالقدس ، والمكتبة البارودية في بيروت ، ومكتبة عيسى اسكندر المعلوف في زحلة .

وسوف تكشف لنا الأيام أن في بعض ديار العرب مكتبات خاصة فيها أجزاء من مؤلفات الصفدي .

وفي اليوم السادس أحضر جميع المطبوع من كتب الصفدي وهي :

١ - الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم ، طبع في مصر .

٢ - نكت الهميان في نكت العميان . طبع في مصر .

٣ - لوعة الشاكي ودمعة الباكي - طبع في مصر .

٤ - تشنيف السمع في انسكاب الدمع - طبع في مصر .

٥ تمام المتون في شرح لامية ابن زيدون » »

٦ - الأرب من غيث الأدب » »

٧ - رشف الرحيق في وصف الحريق - طبع في الآستانة .

٨ - رشف الزلال في وصف الهلال » » »

٩ - الروض الناسم والثغر الباسم » » »

١٠ - جنان الجناس » » »

١١ - نصرة الثائر على المثل السائر - طبع في ليدن في ١٥٣ صفحة

١٢ - مقدمة الوافي بالوفيـات - طبعة المجلة الآسيوية الفرنسية ١٩١١ - ١٩١٢ ، ونشرت في كتاب على حدة مع ترجمة فرنسية بقلم أميل لامار .

١٣ - المجلد الأول من الوافي .

لا بد لك من الرجوع إلى هذه المراجع عن الصفدي :

١ - الطبقات للسبكي ج ٤ ص ٩٤ ، ١٠٣

٢ - الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١٨١٠ - ١٨٢٣

٣ - معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس .

٤ - تاريخ آداب اللغة العربية لكارل بروكلمان ج ٢ ص ٣١

٥ — دائرة المعارف الاسلامية ـ كتب مادتها فريتز كرينكو

وفي اليوم السابع عرضت عليه ما كنت قد حصلت عليه من صحبته خلال أسبوع، وهو يعادل ما كنت قد حصلت عليه في سبع سنوات ويشمل باقي مؤلفاته فابتسم .

والآن وبعد مرور ثلاثين سنة على هذا اللقاء المفيد أتقدم بمقالي هذا لأعترف بالفضل العميم لعلامة الشام في النصف الأول من القرن العشرين . رحمه الله وعوض ديار الشام من يخلفه في هذه القمة الشامخة وفي هذا المقام السامي من مقامات العلم العالية .

محمد كرد علي في جوانبه المختلفة

الأستاذ روكس بن زائد العزيزي

المغفور له محمد كرد علي : الأديب ، الصحفي ، المؤرخ ، البحاثة ، والمحقق مائة عام تمر ، كأمس الذي عبر .

مائة عام تمر على مولد العلامة الذي أبقى أثراً بارزاً ، في كل ميدان ارتاده قلمه .

فما أقصر السنين وما أسرع جريانها !

أجل تمر السنون ، لكن الآثار التي يبقيها الرواد العظماء في الحياة تظل خالدة . لأنها تحفر في ذاكرة الزمن ، وفي لوحه المحفوظ

مزايا خص الله بها المغفور له الأستاذ محمد كرد علي ، قلما اجتمعت لعالم . فقد كتب العلم بأسلوب أدبي مشرق . وكان في كل ما كتب وألف دعامة من دعائم القومية العربية !..

كان أول ما قرأت للعالم الذي نحتفي بذكراه ، كتابه النفيس : (غرائب الغرب) ، وقرأت ما دار حوله من نقاش . فأحببت الرجل ، وسعيت إلى الحصول على كل ماينتج قلمه .

وتوالت قراءتي له ، فقرأت (دمشق) مدينة السحر والشعر ، فعشق قلبي دمشق قبل أن أزورها .

وقرأت غابر الأندلس وحاضرها

ثم جاء الكنز العظيم (خطط الشام) بأجزائه الستة ، والإدارة الإسلامية في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية ، وأمراء البيان ، وأقوالنا وأفعالنا ، وتاريخ الحضارة ، ورواية المجـــرم البريء ، وقصة الفضيلة والرذيلة ، ورسائل البلغاء ـ من تحقيقاته ـ وسيرة أحمد بن طولون ـ من تحقيقاته ـ وفاتني ، على مضض ، أن أقرأ له : ا ـ المذكرات ، ب ـ البعثة العلمية إلى دار الخلافة الاسلامية ج ـ المستجاد من فعلات الأجواد د ، كتاب الأشربة .

والمغفور له خالد مخلد في كتبه ، وتحقيقاته ، وبحـــوثه . فلقد كان ـ يرحمه الله ـ يكتب بعقله ، وبقلبه ، وأستطيع أن أقول : إنه كان يغمس قلمه بدماء قلبه ، فلامه بعضهم على الوهج العاطفي الأدبي ، الذي كان يتسم به أســـلوبه العلمي . وعندي أن الرجل المطبوع على الأدب لايلام إذا هو أضفى على ما يقرره العقل والعلم ، فيضاً من شعوره ، وقبساً من إخلاص قلبه ، وفيض عاطفته .

كان ـ طيب الله ثراه ـ مجموعة من المواهب الـــتي لو وزعت على جمهور من أرباب القلم ، وسدنة الكلمة لكتبت لكل منهم الخلود !

فيوم كان وزيراً للمعارف ، أظهر من الألمعية ما أطلق عليه الألسنة بالثناء الطيب ، ويوم رأس المجمع العلمي ـ الذي كان أحد مؤسسيه ـ كان مفخرة .

وعندما وضع خطط الشام برهن على أنه مدرسة من مدارس العلم الصافي ، والوطنية المخلصة .

وفي مجلته - المقتبس - التي حوّلها إلى جريدة ، كان مثال الباحث المحقق ، وكان في جريدته مثال الصحفي النزيه المخلص الذي ينشر الوعي القومي ، ويدعو إلى النهضة الفكرية التي لاتعرف جموداً ولا تحجراً . فكان رائداً وموجهاً للحركة الفكرية والأدبية .

ولما رأى مايقوم به المستشرقون من بعث للتراث العربي ، لم يغلق عينيه عما يفعلون ، بل رأى من واجبه أن ينوه بأعمالهم ، ويشكر فضلهم فكان صنيعه هذا ، داعياً لهم أن ينصفوا العرب ، وكانت صلاته بهم وسيلة لغرس حب العرب في قلوب هؤلاء القوم الذين ولج بعضهم باب الاستشراق مدفوعاً بالحقد على العرب ، والغض من قدرهم وإنكار فضلهم على الدنيا .

ولما حرر جريدة (الرائد المصري) كان طرازاً خاصاً بين رجال الصحافة .

ويوم أشرف على تحرير مجلة المجمع العلمي ، وهب لها من قلبه وفكره وقلمه ، ما كان مثاراً لإعجاب رجال العلم ، لما كان في مقالاته من الطرافة والجدة والإبداع .

وعندما كان قلمه يرتاد المقتطف والرسالة ، جذب إليها العديد من القراء ، إعجاباً بما خص الله قلمه من حيوية .

أما تحقيقاته لكتب التراث ، فكانت في مستوى راقٍ ، وكانت ثقافته اللغوية ، العربية والفرنسية والتركية ، تجعل قلمه مطواعاً لفكره النير .

لقد كان حر الفكر ، يقظ الضمير ، فاضطرته يقظة ضميره وحرية فكره أن يهرب من الإرهاب التركي ، فكان له أجر المجاهدين المهاجرين في سبيل المبدأ . وكان لصحبة الإمام الشيخ محمد عبده فضل في سعة آفاقه الفكرية والنفسية .

وحسبه فضــلا أن كتاباته كانت تحرك أشد الأقلام العربية أصالة لمناقشة ما يبسطه من آراء ، أمثال :

فارس الخوري ، عارف النكدي ، عباس محمود العقاد ، والشيخ عبد القادر المغربي ، والدكتور مصطفى جواد .

أما صراحته ، وإخلاصه للحق فبارزتان ، يشهد لهما أنه اضطر أن يطوف بين عربان البادية ، هرباً من وجه من أرادوا به السوء .

فإذا كان المجمع العلمي الذي كان المحتفى بذكراه أول رئيس له ، يسعى إلى تخليده فتلك مزية عرف بها مجمع الخالدين بدمشق ، وعرفت بها دمشق الخالدة التي كانت ملاذاً للعرب وللعروبة .

فتحيات خالدة لمجمع دمشق ، وتحية خالدة لدمشق الوطنية ، وسلام على المحتفى بذكراه ، يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم يبعث حياً .

ركائز هــذه الكلمة

١ — مؤلفات الاستاذ المرحوم محمد كرد علي
٢ — مجلة لغة العرب — المجلد الرابع
٣ — مجلة العرفان
٤ — مجلة المشرق
٥ — مجلة المقتطف
٦ — مجلة المجمع العلمي
٧ — مصادر الدراسات العربية - الجزء الثاني
٨ — مجلة المقتبس
٩ — محمد كرد علي - جمال الدين الألوسي

ملاحظة : ضاق هذا العدد عن استيعاب الكلمات والبحوث كلها وسندرج في عدد قادم ما بقي من ذلك معتذرين لأصحابها وشاكرين .

آراء وأنباء

تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني سبح لمجمع اللغة العربية

صدر عن رئيس الجمهورية المرسوم التالي ذي الرقم ١٩٠٩ :

رئيس الجمهورية يرسم ما يلي :

مادة ١ - يجدد تعيين السيد الدكتور حسني سبح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٨/٧/١٩٧٦

مادة ٢ - يتقاضى الدكتور حسني سبح تعويضاً شهرياً ثابتاً معادلاً للراتب الشهري المقطوع المحدد لرئيس الجامعة ويصرف من الباب الأول والبند الأول « مخصصات ذوي المناصب ورواتب الموظفين » من موازنة مجمع اللغة العربية .

مادة ٣ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ٤ / ١١ / ١٩٧٦

رئيس الجمهورية
التوقيع: **حافظ الأسد**

وكان مجلس المجمع قد انتخب الدكتور سبح رئيساً من قبل فلما انقضت السنوات الأربع بتاريخ ١٧/٧/١٩٧٦ جدّد المجلس انتخابه للأستاذ الدكتور سبح ، بالاقتراع السري بالاجماع ، رئيساً لمدة أربع سنوات أخرى .

ولجنة المجلة تتمنى للمجمع في ولايته الجديدة كل توفيق وخير .

المرحوم خير الدين الزركلي (*)

ولد في دمشق ١٣١ هـ = ١٨٩٣ م

وتوفي في القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

كانت وفاة الأستاذ المرحوم خير الدين الزركلي حدثاً مؤلماً حزّ في نفوس الذين عرفوه جميعاً من علماء العربية وأدبائها ، ومن المتتبعين لحركتها في مجال التجديد في التأليف العلمي أو في مجال الإبداع في الإنتاج الشعري ، ومن المؤرخين لحركتها الاستقلالية والقومية .

ذلك أن الأستاذ الزركلي الذي ولد في دمشق وعاش فيها صدر حياته كان أحد الشخصيات النشيطة في الحركة العربية التي كانت تنشد استقلال الأقطار العربية ووحدتها .

وقد عمل في ساحات متعددة قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها ، في نطاق الجمعيات السرية وفي ميادين الصحافة وفي تنظيمات الأحزاب ، بما

(*) أقام النادي العربي في دمشق مساء ٣ شباط ١٩٧٧ حفلاً تأبينياً للفقيد تحدث فيه ثلاثة من أعضاء المجمع هم الأساتذة : شفيق جبري والدكتور عدنان الخطيب والدكتور شكري فيصل ، بالإضافة إلى عدد من أبناء البلاد العربية ، وستنشر الكلمات والبحوث التي قدمت إلى هذا الحفل في كتاب خاص .

حمل الفرنسيين أول عهد الانتداب على إصدار حكمهم عليه بالإعدام .. ويطلعنا مؤلفاه النثريان : عامان في عمان ، وما رأيت وما سمعت ، على جوانب من هذا العمل ، كما يضيء شعره - وهو كثير في هذه المرحلة - جوانب أخرى منه .

ثم التجأ إلى القاهرة ولعله أدركه اليأس من العمل السياسي فانصرف فيها ، بعد حين ، إلى العمل الثقافي وأصدر ديوانه بادئ ذي بدء[1] ثم أصدر كتابه الخالد : الأعلام في طبعته الأولى في ثلاثة أجزاء سنة ١٣٤٥ ﻫ - ١٩٢٧ م

وكان عمله بعدُ في وزارة الخارجية السعودية مدعاة إلى نوع من الاستقرار اتجه معه إلى إغناء هذا الكتاب وتجديده حتى صدر في طبعته الثانية في بيروت في عشرة أجزاء ، العاشر منها هو المستدرك الأول ، ظهرت خلال خمسة أعوام من سنة ١٣٧٣ - ١٣٧٨ ﻫ (١٩٥٤ - ١٩٥٩ م) .

وأتاح له تطوافه ، سفيراً للمملكة العربية ووكيلاً لخارجيتها في بعض الوقت ، زاداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات النادرة طوى فوائدها كلها في هـــذا الكتاب الذي أضحى مفتاحاً لكثير من الدراسات ودليلاً مرشداً للكثيرين من الدارسين .

وقد أصدر خلال ذلك كتابه عن « الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز » أربعة أجزاء في ثلاث مجلدات ، يعتبر نموذجاً للنثر العربي الوديع القوي في مجال الترجمة الشخصية للملك الراحل عبد العزيز . ثم نشر موجزاً له في جزء واحد وضع بين يدي طلاب المدارس الثانوية .

(١) نشر له الأستاذ أحمد عبيد ، قبل أن يصدر الديوان ، « ماجدولين والشاعر » ، وهي القصة المعروفة صاغها الفقيد على شكل موشح .

أما شعره الذي يمثل طبقة عالية في الشعر العربي المعاصر : متانة أسلوب وإحكام أداء وسلاسة بيان ، فقد كان الفقيد على أن ينشر ديوانه كاملا قبيل أحداث لبنان الأخيرة ثم كانت الأحداث ، وكان بعدها أن فاجأه الأجل في القاهرة فانتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً ، وخلّف وراءه هذا التراث الثقافي والشعري وهذه السيرة الإنسانية الطيبة .

والمجمع - وقد كان الفقيد أحد أعضائه المراسلين — إذ ينعيه إلى البلاد العربية وإلى اخوانه وأصدقائه الكثر من العلماء في الأقطار الأخرى - يسأل الله له موفور الرحمة على ماقدم من عمل للعربية وأبنائها . أجزل الله ثوابه ، وأنزله منازل الأبرار ، وعوض العرب والمسلمين خيراً .

انتخاب زميلين جديدين

الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ

عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته الأولى من الدورة المجمعية ٧٦-٧٧ « بتاريخ ٧٦/٩/٢ » قد انتخب كلاً من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في المجمع .

وقد صدر بذلك المرسوم الجمهوري التالي ذو الرقم ٢٧٩٨ والتاريخ ٧٦/١٢/٣٠

رئيس الجمهورية ..

يرسم ما يلي :

مادة ١ – يعين كل من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية .

مادة ٢ – ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

التوقيع : رئيس الجمهورية
حافظ الأسد

مسابقة جديدة لمكتب تنسيق التعريب في الرباط

تلقينا من مكتب تنسيق التعريب في الرباط بياناً موضوعه المسابقة الجديدة التي ينظمها خدمة للثقافة العربية والدين الإسلامي الحنيف .

وقد جاء في هذا البيان — بعد مقدمة عن المسابقات الأربع الأولى - أن المكتب يعتزم تنظيم مسابقة خامسة لسنة ٧٧ - ٧٨ تفضلت اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بالجمهورية العربية الليبية بتمويلها بمبلغ ٤٠٠٠ دولار اميركي « ١٨٠٠٠ درهم مغربي » وذلك لتغطية الجوائز الأربع التي ستمنح للأبحاث الفائزة ، وستكون وفقاً لرغبة اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة الليبية التي اتفق المكتب معها على تخصيص هذه المسابقة لموضوع يتطرق لمجال اللغة العربية وآدابها وذلك بتناول أحد الموضوعين الآتيين :

١ — مخطوط في اللغة العربية « لم يسبق نشره » له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة « تحقيق ودراسة » .

٢ — دراسة بيانية « لم يسبق نشرها » عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الأدبية « تنظير وتطبيق » .

ويشترط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة مايلي :

ا - ألا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط .

ب — يجوز اشتراك أكثر من شخص في البحث الواحد وفي هذه الحال تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج - يرسل البحث في « نسختين » إلى مقر **مكتب تنسيق التعريب ١٠ زنقة انكولا ص . ب ٢٩٠ — الرباط — المملكة المغربية .**

د — تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء تختارهم اللجنة الوطنية للتربية للعلوم والثقافة في الجمهورية العربية الليبية .

هـ - تقبل البحوث ابتداءً من فاتح فبراير ١٩٧٧ إلى نهاية يناير ١٩٧٨ ؛

تقرير عن أعمال المجمع

في دورة ١٩٧٥ - ١٩٧٦

١ - مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، ست عشرة جلسة بحث فيها شؤوناً مجمعية مختلفة من أهمها :

ا - متابعة الخطوات التي تمت في سبيل طباعة المعاجم الموحدة الثلاثة : علم الجيولوجية ، وعلم النبات ، وعلم الفيزياء ، وهي بعض المعاجم التي أقرها مؤتمر التعريب الثاني المنعقد في الجزائر في سنة ١٩٧٣ والتي تولت الحكومة السورية الاتفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ب - دراسة موضوع تيسير تعليم النحو وذلك إعداداً للاشتراك في الندوة التي نظمها اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية ، والتي عقدت في الجزائر .

ج - تتبع الخطوات والمراحل التي قطعها البناء الجديد للمجمع .

د - بحث التدابير اللازم اتخاذها لتنظيم الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي المزمع إقامته في النصف الأول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٦ .

هـ ــ متابعة أعمال اللجان المشتركة التي شكلها المجمع من بعض أعضائه وذوي الاختصاص من أساتذة الجامعات لتوحيد جميع المصطلحات العلمية في مختلف أقسام الجامعات ، وذلك تنفيذاً للمبادرات التي قام بها في هذا المجال رئيس المجمع واستجاب لها السيد وزير التعليم العالي والمسؤولون في جامعات القطر ، والتي أقرها مجلس المجمع في دورته السابقة .

و ــ بدأ المجلس بدراسة مصطلحات الضوء المستقاة من كتاب الأخيلة الضوئية مراجعة الأستاذ وجيه السمان .

٢ ــ اللجنة الإدارية

قامت اللجنة الإدارية في جلساتها الأسبوعية التي عقدتها في غضون هـــذه الدورة بدراسة مختلف الشؤون الإدارية والمالية ، وفاقاً لأحكام النصـوص القانونية المحددة في اللائحة الداخليـة للمجمع ، واتخذت فيها قرارات توخت فيها المصلحة العامة ، وسجلت ضبوطها في سجلها الخاص .

٣ - لجنة المجلة والمطبوعات

درست هذه اللجنة في جلساتها التي كانت تعقدها أسبوعياً ، ما ورد إلى المجلة من مقالات وبحوث . فأقرت نشر ما رأته صالحاً للنشر في ضوء أهداف المجمع وأغراض المجلة .

وقد أتمت اللجنة خلال هذه الدورة إصدار الجزء الأخير من المجلد الخمسين ، والأجزاء الثلاثة من المجلد الحادي والخمسين من المجلة .

٤ ــ لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت هذه اللجنة ، خلال الدورة ، ستة وعشرين اجتماعاً درست

فيها الكتب المحققة التي قدمت إليها ، فأقرت طباعة ونشر بعضها ، واستبعدت بعضها الآخر ، وفيما يلي عرض لأسماء الكتب التي طبعت ونشرت ، ولأسماء الكتب التي هي قيد الطبع .

ا ـ الكتب التي صدرت :

ـ ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري ، بتحقيق الأستاذين لطفي الصقال ودرية الخطيب .

ـ الملمع للحسين بن علي النمري ، بتحقيق وجيهة السطل .

ـ نضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني ، بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن .

ب ـ الكتب التي انجزت دراستها في الدورة السابقة وبوشر بطباعتها وتوشك على الصدور :

ـ التعازي والمراثي للمبرد ، بتحقيق الأستاذ محمد الديباجي

ـ إعراب الحديث للعكبري ، بتحقيق الأستاذ عبد الاله نبهان

ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ، بتحقيق الدكتور محمد يوسف

ـ سؤالات الحافظ السلفي ، بتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي

ـ معجم المصطلحات الحديثة ، وضعه الدكتور نور الدين العتر وترجمه إلى الفرنسية الدكتور عبد اللطيف الشيرازي الصباغ والأستاذ عبد الله كريل

ـ جزء من تاريخ ابن عساكر ، وهو الجزء الذي يبدأ بعاصم بن مجدل الكلبي وينتهي بعايذ

ج - الكتب التي قررت طباعتها في هذه الدورة ولم يباشر بطباعتها بعد :

- الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري ، بتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي

- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في الفقه الحنفي ، للأستاذ محمد مطيع الحافظ

- تاريخ المنصوري ، بتحقيق الدكتور أبو العيد دودو « جامعة الجزائر »

- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في التصوف ، وضع الأستاذ محمد رياض المالح

- تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور المرحوم يوسف العش ومراجعة السيدة سماء المحاسني

٥ - مشاركات المجمع داخل القطر :

ا - شارك رئيس المجمع الدكتور حسني سبح وعضو المجمع الدكتور ميشيل الخوري والدكتور محمد هيثم الخياط في الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب والمنعقدة بمناسبة افتتاح معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب بين ٥ و ١٢ نيسان ١٩٧٦

ب - اشترك بطلب من المجمع العلمي العراقي عضوا المجمع الأستاذان وجيه السمان ومحمد هيثم الخياط مع بعض أساتذة جامعة دمشق في الإشراف على ضبط المصطلحات الفرنسية في المعاجم الثلاثة الموحدة التي تولت الحكومة العراقية الإنفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ج - ألف المجمع ثلاث لجان اشترك فيها بعض أعضائه وأساتذة

الجامعات وذلك لتوحيد المصطلحات العلمية التي وافته بها بعض أقسام الجامعات وهي :

– لجنة توحيد مصطلحات علم النبات . وقد عقدت ثلاث عشرة جلسة

– لجنة مصطلحات علم الكيمياء . وقد عقدت عشر جلسات

– لجنة توحيد مصطلحات علم الحيوان وقد عقدت تسعاً وعشرين جلسة

ومن المتوقع أن تستكمل الأقسام الأخرى في الجامعات تجميع المصطلحات العلمية الخاصة بها وأن توافي بها المجمع ليتم تشكيل لجان أخرى مشتركة لدراستها وتوحيدها .

د – ألف المجمع لجنة لدراسة المصطلحات المالية العامة وقد انتهت اللجنة من أعمالها وستعرضها على المجلس .

هـ – اشترك عضو المجمع الدكتور ميشيل الخوري ومراقب المجمع الأستاذ مصباح غلاونجي في اللجنة التأسيسية التي ألفتها المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق لإنشاء متحف للطب والعلوم عند العرب في مبنى البيمارستان النوري بدمشق .

و – شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العالي في معرض دمشق الدولي الرابع والعشرين

ز – شارك المجمع في معرض لايبزيغ الدولي للكتب الذي أقيم في مطلع شهر آذار ١٩٧٦

ح – وشارك في معرض الكتاب العربي السوري الذي أقيم في صالة المعارض بجامعة الكويت في ١٧ نيسان ١٩٧٦ بمناسبة عيد الجلاء .

ط – وشارك في المعرض الدولي للكتاب الذي أقيم في مونتريال بكندا في المدة الواقعة بين ١٩ و ٢٣ أيار ١٩٧٦

ي - ويشارك المجمع في الأسبوع الثقافي السوري الذي سيقام في تونس في الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول لعـام ١٩٧٦ تطبيقاً للبرنامج التنفيذي المعقود مع القطر التونسي الشقيق . وقد بعث بالكتب التي اختارها للعرض إلى تونس .

٦ - **النشاط العلمي خارج القطر :**

ا - شارك السيد رئيس المجمع الدكتور حسني سبح في الاجتماع الثاني للجنة المعجم الطبي الفرنسي العربي الذي عقدته الأمانة العامة لاتحاد الأطباء العرب في بغداد في المدة الواقعة بين ٢٠ و ٢٥ من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٥ .

ب - اشترك الأستاذ الرئيس في الاجتماع الثالث للمعجم الطبي الفرنسي الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ١٧ و ٢٤ شباط ١٩٧٦

ج - شارك السيدان رئيس المجمع ونائب الرئيس في الدورة الثانية والأربعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ٢/٢٣ و ١٩٧٦/٣/٨ وقد نشر تقريرهما عن هذا المؤتمر في العدد الثاني من المجلد الحادي والخمسين من مجلة المجمع .

هـ - اشترك عضو المجمع الأستاذ عبد الهادي هاشم في اجتماعات لجان تعريب مصطلحات العلوم الإدارية التي عقدتها منظمة العلوم الإدارية في الاسكندرية في المدة الواقعة بين ٢٢ آذار و ٢ أيار ١٩٧٦ .

و - شارك السادة رئيس المجمع ونائب الرئيس وعبد الهادي هاشم عضو المجمع والسيد عاصم البيطار الأستاذ في جامعة دمشق في ندوة تيسير تعليم النحو التي أقامها اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الجزائر في المدة الواقعة بين ٢٦ حزيران و ٣ تموز لعام ١٩٧٦ .

ز – شارك السيدان رئيس المجمع والدكتور محمد هيثم الخياط عضو المجمع في الاجتماع الرابع للجنة المعجم الطبي الفرنسي الذي عقد في تونس في المدة الواقعة بين ٢٤ تموز و ٢ آب لعام ١٩٧٦ .

٧ – أعضاء المجمع :

أ – استقبل المجمع خلال هذه الدورة في جلسة علنية عقدها في قاعة المجمع في ٢٩ نيسان ١٩٧٦ الزميل الجديد الدكتور محمد هيثم الخياط . افتتح الجلسة الأستاذ رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالزميل المستقبل واستعرض فيها أوضاع المجمع بايجاز . ثم ألقى الدكتور شكري فيصل خطاب الاستقبال ، وتلاه الزميل الدكتور محمد هيثم الخياط فألقى خطاباً جامعاً تحدث فيه عن سلفه الراحل الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

ب – فجع المجمع والعالم العربي والإسلامي بعضو من أعضائه العاملين البارزين هو العلامة الأستاذ محمد بهجة البيطار ، وقد وافته المنية يوم السبت الواقع في ٢٩ أيار ١٩٧٦ تغمده الله برحمته . وقد شارك أعضاء المجمع في تشييع جنازته .

٨ – مكتبة المجمع :

انتاب سيرها بعض التعثر لأن المشرف على شؤونها ما زال بعيداً عنها في خدمة العلم ، وقد بلغ عدد الكتب التي زودت بها خلال هذه الدورة إهداء وشراء ٢٨٢ كتاباً ، كما أنها زودت ببعض المجلات الجديدة .

٩ – بناء المجمع الجديد :

ا – أرسي الحجر الأساسي لمبنى المجمع الجديد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية يوم الأربعاء الواقع في ١٩ تشرين الثاني

سنة ١٩٧٥ وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة للحركة التصحيحية ، وقد أناب السيد الرئيس عنه الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي وألقى كلمته كما ألقى السيد رئيس المجمع كلمة في هذه المناسبة .

ب ـ عهد أمر تنفيذ البناء إلى الهيئة العامة للأبنية المدرسية . وقد عقدت اتفاقاً مع أحد المختصين لإقامة هيكله خلال هذه السنة .

جـ ـ أقيم الطابق تحت الأرضي من البناء وينتظر أن ينتهي هيكله في أواخر هذا العام .

١٠ ـ دار الكتب الوطنية الظاهرية :

دائرة المطبوعات

ا ـ بلغ عدد الكتب التي زودت بها الدار إهداء وشراء خلال هذه الدورة ١٨٨١ كتاباً ، منها ١٤١٨ كتاباً عربياً و ٤٦٣ كتاباً أجنبياً .

ـ بلغ عدد المجلات العربية ٩٦٠ والأجنبية ٣٤٧ .

ب ـ استحدثت فهارس جديدة للموضوعات على بطاقات ، وقد تم تنظيم ٢٥٠٠ بطاقة ، وتم تنظيم ٣٠٠٠ بطاقة حسب شهرة المؤلف و ٣٠٠٠ بطاقة حسب عنوان الكتاب .

جـ ـ بلغ عدد الكتب المعارة ١٩٢٥٠

ـ بلغ عدد رواد قاعة المطالعة العامة خمسين ألفاً .

ـ بلغ عدد رواد قاعة الباحثين ٨٠٠ باحث .

و ـ أصبحت قاعة الباحثين تفتح أبوابها من الساعة الثامنة صباحاً حتى السابعة والنصف مساء .

هـ - أصبحت مستودعات المطبوعات مفتوحة الأبواب للإعارة من الصباح حتى المساء .

دائرة المخطوطات :

ا - تم إعداد فهرس حسب شهرة المؤلف .

ب - بدأ العمل بإعداد فهارس جديدة حسب عنوان الكتاب .

جـ - بدىء بتصوير المخطوطات التي يكثر تداولها بين أيدي الباحثين.

د - بلغ عدد المخطوطات المعارة داخل الدار ١٥٠٠ مخطوط .

هـ - بلغ عدد المخطوطات التي صورت للجامعات والأفراد داخل القطر وخارجه ٢٠٠٠ مخطوط .

و - دعم الجهاز الإداري بأربعة عناصر جديدة .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

ا - الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٤٦	الأستاذ محمد المبارك	١٩٦١
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٢٣	الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ شفيق جبري	١٩٢٦	الأستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
الدكتور حكمة هاشم	١٩٥٢	الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٥٨	الدكتور ميشيل الخوري	١٩٧١
الدكتور عدنان الخطيب «نائب الرئيس»	١٩٦٠	الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١
الدكتور شكري فيصل	١٩٦١	الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦

ب - الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (١)

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

---

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب المعجمي، والأسماء حسب الترتيب الزمني.

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

الجمهورية العربية السورية

الأستاذ محمد سليمان الأحمد ١٩٤٥
الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٤٨
الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمد بهجة الأثري ١٩٣١
الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٦٩
الأستاذ ناجي معروف ١٩٦٩
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩
= عبد الرزاق محيي الدين ١٩٧٣
« أحمد عبد الستار الجواري ١٩٧٣
« إبراهيم شوكة «
« عبد اللطيف البدري «
« جميل الملائكة «
« عبد العزيز الدوري «
« محمود الجليلي «
« فاضل الطائي «
الدكتور جميل سعيد ١٩٧٣
« سليم النعيمي «
« عبد العزيز البسام «
« صالح أحمد العلي «
« يوسف عز الدين «
الأستاذ محمد تقي الحكيم «
الأستاذ كمال إبراهيم «
الأستاذ طه باقر «
الدكتور صالح مهدي حنتوش «

فلسطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ أنيس المقدسي ١٩٤٥
الدكتور صبحي المحمصاني ١٩٤٨
الدكتور عمر فروخ ١٩٤٨
الأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٦٦
الدكتور فريد الحداد ١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية

الأستاذ علي الفقيه حسن ١٩٥٧

جمهورية مصر العربية

الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٧٢
الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٩٧٢

المملكة المغربية

الأستاذ عبد الله كنون ١٩٥٦

ج — الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

إسبانية

الأستاذ غومز (إميليو غارسيا) ١٩٤٨

إيران

الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧

إيطالية

الأستاذ غبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨

باكستان

الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ١٩٢٨

الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥

الأستاذ محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦

البرازيل

الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧

الدانيمرك

الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٢١

السويد

الأستاذ ديدرنغ (س.) ١٩٥٦

فرنسة

الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١

الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٤٢

فنلاندة

الأستاذ كريسكو (اهتين) ١٩٢٣

المجر

الدكتور عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦

النمسا

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨

الدكتور أشتولز كارل ١٩٥٤

الهند

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧

الولايات المتحدة الأميركية

الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

١ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي «نائب الرئيس»	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
السيد محسن الأمين	١٩٥٢

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب الرئيس»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب الرئيس»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأستاذ الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

ب - الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

الأستاذ محمد الشريقي ١٩٧٠

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ١٩٦٨
" محمد الفاضل بن عاشور ١٩٧٠
" محمد الطاهر بن عاشور
" عثمان الكعاك ١٩٧٦

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب ١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الابراهيمي ١٩٦٥

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٧٦

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن ١٩٧١

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز ١٩٢٥
الأب جرجس منش ١٩٢٧
الأب جرجس شلحت ١٩٢٨
الأستاذ جميل العظم ١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي ١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط ١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال ١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي ١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد ١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني ١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص ١٩٤٨
" راغب الطباخ ١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري ١٩٥١
" عبد الحميد الكيالي ١٩٥٦
" محمد زين العابدين
الشيخ محمد سعيد العرفي ١٩٥٦
البطريرك ماراغناطيوس افرام ١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش ١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون ١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي ١٩٦٩

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي ١٩٢٤
" جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٦
" معروف الرصافي ١٩٤٥
" طه الراوي ١٩٤٦
الأب أنستاس ماري الكرملي ١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي ١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي ١٩٦١

الأستاذ محمد رضا الشبيبي ١٩٦٥
« ساطع الحصري ١٩٦٩
« منير القاضي ١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي ١٩٧١
الشيخ كاظم الدجيلي ١٩٧٢

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق
الشيخ خليل الخالدي ١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص ١٩٤٧
« محمد إسعاف النشاشيبي ١٩٤٨
السيد خليل السكاكيني ١٩٥٣
« عادل زعيتر ١٩٥٧
الأب أ.س مرمرجي الدومنيكي ١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان ١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم ١٩٢٥
الأب لويس شيخو ١٩٢٧
الشيخ عبد الله البستاني ١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط ١٩٣٠
« عبد الباسط فتح الله ١٩٢٩
الشيخ مصطفى الغلاييني ١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري ١٩٤٦
« بولس الخولي
« أمين الريحاني ١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني ١٩٤١
الأمير شكيب أرسلان ١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر ١٩٥١
الشيخ أحمد رضا العاملي ١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرازي ١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب ١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض ١٩٥٨
الشيخ سليمان ضاهر ١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود ١٩٦٢
« بشارة الخوري ١٩٦٨
« عباس الأزهري
« أمين نخلة ١٩٧٦

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ١٩٢٤
« رفيق العظم ١٩٢٥
« يعقوب صروف ١٩٢٧
« أحمد تيمور ١٩٣٠
« أحمد كمال ١٩٣٢
« حافظ إبراهيم ١٩٣٢
« أحمد شوقي ١٩٣٢
« داود بركات ١٩٣٣
« أحمد زكي باشا ١٩٣٤
« محمد رشيد رضا ١٩٣٥
« أسعد خليل داغر ١٩٣٥

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧	الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
« أحمد الاسكندري	١٩٣٨	الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣	الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣	الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤	الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦	الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧	الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨	الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩	الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩	**المملكة المغربية**	
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣	الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤	الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦	الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨		

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من البلدان الأخرى

الاتحاد السوفييتي		**ألمانيــــة**	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أ.)	١٩٥١	الأستاذ مارتان (مارتين)	١٩١٨
الأستاذ برتلز (ايفيكين)	١٩٥٧	« ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
اسبانية		« هورو فيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤	الأستاذ هوميل (فريتز)	١٩٣٦

الأستاذ ميتفوخ (اوجين) ١٩٤٢
» هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
الأستاذ فيشر (اوغست) ١٩٤٩
» بروكلمان (كارل) ١٩٥٦
» هارتمان (ريشارد) ١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت) ١٩٧١

إيران

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال ١٩٥٥

إيطاليـــة

الأستاذ غريفيني (اوجينيو) ١٩٢٥
» كايتاني (ليون) ١٩٢٦
الأستاذ جويدي (اغنازيو) ١٩٣٥
» نالينو (كارلو) ١٩٣٨

البرازيل

الأستاذ سعيد أبو جمرة ١٩٥٤

البرتغال

الأستاذ لوبس (دافيد) ١٩٤٢

بريطانية

الأستاذ ادوارد (براون) ١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني) ١٩٣٣
الأستاذ مرجليوث (د. س.) ١٩٤٠
الأستاذ كرنيكو (فريتز) ١٩٥٣
» غليوم (الفريد) ١٩٦٥
» اربري (ا . ج) ١٩٦٩
» جيب (هاملتون ا. ر) ١٩٧١

بولونيـــة

الأستاذ كوفالسكي (ت.) ١٩٤٨

تركيـــة

الأستاذ زكي مغامز ١٩٣٢
» أحمد آتش

تشيكوسلوفاكية

الأستاذ موزل (ألوا) ١٩٤٤

الدنيمرك

الأستاذ بوهل (ف.م ب.) ١٩٣٢
» استروب (ج.) ١٩٣٨

الســـويد

الأستاذ سترستين (ك . ف) ١٩٥٣

سويســـرة

الأستاذ مونته (ادوارد) ١٩٢٧
» هس (ج . ج) ١٩٤٩

فرنســـة

الأستاذ باسيه (رينه) ١٩٢٤
» ماتنجو ١٩٢٦

الأستاذ هوار (كليمان) ١٩٢٧
« كي (ارتور) ١٩٢٨
« ميشو (بلثير) ١٩٢٩
« بوفا (لوسيان) ١٩٤٢
الأستاذ فران (جبرائيل) ١٩٥٣
« مارسيه (وليم) ١٩٥٦
« دوسو (رينه) ١٩٥٨
« ماسينيون (لويس) ١٩٦٢
« ماسيه (هنري) ١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس) ١٩٧٣

المجـر

الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس) ١٩٢١
« ماهلر (ادوارد) ١٩٤٥

الهنـد

الحكيم محمد أجمل خان

هولندة

الأستاذ غور غرينه (سنوك) ١٩٣٦
« اورانلوك (ك .)
« هوتسما (م . ت) ١٩٤٣
« شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأميركية

الأستاذ ماكدونالد (د . ب) ١٩٤٣
« هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
« سارطون (جورج) ١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين	أبو الحارث محمد حامد	إسلام أباد ١٩٧٦
صابر	محمد جعفر جعفروف - ترجمة سنان سعيد	باكو ١٩٦٢
صندوق البريد (قصتان)	جليل محمد قلي زاده - تعريب يوسفي أحمد	« ١٩٧١
التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي	د. مصطفى عبد القادر النجار	البصرة ١٩٧٥
الخليج العربي: ببليوغرافيا مختارة	عبد الرضا محمد الصافي	« «
« « « عن علوم البحار والثروة السمكية	جمع وتنظيم نجاح عبود حسين	« «
الدليل الإحصائي السنوي - جامعة البصرة (٧٥-٧٦)	مديرية التخطيط والمتابعة	« ١٩٧٦
علم النفس التربوي	صبحي عبد اللطيف المعروف	« ١٩٦٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
فهرس الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية	جامعة البصرة	البصرة	١٩٧٦
المصادر والمراجع الأجنبية عن العراق	عبد الجبار عبد الرحمن	»	»
أصول أسماء المدن والمواقع العراقية (الجزء الأول)	المحامي جمال بابان	بغداد	١٩٧٦
حكايات وفلسفة	يوسف أمين قصير	»	»
الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر	علي علاء الدين الآلوسي . تحقيق جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري	»	١٩٦٧
ديوان الطغرائي	تحقيق الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور يحيى الجبوري	»	»
محكمة العدل الدولية والقانون الداخلي للمنظمات الدولية	د. صبيح مسكوني	»	١٩٦٨
الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين	الجامعة الليبية	بيروت	
لسان الواعظ	اغناطيوس يعقوب الثالث	»	١٩٧٥
المسح الاجتماعي الاقتصادي لمدينة اجدابيا	الجامعة الليبية	»	
المسلمون أمام التحدي العالمي	د. احسان حقي	»	١٩٧٦
مقدمة في الفلسفة المعاصرة	د. ياسين خليل	»	١٩٧٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح العثماني حتى بداية العصر التركي	د. أحمد مختار عمر	بيروت ١٩٧١
العنصرية الصهيونية في الدستور والقوانين الأساسية الإسرائيلية	المحامي إحسان سامي الكيالي	تونس ١٩٧٦
منهج التبريزي في شروحه	د. فخر الدين قباوة	حلب ١٩٧٤
صفحات دراسية من القديم والحديث	د. عباس الجراري	الدار البيضاء ١٩٧٦
الاحصاء التطبيقي	د. ناظم حيدر	دمشق ١٩٧٥
الأحوال الشخصية في الأهلية والوصية والتركات	د. مصطفى السباعي ود. عبد الرحمن الصابوني	دمشق ١٩٧٠
الأخلاق	د. عادل العوا	» ١٩٧٥
ادارة أعمال الاستيراد والتصدير	د. هيثم هاشم	» »
الادارة المالية في المشروعات الاقتصادية	د. أكرم شقرا	» ١٩٧٥
ادارة المبيعات	» » »	» »
ادارة المشتريات والتخزين	د. محمد عدنان النجار	» »
الاعياء	ليونيد بترسكو . ترجمة أديب شيش	» »
الأزمة النقدية في الغرب	ا. ف. اينكين . ترجمة غسان رسلان	» ١٩٧٦
أمالي الثقافة القومية الاشتراكية (١ ـ ٣)	جامعة دمشق	» ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تاريخ العرب القديم في العصر الجاهلي	د. نبيه عاقل	دمشق ١٩٧٥
التخدير الموضعي في جراحة الفم والأسنان	د. شفيق الأيوبي	» ١٩٧٤
تغذية الحيوان والدواجن	د. عبدالغني الاسطواني	» ١٩٧٥
تقرير عن حالة الأمن لعام ١٩٧٥	قيادة قوى الأمن الداخلي	» ١٩٧٥
التكامل الفني في العرض المسرحي	الكسي بوبوف - ترجمة شريف شاكر	» ١٩٧٦
حالات ادارية وتسويقية	د. هيثم هاشم	» ١٩٧٥
الحالات والدراسات في الشركات	د. حمدي السقا	» ١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم العملي)	د. محمد عادل القتيح	» ١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم النظري)	» » » »	» »
الحليب ومنتجاته	د غانم حداد	» »
دراسات في تاريخ العصر الأموي	د. نبيه عاقل	» »
دراسات في الدعاوة السياسية (١ ٣)	ناظم الطحان	» »
دروس في الفيزياء (القسم الأول)	ديفوره وانوكان - ترجمة د. عدنان الحاسب	» »
الرياضيات العامة - الجبر والتحليل (القسم الأول)	ش. بيزو - م. زمانسكي ترجمة د. عدنان حموي	» »

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
الصبية (مسرحية)	فيكتور روزوف - ترجمة اسكندر كيني	دمشق	١٩٧٦
الصحة النفسية	نعيم الرفاعي	»	١٩٧٥
الصهيونية في روسيا القيصرية	ي. س. يفسييف و ل. فوستوكوف ترجمة هاشم حمادي	»	١٩٧٦
الطب في إنجازاته وإغراءاته	جان برنار - ترجمة د. بشير العظمة	»	»
العالم من حولنا	طالب عمران	»	»
عزف منفرد على الكمان (قصص)	جورج سالم	»	»
العشق في الزمن الضحل (شعر)	فؤاد كحل	»	»
علم الحشرات العام	د. محمد عادل الفتيح ود. أحمد زياد الأحمدي	»	١٩٧٥
» » (القسم العملي والتصنيف)	د. أحمد زياد الأحمدي ود. محمد عادل الفتيح	»	»
علم النسج والتشريح المقارن	د. محمد أبو حرب	»	١٩٧٤
علم نفس الطفولة والمراهقة	د حسين فيصل الغزي	»	١٩٧٥
الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد	د. وهبة الزحيلي	»	»
الفيزياء العامة والتجريبية - الضوء (١ - ٢)	بيير فلوري - جان بول ماثيو - ترجمة د. توفيق المنجد ود. طاهر التربدار والمهندس وجيه السمان	»	١٩٧٦
كتاب التشريح الوصفي (الجزء الأول)	د. محمد فائز المط	»	١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
الكتابة على أعمدة الشمس (شعر)	نجيب جمال الدين	دمشق	١٧٧٦
محاضرات في تطور الادب الأوربي	د. حسام الخطيب	»	١٩٧٥
مباحث الكتاب والسنة من علم الأصول	د. محمد سعيد رمضان البوطي	»	»
مبادىء الإدارة	د. هيثم هاشم	»	»
المحاسبة التجارية الحديثة (١-٢)	د. حمدي السقا وفخري العدلام	»	»
محاسبة التكاليف الصناعية	د سلمان قداح	»	١٩٧٥
المدخل لدراسة التشريع الاسلامي ٢	د. عبد الرحمن الصابوني	»	١٩٧٥
مرآة ظلال الشعور « أليعازر »	اندريه مالرو - ترجمة صياح الجهيم	»	١٩٧٦
المراجعة وتفتيش الحسابات	د. حمدي السقا	»	١٩٧٥
المعاهد الجامعية للتكنولوجيا	ميشيل ايف برنار - ترجمة أحمد القادري وحسن الحراكي ومراجعة مهاة فرح الخوري	»	١٩٧٦
معطف الاخفاء (قصص للأطفال)	عادل أبو شنب	»	»
المهاة السوداء	ج. ل. ستيان - ترجمة منير صلاحي الأصبحي	»	»
مناسك الحج والعمرة	محمد ناصر الدين الألباني	»	١٣٩٥
من تراثنا	صلاح بن خليل الموصلي	»	١٩٧٦
الموجز في أحاديث الأحكام	د. محمد عجاج الخطيب	»	١٩٧٥
المؤلفات الكاملة	زكي الأرسوزي	»	١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
النباتات الرعوية ذات الأهمية الاقتصادية	د. محمد فؤاد الرباط	دمشق	١٩٧٥
نجمة الصبح (قصص للأطفال)	أيوب منصور	»	١٩٧٦
النظام النقدي الدولي	جاك - بتي - رولة - ترجمة د. مصطفى عدنان السيوطي	»	»
النقد والأدب	جان ستاروبنسكي - ترجمة د. بدر الدين القاسم مراجعة انطون مقدسي	»	»
قضية فلسطين في الشعر المغربي حتى حرب رمضان	د. عباس الجراري	الرباط	١٩٧٥
معجم الفقه والقانون (فرنسي - عربي)	المكتب الدائم لتنسيق التعريب	»	١٩٦٩
الصورة الفنية في الشعر الجاهلي	د نصرت عبد الرحمن	عمان	١٩٧٦
عبد الله بن المبارك المروزي	د. عبد المجيد المحتسب	»	١٩٧٢
من أعلام الفكر والأدب في فلسطين	يعقوب العودات (البدوي الملثم)	»	١٩٧٦
تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية	ترجمة طه صواف	موسكو	
من أيام الجلالي في القاسم	وهاب الحاج قاسم محمد الحلي الأسدي	النجف	١٩٧٦
ناعية الطف : السيد حيدر الحلي	عبد الجبار الساعدي	»	»

تصويبات عدد سابق « م ٥١ ج ٣ »

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٦٢٤	١٩	٣٤٤/٩	٦٣٢	٧	٧٦٣/٢
٦٢٦	٨	جاهلة	٦٣٤	١	٥٨٣/٢
٦٢٦	١٥	١٦	٦٣٤	١٦	٢٧/١
٦٢٧	١٨	٢٢٣/٨	٦٣٥	٤	٢٢٥
٦٢٨	١٥	جرْيتها			

* * *

تصويبات هذا العدد « م ٥٢ ج ١ »

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
١٢	٩	إحياء	١٩٠	٢	مَقْصِدِ
١٥	١٤	تحولتْ	١٩٢	٣	يشفِ
٢٢	٦	تجلية	١٩٢	٨	وناشر
٢٥	٣	سيرتِه	٢٠٢	٤	بالنقمْ
٤٠	١١	اسمك	٦٠٩	٦	من قولِ : لا
١٠٤	٣	برآه	٢١٢	٣ -	وأنور
١١٠	٧	إن	٢١٨	٥	وعذبتني
١٩١	٧	اطراده	٢١٢	١٠	لا هندُ .. دعدُ
١٦٤	١٠	لمجيء	٢٢٣	رأس الصفحة	محمود العابدي
١٨٩	٥	مرَفِدِ	٢٢٥	١٤	اقتناء

فهرس الجزء الأول من المجلد الثاني والخمسين (*)

الصفحة مقدمة العدد

حفــل الافتتاح

المقالات والبحوث

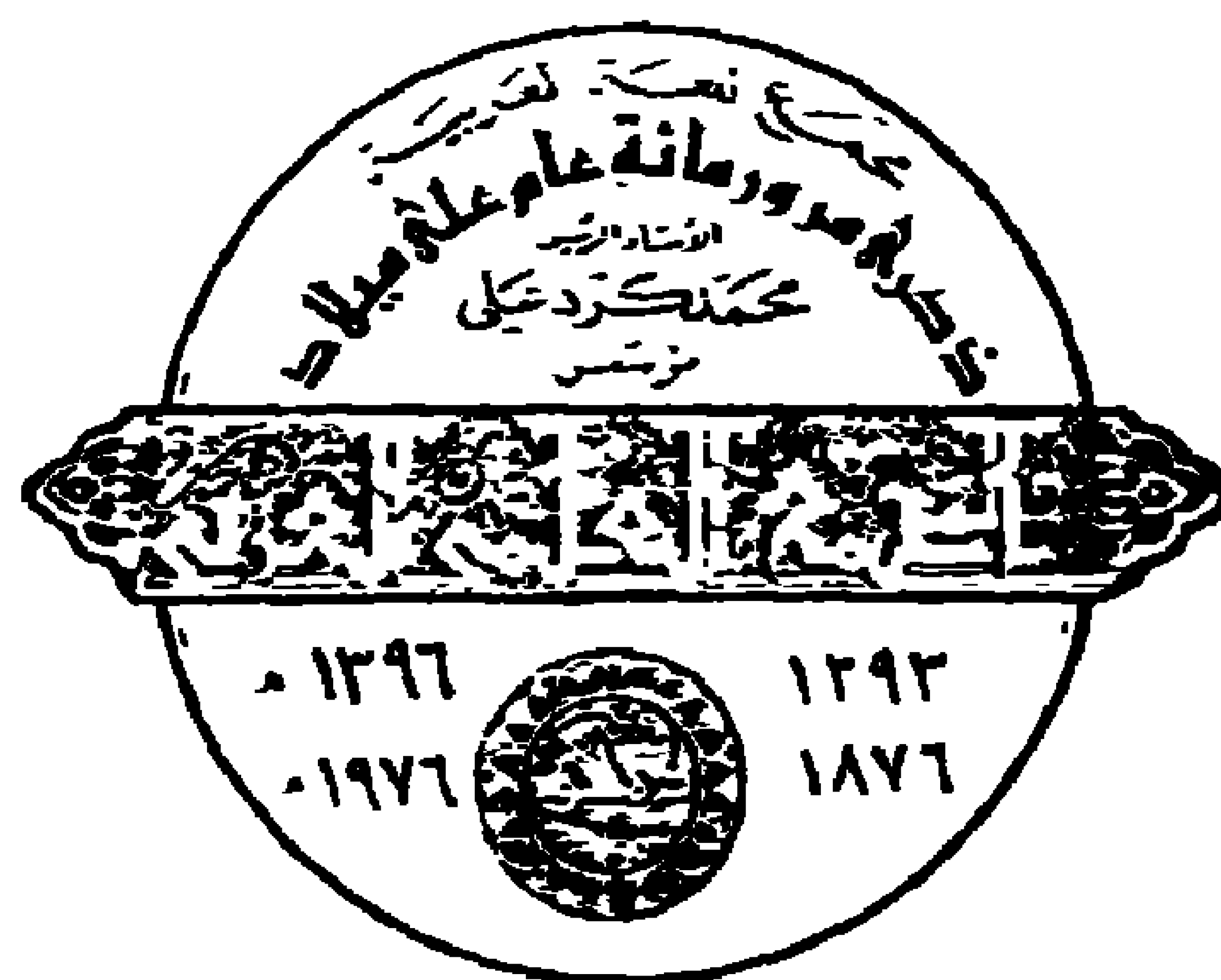
١ — الندوة الأولى

(*) عدد خاص بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

٢ ـ الندوة الثانية

٣ ـ الندوة الثالثة

آراء وأنبـاء



الشعار الذي توجت به
جميع مطبوعات مجمع اللغة العربية
خلال عـــام ١٩٧٦

الجزء الثاني

المجلد الثاني والخمسون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ربيع الثاني من سنة ١٣٩٧ هـ

نيسان « أبريل » من سنة ١٩٧٧ م

وحي الألفاظ

الأستاذ شفيق جبري

في رحلة ابن بطوطة ألفاظ كثيرة تتعلق بالمآكل والمشارب والملابس والمراكب والعمران والألقاب وغير ذلك من مظاهر الحياة ، وقد فسّر ابن بطوطة نفسه طائفة من هذه الألفاظ بحسب دلالتها في بلاد الأعاجم التي شاعت فيها ، وانتخب الدكتور سليم النعيمي ألفاظاً من هذه الرحلة تكلم عليها في مجلة المجمع العلمي العراقي في مقالات متسلسلة عنوانها : ألفاظ في رحلة ابن بطوطة ، ولا شك في أنه يستحق الثناء على عمله .

إنا نمرُّ بكثير من ألفاظ الرحلة قد نفتقر إلى معرفة معانيها لأنها استفاضت في بلاد أهلها أعاجم ، فإذا لم نقف على معاني هذه الألفاظ فقد يفوتنا كثير من مظاهر الحياة في البلاد التي رحل إليها ابن بطوطة وما أكثر هذه البلاد . وحسبي الإشارة إلى جملة منها ، فقد رحل إلى الأناضول وخوارزم وخراسان والهند والسند والصين ومقديشو وجزائر مالديف وغيرها مما لا حاجة بنا إلى إحصائه . إن رحلة ابن بطوطة تختلف في هذا المعنى عن رحلة ابن جبير ، فابن جبير لم يرد في رحلته ذكر بلاد الأعاجم التي

ورد ذكرها في رحلة ابن بطوطة ، ومن أجل ذلك لا تشتد حاجتنا إلى تفسير ألفاظ رحلته .

لست أرمي في مقالي هذا إلى الكلام على الألفاظ التي جاءت في رحلة ابن بطوطة ولا إلى الكلام على تفسيرها سواء أتولى هذا التفسير ابن بطوطة أم تولاه الدكتور النعيمي ، ولكن غرضي الاشارة إلى ألفاظ قليلة وردت في رحلة ابن بطوطة وشاعت في دمشق سواء أكانت هذه الألفاظ عربية أم كانت أعجمية ، فهي تحيي في أذهاننا بعض الصور في ماضي دمشق القريب ، إنها تدل على مسميات قد اختفت أو كادت مما له صلة بزينة البيوت أو بالملابس أو بالمراكب أو ببعض أنماط العيشة ، ولا ريب في أن إحياء هذه الصور يدخل السرور على قلوبنا لأنا نحب أن نعرف كيف كانت الحياة في دمشق أو كيف كان جزء من أشكال هذه الحياة .

إني لا أشير إلى الألفاظ التي شاعت في بلاد الأعاجم ولم يصل شيوعها إلى بلادنا لأني لا أرى في هذه الإشارة فائدة ، فالقارىء يستطيع أن يرجع إلى رحلة ابن بطوطة ويقف على بعض الألفاظ المتصلة بالأكل والشرب واللبس وما ماثل ذلك ، وإني لأكتفي بذكر ألفاظ قليلة استعملناها في لغتنا العامة في دمشق .

فلنشرع في ذكر ألفاظ تصور لنا زينة البيوت في داخلها . من هذه الألفاظ : القاشاني والصيني . فمن كلام ابن بطوطة في حديثه عن المسجد الجامع بتبريز : « وصحنه مفروش بالمرمر ، وحيطانه بالقاشاني ، وهو شبه الزليج » وأضاف الدكتور النعيمي إلى كلام ابن بطوطة ما يلي : معرّب كاشاني نسبة إلى كاشان من مدن العراق العجمي قرب أصبهان

ولعله من مصنوعاتها ، ويقال إنه في الفارسية مشتق من كاش أو كاج بالجيم المعقودة ، بمعنى الزجاج لأن القاشاني مربعات من الخزف المموّه وهو مختلف الألوان .

فالذي يعنينا من كل ذلك أن لفظة : القاشاني شائعة في دمشق والناس يقولون : القيشاني ، وعلى مقربة من سوق الحرير : حمّام « القيشاني » وقد حوّل إلى مخازن ولم يبق أثر من الحمّام ، فالقاشاني أو « القيشاني » كنا نجده في بعض بيوت دمشق القديمة في مربّعاتها أو قصورها أو قاعاتها، والقصر في البيت يطلق على الغرفة العالية التي يقضى فيها فصل الشتاء . فالفائدة في هذه اللفظة أنها تدلنا على طراز من زينة الحيطان في بعض بيوتنا القديمة ، أما اليوم فلا نرى في عمراننا الحديث أثراً للقاشاني ، فالعمران من صفاته البساطة وقلة التكاليف ، فمن الذي في أيامنا يبني بيتاً ويفرش حيطانه بالقاشاني على الرغم من حسن هذا الفرش وهذه الزينة . وهكذا نجد أن لفظة القاشاني التي شاعت في لغتنا العامة تدلنا على شكل من زينة الحيطان لم يبق له أثر ، وقد استطعنا أن نعرف أصل هذه المادة ومن أين جاءت إلينا .

وقريب من لفظة القاشاني لفظة : الصيني . قال ابن بطوطة : « ومررت ببعض أزقة دمشق فرأيت مملوكاً صغيراً قد سقطت منه صحفة من الفخار الصيني » . فالذي يهمنا من هذه العبارة لفظة : الصيني . إنها تحيي لنا صورة من صور الأثاث في بعض بيوت دمشق القديمة ، فالأغنياء من أصحاب هذه البيوت كانوا يقتنون ما نسميه : الزبادي الصينية والصحون الصينية وكانوا يضعونها في القاعات ويحرصون عليها لقيمتها وحسنها ، وكانوا

يفاخرون بها . أما اليوم فلا تقع عيوننا في البيوت على شيء من الزبادي الصينية أو الصحون الصينية . وهكذا نرى أن اللغة إنما هي صورة الحياة .

وما دمنا نذكر القاشاني والصيني في بيوتنا القديمة فلا بأس أن نمكث قليلاً في هذه البيوت لنرى فيها طراز المؤنة : قال ابن بطوطة في حديثه عن ملكة كيلكرى : « وأمرت لي بأثواب وأربعة مرطبانات وهي أوان ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون » . وأضاف الدكتور النعيمي إلى كلام ابن بطوطة ما يلي : وكان المرطبان معروفاً في بغداد وهو إناء ضخم ، مفرطح بعض الشيء يتخذ للطعام ويصنع من النحاس ، وفي المعاجم الفارسية : مرتبان ، وهو إناء من الخزف تحفظ فيه الأدوية والمربيات أو الأفاويه أو الخبز .

فالذي يعنينا من كل ما ذكره ابن بطوطة أو ما ذكره الدكتور النعيمي من وصف المرطبان أن المرطبان معروف في بيوت دمشق بهذه الصفة نفسها ، ولكن الذي نعلمه أنه يصنع من الزجاج . إني لا أهتم بهذه اللفظة إلا بمقدار ما لها صلة بطراز حياتنا في بيوتنا القديمة .

فقد كان لنا في الماضي طراز خاص في مؤنة البيت ، فقد كان في معظم البيوت بيت اسمه : بيت المؤنة ، يخزن فيه السمن والزيت والدبس والخل والأرز والبرغل والسكر وما يتبع ذلك من المؤنة حتى لقد كان في البيوت مخزن للقمح اسمه : كندوش ، يخزن فيه القمح ويؤخذ منه من حين إلى آخر مقدار للطحن ثم يعجن الطحين ويرسل إلى الفرن للخبز ، لقد وردت هذه اللفظة في معجم الفيروز ابادي بالجيم : كُنْدُوج وجاء في تفسيرها : الكندوج شبه المخزن معرّب كندو وكندجة الباني في الجدران

والطيقان : مولّدة . لقد بطل كل هذا في أيامنا ، فأغلب البيوت في العمران الحديث خال من بيت المؤنة ، فأي بيت يحتوي اليوم على كندوش أو كندوج للقمح . فما أطرف الصورة التي أحيتها لنا لفظة : المرطبان .

وهل علينا من حرج إذا انتقلنا من زينة البيوت ومؤنتها إلى قليل مما له بعض الصلة بالثياب . قال ابن بطوطة في حديث عن وزير جزيرة ذيب المهل : « جاء الوزير إليّ بعد العشاء ومعه غلامان .. فألقى إليّ أحد الغلامين بين يديه لفشة (بقشة) وهي شبه السبنية وأخرج منها ثياب حرير وحُقّاً فيه جوهر فأعطاني ذلك » . وأضاف الدكتور النعيمي : إن البقشة هي بالفارسية : بقجة ونقل عن « دوزي » أن الكلمة تركية وهي معروفة بهذا الاسم في بغداد الآن ويطلقونها على قطعة من القماش مربعة ومبطنة وتوضع فيها الملابس وتشد من أطرافها الأربعة .

لسنا نُعنى الآن بأصل هذه المادة ولكن الذي يعنينا من أمرها أنها مستعملة في دمشق بالمعنى نفسه ، وهذه المادة تدلنا على طورٍ من أطوار حقائبنا في الماضي فما كانت حقائب الجلد « الشنانتي » مستعملة وإنما كان الناس إذا سافروا أو انتقلوا من محلّ إلى محل يضعون ثيابهم في البقجة أما الآن فنكاد لا نرى بقجة لمسافر في سيارة أو طيارة أو قطار فالثياب توضع اليوم في حقائب من جلد « الشنانتي » .

ومن ذكريات البقجة في دمشق أن الناس في أعراسهم كانوا ينقلون جهاز العروس من بيت العريس إلى بيت العروس على الرؤوس والأيدي ويطوفون بهذا الجهاز على أقدامهم في الأسواق والحارات حتى يصلوا إلى بيت العروس وكان الجهاز يشتمل على بُقجٍ مطرّزة ، وإذا كان الجهاز ثميناً

قال الناس فيه إنه جهاز ثقيل ، هذه هي اللفظة التي كانوا يستعملونها في الدلالة على محاسن الجهاز ، وكل هذا قد بطل في يومنا فلا يطاف بجهاز في الأسواق والحارات ولا توضع الملابس في البقج .

ومن الألفاظ التي جاءت في رحلة ابن بطوطة وهي تدلنا على نوع من الملابس في ماضي دمشق لفظة : السمّور ، فقد قال ابن بطوطة في حديثه عن أرض الظلمة : « فإذا كان من الغد عادوا « المسافرون » لتفقد متاعهم فيجدون بازائه من السمّور والسنجاب » فقروة السمّور كانت من ملابس أهل دمشق في الشتاء ، كان يلبسها الأغنياء وقد يلبسها بعض النساء ، وهذا النوع من اللباس كانوا يتباهون به ولكنه اليوم قد بطل أو كاد فلا نجد من يلبس فروة السمّور في الشتاء . فكما يبطل نوع من الزينة في البيوت فقد يبطل نوع آخر من اللباس طبقاً لأطوار الحياة .

ومن هذه الأنواع التي قل استعمالها : الكمر ، قال ابن بطوطة في حديثه عن مدينة جرون ، بفتح الجيم والراء وآخرها نون وهي قاعدة جزيرة هرمز الجديدة :« ولقيت بهذه المدينة الشيخ صالح السائح أبا الحسن الأنصراني وأصله من بلاد الروم فأضافني وزارني وألبسني ثوباً وأعطاني كمر الصحبة » . فالكمر ومعناها الحزام مستعملة في دمشق وهي غير عربية ، وما يهمنا أن تكون فارسية أو غير ذلك ، إنما الذي يهمنا أن الكمر كان من بعض ملابس الناس في دمشق ، وهو حزام يشدونه على أوساطهم وفي بعض الحالات كانوا يحفظون فيه ليرات ذهبية إذا ذهبوا من دمشق إلى بلد آخر من باب الحيطة ، وهو نوع من اللباس قليلاً ما يستعمل اليوم .

وآخر ما أريد ذكره من هذا النمط لفظة : الفوطة ، فمن كلام ابن بطوطة في حديثه عن أهل مقديشو : « وأتوني بكسوة وكسوتهم فوطة خزٍّ يشدها الانسان في وسطه عوض السراويل فإنهم لا يعرفونها » فالفوطة لا تزال شائعة في لغتنا العامة في دمشق فنحن نقول : فوطة الحمّام ، وهي على نحو ما قال ابن بطوطة يشدها الإنسان في وسطه ، فهذه اللفظة تذكّرنا حمامات دمشق في الماضي ، وقد اختفى معظم الحمامات المشهورة وبقي قسم منها في بعض الحارات لأن البيوت الحديثة فيها حمّامات يستحم فيها أصحاب هذه البيوت ، أما في الماضي القريب فقد كان لكل حي من أحياء دمشق حمام بوجه التقريب يقصده الرجال في الصباح والنساء بعد الظهر ، وحمّامات النساء فيها عادات خاصة ، فقد كان النساء يجلبن معهن إلى الحمام بعض المآكل فلا يقتصرن على الاستحمام وحده ولكنهن كن يقطعن الأوقات في الأكل والانبساط من الظهر إلى المغرب حتى وإلى العشاء وهكذا ذكرتنا الفوطة بحماماتنا التي كادت تختفي آثارها .

وأحب أن أختم هذا المقال بلفظة : المحارة الدالة على موكب الحج في دمشق ، ذكرها ابن بطوطة في حديثه عن بغداد قاصداً الحج ، قال : وقصدت أميرها فعيّن لي شقة محارة ، وقال : ولما أردت السفر من خوارزم اكتريت جمّالاً واشتريت محارة ، وقال الدكتور النعيمي : وفي القاموس : المحارة هي شبه « الهودج » فهذه المادة عربية فهي لا تشبه بعض ما مرّ بنا من الألفاظ الأعجمية . إن لفظة المحارة تذكرنا موسم الحج في دمشق من سبعين سنة . فقد كان لهذا الموسم يوم مشهود يخرج فيه باشا الحج على فرسه ويصطف فيه الناس من السنجقدار إلى آخر حي

الميدان على سبيل الفرجة ، فالنساء على سطوح البيوت والدكاكين حتى إذا وصل الموكب إلى آخر الميدان ، إلى العالي ، انتهت الفرجة ورجع كل واحد إلى عمله ، فالمحارة وهي شبه الهودج من ألفاظ الحج ، كان يجلس فيها الحجاج على ظهر الجمل ، فلا سيارات ولا طائرات وإنما جمال تقطع المسافة الشاقة بين دمشق والحجاز في أيام وليال طويلة .

أفرأينا كيف انتقلت الحياة من طور إلى طور وكيف أن الألفاظ التي تصور لنا هذه الأطوار أصبحت مخزونة في أذهاننا لا تدلنا إلا على ذكريات خلت . فلنتعم بوحيها !.

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر

وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٣ -

الدكتور حسني سبح

10935 principe protecteur, de défence, substance protectrice

١٠٩٣٥ عامِلٌ صائن ، عامِلُ دفاع مادَّةٌ صائنة

وأرجح مادّة واقية أو حامية ، أو جَوْهر دِفاعي

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

10936 principe sapide **١٠٩٣٦** عامِلٌ مُطعِم ، ذو طعمٍ

مادَّةٌ ذاتُ طعمٍ أو عُنصُر ذو طعم ، كما جاء في

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

10937 prise instantanée dirigée, instantané **١٠٩٣٧** آخذ آني مُوجّه

والصحيح إلتقاط صورة خاطف موجّه في اللفظة الأولى

---

(١) (protective principle or material, protective substance)

(٢) (test giving element)

وخطيفة في اللفظة الثانية ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

10939 Priser

١٠٩٣٩ تشيق

وفي المعجم الأصلي (renifler) إضافة إلى (priser) وقد سقطت من الطبع على ما يبدو . أرجح سعط [٢] إستعط وتشق واستنشق

10942 Procédé, processus

١٠٩٤٢ خطة ، طريقة

وأفضل طريقة في اللفظة الأولى وحدث [٣] في الثانية

10943 procédé d' Einhorn, épreuve de perles d' Einhorn

١٠٩٤٣ خطة أينهورن ، بينة اللآليء لأينهورن

10944 procédé d expression

وأرجح طريقة أينهورن ، الاختبار باللآليء لأينهورن .

١٠٩٤٤ طريقة التعصير ، وطريقة التعبير

وأرجح طريقة العصر وطريقة الإبانة

10945 procédé du fil du Garrod (dans la goutte)

١٠٩٤٥ طريقة الخيط لغارود (في النقرس)

طريقة غارود (كما يلفظ في الانكليزية) بالخيط واختبار

---

(١) (directed snapshot)

(٢) في تاج العروس : سعطه الدواء كمنعه ونصره ويسعطه ويسعطه وأسعطه إياه أدخله في أنفه واستعط هو بنفسه، والسعوط كصبور ذلك الدواء.

(٣) الصفحة ٢٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

غارود بالخَيْط (من أجل حمض البول) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١٠٩٤٦ طريقة التبديل ، طريقة التعويض
10946 procédé de remplacement, procédé de restitution

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (restitution) بانعدال (٢) . وأرجح تبديل وترميم وإرجاع وارتداد . وسبق للجنة أن استعملت تعويض ومعاوضة ترجمة لـ (compensation) (اللفظة ٢٩٤٤)

١٠٩٤٧ طريقة الإظهار أو العرض
10947 procédé de représentation

وأرجح طريقة الإراءة أو التَرْض ، تاركاً الإظهار ترجمة لـ (dèreloppement) كقولك إظهار الرُقيقة أو الفلم وهو العمل الذي يسمى خطأ بالتحميض

١٠٩٤٨ زَائدة هَدَبِيّة
10948 processus ciliaire

وأرجح نأتيٌ هَدَبِي ، إذ سبق للجنة أن ترجمت

---

(١) (Garrod's thread - test for uric acid)

(٢) جاءت اللفظة في مصطلحات علم التوليد في المجلد الثاني من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ولم يأت ذكرها في المعجم الوسيط . والمراد منها الارتداد في أثناء الولادة وخروج الجنين .

ففي لسان العرب : والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه : تقول : عدلت فلاناً عن طريقه وعدلت الدابة إلى موضع كذا ، فإذا أراد الاعوجاج نفسه قيل هو ينعدل أي يَعْوَجّ وانعدل عنه وعادل إعوجّ الخ .

(appendice) بزائدة (اللفظة ٩٧٦ وما يليها) : هذا وقد ترجم مجمع اللغة العربية في القاهرة اللفظة ، بنتوء في بعض المصطلحات ، وشاخصة في غيرها .

10949 , 10950 , 10951 , 10952

١٠٩٤٩ و ١٠٩٥٠ و ١٠٩٥١ و ١٠٩٥٢

سبقت الإشارة إليها [١] وأضيف إلى الأولى حدث الإطلاق وآلية الإطلاق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢] وإن اللجنة سبق لها أن ترجمت (état) بحالة (اللفظة ٥٢٧٢)

10953 processus d' hérédité, succession de transmissions héréditaires — ١٠٩٥٣ تَطَوُّر الوراثة ، تعاقُب الانتقالات الوراثية

وأرجح حدث الوراثة ، تعاقب الانتقالات الوراثية . وسبق للجنة أن استعملت لفظة تطور ترجمة لـ (métabolisme) (اللفظة ٨٤٥٦ وما يليها)

10954 processus morbide — ١٠٩٥٤ تَطَوُّر مَرَضي

أقول حدث مرضي

10955 processus de rétrécissement — ١٠٩٥٥ حادِث تَضَيُّق

10956 processus de viellissement — ١٠٩٥٦ حادِث تَشَيُّخ

---

(١) الصفحة ٢٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (process of releasing, mechanism of releasing)

وأرجح حدث التضيق في الأولى وحدث التشيخ في الثانية

١٠٩٥٧ انسدال ، هبوط — 10957 Procidence, prolapsus

١٠٩٥٨ انسدال العضدين (قبالة) — 10958 procidence des bras

١٠٩٥٩ انسدال السُّرر ، هبوط السُّرر — 10959 procidence du cordon ombilical, procubitus

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة بتدلي وهي الأفضل . وأرجح التدلي المتقدم أو المقدَّم ، لأن المقصود من هذه اللفظة المستعملة في التوليد تدلي السُّر والذراع ، وخروج أحدهما من فوهة الرَّحم قبل الجنين (١) وليس للفظة انسدال (٢) الدلالة المطلوبة .

أقول تدلٍ مُقدَّم ونزول في اللفظة الأولى ، والتدلي المتقدم أو المقدم الذراعين (لا العضدين) في الثانية ، وتدلي السُّر ونزول السر في الثالثة .

١٠٩٦١ ألم الشَّرَج — 10961 Proctalgie

---

(١) لفظتا (procubitus و procidence) في معجم كيه الموسوعي : Dictionnaire Encyclopidéque Quillet

(٢) في تاج العروس : سدَل الشعرَ والثوبَ والستر يسدِله ويسدُله وأسدَله أي رخاه وأرسله .

وفي لسان العرب : والانسان يدلي شيئاً في مهواة ويتدلى هو نفسه ، ودلى الشيء في المهواة أرسله ، إلى أن قال : ولا يكون التدلي إلا من علو إلى استفال ، تدلي من الشجرة الخ .

وألم المستقيم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١٠٩٦٢ نَخزْع الشَّرَج والمستقيم — 10962 Proctotomie

وأرجح شَق المُستَقيم

١٠٩٦٥ إيجاد ، إنجاز ، تَكَوُّن — 10965 Production, exécution, formation

وأرجح إحداث ، تنفيذ ، تَشكل

١٠٩٦٦ إيجاد ، انتاج ، مَحْصول ، تَكوين ، خَلْق — 10966 production, produit, création

وأفضل ، تورم ، نِتاج ، إيجاد

١٠٩٦٧ تَشَمٍّ تَحت اللِّسان ، التهاب ماتحت اللِّسان الغِشائي الشكل ، داء ريغا أو داء فيد — 10967 production sublinguale subglossite diphtéroide, maladie de Riga ou de Fede

وأرجح تَوَرُّم تحت اللسان ، التهاب ما تحت اللسان نظير الدفتريا في داء ريغا أو داء فِد

١٠٩٦٨ أنتَجَ — 10968 Produire

وأحدَثَ وسبَّبَ كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

---

(١) (rectalgia) .

(٢) (to be the cause of) ,

10969 produits de beauté, cosmétiques ١٠٩٦٩ مَوادُّ التَجْميل انظر نُمَو
وأرجح مُطَرَّوات (١) ، مستحضرات التجميل أو التطرية

10970 produits chimiques ١٠٩٧٠ مواد كيماوية ، محصولات كيمائية
وأفضل مُنتَجات كيمائية وكيمائيات ، كما جـــاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

10971 produits de clivage, de désagrégation ١٠٩٧١ مَحْصولات انشقاق ، تَفَتُّت
أرجح منتجات الانشقاق والتفتت أو التبدد

10972 produits de condensation ١٠٩٧٢ مَحْصولات تَكَثُّف
وأرجح مُنتَجات التركيز أو التراكم أو مركباتها ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

10973 produits de conservation ١٠٩٧٣ مَحْصولات حِفْظ
والصحيح مُنتَجاتٌ صائنة أو واقية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

---

(١) الصفحة ٥٩٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) (chemicals) .
(٣) (condensation compounds) .
(٤) (preservatives) .

10975 produits faiblement laxatifs — ١٠٩٧٥ مَحْصولات مُليِّنة لطيفة
وأفضل مُنتجات أو مستحضرات مُليِّنة خفيفة

10976 produits laitiers, de laiterie — ١٠٩٧٦ مَحْصُولات الألبان أو المُلبِّنة
وأفضل مُنتجات اللبن والألبانة

10977 produits non saturés — ١٠٩٧٧ مَحْصولاتٌ غيْرُ مُشْبَعة
وأفضل مُنتَجات أو مركباب غير مُشْبَعة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

10978 produits psoriques, anti-psoriques, contre la gale — ١٠٩٧٨ مَحْصُولات جَرَبية
مُضادة للجَرَب
ضِدُّ الجَرَب
أدوية مُضادة للجرب، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

10979 produits saturés — ١٠٩٧٩ مَحْصُولات مُشْبَعة
مُركبات مُشبَعة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

10980 produits terminaux — ١٠٩٨٠ مَحْصولات انتهائية
وأفضل منتجات نهائية

---

(١) (non saturated compounds)
(٢) (remedies against scabies)
(٣) (saturated compounds)

10981 produits de torréfaction ١٠٩٨١ مَحْصولاتُ تَحميص

وأفضل مُنتَجات التَحْميص

10982 Proéminence, grosseur ١٠٩٨٢ بَرْزَة ، نُشُوز

وأرجح بارزة ، انبتاج ، ارتفاع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

10983 professeur sans chaire ١٠٩٨٣ استاذ بِدونِ كُرسي

وأفضل استاذ بلا كرسي

10984 professeur titulaire d'une chaire ١٠٩٨٤ استاذ أصيل ذو لَقَب ذو كُرْسي

استاذ ذو كرسي (أصيل)

10985 Profession, occupation ١٠٩٨٥ مِهْنة ، شُغْل ، عَمَل

وحِرْفة واحتلال

10987 Profus, se ١٠٩٨٧ وافِر

وغَزير

10988 Progérie, nanisme sénile ١٠٩٨٨ دَحْدَحَة ، شَيْخُوخيَّة

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة (٢) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الشّياخ وجاء في التعريف : هو الشَّيْخوخة الناجمة عن النشوء غير السوي

---

(١) (promience, premontory, projection, bulge)

(٢) الصفحة ٢٩٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

١٠٩٩٣ قَذَفَ ، رَشَقَ — 10993 Projeter un jet

وأرجح قذف قذيفة أو بقذيفة وكذلك رمى ورَشق

١٠٩٩٤ مُنسَدِل ، هابِط — 10994 Prolabé, ée

١٠٩٩٦ هبوط المُسْتَقيم — 10996 prolapsus du rectum

١٠٩٩٧ هبُوطُ الرَحِم — 10997 prolapsus de l'utérus

١٠٩٩٨ هُبُوط المَهْبِل — 10998 prolapsus du vagin

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تدلي المستقيم في اللفظة الأولى وتدلي الرحم في الثانية وتدلي المهبل في الثالثة .

١٠٩٩٩ مُتكاثِر ، ذو نُمو وافِر وأفضل مُتَكَثِّر ، زائد النماء — 10999 proliférant, ante, à croissnce luxuriante

١١٠٠٠ تَشَعُّب ، تكاثُر ، نُمو — 11000 Prolifération

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة التكاثر وأفضل ازدياد النماء وتكثر تاركاً التشعب والانشعاب ترجمة لـ (bifurcation) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ١٦٤٧)

١١٠٠١ تَشَعُّبٌ فائق ، تَكاثُر فائق — 11001 prolifération exagérée

وأرجح نماء مُفرط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

(١) (Overgrowth) .

١١٠٠٢ تَشَعُّب أو نُمو وَرَمٍ في النُّسُج المجاورة — 11002 prolifération d'une tumeur dans les tissus environnants

وأفضل امتداد الورم أو نمو الورم في النسج المُجاوِرة

١١٠٠٣ تَشَعُّب بَديل ، نُمو بديل — 11003 prolifération vicariante

وأفضل نُموّ بَديل أو مُعيض

١١٠٠٤ نامٍ عرَضاً — 11004 Prolifére

وأرجح ذو نمو غير معتاد

١١٠٠٥ مُنْتِش ، بارِض — 11005 Proligère

وأرجح قابل الانْتاش (١) وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (germinatif) بِمُنْتِش (اللفظة ٦٢٩١) ، وليس لبارض أن تفي بالمعنى المطلوب (٢)

١١٠٠٦ ثَرْثَرة ، إطالة — 11006 Prolixité

---

(١) إن ماتعنيه اللفظة كما جاء في معجم كيّيه (Quillet) صفة المَشاء للدودة الوحيدة المُقَنْفَذَة (tœnia echincoccus) الذي يكوّن حويصلات تحمل الجرثومات (germes) أي الكيسات المائية (kystes hydatiques)

(٢) في لسان العرب : البارِض أول مايظهر من نبت الأرض ، إلى أن قال فهي مادامت صغاراً بارض فإذا طالت تبينت أجناسها .

وأرجح الهَذَر (١) والثرثرة المَرَضية كما جـاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٠٠٧ مَديد ،مؤجَّل ، مُستوقَف ومُتكامل بطيء — 11007 Prolongé, ée, différé, ée, retardé, ée

(évoluant lentement) ولم تشر إليه اللجنة

١١٠٠٩ إستطالة الشكفة البلعومية الإنسية — 11009 Prolongement pharyngien interne de la parotide

والناتئ خلف اللحي أو الفك السفلي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

١١٠١٠ شامخة ، زاوية عجزية فقرية — 11010 Promontoire pharyngien angle sacro vertébral

وأرجح في اللفظة الأولى بارزة العجز ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

١١٠١١ شامخة المنخرين — 11011 promontoire des fosses nasales bulla etmoïdalis

وأرجح بارزة الحفرتين الأنفيتين والفقاعة الغربالية (وقد أهملتها اللجنة)

---

(١) في لسان العرب : الهَذَر الكلام الذي لايعبأ به . هَذَر كلامه هذراً كثُر في الخطأ والباطل .

(٢) (morbid loquacity) .

(٣) (processus retromandibeularis) .

(٤) (promontory of the sacrum) .

١١٠١٤ إنذار غامض 11014 Pronostic sombre

وأرجح إنذار قاتم وإنذار لايبشر بالخير أو رديء ، ترجمة لـ (défavorable) اللفظة الواردة في المعجم الأصلي وقد أهملتها اللجنة ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية منه (١)

١١٠١٧ انتشار ، توسّع ، سِراية 11017 Propagation

وأفضل تَفَشٍّ وذيوع وسِراية وامتداد . وسبق للجنة أن ترجمت (diffusion) بانتشار (اللفظة ٤٢٥٠) و (dilatation) باتساع وتوسيع (اللفظة ٤٢٧٩)

١١٠١٨ الانتشار (طِراز) 11018 propagation (mode de)

وأفضل التفشي (طِراز) .

١١٠١٩ مُعدٍ بالهواء (مرض) سارٍ 11019 propagée par l' air

(maladie) transmissible par l'air

(قابل الانتقال) بالهواء .

وأفضل مُتفشٍّ بالهواء (مرض) سارٍ (ينتقل) بالهواء . وسبق للجنة أن ترجمت (contagieux) بمُعدٍ وسارٍ (اللفظة ٣١٤٦) .

١١٠٢٠ مُعدٍ بالماء 11020 propagée par l'eau (maladie)

(مَرَض) سارٍ بالماء transmissible par l'eau

أقول مُتفشٍ بالماء (مَرض) يَنتقل بالماء .

١١٠٢١ عَمَّ ، انتشر 11021 Prorager

وأفضل ذاع ، تفشى .

(١) (poor, bad prognosis) .

11022 Propédeutique ١١٠٢٢ سريريات ابتدائية

وأفضل مبادىء أو معلومات ابتدائية أو ثقافة ابتدائية ، وليست خاصة بالسريريات ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [1] .

11023 Prophylaxie ١١٠٢٣ وقـــاية

واتقـــاء .

11024 Propre à, appartenant ١١٠٢٤ خاص ... عائد إلى ...

exclusivement à ليس غير

وأفضل يخص أو خاص بـ فقط أو حصراً .

11027 Propriété bactéricide du sang ١١٠٢٧ خاصة الدّم القاتلة للجراثيم

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة خاصة وخاصية .
أقول خاصية الدّم الفاتكة بالجراثيم أو المبيدة للجراثيم .

11029 Preprioccepteur ١١٠٢٩ مُتقَبِّل ذاتي

11030 Proprioceptif, ve ١١٠٣٠ تَقَبُّل ذاتي

وأرجح المستقبل الخاص وبالمستقبل الخاص لأن ما تعنيه اللفظة النهاية العصبية الكائنة في أحد النسج العميقة والتي من شأنها أن تنقل الحس إلى المركز ، وتوجد عادة في الأوتار والعضل والمفاصل .

11034 Prostate ١١٠٣٤ مُوثة (بروستات)

---

(١) (prop (a) edeutics, preliminary instruction)

11035 Prostatique ١١٠٣٥ مُوثي

11036 Prostatisme ١١٠٣٦ مَوث ، مثونية (اضطرابات ناجمة عن ضخامة المونة) .

11037 Pros'atite ١١٠٣٧ التهاب المُونة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة الأولى بالبروستات وتصحيح اللفظة الثانية بروستاتي ومصاب بالحالة البروستاتية ولم أعثر على منشأ لفظة المونة .

11038 Prostration, exténuation ١١٠٣٨ وَهْن ، تَهْكة

11039 Prostré, ée ١١٠٣٩ واهِن

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة النهاكة ترجمة (prostration)

وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١)

11048 Prothèse ١١٠٤٨ جِهازُ تَبْديل ، بَدَل

11049 prothèse permanente ١١٠٤٩ بَدَلُ أسنانٍ ثابتٍ

وأرجح بَديل وَبَدَل وَبَدْل وبِدْلة وعِوَض في اللفظة الأولى وبِدْلة ثابتة في الثانية (٢) .

---

(١) الصفحة ٢٦٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في لسان العرب : بَدَل و بِدْل لغتان ومَثَل و مِثْل و شَبَه و شِبْه ونَكَل و نِكْل، إلى أن قال والبدَيل و بَدَلُ الشيء غيره ابن سيده بِدْل الشيء وبدَله و بَديله الخلف منه .

فالشائع على لسان العامة البَدْلة (بفتح الباء) لمجموع الأسنان الاصطناعية المستعملة للاستعاضة بها عن الأسنان الطبيعية المقلوعة .

١١٠٥٠ بَدَل أسنان موقت أو بَدَل انتظار — 11050 prothèse provisoire ou d'attente

وأرجح بِدْلة وَقتية أو بِدْلة تَرَيّث[١] .

١١٠٦٢ مُتَواتٍ ، يمكن مدّه — 11062 Protractile

وأرجح دَلوع ويمكن مدّه[٢] .

١١٠٦٣ دفع الفك إلى الأمام ، اندلاع الفك — 11063 Protraction de la mâchoire

وأفضل بروز الفك السفلي (إلى الأمام) واندلاع الفك السفلي أو اللَّحي .

١١٠٦٤ مُنْدَلِع ، مُقدَّم — 11064 Prtorus, use

١١٠٦٥ اندلاع ، قَذَف بَرْزَة — 11065 Protrusion, projection, sallie

وأفضل مُنْدلِع ، مُنْدَفِع إلى الأمام في اللفظة الأولى (شأن الحال في بعض قفاد القطن) واندلاع واندفاع إلى الأمام في اللفظة الثانية .

— للبحث صلة —

هذا ويرى الأستاذ وهيب دياب تسمية الجزء من الأسنان البديلة بالمربين الأعلى منه مِرْب ، والأسفل منه مِرْبة (الصفحة ١٠٠ من المجلد الحادي والخمسين من هذه المجلة) .

وأرجح البِدْلة لنوعها .

(٢) إن ماتعنيه اللفظة كما جاء في معجم لاروس الكبير ما يمكن سحبه أو مده إلى الأمام شأن الحال في لسان الفقريات : دلَع الرجلُ لسانَه يَدْلَعُه دلعاً فاندلع وأدْلَعه أخرجه .

فكرة الخير عند الفارابي

الدكتور جميل صليبا

١ ــ مقدمة عامة

ما أظنّ أن أحداً من علماء زماننا وصف الفارابي بأحسن مما وصفه به (دي بور) في قوله : إن هذا الفيلسوف كان « يعيش في عالم العقل ابتغاء الخلود » وإنه « كان ملكاً في عالم العقل » (دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٥٤ ، راجع أيضاً : الدكتور إبراهيم مدكور : (La place d, Al Farabi p.220) وهذا القول يتفق مع أقوال معظم المؤرخين الذين ذكروا الفارابي في كتبهم ، فوصفوه بقولهم : إنه كان يعتزل الناس حتى يفرغ للتأمل ، وإنه كان في زهده وتصوفه وإيمانه بالحق والكمال والخير موضع إعجاب أهل زمانه ، فلم يحفل بتقلبات السياسة ، ولا حرص على تبوء منصب من مناصب الدولة ، بل آثر التخلي عن أسباب الدنيا وشهواتها ، والبعد عن منازعات الفرق والمذاهب . وليس أدلّ على ذلك من انكبابه على تصنيف الكتب ، وانقطاعه إلى التأمل كل أيام حياته ، وتفضيله الحياة المثالية الملائمة لراحة العقل على الحياة الواقعية

المضطربة ، حتى لقد قيل إنه كان مدة إقامته في دمشق لا يُرى إلاّ عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض يؤلف هناك كتبه ، وقيل أيضاً إنه كان ناطوراً في أحد بساتين دمشق ، وإنه كان يسهر الليل للمطالعة والتأليف مستضيئاً بقناديل الحراس . لقد كان هذا الفيلسوف عزيز النفس ، محباً للكرامة ، قانعاً بالقليل من المال ، قيل إن سيف الدولة أجرى عليه رزقاً واسعاً من بيت المال فردّه واقتصر على أربعة دراهم منه ينفقها فيما يحتاج إليه من ضروري معاشه . وكان الذي عظّمه في عين سيف الدولة زهده ، وموضعه من العلم ، ودأبه في العمل المتواصل ، وصبره على النظر والبحث حتى أربى على جميع معاصريه في الإحاطة بعلوم زمانه . وصفه ابن سبعين بقوله : « إنه كان أفهم فلاسفة الإسلام وأذكرهم للعلوم القديمة ، وهو الفيلسوف فيها لا غير » ووصفه ابن خلكان بقوله : إنه أكبر فلاسفة المسلمين على الاطلاق . لم يقتصر تأثيره على يحيى بن عدي وأبي سليمان السجستاني فحسب ، بل امتدّ إلى جميع فلاسفة الإسلام الذين جاؤوا بعده ، من ابن سينا إلى ابن رشد . ولا غرو فقد كان الفارابي متفانياً في عالم الروح ، يعظم العقل ، ويحنّ إلى الفكر . إن الوجود الحق عنده هو الوجود العقلي ، والله في مذهبه عقل محض لا تخالطه المادة ، والنفس الانسانية لا تبلغ الكمال والسعادة إلا إذا بلغت مرتبة العقل المستفاد . وأهم ما يمتاز به من الفضائل الفكرية إيمانه بالخير والكمال ، واعتقاده ان الخير في الوجود غالب على الشر ، وحرصه على التوفيق بين حياته المثالية وحياته الواقعية بخلاف ابن سينا الذي كان يعظّم العقل ، ويحنّ إلى الكمال والخلود ، ويوحّد الخير والوجود ، إلاّ أنه كان في

حياته الواقعية كثير القلق والاضطراب ، مخلطاً في الشهوات ، يغالب الزمان ، ويطلب كل مرتبة من مراتب الرفعة .

ولست أريد الآن أن أتحدث عن فلسفة الفارابي العامة ، ولا عن إلهياته وطبيعياته ، وإنما أريد أن أتحدث عن مبدأ واحد من مبادىء فلسفته ، وهو مبدأ الخير الذي يمكن الاطلال منه على سائر آرائه الإلهية والطبيعية والاجتماعية والسياسية . فالفارابي لم يؤلف كتاباً واحداً على مبدأ الخير ، ولا خصَّ هذا المبدأ ببحث منفرد في كتبه ، ولكننا إذا تصفحنا كتبه التي وصلت إلينا ، ولا سيما كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، وكتاب السياسات المدنية ، ورسالة تحصيل السعادة ، ورسالة السياسة وغيرها ، رأينا أن هذا المبدأ هو الأساس الذي يحوم حوله في كلامه على الله والعالم والعقل والنفس والفرد والمجتمع : فما هو مبدأ الخير عند الفارابي ، وما هو أثره في فلسفته الإلهية والطبيعية والأخلاقية والاجتماعية ؟

٢ — معنى الخير على العموم

إن معنى الخير هو المبدأ الذي نستند إليه في الحكم على قيمة أفعالنا ، لا بل هو الأساس الذي نبني عليه قواعد الأخلاق . ولهذا المعنى عند معظم الفلاسفة خطورة بالغة ، فبعضهم يطلق الخير على الوجود ، والشرَّ على العدم ، وبعضهم يفرق بين الخير بالذات والخير بالعرض ، أو بين الخير المطلق والخير النسبي ، فيقول : إن الخير المطلق هو الوجود الذي ليس لذاته حد ، ولا لكماله نهاية . لأنه خير بذاته ولذاته ، فهو إذن غاية نهائية مقصودة من جميع الناس . وجميع الفضائل الإنسانية ، من فضائل فكرية أو خلقية أو اجتماعية ، ليست سوى مظهر من مظاهره . أما الخير

النسبي فهو خير لا لأجل ذاته ، بل لأجل غيره ، وهو متعلق بالعناصر التجريبية والظروف الطبيعية المحيطة به .

فمن قال بالخير المطلق رأى كأفلاطون أن للعالم نظاماً مشتملاً على تناسب هندسي دقيق . وأن الخير إنما هو تحقيق هذا التناسب في حياة الفرد والمجتمع . إن صورة الخير عند أفلاطون هي الحد الأقصى لكمال العالم العقلي والخير الأعلى عنده هو الله ، وهو مبدأ جميع المثل ، وقوام جميع الفضائل وأساس النظام الاجتماعي . ولولا ذلك لما كان للوجود غاية ، ولا للثواب والعقاب معنى .

ومن قال بالخير النسبي رأى أن الخير كثير التبدل والتغير ، وأن الفضائل التي تعبر عنه تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وتتبدل بتبدل الوسائل والغايات ، فمن هؤلاء من زعم أن الخير في اللذة ، ومنهم من ردّه إلى المنفعة ، ومنهم من ارجعه إلى مبـــدأ الحياة ، أو مبدأ العاطفة أو مبدأ القوة . ولكن جميع مذاهب الخير النسبي تتفق في أمر واحد وهو القول إن الخيرات كثيرة ، وهي تختلف باختلاف الظروف والأوقات ، فما كان خيراً لواحد كان شراً للآخر ، وما كان خيراً في مكان معين أو زمان معين كان شراً في مكان آخر ، أو زمان آخر ، بخلاف مذاهب الخير المطلق التي تجعل الخير واحداً لجميع الناس على اختلاف شرائعهم ومللهم ودياناتهم ، لأنه الغاية الأخيرة التي ترتقي اليها جميع الخيرات .

ومن القدماء من قال : إن السعادة ، وهي خيرٌ ما ، لا تكون إلا في النفس وحدها ، ومنهم من قال : إن سعادة النفس لا تكون كاملة إلا إذا اقترنت بها سعادة البدن ، ومنهم من قال : إن السعادة ليست خيراً فحسب ، وإنما هي تمام الخيرات وغايتها وأفضلها .

ومن قبيل ذلك قول بعضهم : إن الخيرات منها ما هي شريفة ، ومنها ما هي ممدوحة . وفيها ما هي بالقوة كذلك ، ومنها ما هي نافعة .

وقول الآخر : الخيرات منها ما هي غايات ، ومنها ما ليست بغايات ومنها ما يؤثر لذاته ، ومنها ما يؤثر لأجل غيره ، ومنها ما هو خير على الاطلاق ، ومنها ما هو خير عند الضرورة والاتفاق ، ومنها ما هو خير لجميع الناس ، ومن جميع الوجوه ، وفي جميع الأوقات ، ومنها ما ليس كذلك .

فهذا الذي أجملناه هنا من آراء القدماء يمكن أن يعدّ مقدمة أو مدخلاً لما نحن ذاكرون من آراء الفارابي . (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ـ المقالة الثالثة ص ٧٥ ١٠٤ من طبعة بيروت ١٩٦٦ بتحقيق الدكتور قسطنطين زريق) .

٣ ـ معنى الخير عند الفارابي

يقول الفارابي : إن الخير بالحقيقة هو كمال الوجود (الفارابي ، التعليقات ، ص ١١ من طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٤٦ هـ) وإن السعادة هي الخير على الاطلاق (الفارابي ، السياسات المدنية ص ٤٢) ، أما الشر فهو عدم كمال الوجود . والمقصود بكمال الوجود عنده حصول الشيء على كل ما يتم به وجوده . إن لكل موجود كما يقول أرسطو فعلاً يخصه ، وكمال الوجود أو خيره هو في تمام تأدية هذا الفعل . فكأن خيرية الوجود كمال الوجود ، وكأن الموجود لا يبلغ غايته إلا إذا حصل على جميع الكمالات الخاصة بنوعه . أضف إلى ذلك أن الخير عند الفارابي قسمان : أحدهما خير لأجل ذاته ، وهو الخير المطلق أو الخير الأعلى

الواجب الوجود ، والآخر خير لا لأجل ذاته بل لأجل نفعه في بلوغ السعادة (السياسات المدنية ، ص ٤٢) فكل ما كان نافعاً في بلوغ السعادة فهو خير وكل ما عاق عن بلوغ السعادة فهو شر (المصدر نفسه ص ٤٢) ، وإذا كان الخير لأجل ذاته خيراً مطلقاً فإن الخير النافع لا يمكن أن يكون إلا نسبياً لاختلافه باختلاف الظروف والأوقات .

وقد بين الفارابي في « التنبيه على سبيل السعادة » ان السعادة هي الغاية القصوى التي نشتاقها ونسعى للحصول عليها ، وكل ما يشتاقه الإنسان ويسعى للحصول عليه فهو خير ، وهذا الخير مبدأ جميع الفضائل التي توصل إلى السعادة كالفضائل النظرية ، والفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية . وهذه الفضائل قسمان : قسم كائن بالطبع ، وقسم كائن بالإرادة ، مثال ذلك أن من الفضائل النظرية ما يحصل للإنسان من أول أمره من حيث لا يشعر ولا يدري كيف حصل ومن أين حصل ، مثل العلم بالمبادىء الأولية ، فهو علم بديهي أو فطري ، ومنها ما يحصل عن تأمل وفحص واستنباط أو عن كسب وتعلم ، وكذلك الفضائل الفكرية والخلقية فهي لا تحصل بالطبع إلا لذوي الطبائع الفائقة ، أما أصحاب الطبائع الضعيفة فسبيل حصولها لهم تكرارها بالفعل وممارستها مراراً كثيرة ، وفي أوقات متقاربة ، حتى تصبح عادات راسخة .

وخلاصة هذا الكلام أن هناك خيراً مطلقاً مطلوباً لذاته ، وهو الواجب الوجود ، والغاية التي ينتهي إليها كل شيء « وأنّ إلى ربك المنتهى » (قرآن كريم ٥٣/٤٢ التعليقات ، ص ٩) ، وخيراً إضافياً أو نسبياً مطلوباً لأجل غيره ، وهو الذي يحصل للإنسان بتكرار الأفعال

النافعة والجميلة. فالخير المطلق هو الخير الكلي ، أو الخير المحض ، الذي يؤثر لأجل ذاته ، ويؤثر غيره لأجله ، وهو نهاية كمال الخيرات الجزئية. والخير الإضافي هو الخير الجزئي الذي يؤثر لا لأجل ذاته ، بل لنفعه في بلوغ السعادة. والفرق بين الخير والشر أن الخير يطلق على الأفعال النافعة في بلوغ السعادة ، وهي الأفعال الجميلة . أما الشر فيطلق على الأفعال التي تعوق عن السعادة ، وهي الأفعال القبيحة . قال الفارابي : « القوى والملكات والأفعال الارادية التي إذا حصلت في الانسان عاقت عن حصول الغرض المقصود بوجود الإنسان في العالم هي الشرور الانسانية ، والقوى والملكات والأفعال التي إذا حصلت في الانسان كان انساناً (مؤهلاً) لحصول الغرض المقصود بوجود الانسان في العالم هي الخيرات الإنسانية ، فهذا حدّ الخير والشر الانساني » (في جواب مسائل سئل عنها ، المسألة ٣٠) ، ثم أضاف إلى ذلك قوله إن أرسطو قد عرف الخير والشر في كتاب الخطابة فقال : « الخير هو الذي يؤثر لأجل ذاته ، وأنه هو الذي يتشوقه الناس من ذوي الفهم والحس ، والشر حدّه عكس ذلك » . (المصدر نفسه ، المسألة ٣٠) . أما السعادة وهي الخير المطلوب لذاته فسبيل بلوغها كما يقول الفارابي : « أن تصير نفس الانسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة ، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام ، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وأن تبقى على تلك الحال دائماً وأبداً ، إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال » المدينة الفاضلة ص ٦٦) ولا تبلغ النفس هذه الرتبة إلاّ بأفعال إرادية بعضها فكري وبعضها بدني ، وليس كل فعل إرادي يوصل إلى

السعادة لأن هناك أفعالاً إرادية لا توصل إليها . وقد قيل إن الانسان لا يستكمل ذاته إلا بحصول المعقولات في نفسه ، ولا يبلغ السعادة إلا إذا جعل أفعاله إلهية . وكل فعل إلهي فهو خير محض ، وكل خير محض فهو مطلوب لأجل ذاته .

٤ ـ الخير بالطبع والخير الإرادي

وأول أمر يجب التنبيه عليه بعد هذه المقدمات أن الخير عند الفارابي قد يكون بالطبع أو يكون بالإرادة ، وكذلك الشرّ . قال الفارابي : « إن الخير النافع في بلوغ السعادة قد يكون شيئاً مما هو موجود بالطبع ، وقد يكون ذلك بإرادة . والشر هو الذي يعوق عن السعادة ، وقد يكون شيئاً مما هو موجود بالطبع ، وقد يكون بإرادة » (كتاب السياسات المدنية ص ٤٢ من طبعة حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٦ هـ) .

١ ــ أما الخير الذي بالطبع فهو الخير الذي يكون في الجبلة التي خلق عليها الإنسان ، أي في جميع ما يتصف به الإنسان من استعدادات طبيعية محمودة . وهذه الاستعدادات ناشئة عن تأثير الأجسام السماوية التي « تعطي كل ما في طباع المادة أن تقبله » (السياسات المدنية ، ص ٤٣) سواء أكان ذلك التأثير ملائماً لغرض العقل الفعال أم مضاداً له ، فما كان ملائماً لغرض العقل الفعال كان خيراً بالطبع ، وما كان عائقاً عن غرضه كان شراً بالطبع .

٢ ـ وأما الخير الإرادي فهو الذي يحدث عن الإنسان عندما تكون ارادته مقيدة بعقله ، لأن العقل هو الهادي إلى الخير ، وهو أشبه شيء

بلجام يكبح جماح الإرادة ، ويمنعها من الوقوع في مهاوي الزلل . الإرادة كما يقول الفارابي هي الشوق إلى الفعل ، ولهذا الشوق ثلاثة أنواع ، فإما أن يكون شوقاً عن احساس ، وأما أن يكون شوقاً عن تخيّل ، وإما أن يكون شوقاً عن نطق . « وهذا الشوق الأخير هو المخصوص باسم الاختيار ، وهو خاص بالانسان » (السياسات المدنية ص ٤٢ ، والمدينة الفاضلة ص ٦٥ من طبعة القاهرة) . أما الشوق عن الاحساس ، والشوق عن التخيل فهما مشتركان بين الانسان والحيوان ، وهما لا يهديان إلى طريق الخير دائماً . ومعنى ذلك أن الفاعل لا يوصف بالقدرة على الاختيار إلا إذا كان فعله الإرادي صادراً عن روية وعقل ، لأن العقل هو الذي يفرق بين الخير والشر ، وبين الجميل والقبيح ، به تنال سعادة الدنيا والآخرة ، وعليه مدار الأمر في الحكم على قيم الأشياء ، لولاه لما سئل الانسان عما يفعل ، ولا وجب جزاؤه على أعماله خيرها وشرها . وهذا الرأي قريب من رأي (الحسن البصري) الذي قال : إن الانسان قادر على الاختيار في الأفعال من خير أو شر ، وقريب أيضاً من رأي (واصل بن عطاء) ، مؤسس فرقة المعتزلة الذي قال : إن الانسان هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ، والله تعالى أقدره على ذلك كله . فهناك إذن خير يعرفه الانسان بعقله ، وينزع إليه بإرادته ، وهو لا يحدث عنه إلا إذا كان له تأمل وروية وفكر وقدرة على الاستنباط ونزوع إلى ما يفعله وشوق إليه وإلى بعض ما يستنبطه .

وفي كلام الفارابي على قوى النفس الإنسانية إشارات واضحة إلى

كيفية حدوث الخير الارادي عن الانسان . فقد بين لنا في مواضع مختلفة من كتبه أن للنفس الانسانية قوة غاذية ، وقوة حساسة ، وقوة متخيلة ، وقوة ناطقة مقرونة جميعها بالقوة النزوعية ، ولكل قوة من هذه القوى عمل يخصها ، فالغاذية تخدم البدن ، والحساسة والمتخيلة تخدمان البدن والناطقة معاً . أما الناطقة فهي إما عملية ، وإما نظرية ، فالعملية تخدم النظرية ، والنظرية لا تخدم شيئاً آخر ، بل وجدت في الانسان ليتوصل بها إلى السعادة . إن الغاذية والحساسة والمتخيلة لا تخدم البدن إلا من أجل خدمة القوة الناطقة ، وجميع هذه القوى لاتقوم بعملها ولا توفي خدمتها إلا بمعونة القوة النزوعية .

وإذا سئلنا الآن كيف يحدث الخير الارادي عن الانسان قلنا إنه لا يحدث عنه إلا إذا كان شوقه إلى الفعل خاضعاً لقوته الناطقة ، فإذا أراد أن يحدث الخير عنه وجب عليه أن يدرك السعادة بعقله ، وأن يتخذها غاية له ، وأن يتشوقها بإرادته ، وأن يستنبط بطريق الروية والفكر ما ينبغي له أن يفعله ، وأن يقدم بعد ذلك على تنفيذ هذا الفعل بآلات القوة النزوعية . فالخير كل الخير إذن في تقييد الإرادة بالفعل والسعادة كل السعادة في سيطرة الناطقة النظرية على جميع الأفعال والقوى الانسانية .

تلك هي شروط حدوث الخير الارادي عن الانسان ، أما الخير بالطبع فقد يحدث عن أصحاب الطبائع الفائقة بتأثير ما جبلوا عليه من الميول والنزعات والاستعدادات النفسية الملائمة لغرض العقل الفعال .

٣ – وأما الشر الارادي : وهو ضد الخير الارادي ، فإنه

لايحدث عن الانسان إلا إذا تغلب هواه على عقله ، فقد تكون قوته الحساسة وقوته المتخيلة عديمتي الشعور بالسعادة ، أو تكون قوته الناطقة محتاجة في شعورها بالسعادة إلى الكثير من السعي والجهد ، فإذا لم يكن له روية صحيحة ترشده إلى معرفة الخير ثم يسلك طريقه . قال الفارابي : ومتى توانى الانسان « في تكميل الجزء الناطق النظري من نفسه ، فلم يشعر بالسعادة ، فسارع نحوها ونصب الغاية التي يقصدها في حياته شيئاً آخر سوى السعادة ، من نافع أو لذيذ ... واشتاقها بالقوة النزوعية ، وروّى في استنباط ما ينال به تلك الغاية بالناطقة العملية ، وفعل تلك الأشياء التي استنبطها بآلات القوة النزوعية ، وساعدته المتخيلة والحساسة على ذلك ، كان الذي يحدث عنه شراً كله » (السياسات المدنية ، ص ٤٤) .

وجملة القول أن الانسان إذا عرف السعادة وشعر بها وتشوقها وقيد إرادته بعقله في استنباط الأفعال المؤدية إليها ، فإن الذي يحدث عنه يكون خيراً كله ، وإذا لم يعرف السعادة ولم يشعر بها ولم يتشوقها ولم يجعلها غايته بل جعل غايته اللذة أو المنفعة أو غيرها من الأشياء المشابهة لذلك ، فإن الذي يحدث عنه يكون شراً كله ، وحال الذي يعرف السعادة ولا يتشوقها ، أو يتشوقها تشوقاً ضعيفاً ، كحال الذي لايعرف السعادة ولا يتشوقها . والعالم الذي يدرك الخير ولا يعمل به كالجاهل الذي لا يدركه ولا يشعر بضرورة العمل به . إن بلوغ السعادة هو الغاية القصوى للحياة الانسانية . والأفعال التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة ، والأفعال التي تعوق عنها هي الأفعال القبيحة ، ونسبة الأفعال

الجميلة إلى الخير كنسبة الأفعال القبيحة إلى الشر ، والعقل هو الحاكم في أمور الخير والشر ، والجمال والقبح ، والسعادة والشقاء ، وإذا كانت الأفعال الجميلة تكسب صاحبها هيئات نفسية حسنة فإن الأفعال القبيحة تكسب صاحبها هيئات نفسية سيئة ، وإذا أصبحت هذه الهيئات السيئة عادات راسخة عاقت صاحبها عن بلوغ الكمال وجعلته أشبه شيء بالمريض الذي يستلذ الأشياء القبيحة أو الرديئة ويتأذى بالأشياء الجميلة الرائعة .

هـ – تفاضل أشخاص الانسان في القدرة على بلوغ السعادة

وسبب هذا التفاضل أن قدرة أشخاص الانسان على قبول المعقولات متفاوتة ، فمنهم من لايقبل بالطبع شيئاً من المعقولات الأول ، ومنهم من يقبلها على غير جهتها ، ومنهم من يقبلها على جهتها . وهؤلاء الذين يقبلون المعقولات الأول على جهتها هم أصحاب الفطر السليمة الذين يستطيعون إدراك الخير وبلوغ السعادة من تلقاء أنفسهم ، بخلاف الذين لايقبلون المعقولات بالطبع ، أو لايقبلونها على جهتها ، فإن فطرهم الناقصة أو المريضة تعوقهم عن بلوغ السعادة .

على أن أصحاب الفطر السليمة وإن اشتركوا جميعاً في قبول معقولات واحدة فإنهم متفاوتون في الاستعدادات الخاصة بكل واحد أو كل طائفة منهم ، فيكون فيهم من هو فائق الطبع قادر على قبول معقولات لايشاركه فيها أحد ، أو يكون فيهم من هو أقدر على الاستنباط من غيره . وقد يتساوى اثنان في القدرة على استنباط أشياء معينة ، ويكون أحدهما أسرع استنباطاً والآخر أبطأ ، وقد يتساوى اثنان في سرعة الاستنباط ، ويكون أحدهما أقدر على الارشاد والتعليم ، وإذا

كان في أشخاص الانسان من هم أخيار بالطبع أو أشرار بالطبع ، فإن الأخيار بالطبع قد ينقلبون إلى الشر بفساد تربيتهم ، كما أن الأشرار بالطبع قد ينقلبون إلى الخير بجودة الارشاد والتعليم . ونحن نعلم أن من كان مطبوعاً على الشيء سهل عليه فعله إلا إذا حركه إلى ضد ذلك الشيء سببٌ خارجي ، وأن من لم يكن مطبوعاً على الشيء صعب عليه فعله إلا إذا ثبّته له التكرار وسهلته العادة . وجميع أشخاص الانسان على اختلاف قواهم واستعداداتهم محتاجون إلى معلم أو مرشد يهذبهم ويؤدبهم. والغرض من هذا التهذيب أو التأديب تنمية ما في نفوسهم من بذور الخير واستئصال ما في طباعهم من بذور الشر ، فإذا أهملوا ولم يؤدبوا وتمادى بهم الزمان على ذلك ، تبددت قواهم ، وجفّت استعداداتهم ، وأظلمت نفوسهم . إن أهل الطبائع المتساوية متفاوتون في تأدبهم ، كما أن المتأدبين على التساوي يتفاوتون في القدرة على الاستنباط . وأفضل الناس وأقربهم إلى الكمال والسعادة من كان تام العقل ، جيد الفهم ، سريع الاستنباط، قادراً على كبح جماح نفسه بعقله ، حسن القول ، قادراً على الارشاد والتعليم ، فالقادر على الاستنباط أفضل ممن ليس له قدرة على الاستنباط ، والقادر على الاستنباط الكثير أفضل ممن لا يستطيع أن يستنبط إلا القليل ، ومن كان له قدرة على جودة الارشاد والتعليم كان أفضل ممن ليس له قدرة على ذلك ، وأصحاب الطبائع الضعيفة إذا تأدبوا بشيء من الأشياء كانوا أفضل من أصحاب الطبائع الفائقة الذين لم يتأدبوا بشيء ، هذا الذي أشار إليه (ابن سينا) في قوله : إن البلاهة أدنى إلى الخلاص من الفطانة البتراء (ابن سينا : الاشارات ، ص ١٩٥ من طبعة ليدن ١٨٩٢) .

ومعنى ذلك كله أن أكثر الناس خيراً وسعادة من كان ذا استعداد قوي لقبول المعقولات على جهتها ، تام التأدب ، جيد الاستنباط ، قادراً على الارشاد والتعليم ، وإذا كان المقصود بوجود الانسان أن يبلغ السعادة فإنه يحتاج في بلوغها إلى أن يعرفها وإلى أن يعرف في الوقت نفسه ما ينبغي له أن يفعله من الأمور الموصلة إليها ، فلا يكفي إذن لبلوغ السعادة أن تعرفها بعقلك ، وأن تجعلها غايتك ، وأن تكشف بقوتك الناطقة النظرية عن الطرق والوسائل المؤدية إليها ، بل ينبغي لك أن تجعل علمك النظري بالسعادة متبوعاً بتنفيذ مايتصل بهذا العلم من الفضائل العملية ، فالانسان لا يبلغ السعادة التامة إلا إذا أكمل الجزء النظري والجزء العملي من نفسه ، هذا ما أشار إليه (مسكويه) في تهذيب الأخلاق بقوله (ص ٢٠) إن هذين الجزأين لا يتم أحدهما إلا بالآخر ، فالعلم كما قال مبدأ ، والعمل تمام ، والمبدأ بلا تمام يكون ضائعاً ، كما إن التمام بلا مبدأ يكون مستحيلاً .

وجملة القول أن أصحاب الطبائع الفائقة يدركون الخير من تلقاء أنفسهم ، أما سائر أشخاص الانسان فإنهم يحتاجون في إدراكه إلى معلم يرشدهم إليه ، فبعض الناس يحتاجون إلى إرشاد يسير ، وبعضهم يحتاجون إلى إرشاد كثير ، وليس في قوة كل انسان أن يرشد غيره إلى الخير ، ولا أن يحمله على فعله بنفسه ، فمن كان قادراً على إرشاد غيره إلى الخير أو حمله عليه أو استعماله فيه كان رئيساً على الذي لايمكنه أن يفعل ذلك بنفسه ، ومن لم يكن قادراً على النهوض بغيره نحو الخير ولا قادراً على أن يستعمله فيه بل كان قادراً على فعل ما أرشد إليه فقط لم يكن رئيساً .

٦ ـ اجتماع خصال الخير في رئيس المدينة الفاضلة

لا نريد الآن أن نتكلم على جميع خصال الخير التي يجب أن يتحلى بها رئيس المدينة الفاضلة حتى يكون قادراً على تنظيم مدينته وإرشاد أهلها وإسعادهم ، فإن للبحث في هذه الخصال مجالاً آخر غير هذا ، ولكن الأمر الذي نريد أن نؤكده هنا هو القول : إن مرتبة الرئيس أعلى المراتب وخصاله أفضل الخصال ، ذكر منها الفارابي في كتاب المدينة الفاضلة اثنتي عشرة خصلة منها صحة العقل ، وجودة الفهم والتصور ، وقوة التخيل ، وكرم النفس ، وحب العدل ، واحتقار الشهوات ، وجودة القول ، وحسن الارشاد إلى الخير والسعادة . فمن هذه الخصال ما هي طبيعية ، ومنها ما هي إرادية ، ورئيس المدينة الفاضلة الذي تجتمع فيه خصال الخير كلها لا يحتاج إلى إنسان آخر يرشده ويعلمه ، إنه فيلسوف حكيم ، أو نبي مرسل يرأس جميع الناس ولا يرأسه أحد ، وكيف يحتاج إلى من يرأسه ، وهو علة كل شيء وغاية كل شيء ، جمع الفضائل الفلسفية إلى الفضائل الانسانية ، وصحة العقل إلى إلهام القلب ، إذا وُجد في أمة كان سبب سعادتها ، وإذا غاب عنها اضطربت حياتها . وتختلف سعادة كل فرد من أفراد المدينة باختلاف قربه من الرئيس أو بعده عنه ، فكلما كان إليه أقرب كان أفضل وأسعد ، كالمستضيء بنور المصباح فإنه كلما ازداد عنه بعداً ازداد من الظلام الحالك قرباً .

وفي الحق أن الخير الخاص بكل واحد من الناس متناسب مع المرتبة التي يستحقها . فأكثر الخيرات وأشرفها خيرات رئيس المدينة ، وأقلها وأخسها خيرات الذين يكونون في أدنى المراتب ، ومع أن المجتمع الفاضل

يوجب أن يكون ما يحصل عليه كل فرد متناسباً مع سعيه واستئهاله ، فإن المساواة العددية بين ما يحصل عليه هذا وما يحصل عليه ذاك ليست عدلاً ، إنما العدل أن تكون نسبة كل واحـــد من الناس إلى قسطه من الخير والكرامة كنسبة كل من كان في مثل مرتبته إلى مثل قسطه ، فلا غرو إذا كان قسط أفراد المراتب العليا من الخير أعظم من قسط أفراد المراتب الدنيا . إن المجتمع الفاضل أشبه شيء بهرم رتبت طبقاته المختلفة بعضها فوق بعض ، فرئيس هذا المجتمع يحتل قمة الهرم ، وأصحاب المراتب الدنيا يحتلون قاعدته ، وبين قمة الهرم وقاعدته مراتب تبعد عن مرتبة الرئيس قليلاً ، ومراتب تبعد عنها كثيراً حتى تصل إلى مراتب الخدمة البعيدة عن كل شرف رئاسي .

قد يظن أن غاية الرئيس في هذا المجتمع الطبقي إسعاد الفرد ورعاية مصلحته ، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه لا رعاية مصلحة الكل من جهة ما هو كل ، ولا تقديم المصلحة العامة على المصالح الخاصة . والحق عن ذلك بعيد ، لأن عناية الفارابي بسعادة المجتمع من جهة ما هو كل لا تقل عن عنايته بسعادة الفرد من جهة ما هو جزء ، بل الفضائل الفردية عنده لا تمثل إلا جانباً واحداً من السعادة ، ولا يبلغ الفرد غايته إلا إذا جاوز ذاته وتعاون مع أبناء جنسه على الأشياء التي تضمن سعادته وسعادتهم ، وهذه الحاجة إلى التعاون تدل على أن الانسان لا يستطيع أن يعيش في القفر وحده ، ولا أن يحبس نفسه في قفص ضيق لا يطل منه على العالم . إنه مضطر إلى توسيع أفق حياته بالتعاون ، والحب ، والجود ، والعدل ، وإلى التوفيق بين مصلحته ومصلحة الجماعة . إن خير الجزء في خير الكل ،

كما أن خير الكل في خير الأجزاء ، ولا فرق بين الفرد والجماعة إلا في الكمية ، بل الخير لا يكون خيراً إلا إذا انتفعت به جملة المدينة وكل واحد من أفرادها ، وإذا تميزت الطوائف أو المدن أو الأمم بعضها عن بعض بأحد أنواع الارتباط كان تميزها شبيهاً بتميز الأفراد ، فإنه لا فرق بين أن يتميز كل واحد عن كل واحد أو تتميز طائفة عن طائفة .

وقد بينا في موضع آخر (ر : من أفلاطون إلى ابن سينا ، ص ٦٧ ٦٨ من الطبعة الرابعة) أن تعاون أعضاء المدينة عند الفارابي شبيه بتعاون أعضاء البدن ، والدليل على ذلك قوله : « وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى ، فيها عضو واحد رئيس وهو القلب وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس ، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاءً لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس وأعضاء أخر فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة ، فهذه في المرتبة الثانية ، وأعضاء أخر تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه المرتبة الثانية ، ثم هكذا إلى أن تنتهي إلى أعضاء تخدم ولا ترؤس أصلاً . وكذلك المدينة أجزاؤها مختلفة الفطرة ، متفاضلة الهيئات ، وفيها إنسان هو رئيس ، وأخر تقرب مراتبها من الرئيس ، وفي كل واحد منها هيئة وملكة يفعل بها فعلاً يقتضي به ما هو مقصود ذلك الرئيس ، وهؤلاء هم أولو المراتب الأول ، ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء ، وهؤلاء هم في المرتبة الثانية ، ودون هؤلاء أيضاً من يفعل الأفعال على حسب أغراض هؤلاء ، ثم هكذا تترتب أجزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى أخر يفعلون

أفعالهم على حسب أغراضهم ، فيكون هؤلاء هم الذين يخدمون ولا يُخدمون ، ويكونون في أدنى المراتب » (المدينة الفاضلة ص ٧٩) فنسبة الرئيس إلى المدينة كنسبة القلب إلى البدن ، ولا فرق بين نظام البدن ونظام المجتمع إلا في شيء واحد وهو « أن أعضاء البدن طبيعية ، والهيئات التي لها قوى طبيعية ، وأجزاء المدينة وإن كانوا طبيعيين فإن الهيئات والملكات التي يفعلون بها أفعالهم للمدينة ليست طبيعية بل إرادية » (المدينة الفاضلة ، ص ٨٠) . إن الأفعال الإدارية أكثر تعقيداً من الأفعال الطبيعية ، فما بالك إذا كان رئيس المدينة لا يستطيع أن يدبر أمر كل جزء من أجزائها إلا بالقياس إلى جملة المدينة وإلى كل جزء من أجزائها . إن الطبيب المداوي يعالج كل عضو مريض بحسب قياسه إلى جملة البدن وإلى الأعضاء المجاورة له والمرتبطة به ، وكذلك رئيس المدينة فإنه إذا أراد أن يعم الخير مدينته وجب عليه أن يدبر شؤونها بالقياس إلى جملتها وإلى كل جزء من أجزائها . إن الفساد الذي يصيب أحد أعضاء البدن ينتقل إلى الأعضاء المرتبطة به ، ويؤثر في صحة البدن كله ، وكذلك الفساد الذي يصيب أحد أعضاء المدينة فإنه كثيراً ما يمتد إلى غيره من الأعضاء . ويختلف خطر هذا الفساد باختلاف مرتبة كل عضو ، فإذا كان العضو الفاسد رئيس المدينة أدى فساده إلى فساد كل شيء ، فما ظنك إذا كان الفرد لا يستطيع أن يبلغ أفضل كمالاته إلا بالتعاون مع أبناء جنسه . إن فساد العضو الرئيس يفسد نظام الخير في المجتمع ويمنع الأفراد من القيام بواجباتهم على الوجه الأكمل.

٧ — لا يُنال الخير الأفضل والكمال الأقصى إلا في الاجتماعات الكاملة

إذا كان الاجتماع الانساني ضرورياً كما يقول الفارابي وغيره من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين فمردّ ذلك إلى أن الانسان عاجز عن حفظ بقائه بنفسه ،

محتاج إلى التعاون مع أبناء جنسه على الأشياء التي يبلغ بها كماله ، وينال بها سعادته . قال الفارابي : « وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه ، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته ، إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده ، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه ، وكل واحد من كل واحد بهذه الحال ، فلذلك لا يمكن أن يكون الانسان ينال الكمال الذي لأجله جعلت له الفطرة الطبيعية إلا باجتماع جماعات كثيرة متعاونين ، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه ، فيجتمع مما تقوم به جملة الجماعة لكل واحد جميع ما يحتاج إليه في قوامه وفي أن يبلغ الكمال » (المدينة الفاضلة ص ٧٧) ، فمن الخير إذن للناس إذا أرادوا بلوغ الكمال والسعادة أن يعيشوا مجتمعين لامنفردين ، وهذا الكمال لا ينال إلا في الاجتماعات الانسانية الكاملة وهي ثلاث : العظمى ، وهي المعمورة كلها ، والوسطى وهي الامة ، والصغرى وهي المدينة . « والخير الأفضل والكمال الأقصى إنما ينال أولاً بالمدينة لا بالاجتماع الذي هو أنقص منها » (المدينة الفاضلة ص ٧٨) كالاجتماع في القرية ، أو الاجتماع في المحلة ، أو الاجتماع في السكة أو في المنزل . ولما كان الاجتماع الأصغر يخدم الاجتماع الأكبر كانت القرية خادمة للمدينة ، والمدينة خادمة للأمة ، والأمة خادمة للمعمورة ، وإذا كانت المدينة الفاضلة هي المدينة التي « يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة » (المدينة الفاضلة ، ص ٧٨) فإنّ الأمة الفاضلة هي التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة ، وكذلك المعمورة الفاضلة ، فهي لا تبلغ غايتها من الكمال إلا إذا تعاونت جميع الأمم التابعة لها على ما تنال به سعادة الكل . إن السعادة غاية الاجتماعات الانسانية ، فالمدينة

لا تكون سعيدة إلا إذا كانت أجزاؤها متعاونة ومتحدة ، وكذلك الأمة أو المعمورة فإن سعادتها رهن بتعاون أجزائها ، فسعادة الكل في سعادة الأجزاء ، وسعادة الأجزاء في سعادة الكل ، ولكن الخير الذي يناله الانسان في المدينة أو في الأمة أقل قيمة من الخير الذي يناله في المعمورة الانسانية ، الأول خير جزئي محدود ، والثاني خير كلي غير محدود ، وأكمل الاجتماعات الانسانية اجتماعٌ يضم جميع أمم الأرض ، وأفضل دولة تنال بها السعادة هي الدولة الكبرى التي لا فضل فيها لجماعة على أخرى إلا بما تتصف به من مكارم الأخلاق ، وهذا كله مستمد من تعاليم الدين الإسلامي الذي يوجب على جميع أمم الأرض أن تتحد بالحق ، وأن تؤلف جماعة واحدة تؤمن بإله واحد .

وسواء أكان رئيس المدينة الفاضلة نبياً يوحى إليه ، أم فيلسوفاً تشرق عليه المعقولات من العقل الفعّال ، فإن أهل مدينته لا يبلغون السعادة إلاّ إذا عملوا بإرشاده وتعليمه، إن من شرط الاجتماع الانساني الكامل أن يكون نظامه إلهياً أو عقلياً ، فاذا كان نظامه إلهياً كان رئيسه نبياً ، وإذا كان نظامه عقلياً كان رئيسه حكيماً يدبر أموره وفقاً لأحكام العقل، ورؤساء المدن الفاضلة والذين يتوالون في الأزمنة المختلفة واحداً بعد آخر ، كلهم كنفس واحدة ، وكأنهم ملك واحد يبقى الزمان كله ، وكذلك إن اتفق منهم جماعة في وقت واحد ، إما في مدينة واحدة وإما في مدن كثيرة ، فإن جماعتهم كملك واحد ، ونفوسهم كنفس واحدة » (المدينة الفاضلة ص ٩٢-٩٣) وهذا يصدق على أهل كل مرتبة من مراتب المدينة الفاضلة ، لأنهم متى توالوا في الأزمنة المختلفة كانوا « كنفس واحدة تبقى الزمان كله ، وكذلك

إن كان في وقت واحد جماعة من أهل مرتبة واحدة وكانوا في مدينة واحدة أو مدن كثيرة فإن نفوسهم كنفس واحدة » (المصدر نفسه ، ص ٩٣) .

فأنت ترى أن رغبة الفارابي في التوحيد هي التي دفعته إلى القول ان رؤساء المدينة الفاضلة الذين يتوالون في الأزمنة المختلفة يجب أن يكونوا كنفس واحدة . وإذا انقسم الحكم بين عدة رؤساء في الزمان الواحد لعدم استيفاء الواحد منهم جميع شروط الرئاسة وجب أن يكونوا كلهم كنفس واحدة ، وعلى ذلك فالمدينة أو الأمة لا تكون سعيدة إلا إذا كان ملوكها أو رؤساؤها من أولهم إلى آخرهم متوافقين في طريقة الحكم ، وإذا جاء زمان لم يكن فيه رئيس تجتمع فيه صفات الرئاسة كلها وجب توسيد الحكم إلى عدة رؤساء يكمل بعضهم بعضاً . ومعنى ذلك أن الفارابي على على رغبته في التوحيد لا يمنع تعدد الحكام شريطة أن يكونوا جميعاً كنفس واحدة يطبقون شريعة واحدة ، فدولته إذن ليست دولة استبدادية ، وإنما هي دولة اوتوقراطية مقيدة بالقانون الالهي أو العقلي .

إن في المدينة الفاضلة أشياء مشتركة بين جميع أفرادها يعلمونها ويفعلونها ، وأشياء أخر من علم وعمل تخص كل عضو من أعضائها أو كل مرتبة من مراتبها . وليس في وسع أحد أن يبلغ السعادة إلا إذا جمع الأشياء المشتركة التي له ولغيره معاً إلى الأشياء الخاصة به أو بمرتبته . دع أن الأشياء التي يفعلها كل واحد من أهل المدينة الفاضلة تكسبه هيئات نفسية تقوى بالتكرار وتتحسن بالمرانة ، كصناعة الكتابة فإنها لا تصبح ملكة أو عادة راسخة إلا بالممارسة ، وهذا شأن جميع الفضائل ،

إنها عادات ترسخ بالتكرار ، وتقوى بالارادة ، وهذا وحده كاف للدلالة على أن أعضاء المدينة الفاضلة لا يختلفون بفطرهم وطباعهم فحسب بل يختلفون كذلك باختلاف عاداتهم المكتسبة . « ومن ظن أن من الأخلاق ما هي طبيعية بالحقيقة لا يمكن زوالها ، فقد ظن ظناً كاذباً . (كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون وأرسطو ، ص ١٩ ، طبعة ليدن ١٨٩٠) .

٨ – نظام الخير في المدينة الفاضلة كنظام الخير في العالم

إن نظام المدينة الفاضلة عند الفارابي كنظام دولة أهل الخير التي تكلم عليها اخوان الصفاء ، فهؤلاء أرادوا أن يبنوا مدينة روحانية فاضلة شريفة يكون أهلها أخياراً فضلاء ، أبراراً رحماء ، لهم سنن كريمة يتعاملون بها فيما بينهم ، ومذهب واحد يتفقون عليه (الرسالة الجامعة ، الجزء ٢ ، ص : ٣٧٢ – ٣٧٣ من طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق) ، والفارابي أراد أن يبني مدينة فاضلة يرأسها حكيم إلهي أو نبي صادق يرشد أهلها إلى الخير ويهديهم إلى صالح الأعمال الموصلة إلى السعادة . وكما أن مدينة اخوان الصفا ليست في الأرض ولا على وجه البحر ولا معلقة في الهواء ، فكذلك مدينة الفارابي ليست مدينة واقعية محددة المكان والزمان ، وإنما هي مدينة مثالية بعيدة عن شروط الحياة الواقعية وتقلباتها بُعد السماء عن الأرض ، فربما كانت هذه المدينة المثالية مدينة « السابع » صاحب الناموس الأكبر الذي ينتظره اخوان الصفا ، أو ربما كانت مدينة المهدي أو الإمام المنتظر الذي يجيء في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً ، فالمدينة الفاضلة ليست اذن مدينة الحاضر أو مدينة الماضي ، وإنما هي مدينة المستقبل . إن المدن الحقيقية التي ظهرت في التاريخ هي المدن الجاهلة ، والمدن

الفاسقة ، والمدن المتبدلة ، والمدن الضالة ، وإذا كانت هذه المدن قد ملأت الأرض جوراً وفساداً فمرد ذلك إلى جهل أهلها لشروط السعادة أو لتقصيرهم في العمل بهذه الشروط ، أو لتبديلهم صورتها وحقيقتها ، أو لضلالهم في جميع آرائهم واعتقاداتهم . وليس من أغراض هذا المقال تفصيل القول في صفات هذه المدن ، ولكن الغرض منه توضيح مثالية المدينة الفاضلة ، فهي مدينة الحكماء ، أو مدينة الروحانيين الذين تسري القوة الالهية فيهم سريان العقل في المعقولات ، أو سريان الروح في البدن ، وهي وإن لم تتحقق في الماضي على صورة واحدة فإنها تتميز عن المدن الحقيقية بكون رئيسها في أعلى المراتب الإنسانية ، وبكون أهلها أخياراً سعداء وأبراراً حكماء يؤمون سعادة واحدة بعينها ، ومقاصد واحدة بعينها ، وينسجون على منوال رئيسهم في الجمع بين العلم الصحيح والعمل الصالح .

أما العلم الصحيح فيقوم على معرفة السبب الأول وصفاته ، ومعرفة العقول المفارقة وجواهرها ، إلى أن تنتهي إلى العقل الفعال . ثم معرفة الأفلاك وما تحتها من الأجسام الطبيعية كيف تكون ، وكيف تفسد ، ثم معرفة الإنسان وكيف تحدث قواه النفسية ، وكيف يفيض العقل الفعّال نوره عليه حتى تحصل المعقولات الأولى والإرادة والاختيار ، ثم معرفة الرئيس الأول والرؤساء الذين يجب أن يخلفوه ، ثم معرفة أهل المدينة الفاضلة والمدن المضادة لها ما هي حالهم في الدنيا ، وما هو مصيرهم بعد الموت .

وأما العمل الصالح فيقوم على ممارسة الفضائل المطابقة لنظام الخير ولما يتصل به من أمور العدل والمحبة .

وحكماء المدينة الفاضلة هم الذين يعرفون هـــذه الأشياء بالبرهان ويطبقونها بالفعل ، أما من يليهم من أهل المدينة الفاضلة فانهم لا يعرفونها ولا يطبقونها إلاّ بأخذها عن العلماء ، وأما الباقون من أهل المدينـــة الفاضلة فإنهم لا يعرفون هذه الأشياء إلاّ بالمثالات القريبة أو البعيدة التي تحاكيها .

وهذا المنهج العلمي والعملي الذي وضعه الفارابي لأهل مدينته يدل على أن السعادة التي يجب عليهم أن يؤموها ليست صورة وهمية وإنما هي صورة غائية ينبغي لكل فرد أن يعمل على تحقيقها بآرائه وأفعاله فالمثل الأعلى للحياة الإنسانية هو التشبه بالخالق ، والعمل بأوامره ونواهيه ، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعمل بأوامر الله ونواهيه دائماً فمرد ذلك إلى ما في طبيعته من النقص ، إن المثل الأعلى الذي نطمح بأبصارنا إليه ليس خيالاً كله ، وإنما هو صورة مركبة من عناصر الحياة ، متصلة الجذور بتراب الأرض .

وها هنا حقيقة لا بدّ من الاشارة إليها ، وهي أن نظام المدينة الفاضلة شبيه بنظام الوجود في العالم ، ذلك لأن الخير واحد في جميع أطراف الوجود ، فكما أن لكل موجود من موجودات هذا العالم مرتبة متناسبة مع قسطه من الكمال ، كذلك مرتبة كل عضو من أعضاء المدينة الفاضلة متناسبة مع الكمال الذي يخصه ، كلما كانت مرتبته أعلى كان كماله أعظم ، وكمال الكلّ أعظم من كمال الجزء .

وعلى ذلك فإن نسبة رئيس المدينة الفاضلة إلى دولته كنسبة الله إلى العالم ، لأن حصول المدينة الفاضلة وحصول أجزائها وترتيب أركانها ، كل

ذلك متعلق بإرادة رئيسها كتعلق العالم وأجزائه بإرادة الله . قال الفارابي : « أن نسبة السبب الأول » إلى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلى سائر أجزائها ، فإنّ البريئة من المادة تقرب من الأول ، ودونها الأجسام السماوية ، ودون الأجسام السماوية الأجسام الهيولانية ، وكل هذه تحتذي حذو السبب الأول ، وتؤمه ، وتقتفيه ، ويفعل ذلك كل موجود بحسب قوته ، إلا أنها إنما تقتفي الغرض بمراتب ، وذلك أنّ الأخسّ يقتفي غرض ما فوقه قليلاً ، وذلك يقتفي غرض ما هو فوقه ، وأيضاً كذلك الثالث غرض ما هو فوقه إلى أن تنتهي إلى التي ليس بينها وبين الأول واسطة أصلاً ، فعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفي غرض السبب الأول ، فالتي أعطيت كل ما به وجودها من أول الأمر فقد احتذي بها من أول أمرها حذو الأول ومقصده فعادت وصارت في المراتب العالية ، وأما التي لم تعط من أول الأمر كل ما به وجودها فقد أعطيت قوة تتحرك بها نحو ذلك الذي يتوقع نيله ويقتفي في ذلك ما هو غرض الأول ، وكذلك ينبغي أن تكون المدينة الفاضلة ، فإنّ أجزاءها كلها ينبغي أن تحتذي بأفعالها حذو مقصد رئيسها الأول على الترتيب » (المدينة الفاضلة ص ٨٢ - ٨٣) .

فهذه الأقوال تدل على أن العالم عند الفارابي مدينة كبيرة ، وأن المدينة التي هي عالم صغير مختصرة من العالم الكبير ، وبين هذين العالمين مطابقة تامة . فالعالم يفيض من الله ، والمدينة تصدر عن رئيسها ، أما العالم فقد رتبت أجزاؤه بعضها فوق بعض في نظام بديع ، أولى طبقاته بعد السبب الأول طبقة العقول المفارقة ، وهي عشر مراتب أدناها مرتبة العقل

الفعال ، وثانية طبقاته طبقة الكرات السماوية ولها تسع مراتب آخرها مرتبة كرة القمر ، ثم يلي ذلك طبقة الأجسام والموجودات التي لدينا ، ولها مراتب كثيرة أخسها مرتبة المادة الأولى ، ويليها في الترتيب صعوداً مرتبة الاسطقسات ، ثم مرتبة المعادن ، ثم مرتبة النبات ، ثم مرتبة الحيوان ومرتبة الانسان ، وهذا الترتيب الذي نشهده في بنية العالم الكبير مماثل للترتيب الذي نعانيه في بنية المدينة ، من رئيسها ، وهو مماثل للسبب الأول ، إلى وزرائها وأمرائها ، وهم يشبهون العقول المفارقة ، ثم إلى سائر أركانها الذين يُخدمون ويَخدمون ، ثم إلى أخس أعضائها الذين يخدمون غيرهم ولا يخدمهم أحد .

ومعنى ذلك كله أن نظام الخير في المدينة الفاضلة شبيه بنظام الخير في العالم الكبير ، ولولا رغبة الفارابي في توكيد هذا التشابه بين النظامين لما قسم كتاب المدينة الفاضلة قسمين . أحدهما : وهو الأكبر ، يشتمل على البحث في صفات الله ومراتب الموجودات في العقول المفارقة إلى الأجسام السماوية والأجسام الهيولانية ، والنفس الانسانية وقواها ، حتى إنه ليخيل إلى القارىء عند مطالعة هذا القسم أنه يقرأ كتاباً في الإلهيات لا في الاجتماع الانساني وأنواعه . والآخر : وهو الأصغر ، يشتمل على البحث في المجتمع الإنساني وصفات رئيسه وأنواع مدنه ومراتب أجزائه . لقد قال أفلاطون : « إن الطبيعة متشابهة في جميع أجزائها » (Platon Théétète 5 p, 184) فلا يمكن إذن معرفة الإنسان معرفة حقيقية إلا بعد معرفة العالم ، وهذا ما ذهب إليه الفارابي وعمل به في كتاب المدينة الفاضلة .

٩ – مشكلة وجود الشر

نحن نعلم أن الله عند الفارابي خير محض ، وعقل محض ، وأنه من جهة ما هو واجب الوجود ، بريء من جميع أنحاء النقص ، لا يشوبه عدم ، منه تفيض سائر الموجودات ، وإليه ينتهي كل شيء . وهو الحق الذي لا وجود أكمل من وجوده ، والواحد الذي لا علة له ، ولا شريك له، ولا ضدّ له ، وهو حكيم وحيّ ، عالم بكل شيء وقادر على كل شيء ، لا يدخل في أفعاله خلل البتة ، ولا يلحقه عجز ولا تقصير ولكل موجود من الموجودات الصادرة عنه مرتبته وقسطه من الوجود ، فإذا وجد في الأشياء خلل أو تشويه كان ذلك لعجزها عن قبول النظام التام ، لأن الله الكامل الوجود يفيض الخير والكمال على جميع موجودات العالم بالعدل، فإذا كان أحد الموجودات لا يقبل ما يفيض عليه من الخير لم يكن ذلك لتقصير في الجود الإلهي ، بل لعجز ذلك الموجود عن بلوغ الكمال الذي أعدّ له بحسب طبيعته . والمقصود ببلوغ الكمال حصول الشيء على كل ما يتم به وجوده ، فإذا بلغ هذا الكمال حصل على الخير المتناسب معه ، وإذا لم يبلغه عرض له عارض من الشر . فالشر إذن هو عجز الموجود عن بلوغ الكمال الخاص بنوعه ، أو التخلف عن اللحوق بالخير المتقدم عليه ، ومتى قبل العالم ما يفيض عليه من الخير والجود كان خيراً كله . فإن الله تعالى خير كلي وجود علوي ؛ والخير لا يصنع إلا الخير ، ولذلك قيل إن الشر لا أصل له في الإبداع من جهة المبدع ، وإن المخلوق ليس معاناً على فعل الشر ، « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » (قرآن كريم ، ٤/٧٨) .

على أن للشر ، باعتباره عدم كمال الوجود ، أنواعاً كثيرة ، فيقال شر

لنقصان الشيء عن كماله ، ويقال شر للألم ، ويقال شر للجهل ، ويقال شر للأفعال القبيحة . فالشر إذن هو العدم ، والشر المطلق هو العدم المطلق . وسواء أقلت إن الشر نقص في الوجود أو عجز عن بلوغ الكمال، أم قلت إنه ألم أو جهل أو تقصير ، فإن أمراً واحداً لا شك فيه، وهو أن الشر موجود في هذا العالم ، لا سبيل إلى إنكار وجوده ، إنه ملابس لجميع الأجسام الطبيعية ، وليس بمستنكر أن تحدث في عالم الكون والفساد شرور لها أسباب قريبة أو بعيدة ، فأمور هذا العالم كثيرة ومختلفة « فمنها خير ومنها شر ، ومنها محبوب ومنها مكروه ، ومنها جميل ومنها قبيح ، ومنها نافع ومنها ضار » (الفارابي ، فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، بز ، ص ١١٠ من طبعة ليدن ١٨٩٠) ، فإن اعتبرت عالم الربوبية وجدته بعيداً عن الشر ، وإن اعتبرت عالم الخلق وجدت أمارات الخير وأمارات الشر متجاورة فيه ، إلا أن الأمارات الأولى أكثر من الأمارات الثانية ، ولا وجود للشر في أشياء هذا العالم إلا على سبيل العرض ، لا على سبيل الذات ، هذا الذي عبر عنه ابن سينا بقوله : « إن الخير مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض » (ابن سينا ، النجاة ، ص ٤٧٤) . إن الشر أقل ذيوعاً من الخير ، وهو ذو طبيعة سلبية ، أما الخير فطبيعته إيجابية ، مثال ذلك أن في النار خيرات كثيرة ، ومنافع دائمة ولكنها قد تصيب ثوب فقير معدم فتحرقه ، وهذا شر ، فهل نترك الخيرات الكثيرة والمنافع الدائمة التي تنشأ عن النار ، لأجل شرور عرضية في أمور إنسانية جزئية غير دائمة . ولو كان شر النار أكثر من خيرها لامتنع وجودها ، لأن الخير كمال الوجود ، والشر عدم كمال الوجود ، والله القادر على كل شيء لما خلق النار وغيرها من الجواهر جعل لكل

جوهر طبيعة تخصه ، فمن طبيعة النار أن تنشر الحرارة ، وأن تذيب المعادن الصلبة وأن تحلل الأجسام المركبة ، ومن طبيعتها أيضاً أن تحرق، فإذا صادفت ثوب فقير وأحرقته ، كان هذا الشر الجزئي الحادث عنها مقتضى بالعرض لا بالذات .

قال الفارابي : « وعناية الله محيطة بجميع الأشياء ، ومتصلة بكل أحد ، فكل كائن فبقضائه وقدره ، والشرور أيضاً بقدره وقضائه ، لأن الشرور على سبيل التبع للأشياء التي لا بد لها من الشر ، والشرور واصلة إلى الكائنات الفاسدات ، وتلك الشرور محمودة على طريق العرض ، إذ لو لم تكن تلك الشرور لم تكن تلك الخيرات الكثيرة الدائمة ، وإن فات الخير الكثير الذي يصل إلى ذلك الشيء لأجل اليسير من الشر الذي لا بدَّ منه كان الشر حينئذ أكثر » (عيون المسائل ، المسألة ٢٢ ، من طبعة ليدن) . إن جميع الاشياء المشمولة بعناية الله مصطبغة بصبغة الهية لأن علم الله بالشيء يوجب صدور ذلك الشيء عنه لا على سبيل الطبع ولا على سبيل القصد ، بل على سبيل علمه بذاته وبالاشياء ، قال الفارابي: « ووجود الأشياء عنه لا عن جهة قصد منه يشبه قصودنا ، ولا صدور الأشياء عنه على سبيل الطبع من دون أن يكون له معرفة ورضاء بصدورها وحصولها ، وإنما ظهور الأشياء عنه لكونه عالماً بذاته ، وأنه مبدأ لنظام الخير في الوجود على ما يجب أن يكون عليه ، فإذن علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه ، وعلمه للأشياء ليس بعلم زماني » (عيون المسائل ، المسألة ٦ ، ص ٥٨ من طبعة ليدن) . فإذا كان علم الله بالشيء يوجب حدوث ذلك الشيء ، وكان كل كائن من خير أو شر لا يخرج من العدم

إلى الوجود إلا بقضاء الله وقدره كان علينا أن نسأل : لماذا وجد الشر في هذا العالم ، من أين كان ، وكيف يكون ، ولم كان ، وما هي الحكمة في وجوده ؟ فإذا قال الفارابي : « إن كل كائن من خير وشر يستند إلى الأسباب المنبعثة عن الإرادة الأزلية » (فصوص الحكم ، ٤٩) قلنا: لماذا اقتضت الإرادة الأزلية أن يكون هناك شر ، إن الله خير محض ، والخير لا يصنع إلا الخير ، فكيف تفجر الوجود عن الشر ، وهو ذو صبغة إلهية ، وإذا قال أيضاً إن وجود الشر في العالم لا يتعلق بإرادة الله مباشرة بل يتعلق بأسباب ثانوية ، لعدم قبول الشيء للجود الالهي لنقص في طبيعته قلنا : لماذا اقتضت إرادة الله الازلية أن يكون في طبائع الأشياء نقص ؟ . إن إرادة الله متقدمة على كل كائن تقدماً ذاتياً ، لأنك تقول : « أراد الله فكان الشيء ، ولا تقول كان الشيء فأراد الله » (فصوص الحكم ، ٥٤) ، فلماذا اقتضت حكمة الله أن يكون هناك أسباب تبعث على وجود الشر ، لماذا لا يكون الوجود خيراً كله ؟.

قد يقال في الإجابة عن هذه الأسئلة إن وجود الله أكمل الوجود ، وكمال الموجودات الصادرة عنه لا يمكن أن يكون مساوياً لكماله ، ولو صح ذلك لأمكن أن يكون هناك إلهان أو أكثر ، وهذا في نظر الفارابي المؤمن بالتوحيد أمر باطل وشنيع جداً . وإذا كان القدر هو وضع الشيء في المكان اللائق به ، فإن لكل موجود كمالاً متناسباً مع كونه في المكان الذي يحسن كونه فيه ، إن للموجودات نظاماً من التأليف والتركيب يجعلها مرتبة في أماكنها ، فالأول لا يكون متأخراً ، والمتأخر لا يكون أولاً ، وإذا تذكرنا الآن ما قاله الفارابي عن ترتيب الموجودات تبين لنا

أن العالم محكم التأليف والتنظيم ، لأن العقل الأول أكمل الموجودات وأفضلها وأقربها إلى الله ، ويليه موجود ثانٍ هو أقل كمالاً منه ، ثم الأقل فالأقل ، إلى أن ينتهي هذا الترتيب إلى الانقص . وأفضل الموجودات الفائضة من الله هي التي ليست بأجسام ، ومن بعدها الأجسام السماوية ثم الموجودات الطبيعية التي يضمها عالم الكون والفساد . فالموجودات إذن ثلاثة أقسام : وهي (١ً) الموجودات المفارقة ، ولها ثلاث مراتب أولاها مرتبة الأول ، وثانيتها مرتبة العقول ، وثالثها مرتبة العقل الفعّال . (٢ً) والموجودات الملابسة للأجسام ، ولها ثلاث مراتب وهي : النفس والصورة والمادة (٣ً) والأجسام ولها ست مراتب ، وهي الأجسام السماوية ، والحيوان الناطق ، والحيوان غير الناطق ، والنبات ، والمعدن ، والاسطقسات .

فأنت ترى أن الموجودات رتبت بعضها فوق بعض في نظام هندسي دقيق ، وهي تؤلف سلسلة متصلة الحلقات تؤم خالقها كما تؤم أعضاء المدينة رئيسها ، فطبيعة هذا النمط من الوجود توجب أن تكون موجوداته متفاضلة ومتفاوتة ، فما كان وجوده أكمل كان أفضل وأجمل وما كان وجوده أخس كان أحقر وأرذل . إن أكمل الموجودات أعلاها مرتبة ، ثم يتلوه ما هو أنقص قليلاً ، ثم لا يزال بعد ذلك يتلو الأنقص فالأنقص إلى أن ينتهي إلى الوجود الذي إن تخطى عنه إلى ما دونه تخطى إلى ما لا يمكن أن يوجد أصلاً ، فتنقطع الموجودات عن الوجود » (المدينة الفاضلة ص ٢٠) .

فلا تسأل إذن لماذا وجد الشر ، لأن الشر عند الفارابي نقص في

الوجود ، وما دام الله تعالى هو الموجود الكامل على الاطلاق فإن الموجودات الصادرة عنه لا يمكن أن تكون كاملة مثله . الكامل المطلق واحد لا يتعدد ، وكل ما خلاه من الموجودات مشتمل على شيء من النقص . وإذا سألتني الآن لماذا لا يكون الوجود كاملاً كله أو خيراً كله أجبتك بلسان ابن سينا أن هذا ممكن ، ولكن في غير هذا النمط من الوجود .

ومع ذلك فإن الفارابي يفرق بين نوعين من أمور العالم ، أحدهما يشتمل على أمور تحدث عن أسباب طبيعية كحدوث الحرارة عن النار ، والآخر يشتمل على أمور اتفاقية ليست لها أسباب معلومة كموت انسان أو حياته عند طلوع الشمس أو غروبها . قال : « فكل أمر له سبب معلوم فإنه صُعُدٌ لأن يعلم ويضبط ويوقف عليه . وكل أمر هو من الأمور الاتفاقية فإنه لا سبيل إلى أن يعلم ويضبط ويوقف عليه ألبتة » (فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، الفقرة (د) ، ص ١٠٦ من طبعة ليدن) . فإذا أنعمت النظر في الأمور التي لها أسباب طبيعية تحدث عنها لم تجد فيها شراً لأن من طبيعة النار أن تنشر الحرارة ومن طبيعة الجسم أن يسقط إلى الأرض ، أما الأمور الاتفاقية التي ليس لها أسباب معلومة فانك لا تستطيع أن تضبط حدوثها ، فلا يمكنك أن تعلم أين تصادف النار ثوب فقير معدم فتحرقه ولا متى يصادف الحجر الساقط رأس انسان ماش في الطريق فيجرحه ، وفي هــذا كله ، كما ترى ، شر ، إلا أنه شر عرضي ، لا شر ذاتي . وسواء أكانت أمور العالم أموراً حتمية أم أموراً اتفاقية فإن الشر فيها لا يكون شراً إلا بالنسبة إلى الإنسان ، لقد أوجبت حكمة الله أن يكون في عالم الإنسان خير وشر ليبتلي بها « ونبلوكم بالشر والخير فتنة

وإلينا ترجعون » (قرآن كريم ٢١/٣٥) وهذا يصدق على الأمور الاتفاقية لا على الأمور التي لها أسباب طبيعية ضرورية « ولو لم يكن في العالم أمور اتفاقية ليست لها أسباب معلومة لارتفع الخوف والرجاء ، وإذا ارتفعا لم يوجد في الأمور الإنسانية نظام البتة لا في الشرعيات ولا في السياسيات ، لأنه لولا الخوف والرجاء لما اكتسب أحد شيئاً لغده ولما أطاع مرؤوس رئيسه ، ولما عني رئيس بمرؤوسه ، ولما أحسن أحد إلى غيره ، ولما أطيع الله ، ولما قدم معروف ، إذ الذي يعلم أن جميع ما هو كائن في غـــد لا محالة على ما سيكون ثم سعى سعياً فهو عابث أحمق يتكلم ما يعلم أنه لا ينتفع به » (فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، الفقرة ٥) . إن الوجود الكلي الثابت على حال واحدة لا يشتمل بنفسه إلا على الخير ، أما الوجود المتغير الجامع بين الاضداد فهو مشتمل على الخير والشر معاً . فلا خير في هذا العالم بلا شر ، ولا شر بلا خير ، وفاعل الخير خير كله وفاعل الشر شر كله ، ومن الخير ابطال الشر ، ولو كان شر شيء من الأشياء كما بينا آنفاً أكثر من خيره لبطل وجود ذلك الشيء .

إن الله تعالى يعلم كل شيء علماً غير زماني ، وعقله لذاته التي هي المبدأ لنظام الخير في الوجود هو السبب في تغلب الخير على الشر ، لأن الخير يدعو إلى البقاء ، والشر يدعو إلى الفناء .

وكما أن الله تعالى يحفظ نظام الخير في الوجود لكونه علة غائية له ، لا علة فاعلة فحسب ، فكذلك العقول المفارقة فهي سبب ثان لوجود الخير وكل واحد من هـــذه العقول ، كما يقول الفارابي ، « عالم بنظام الخير الذي يجب أن يظهر منه » (عيون المسائل ، رقم ١٠ ، ص ٥٩ من طبعة ليدن) .

والانسان كما قلنا سابقاً ليس معاناً على الشر ، ولكنه عندما يستعمل عقله لا يستطيع أن يختار إلا الخير فإذا فعله أثيب عليه ، وكل عاقل بما كسبت نفسه رهين ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، وما يفعل الانسان من خير يعلمه الله ، وعالم الكون والفساد الذي نعيش فيه عالم بلاء يتزود الانسان فيه بصالح الأعمال ، وخير الزاد فعل الخير . فالقوى والملكات والأفعال الارادية التي تعوق الانسان عن بلوغ السعادة هي الشرور الانسانية ، والقوى والملكات والأفعال الارادية التي تعين الانسان على بلوغ السعادة هي الخيرات الانسانية (في جواب مسائل سئل عنها ص ٩٨ من طبعة ليدن) .

١٠ ـ خـــاتمة

يمكننا الآن بعد الذي قدمناه من شرح فكرة الخير عند الفارابي أن نجمل هذا الشرح بقولنا إن الخير عنده نوعان : خير وجودي ، وخير انساني . فالخير الوجودي هو الخير المطلق ، وقد عرفناه بقولنا إنه كمال الوجود والخير الانساني هو الخير النسبي ، ويطلق على القوى والملكات والأفعال التي تعين على حصول الغرض المقصود بوجود الانسان في العالم . أما الشر فهو كذلك نوعان : شر مطلق وقد عرفناه بقولنا إنه العدم المطلق أو عدم كمال الوجود على الاطلاق ، وشر نسبي وهو مجموع القوى والملكات التي تعوق عن حصول الغرض المقصود بوجود الانسان في العالم .

وكما أن الخير قد يكون خيراً بالطبع أو خيراً بالارادة ، فكذلك الشر ، فهما ـ أعني الشر والخير ـ أمران متضادان وخالقهما واحد . وقدرة أشخاص الانسان على فعل الخير وبلوغ السعادة متفاوتة لتفاوت مراتبهم في

المجتمع ، فمن كان في أعلى المراتب كرئيس المدينة اجتمعت فيه خصال الخير كلها ، ومن كان في أدنى المراتب وأخسها كان أقل أعضاء المدينة الفاضلة اتصافاً بصفات الخير ، ولا ينال الخير الأفضل والكمال الأقصى إلا في الاجتماعات الانسانية الكاملة ، أعني المعمورة أو الأمة أو المدينة ، ونظام الخير في المدينة الفاضلة شبيه بنظام الخير في العالم ، وعناية الله المحيطة بكل شيء جعلت الخير في الوجود غالباً على الشر ، الخير ايجابي والشر سلبي ، ولا أصل للشر في الابداع .

نعم إن كل شيء في العالم داخل في قدر الله وقضائه ، وهما خير لا شر ، لأن الله خير محض ، والخير كما قلنا لا يصنع إلا الخير ، فإذا دخل الشر في القضاء الإلهي كان دخوله فيه ناشئاً عن عجز الموجود عن قبول الكمال الذي أعدّ له ، أو عن عجزه عن اللحوق بالخير المتقدم عليه ، أما الانسان فإن نفسه لاتبلغ السعادة ولا تنال ما يفيض عليها من الخير إلا إذا كان شوقها إلى مرتبة العقل أكثر من شوقها إلى مرتبة الطبيعة . إذا أشرق العقل الفعال على النفس الانسانية بفضائله وخيراته صارت خيراً كلها ، وإذا لم تستطع النفس أن تقهر شهواتها قهراً تاماً ، ولا أن تختار طريق الفضيلة صارت شراً كلها . إن حسن الاختيار متوقف على حسن استعمال العقل ، وعلى ذلك فإن الانسان لايتحرر من قيود المادة ولا من أغلال الضلال إلا بعقله ، فإذا استولت عليه الطبيعة صار شقياً ، وإذا بلغ درجة العقل المحض أو العقل المستفاد صار حراً وسعيداً .

لاشك أن هذه الآراء ذات اتجاه ديني وإن كانت عناصرها الموضوعية مستمدة من فلاسفة اليونان . ومع أن الفارابي القائل بقضاء الله وقدره

أميل إلى مذهب الجبر منه إلى مذهب القائلين بحرية الاختيار فإن قوله بقدرة العقل على استجلاء الحقيقة ، وقوله إن الخير في الوجود أكثر من الشر يدلان على أنه كان كثير التفاؤل ، مؤمناً بالخير ، ومعتقداً أن في وسع الانسان أن يتغلب على الشر بإرادته العاقلة كما أن في وسع الشرير [إ]ذا أراد ، أن ينتقل إلى الخير ، وأن يصبح متناهياً في الخيرية حتى لا يبقى للشر أثر عنده ألبتة ، إن القول بقدرة الانسان على الاختيار لا يتعارض مع القول بالإرادة الأزلية التي حددت مصير كل شيء ، لأن الاختيار مبني على أسباب عقلية ، فإذا وجدت هذه الأسباب اضطرت الارادة إلى اتباعها ، وهذا كله مقدر في علم الله .

قال الفارابي : « فإن ظن ظان أنه يفعل ما يريد ويختار ما يشاء استكشف عن اختياره هل هو حادث فيه بعد ما لم يكن أو غير حادث فيه ، فإن كان غير حادث فيه لزم أن يصحبه ذلك الاختيار منذ أول وجوده ، ويلزم أن يكون مطبوعاً على ذلك الاختيار لا ينفك عنه ، ولزم القول إن اختياره مقتضى فيه من غيره ، وإن كان حادثاً ـ ولكل حادث سبب محدث ـ فيكون اختياره عن سبب اقتضاه ، ومحدث أحدثه ، فإما أن يكون هو أو غيره ، فإن كان هو بنفسه فلا يخلو إما أن يكون إيجاده للاختيار بالاختيار ، وهذا يتسلسل إلى غير النهاية ، أو يكون وجود الاختيار فيه لا بالاختيار فيكون محمولاً على ذلك الاختيار من غيره وينتهي إلى الأسباب الخارجة عنه التي ليست باختياره ، فينتهي إلى الاختيار الأزلي الذي أوجب ترتيب الكل على ما هو عليه ... فتبيّن من هذا أن كل كائن من خير وشر يستند إلى الأسباب المنبعثة عن الإرادة الأزلية » (فصوص الحكم ، الفقرة ٤٩ ، ص ٧٨ - ٧٩ من طبعة ليدن) .

وجملة القول أن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره ، وأن الأسباب العقلية التي يبنى عليها الاختيار تنتهي إلى الاختيار الأزلي، ومع ذلك فإن الاختيار لا يكون شوقاً عن إحساس أو تخيل بل يكون شوقاً عن نطق ، وهو المسمى بالإرادة العاقلة ، فإذا تشوق الانسان ان فعل أمر ما وجب عليه قبل كل شيء أن يجرد نفسه من تأثير الاحساس والشهوة والتخيل ، حتى إذا تم له ذلك ساقه الفعل إلى غايته . وفي ذلك كما ترون شيء من الاختيار والاضطرار معاً لأن كل اختيار يرجع في النهاية إلى الأسباب الأزلية .

وإذا كان الله مبدأ نظام الخير في الوجود على ما يجب أن يكون عليه فإن عنايته بالعالم توجب عليه أن يكون عادلاً ، فلا يكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا كان الانسان ذا عقل وجب عليه أن يحكم عقله في كل شيء ، فلا يختار من الأشياء إلا ما هو متفق مع إرادة الله الأزلية . وفي هذا كسب له ، إلا أنه ليس مطلقاً . وإذا كان بعض علماء الكلام يقولون : إن الخير ما أمر الله به ، والشر ما نهى عنه ، فإن الفارابي يرى مع المعتزلة أن الواجبات عقلية ، وأن الانسان يستطيع أن يعرف الخير بعقله ، وأن يتشوقه بإرادته ، وفي هذا الرأي ما يوهم بأن هناك حرية إلا أن هذه الحرية المقيدة بالأسباب العقلية لا تجعل الانسان ملكاً مطلقاً يأمر بما يشاء وينهى عما يشاء ، بل تجعله عضواً في مدينة الله يَخدم ويُخدم ، ويعمل بما يوجبه عقله المشرق بالنور الإلهي .

جميل صليبا

كتاب الفهرست للنديم المعروف خطأً بابن النديم
وطبعته الجديدة في طهران (*)

الدكتور محمد جواد مشكور

اسم المؤلف وكنيته :

إن أقدم مصدر تاريخي ذكر فيه اسم المؤلف ولقبه بصراحة هو كتاب الفهرست نفسه ، فقد جاء في أماكن مختلفة من الكتاب قوله : محمد بن إسحق النديم المعروف بأبي إسحق الوراق ، على اختلاف في أسماء الأجداد وذكر الكنية وعدم ذكرها . ففي الصفحة الأولى من الجزء

(*) اهتم بهذه الطبعة للفهرست المرحوم محمد رضا تجدد وقد ولد هذا الأستاذ الذي عرف بـ « شيخ العراقين زاده » في سنة ١٨٨٦ بكربلاء في العراق ، تخرج من مدرسة الحقوق العالية في أوروبا . وفي أوائل عهد جلالة رضا شاه الكبير عاد إلى إيران واشتغل في وزارة العدل حتى أصبح مستشاراً في مجلس الدولة ومن بعد معاوناً لوزارة العدل والثقافة . انتخب الأستاذ تجدد نائباً في مجلس الأمة وذلك في الدورات الرابعة والخامسة والرابعة عشرة ، وفي فترة احترف الصحافة . من آثاره العلمية تصحيح كتاب الفهرست ومقابلته مع النسخ الأخرى وقد استغرق هذا العمل خمس عشرة سنة . توفي هذا العالم الجليل بالسكتة القلبية في ١٢ آذار (مارس) سنة ١٩٧٢ بطهران .

الأول والثاني جاء اسمه كما يلي : محمد بن إسحق النديم المعروف إسحق بأبي يعقوب الوراق (١) .

وجاء أكثر تفصيلاً في الصفحة الأولى من الجزء الثالث بقوله : محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق النديم المعروف إسحق بابن أبي يعقوب الوراق (٢) .

أما في الصفحات الأولى من الجزء الرابع والخامس والسادس والسابع فقد ورد اسمه وكنيته بالشكل التالي : محمد بن إسحق النديم المعروف بأبي الفرج بن أبي يعقوب الوراق (٣) ، وذلك بزيادة (أبي الفرج) التي لم تذكر في أوائل الجزء الثامن فجاء اسمه وكنيته كما يلي : محمد بن إسحق النديم المعروف إسحق بابن أبي يعقوب الوراق (٤) ، وورد اسمه دون ذكر النديم وأبي الفرج في الجزء التاسع بقوله : محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق المعروف إسحق بابن أبي يعقوب الوراق (٥) ، وفي أوائل الجزء العاشر بقوله : محمد بن إسحق النديم المعروف بأبي يعقوب الوارق (٦) ، كما جاء اسمه مختصراً خلال صفحات الكتاب بقوله : محمد بن إسحق .

أما المؤرخون الذين ترجموا لصاحب الفهرست أو تحدثوا عنه في كتبهم وذكروا اسمه فهم :

(١) الفهرست طبع تجدد ص ١ و ٣:
(٢) المصدر نفسه ص ٩٩
(٣) المصدر نفسه ص ١٧٥ – ١٩٩ – ٢٤٩ – ٢٩٧
(٤) المصدر نفسه ص ٣٦١
(٥) المصدر نفسه ص ٣٨١
(٦) المصدر نفسه ص ٤١٥

ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) فقد ورد في معجم الأدباء قــوله : محمد بن إسحق النديم ، كنيته أبو الفرج وكنية أبيه أبو يعقوب (١) .

والصفدي خليل بن ايبك (٧٦٤ هـ) ، أورد مختصراً لحياته وقال : هو محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق النديم وهو أبو الفرج الأخباري (٢) .

وابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، تحدث عنه أكثر تفصيلاً ممن سبقه وذكر اسمه بقوله : محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق النديم الوراق ، مصنف كتاب فهرست العلماء .

كما ذكر اسمه في مكان آخر من كتابه لسان الميزان نقلاً عن تاريخ الإسلام للذهبي بقــوله : محمد بن إسحق بن النديم أبو الفرج الأخباري (٣) .

وحاجي خليفة الذي ذكره بقوله : أبو الفرج محمد بن إسحق الوراق المعروف بابن أبي يعقوب النديم البغدادي (٤) .

وابن أبي أصيبعة الذي ذكره باسم محمد بن إسحق النديم البغدادي صاحب كتاب الفهرست (٥) . ويتضح مما ذكرنا أن جميع المؤرخين ذكروا أنه النديم دون إضافة ابن إلى اسمه بينما انفرد الذهبي في روايته فنعته بابن النديم .

---

(١) معجم الأدباء طبعة مصر ج ١٨ ص ١٧

(٢) الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٩٧

(٣) لسان الميزان ج ٥ ص ٧٢ ، ٧٣ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٦

(٤) كشف الظنون ج ص ١٣٠٣ — ١٣٠٤

(٥) عيون الأنباء ص ٧٥ ، ١٧٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٤ ، ٣٠٩

وكان صاحب الفهرست نفسه يقول في الكتاب : قال محمد بن إسحق ، ثم يشرع في ذكر الأحاديث والأخبار . وعلى هذا يحتمل أن يكون الاسم الثاني الذي ورد في الفهرست في قوله : محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق النديم جاء مكرراً ، وأن اسمه الحقيقي هو محمد بن إسحق النديم ، وهذا ما يؤيده بقية المؤرخين أيضاً . لذلك فإن رواية الذهبي الذي ذكر النديم لقباً لإسحق وأنه هو ابن النديم غير صحيحة ، وأن الأمر لا يتعدى أن يكون سهواً وقع فيه ثم نقل عنه الآخرون ووقعوا في نفس الخطأ دون أن ينتبهوا .

مهنتـــه :

يمكن تعيين نوع العمل الذي كان يمارسه النديم ، من كلمة الوراق التي وردت مراراً في الفهرست ، وألحقت باسمه في المصادر التاريخية القديمة . وكلمة (وراق) تعني بائع الورق وصانعه والمجلد والكاتب . وقد ذكر ياقوت في معجمه عبارة « لا أبعد أن يكون قد كان وراقاً يبيع الكتب » (١) . وهـــذا التخمين يجعلني أذهب إلى القول بأن مهنته التي احترفها كانت تجليد الكتب أو بيعها أو نسخها . ويؤيد هـــذا الرأي ابن أبي أصيبعة إذ قال : « كان كاتباً » (٢) . وكلمة كاتب ، كانت تطلق في الماضي على الناسخ في الديوان وموظف الدولة ومن المحتمل أنه مارس العمل مدة في الدواوين .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٧

(٢) عيون الأنباء ج ١ ص ٦٧

شيوخـــه :

أشار ابن حجر في الحديث عن حياته إلى الشـيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم فقال إنه : « روى فيه عن أبي إسحق السيرافي وأبي الفرج الأصبهاني وروى بالإجازة من إسماعيل الصفار » . وينقل عن لسان ابن النجار قوله « لا أعلم لأحد عنه رواية » .

ويشير محمد بن إسحق نفسه في كتابه الفهرست إلى الذين أخذ عنهم فيذكر أبا الخير الحسن بن سوار بن الخمار وأبا الفرج الأصبهاني وأبا سعيد وأبا أحمد وأبا الحسن محمد بن يوسف الناقط ، وأبا إسحق السيرافي وإسماعيل الصفار ويونس القس .

مذهبـــه :

وصف بعض المؤرخين القدماء كالذهبي النديم بالتشيع وأنه كان شيعياً ومن المعتزلة ، فقد ذكر له الذهبي ترجمته في تاريخ الإسلام فيمن لم يعرف له وحدة على رأس الأربعمائة فقال : محمد بن إسحق بن النديم أبو الفرج الاخباري الأديب الشيعي المعتزلي .

ويكتب ابن حجر أيضاً : « ورأيت في الفهرست موضعاً ذكر أنه كتب في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة فهذا يدل على تأخيره إلى ذلك الزمان . ولما طالعت كتابه ظهر لي أنه رافضي معتزلي فإنه يسمي أهل السنة (الحشوية) ويسمي الأشاعرة (المجبرة) ويســمي كل من لم يكن شيعياً (عامياً) وذكر في ترجمة الشافعي شيئاً مختلقاً ظاهر الافتراء فما في كتابه من الافتراء ومن عجائبه أنه وثق عبد المنعم بن إدريس والواقدي وإسحق بن بشير وغيرهم من الكذابين وتكلم في محمد بن إسحق وأبي إسحق الفزاري وغيرهما

من الثقات »(١) . والذي لاحظته أن محمد بن إسحق كان موضوعياً في نقوله لأنه ينقل عن كتب المؤلفين المختلفة بكل تجرد وبدون أي نظر إلى اختلاف مذاهبهم وعقائدهم فقد جاء في حديثه عن الاسماعلية قوله :

« قال أبو عبد الله رزام في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية وكشف مذاهبهم ، ما قد أوردته بلفظ أبي عبد الله وأنا أبرأ من العهدة في الصدق عنه أو الكذب فيه » (٢) .

وقال في مكان آخر أثناء حديثه عن أسماء كتب الشرائع المنزلة على منهب المسلمين ومذاهب أهلها :

« قرأت في كتاب وقع إليّ قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها ، وأكثر الحشوية والعوام يصدقون به ويعتقدونه ، فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا ، وهذه حكاية ما يحتاج اليه منه » (٣) .

وليس هنالك ما يدعو للشك في تشيعه واعتزاله ، ففي حديثه عن مصعب بن عبد الله الزبيدي يقول عن والده : « كان والده من اشرار الرجال متحاملاً على ولد علي عليه السلام » (٤) ويكفي لبيان مدى ميله للاعتزال أن نذكر أنه خصص الفن الأول من المقالة الخامسة من كتابه

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٧٢
(٢) الفهرست ص ٢٣٨
(٣) الفهرست ص ٢٤
(٤) الفهرست ص ١٢٣

بهذه الطائفة (١) .

الشك في رحلة محمد بن إسحق :

أعرب جوستاف فلوجل الذي قام بتحقيق أول طبعة لكتاب الفهرست عن ظنه بأن النديم سافر من بغداد إلى بلاد الروم ، واعتمد في ذلك على ما جاء في كتاب الفهرست تحت عنوان (مذهب أهل الصين وشيء من أخبارهم) حيث قال : « ما حكاه لي الراهب النجراني الوارد من بلاد الصين في سنة سبع وسبعين وثلثمائة ، هذا الرجل من أهل نجران أنفذه الجاثليق منذ سبع سنين إلى بلد الصين ، وأنفذ معه خمسة أناس من النصارى ممن يقوم بأمر الدين فعاد من الجماعة هذا الراهب وآخر بعد ست سنين فلقيه بدار الروم وراء البيعة ... » (٢) ، فقد ظن فلوجل أن دار الروم هي مدينة القسطنطينية ، وذهب إلى أن محمد بن إسحق هو الذي التقى خلف الكنيسة التي تحولت فيما بعد إلى مسجد أيا صوفيا بهذا الراهب النجراني ، وهو ما يخالف الحقيقة . ذلك أن دار الروم اسم حي في بغداد ، كان يجمع فيه أسرى الروم في عهد الخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) وقد سمح لهم ببناء بيعة هناك أطلق عليها أيضاً اسم دار الروم . واعتماداً على ذلك يمكن القول أن اللقاء الذي تم بين محمد بن إسحق وبين الراهب النجراني حدث في حيٍّ ببغداد ، وأن الرحلة التي قام بها كانت إلى الموصل كما يبدو في أماكن عديدة من الفهرست .

وقد ذكر حاجي خليفة وابن أبي اصيبعة بصراحة أنه كان بغدادياً وليس هنالك من ينكر أنه كان يسكن بغداد .

---

(١) الفهرست ص ٢٠١ - ٢٢٢

(٢) الفهرست ص ٤١٢ - ٤١٣

حيـــاته :

يكتنف حياة هذا العالم شيء من الغموض ، ولكننا نستطيع أن نحدد بالتقريب السنوات التي عاشها من الإشارات التي وردت أحياناً عن حياته في كتاب الفهرست ، فقد جاء في حديثه عن بعض شيوخه المعاصرين مثلاً : « حدثني أبو الفرج الأصفهاني قال أخبرني ... »(١) ويتحدث في مكان آخر عن حياة أبي الفرج الأصفهاني بأنه توفي عام ٣٦٠ هـ ونحن نعلم أن أبا الفرج الأصفهاني ولد في عام ٢٨٤ هـ ، ومن هذا يمكن أن نستنبط أنه من مواليد القرن الرابع الهجري .

وكذلك يقول أثناء حديثه عن حياة أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني : « أصله من خراسان وآخر من رأينا من الاخباريين والمصنفين. ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة »(٢) ، ويقول في مكان آخر عند حديثه عن حياة القاضي جزري أبي الحسن عبد العزيز ابن أحمد الأصفهاني : « انه أحد علماء الداوديين في عصرنا والمتمكنين من المذهب .. وولاه عضد الدولة قضاء الربع الأسفل من الجانب الشرقي من مدينة السلام ، وإلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة »(٣) كما جاء في مكان آخر من كتاب الفهرست قوله : « هذا آخر ماصنفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلثمائة »(٤) .

---

(١) الفهرست ص ١٥٨

(٢) الفهرست ص ١٤٦

(٣) الفهرست ص ٢٧٣ (٤) الفهرست ص ٤٨

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن النديم كان لم يزل حياً حتى سنة ٣٧٧ ﻫ وإذا ما تابعنا استقصاءنا لأخبار الفهرست ، نلاحظ أنه يذكر أشخاصاً عاشوا إلى ما قبل عام ٣٨٠ ﻫ كما هو الحال في حديثه عن حياة أبي إسحق إبراهيم الصابي حيث يقول : « مترسل بليغ شاعر ، عالم بالهندسة ، ومولده سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وتوفي قبل الثمانين والثلاثمائة »[1] .

كما ذكر عن عيسى بن إسحق المعروف بابن زرعة الذي يذهب القفطي في تاريخ الحكماء إلى أنه توفي عام ٣٨٨ قائلاً : « وهو أبو علي عيسى بن إسحق بن زرعة بن قرقس بن زرعة بن يوحنا في زماننا ، ومولده ببغداد في ذي الحجة سنه إحدى وثلاثين وثلثمائة »[2] .

ويقول أثناء حديثه عن أخبار ابن أبي الأزهر ، أبي بكر محمد بن أحمد بوشنجي : « توفي عن سن عالية ، قرأت بخط عبد الله بن علي بن محمد بن داود بن الجراح المعروف بابن العرمرم أنه سأل ابن أبي الأزهر عن عمره في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة فقال : مضى من عمري ثمانون سنة وثلاثة أشهر ، وعاش بعد ذلك ... »[3] .

وجاء في حديثه عن حياة أبي بكر محمد بن عبد الله البردعي قوله : « رأيته في سنة أربعين وثلاثمائة وكان بي آنساً ، يظهر مذهب الاعتزال وكان خارجياً وأحد فقهائهم »[4] ، ويذهب بايارد دودج[5] إلى أن

---

(١) الفهرست ص ١٤٩ (٢) الفهرست ص ٣٢٣

(٣) الفهرست ص ١٦٥ (٤) الفهرست ص ٢٩٥

(5) Dodge (B.) The Fihrist of al - Nadim ; Records of Civilization Series, 2 Vols. 1970

عمره في عام ٣٤٠ هـ كان ١٦ سنة وأنه ولد عام ٣٢٤ هـ ويمكن مما مرّ أن نستنتج المدة التي عاشها محمد بن اسحق النديم ، فمن لقائه بأبي بكر البردعي عام ٣٤٠ هـ يمكن أن نستنبط أنه كان في هذه السنة في سن تؤهله لمجالسة الكبار والعلماء وأن ولادته كانت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري .

وينقل ابن حجر في لسان الميزان عن أبي طاهر الكرخي أن وفاة محمد بن اسحق كانت في شعبان سنة ٣٨٠ هـ ، ويبدو أن هذا التاريخ خطأ ، ذلك أن الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد يعينان تاريخ وفاته بيوم الأربعاء لعشرة أيام خلت من شعبان سنة ٣٨٥ هـ ، ولما كان المحققون قد اتفقوا في يوم الوفاة وشهرها ، فإن من المحتمل أن ابن النجار كتب سنة الوفاة (٣٨٠) ولكن المؤرخين الذين أتوا بعده غلطوا في قراءة الصفر الذي كان يكتب قديماً بشكل ه ونسبوا إليه هذا التاريخ[1] . كما يذهب عدد من الكتاب الى أن وفاة النديم كانت بعد عام ٣٨٥ ووصل بها البعض الى عام ٤٠٠ وما بعدها واعتمدوا في ذلك على أنه ذكر تاريخ وفاة المؤلفين الذين توفوا في هذه التواريخ ، والظاهر أن هذا الخطأ جاء من بعض الناسخين أو القراء الذين أضافوا أسماء عدد من المؤلفين الى كتاب الفهرست بعد وفاة النديم .

وكان محمد بن اسحق النديم قد سمح في كتابه بذلك فقد أورد أثناء ترجمته لحياة الداعي الى الله الحسن بن علي بن الحسن بن زيد قوله : « وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من مائة كتاب ولم نرها فإن رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها إنشاء الله تعالى »[2] .

---

(١) راجع في ذلك مقال الدكتور زلهايم في مجلة المجمع ج ٣ م ٥٠ ص ٦١٣ وما بعدها « لجنة المجلة »

(٢) الفهرست ص ٢٤٤

ونسب بعض المؤلفين كياقوت والصفدي كتاباً آخر للنديم غـــير الفهرست باسم (التشبيات) لم يصل الينا بعد[١] ، وقد أشار محمد بن اسحق بنفسه في الفن الأول من المقالة الأولى ، الى كتاب آخر له بقوله: « قد استقصيت هذا المعنى وغيره مما يجانسه في مقالة الكتابة وأدواتها من الكتاب الذي ألفته في الأوصاف والتشبيات »[٢] .

كتاب الفهرست :

ليس بين أيدينا للنديم غير كتابه الفهرست ذي الشهرة العالمية[٣]، والذي ذكره جميع المؤرخين القدماء كما أشار اليه محمد بن اسحق بهذا الاسم . وكان حاجي خليفة المؤرخ الوحيد الذي أطلق عليه اسم (فوز العلوم) ، وسماه ابن حجر في (لسان الميزان) (فهرست العلماء) . ويقول الزبيدي في تاج العروس : « الفِهْرِس بكسر الفاء وسكون الهاء والسين كتاب جمعت فيه أسماء كتب أخرى ويقال إن هذه الكلمة ليست عربية محضة وانها معربة ، ويرى بعضهم أنها معربة عن كلمة (فهرست) وجمع الفهرس وفهارس »[٤] .

وكنا ذكرنا سابقاً أن العمل الذي كان يمارسه النديم هو الوراقة ، وتجليد كتب القدماء والمعاصرين ونسخها . وقد ولد هذا العمل كما يظهر

---

(١) انظر معجم المطبوعات العربية ج ١ ص ٢٦٧

(٢) الفهرست ص ١٤ ترجمة ص ١٩

(٣) راجع مقال الأستاذ ابراهيم الإبياري تحت عنوان الفهرست لابن النديم في تراث الانسانية ج ٣ ص ١٩٢ - ٢١٠

(٤) تاج العروس ج ٤ ص ٢١١ - ٣٣

الرغبة عنده في تأليف كتاب يجمع فيه أسماء كتب المؤلفين ونبذة عنها وعن حياتهم ، كما أهله اطلاعه الواسع وعلمه الغزير ليصبح نديم كبار أهل زمانه ، وفتح له حذقه في النسخ والتجليد مكتبات الوزراء والأعيان الغنية بالكتب الثمينة ، ويبدو أنه كان ينقل أثناء نسخها أو تجليدها خلاصة عنها ، ومجالس العلماء المعاصرين له فيتحدث اليهم وينقل أخبارهم ، وفي آخر حياته طرأت له فكرة جمع ما كتب وحفظ في كتاب أطلق عليه اسم (الفهرست) .

ويقول ياقوت الحموي في معجمه عن الكتاب : محمد بن اسحق النديم مصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه واستوعبه استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه بجمع الكتب (١) .

ولعل ما كان لبغداد من مكانة في ذلك العصر هو الذي ساعده على النجاح في هدفه ، فقد كانت عاصمة الاسلام ومركز الخلافة العباسية تجلب اليها الكتب من جميع أنحاء البلاد الاسلامية ، وتزخر مكتباتها بكتب القدماء والمحدثين مما أتاح لمحمد بن اسحق الفرصة ليضع فهرساً باللغة العربية لمختلف كتب أهل زمانه من عرب وعجم وأن يذكر فيه نبذاً عنها وعن حياة الكتاب وتاريخ ولادتهم ووفاتهم ، وهو ما أشار اليه في أول كتابه حيث قال :

(هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجودة منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم ، وأخبار مصنفيها ، وطبقات مؤلفيها ، وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم وأماكن

---

(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٧

بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة »[1] .

أما ماوصل الينا حتى الآن من كتب باسم الفهرست ، فكتابان اثنان فقط ، أحدهما : لمحمد بن اسحق النديم ، والثاني للشيخ أبي جعفر محمد بن حسن الطوسي الذي توفي عام ٤٦٠ هـ .

ويذكر حاجي خليفة كتاباً ثالثاً باسم فهرست العلوم لحافظ الدين محمد العجمي الذي توفي عام ١٠٥٥ هـ .

أقسام كتاب الفهرست :

قسم محمد بن اسحق النديم كتاب الفهرست الى عشر مقالات :

المقالة الأولى : وتبحث في ثلاثة فنون وهي وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ونعت القرآن الكريم وأسماء الكتب المصنفة في العلوم والتفاسير وأخبار القراء وشواذ قراءاتهم .

المقالة الثانية : وتبحث في أخبار النحويين واللغويين .

المقالة الثالثة : وتحتوي على الأخبار والآداب والسير والانساب .

المقالة الرابعة : وتبحث في الشعر والشعراء .

المقالة الخامسة : وتبحث في الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة والشيعة والمجبرة والحشوية والخوارج والزهاد والمتصوفة وكتبهم .

المقالة السادسة : في الفقه والفقهاء والمحدثين .

---

(١) الفهرست ص ٣

المقالة السابعة : في الفلسفة والعلوم القديمة واخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأصحاب التعاليم والطب .

المقالة الثامنة : في الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعبذة .

المقالة التاسعة : في المذاهب والاعتقادات .

المقالة العاشرة : في أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ، وهو القسم الأخير الذي انتهى منه المؤلف عام ٣٧٧ هـ .

وقد وردت هذه العبارة الأخيرة أيضاً في الصفحة الأخيرة من المقالة الثانية. والظاهر أن هاتين المقالتين نسختا في يوم واحد ، وأن النديم أعطى الكتاب لعدد من الأشخاص لاستنساخه فانتهى القسمان في نفس اليوم ولم يرد ذكر لتاريخ الانتهاء من الكتاب في أي قسم سوى المقالة الثالثة بعد أن أورد أخبار أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني حيث قال : « قال محمد بن إسحق : هذا آخر ما صنفناه من مقالة النحويين واللغويين إلى يوم السبت مستهل سنة سبع وسبعين وثلاثمائة والحمد لله وصلى الله على محمد وآله ونسأل الله البقاء لمن صنفنا له ولنا في عافية وأمن وكفاية ، وهو بمنه يفعل ذلك ويلهمنا رضاه ويعيننا على طاعته بكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على خيرته من خلقه محمد وآله » (١) .

وجاء بعد هذه العبارة قوله : « وتوفي رحمه الله في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة » ولكنها لم تكن بخط المصنف وقد ذكرنا آنفاً وجود مثل هذه الزيادات التي أضافها النساخ فيما بعد كما يظهر في الكتاب .

---

(١) الفهرست ص ٩٦

طبعات كتاب الفهرست :

كان أول عالم شمر عن ساعد الجد فحقق هذا الكتاب وعمل على طبعه هو جوستاف فلوجل Gustav Flügel حيث قضى خمسة وعشرين عاماً من حياته في البحث عن المخطوطات والنسخ المتناثرة في مختلف بقاع العالم ، والحصول على متنه الكامل وإضافة الشروح والحواشي والتوضيحات عليه ، ولكنه وقبل أن يبلغ مراده بطبعه توفي في الخامس من تموز عام ١٨٧٠ م ولم يطبع من الكتاب سوى ست ورقات . فطلب ابنه من عالمين المانيين آخرين هما الدكتور يوهانس روديجر والدكتور موللر - وكانا من أصدقاء والده - من المستشرقين المعروفين راجياً أن يشرفا على طبع الكتاب فأشرف الأول منهما على الطبع والتصحيح ، والثاني على جمع الشروح والحواشي والتوضيحات وتم في عام ١٨٧٢ م طبع الكتاب في مدينة ليبزيج .

ولكن لم يمض وقت طويل حتى فقدت الطبعة من الأسواق ، مما دعا إلى تجديد طبع الكتاب في عام ١٣٤٨ هـ في مطبعة الرحمانية بمصر ، دون أن تحمل نفسها مشقة طبع الهوامش والتوضيحات ، واكتفت بالمتن الذي أضيف عليه المزيد من الأخطاء . وكانت المزية الوحيدة التي توفرت في هـــذه النسخة هي إضافة خمس أوراق عليها تحت عنوان (تكملة الفهرست) زيدت في آخر الكتاب وتحوي الشروح الناقصة لبعض رجال المعتزلة ، وكان أحمد تيمور باشا العالم المصري المعروف قد اقتطع هذه التكملة من مجلة المانيـــة تدعى Die Kundes Morgenlandes طبعت عام ١٨٨٩ م وأضافها إلى نسخته وتبتدىء هذه التكملة بحياة واصل بن عطاء وتنتهي بشيطان الطاق (١) .

(١) الفهرست ص ٤٠١ و ص ٦٠٠

الفهرست طبع طهران :

عنوان الكتاب : « كتاب الفهرست للنديم أبي الفرج محمد أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق » : تحقيق رضا تجدد . ويقع الكتاب في ٦١٧ صفحة من القطع الكبير والورق الجيد ، طبع في مطبعة المصرف التجاري في طهران ،ويمتاز عن غيره من النسخ باحتوائه على عدد من الفهارس التي وضعها المحقق وهي : الفهرس الكامل لمواضيع الكتاب ومباحثه ، والاعلام ، والأسماء اليونانية واللاتينية الواردة في الكتاب مع مقابلها بالعربية ، فهرس القبائل والطوائف ، فهرس الكتب ، وهي فهارس تساعد الباحثين والمتتبعين في مطالعاتهم والاستفادة مما جاء في الكتاب ، وقد تم طبعه عام ١٩٧١ م بمناسبة الاحتفال بمرور الفين وخمسمائة عام على تأسيس الشاهنشاهية الإيرانية ، ويعتبر من حيث الطباعة والتحقيق والإيفاء أفضل طبعة للفهرست طبع حتى اليوم .

وقد اعتمد السيد تجدد في تحقيقه لهذا الكتاب على نسخة فلوجل المطبوعة ، ومخطوطتين أخريين توجد إحداهما في مكتبة جستر بيتي تحت رقم ٣٣١٥ بدوبلن عاصمة ايرلنده الجنوبية ، والثانية هي مخطوطة شهيد علي باشا الموجودة في مكتبة السليمانية باستنبول تحت رقم ١٩٣٤ [١] .

نسخة جستر بيتي :

وتقع في ٢٣٨ صفحة بقطع ١٦ × ٢٤ سنتيمتراً يتسع كل منها لـ ٣٠ سطراً ، بالخط المكي والمدني وقد غشي بعض أسطرها السواد والظاهر أنها نسخت في القرن الخامس أو السادس الهجري ، وتحتوي على المقالات

---

(١) ترجمة الفهرست بقلم السيد رضا تجدد بالفارسية ـ المقدمة .

الأربع الأولى ونبذة من أول المقالة الخامسة تنتهي بترجمة الناشيء الكبير وعبارة « على ما حدثني به ابن الجنيد » (١) .

وكان الأستاذ المرحوم مجتبى مينوى قد اكتشف المخطوطة لأول مرة أثناء قيامه بوضع فهرس لكتب جستر بيتي عام ١٩٣٨ م في لندن وقد جاء الحديث على ذلك بالتفصيل في المقالة التي كتبتها السيدة « فليس أكرمن » تحت عنوان أسلوب الخط والنقوش الكتابية ، ونشرت في (كتاب الفنون الايرانية) لزوجها بوب (٢) . وقد نقلت مواد هذه المقالة عن السيد مينوي كما أشار ضمن بحثه في الخط المدني والمكي الذي استقاه من الفهرست إلى وجود نسخة جستر بيتي وكان أول عالم نبه إلى خطأ تكنية محمد بن إسحق بابن النديم وأنه كما ذكرنا آنفاً محمد بن إسحق النديم .

ويوجد في المقالة الأولى من هذه النسخة خرم كبير حيث سقط منها أكثر من ١٤ صفحة تبتدىء ببحثه عن (الكلام على القلم العبراني) من السطر الثالث من عبارة : « لا خلاف بينها أن الكتابة العبرانية (٣) وتنتهي بأخبار عبد الله بن عامر اليحصبي » ، وعبارة : « أحد السبعة ويكنى أبا عمران ، يقال أنه أخذ .. » (٤) لم تطبع من قبل كما لم ترد في طبعة فلوجل . وقد تنبه إلى هذا النقص المرحوم البروفسور اربري (٥) أثناء

(١) المصدر المتقدم : ج ١١ ص ١٧٠٧ – ١٧٢٢

(٢) Pop (a.u) and Ackerman (F) ' A Survey of Persian art ' london . 1938

(٣) الفهرست ص ١٧ (٤) الفهرست ص ٣١

(٥) A. Arberry .

وضعه لفهرس الكتب الخطية في مكتبة جستر بيتي . والأخطاء في هذه النسخة قليلة جداً وقد ساعد العثور عليها على تصحيح الأخطاء الكثيرة التي وردت في نسخة فلوجل الخطية ، ويدل عدم ذكر الصفحات المفصلة في أوائل المقالات الخمس الأولى في طبعة فلوجل أنه لم يكن يملك هذه النسخة ، ويوجد في القسم الأعلى من الصفحة الأولى لهذه النسخة مستطيل كتب فيه بالخط النسخي الجميل (كتاب الفهرست للنديم) وتحته عبارة الوقف في سبعة أسطر جلل السواد بعض كلماتها ومنها يتبين أن أحمد باشا الجزار أوقفها بجامع عكا بفلسطين على ألا تخرج من الجامع .. ونص الوقف كما يلي :

« وقف لله تعالى ... أوقف وحبس وتصدق بهذا الكتاب الحاج أحمد باشا الجزار ، في جامع المبارك بعكا . نور الأحمدية على طالب العلم .. بخطه وقفاً صحيحاً .. » وجاء فوق السطر الثالث واسم أحمد باشا الجزار العبارة التالية بخط آخر : « من كتب أحمد بن علي بدمشق ٨٢٥ هـ » وهو المؤرخ المعروف بالمقريزي كما سنذكر فيما بعد . كما جاء في نفس عبارة الوقف وفوق السطر الثالث إلى اليسار بخط آخر ، « محيي الدين محمد القاضي سنة ٨١٥ هـ » وعلى السطرين الأخيرين في الوسط تقريباً ختم كبير مدور عليه أربعة أسطر محفورة ، يبدو من بعض حروفه المقروءة أنه بالخط النستعليق ، ويمكن قراءة هذه العبارة فيه « وما توفيقي إلا بالله .. نور الأحمدية » .

وكتب على الهامش من اليمين :

« مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب الوراق المعروف

بالنديم ، روى عن أبي سعيد السيرافي وأبي الفرج الاصفهاني ، وأبي عبد الله المرزباني وآخرين ، ولم يرو عنه أحد ، وتوفي يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة ببغداد وقد اتهم بالتشيع عفا الله عنه » (١) .

وجاء فوق الضلع القصير الأيمن المستطيل هذه العبارة في سطرين :

« ابتعناه .. أحمد بن علي المقريزي سنة ٨٢٤ » وقد كتب رقم ٤ بهذا الشكل (٢) ويبدو أن هذه العبارة أضيفت في زمن المقريزي .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه هو نفس تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر البعلكي المصري المقريزي صاحب كتاب (الخطط والآثار) الذي توفي عام ٨٤٥ هـ .

ويبدأ بعد هذه الصفحة متن الكتاب بقوله :

« باسم الله الرحمن الرحيم .. استعنت بالله الواحد القهار » ، وقد تخلل القسم الأيمن وأكثر الكلمات في هذه الصفحة بالسواد التام .

وعلى الهامش وفي أسفل الصفحات يبدو كثير من العبارات : « إلى هنا بخط المصنف وبغير خط المصنف وعورض مع الأصل المصنف رحمه الله . المنقول من دستوره وبخطه وعورض » . وقبل كل مقالة توجد صفحة منفصلة كتب عليها الرقم الترتيبي وما يتعلق بها كالجزء ومحتويات المقالة ، ونموذج من خط المصنف .

لم تبق هذه النسخة في جامع عكا بفلسطين إذ تعرضت للسرقة بعد وفاة أحمد باشا الجزار الذي حكم عكا في زمن نابليون بونابرت ، وانتقل نصفها

(١) الفهرست « المتن والحاشية » ص ٤٠٢

من يد إلى يد حتى وقعت بيد رجل يهودي يدعى يهوذا باعها إلى جستر بيتي وهي الآن في مكتبة دوبلن .

مخطوطة شهيد علي باشا :

وهي في حجم صفحاتها كنسخة جستر بيتي وتقع في ٣٦٢ صفحة أضيف إليها ثلاث أوراق .

الصفحة الأولى .. كتب في أعلاها إلى اليمين (في الأدبيات) ، وفوقها جاء في سطرين : « من الطف نعم الله على عبده ولي الدين جار الله سنة ١٣١١ » وتحت هذه العبارة ختمان جلل أحدهما بالسواد فهو فوقه ختم آخر فيه هذه العبارة : « ولي الدين جار الله » . وبعد هذه العبارة وفي نفس الجهة كتب بشكل مخروطي : « ملكه العبد الفقير إلى عون الغفور الودود مسعود بن إبراهيم بن أمر الله بن عبدي بن طورمش ، غفر الله له ولأسلافه ورضي عنهم ، بالشراء الشرعي بمدينة قسطنطينية المحروسة » .

والصفحة الثانية بيضاء وفي الجهة اليمنى من الصفحة الثانية كتب بالخط المكسر الفارسي الجيد ، « كتاب فهرست أخبار العلماء والمحدثين لمحمد بن إسحق النديم » ثم يبدأ متن الكتاب . وكتب في أعلى الصفحة بخط نسخي جميل جداً كلمة (الواسطي) وجاء فوقها بخط وحبر آخر . « الفن الأول من المقالة الخامسة من الكتاب » .

وفي إحدى الزوايا ختم مدور جاء فيه : « وقف هـذا الكتاب أبو عبد الله ولي الدين جار الله بشرط ألا يخرج من خزانة بناها بجامع سلطان محمد بقسطنطينية سنة .. » وقد جلل السواد تاريخ السنة ويبدو تحت الختم الرقم ١٩٣٤ وهو رقم تسجيل مكتبه السليمانية في استنبول . ويشبه خط هذه النسخة خط نسخة جستر بيتي إلا أنه أكثر وضوحاً وقد

جاءت المواضيع في بعض الصفحات بشكل عمودي ، فقرئت خطأ في طبعة فلوجل بصورة أفقية .

ويرى المرحوم تجدد محقق كتاب الفهرست أن هذه النسخة متممة لنسخة جستر بيتي وأنها كتبتا في فترة واحدة لعدة أسباب :

١ - تحتوي النسخة منذ المقالة السادسة وحتى العاشرة على صفحة مستقلة قبل كل مقالة كتب فيها رقم الجزء ومحتويات المقالة ، كما يوجد تشابه في الخط بين النسختين .

٢ - تبتدىء هذه النسخة رأساً بالمقالة الخامسة دون أي مقدمات بترجمة الواسطي ، ويبدوا أنها بقية المقالة الخامسة التي ظلت ناقصة في نسخة جستر بيتي ولا يوجد قبل هذا المقال صفحة مستقلة لأنها موجودة في أول المقالة الخامسة في نسخة جستر بيتي .

٣ - جاءت كلمة (عورض) في أسفل صفحات هذه النسخة كما هو الحال في نسخة جستر بيتي .

والنقص الوحيد في هذه النسخة عدم وجود ترجمة لفرقة الديصانية ، وسقوط قسم كبير من مرقيونية حيث يبدو مكانه صفحة بيضاء ويظهر أن ذلك كان هفوة من الكاتب ، كما جاء في آخر حديثه عن المرقيونيه (١) . كان هذا هو رأي المرحوم تجدد في أن هاتين النسختين تتم إحداهما الأخرى ، وأنهما تؤلفان نسخة واحدة ، ولكن التدقيق في النسختين ينفي هذا الرأي فعلاوة على الاختلاف الموجود في حجم ورق النسختين فإن هناك اختلافاً أيضاً في طول الأسطر ، فبينما يبلغ في نسخة جستر بيتي أربعة عشر

---

(١) ترجمة الفهرست ص ٢٩ - ٣٠

سنتميتراً ، فانه في نسخة شهيد علي باشا أحد عشر سنتيمتراً ونصف كما أن خط نسخة شهيد علي باشا أكثر إتقاناً مما هو في نسخة جستر بيتي ، ولهذين السببين لا يمكن القول بوحدة النسختين وأنهما تؤلفان نسخة واحدة ، ومن الممكن أن كتاب الفهرست كان في الأصل مؤلفاً من قسمين ونسخت مخطوطة شهيد علي باشا عن القسم الثاني .

مميزات طبعة فلوجل :

تقع هذه الطبعة في ٣٦٢ صفحة بحجم ٢٨ × ٢٠ سنتيمتراً تتسع كل منها لـ ٣٠ سطراً بالإضافة إلى ثلاث وأربعين صفحة في اختلاف الكلمات والجمل ومجلد آخر بنفس القطع يقع في ٢٧٧ صفحة يضم تعليقات وترجمة حياة بعض الأشخاص ، ونسخة زيدت على المتن ذات فائدة كبيرة .

وقد توفي فلوجل دون أن يستطيع طبع كتابه فقام اثنان من أصدقائه كما أشرنا من قبل بهذه المهمة وهما الدكتور روديجر والدكتور موللر ، وأشرفا على تصحيحه ولكنهما لم يقوما بهذه المهمة خير قيام ، ووقعا في بعض الاشتباهات والأخطاء التي وردت في المتن أو قراءة النسخة بشكل أفقي ، وقد كتبت عمودية ، وغيرها من الهفوات التي لا يمكن أن يقع فيها فلوجل . فقد كان قد طبع القرآن الكريم بشكل جيد جداً ، وكتاباً في كشف الآيات للقرآن تحت عنوان (نجوم الفرقان) وذلك في عام ١٨٤٢ م في ليبزيج .

لقد كان يملك فلوجل عدة نسخ من هذا الكتاب وكانت نسخة شهيد علي باشا أمام ناظريه ، وبدأت المقالة الخامسة في هذه النسخة بكلمة (الواسطي) ، ذلك أن محتويات المقالات من السادسة إلى العاشرة ذكرت في صفحة مستقلة في أول كل مقالة ، والمواضيع التي وردت أفقية فيها هي نفس الذي جاء عمودياً في نسخة شهيد علي باشا ، كما يبدو اختلاف كبير بين متن كتاب فلوجل وبين نسخة شهيد علي باشا ، ولكن لم يكن يملك كما ذكرنا نسخة جستر بيتي ذلك أننا لا نرى الصفحة المستقلة في أول كل جزء حتى المقالة السادسة ، كما يوجد اختلاف كبير بينهما من حيث المتن[١] .

أسلوب محمد رضا تجدد :

لقد اعتمد العالم الجليل المرحوم محمد رضا تجدد في طبع الفهرست على نسختي جستر بيتي وشهيد علي باشا كما قارن بينهما وبين طبعة فلوجل وأشار إلى الاختلافات الموجودة بينها بحرف (ف) في أسفل صفحات النسخة الجديدة أما العبارات التي كانت زائدة في نسخة الأصل عن طبعة فلوجل فقد أوردها بين هلالين ، والعبارات التي كانت زائدة في طبعة فلوجل عن النسخة الأصلية وضعها بين قوسين بحرف أسود . كما اعتمد على نسخة خطية أخرى ناقصة من الفهرست باسم (فوز العلوم) وهي المعروفة بنسخة (الخانقاه سعيدية الخطية في راجستان بالهند) وتبدأ هذه النسخة بعد (بسم الله الرحمن الرحيم) بشعر جحظة[٢] :

إذا مـــا ظمئت إلى ريقه جعلت المدامة منه بديـــلا

---

(١) ترجمة الفهرست ص ٢٩ — ٣٠

(٢) الفهرست ص ١٦٢

وترجمة حياة فلوطرخس[١] وتنتهي بهذه العبارة :

(تم الجزء الثاني من كتاب الفهرست بعون الله ولطفه ويتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الثالث أخبار يحيى النحوي ، وكتبه حسن بن عبد الله سبط يحيى الجوهري ، والحمد لله رب العالمين) . ثم زيد ما وقع من أواخر المقالة الرابعة وأوائل المقالة الخامسة من الجزء الخامس المتعلق بالمعتزلة ، من تكملة الفهرست في نسخة أحمد تيمور باشا ، في مكانه من حواشي ذلك الفصل بذكر علامة (تك) إشارة الى تكملة الفهرست) .

محمد جواد مشكور

الأستاذ في جامعة طهران

(١) الفهرست ص ٣١٤

تحقيق معنى « بناء اللغة على التوهم »
ونفي مزاعم الوهم عنه

محمد شوقي أمين

١ - البحث الذي قرأه الأستاذ العلامة الجليل « محمد بهجة الأثري » على مؤتمر « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة ، في دورته الثانية والأربعين سنة ١٩٧٦ بعنوان « مزاعم بناء اللغة على التوهم » ونشرته مجلة « مجمع اللغة العربية » بدمشق بحث ينم عن غيرة على أصالة العربية وصفائها واستقامة السليقة فيها ، وقصارى القول فيه أنه « أثر » من الأستاذ « الأثري » على النحو المأثور من بحوثه المأثورات .

ومجمل البحث أن في أقوال النحاة واللغويين أنواعاً من مزاعم التوهم نسبوها إلى العربية ، وقد عددها الأستاذ الباحث ، فكانت سبعة أنواع ، وقال إنه مفندها واحداً واحداً ، إلا السابع ، وهو « العطف على التوهم » فإنه أرجأه إلى وقت آخر يعالجه فيه .

وقد استظهر الأستاذ الباحث أن المقصود من بناء اللغة على التوهم هو الخطأ ، وأنه يعني انحراف السلائق عن قانونها الذي تجري عليه اطراداً . وعنده أن الأمثال التي تساق على التوهم إنما جرى فيها ما جرى عن وعي

وإرادة وقصد ، لا عن غفلة وتوهم ، وأن من قالوا بالتوهم أعربوا عن غفلة عن طبيعة اللغة وقوانينها الدقيقة .

وبلغ التعلق بهذا الاستظهار عند الأستاذ الباحث مبلغ قوله إن قدامى اللغويين أعطوا الحروف المزيدة حكم الحروف الأصلية ، لأنهم فطنوا لهذا النظام في العربية وعقلوه ، فأقروه قانوناً ، ولكن جهل النحاة الخالفون أو قلة منهم هذا القانون ، فقرروا الاشتقاق من الحروف الأصول ، ومنعوا الاشتقاق من الزوائد ، وحكموا على المشتق من الزوائد بالتوهم والخروج عن القياس . وأن المتقدمين فطنوا لحرمة الزائد في الكلمة وأقروه إقرار الأصول على سبيل القصد والإرادة ، لا على سبيل الغفلة والتوهم والاعتباط ، فلا توهم في شيء من ذلك ، وإنما التوهم في أنفس القائلين به ، ويجب تحرير العربية من هذه الوصمة الشنعاء ، وصمة البناء على التوهم ، وتبرئتها منها جملة وتفصيلاً .

وعند الحديث في النوع السادس ، وهو توهم أصالة الحرف الزائد نقل الأستاذ الباحث نص قرارين لمجمع القاهرة في هذا النوع ، أنتهت إليها لجنة الأصول ، وعقب بأن الشأن في المسألة ليس كذلك ، وأن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة ، هو غير الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع .

٢ — ذلك ما ردده الأستاذ الباحث ، وألفاظه اعتمدتُ في جملة ما أوردتُ ، وما إليه نسبتُ .

وثمة مجال لسؤالات يترتب على الإجابة عنها استخلاص الرأي الرجيح

أولاً — هل التوهم معناه في اللغة الخطأ والغفلة والاعتباط ؟

ثانياً — هل أراد علماء العربية بقولهم « البناء على التوهم » هذا المعنى الذي أورده الأستاذ الباحث وأقامه عماداً لبحثه ؟

ثالثاً — هل البناء على التوهم مقولة يتناقلها النحاة الخالفون ، جهلاً منهم لما فطن إليه القدامى من نحاة ولغويين ؟

رابعاً — هل الأنواع التي عددها الأستاذ الباحث وضرب لها أمثلتها التي قيل فيها بالبناء على التوهم تجري على قواعد العربية المطردة ونظامها الطبيعي وقانونها النفسي وأصولها المقررة ، على حد التعبير بذلك في غضون البحث ومطاويه ؟

أما الجواب عن السؤال الأول ، وهو حقيقة معنى التوهم ، فمردّه إلى اللغة فيما نقله رواتها ، واللغة تقول : توهم الشيء تخيله وتمثله ، كان في الوجود أو لم يكن ، وتقول : توهمت الشيء : ظننته وتفرسته وتوسمته وتبينته . وتقول : التوهم سبق الذهن إلى الشيء .

تلك دلالات التوهم في العربية ، وأيٌّ كان فليس في ذلك كله ما يشير إلى الخطأ أو الغفلة أو الاعتباط من قرب أو على بعد . على أن الخطأ أو الغلط أو السهو أو مايتصل بتلك المعاني له في مادة « وهم » صيغة غير صيغة التوهم . وهي « الوهم » وشتان ما بين « وهم » و « توهم » كما ترى .

وأما الجواب عن السؤال الثاني ، وهو مراد علماء العربية بالبناء على التوهم فهو أنهم يسوقون كلمة « التوهم » مقصوداً بها التمثل ، ولذلك يستخدمون مرادفات ونظائر تساق مساقها وتحل محلها ، ومنها : الإشباه ، والمشابهة ، والتشبيه ، والمشاكلة ، و « كأنه كذا » ، و « إلحاق هذا

بذاك » و « معاملة هذا معاملة ذاك » إلى غير أولئك من عبارات تفيد المعنى وتدل عليه . وكل ذلك عند التنبيه على الشذوذ أو مخالفة القياس والجري على غير المطرد . فهذا « الكسائي » يستعمل « المشابهة » في منع صرف أشياء ، وذلك « الفراء » يستعمل « التشبيه » في معاملة الأصلي معاملة الزائد في التسمية بطحّان ، وكذلك يستعمل « الجوهري » كلمة « التشبيه » و « الإلحاق » و « التوهم » في تعليلات شتى ، منها تعليله لجمع « المآقي » والنصب في مثل سمعت لغاتَهم » . ويقول «المعري» : « كأنه كذا » في تعليل منع صرف فينان .

وعلى اختلاف التعبير يتفق المعنى ويتوحد المدلول ، وهو الاعتبار والفرض والتقدير والاحتساب والحسبان ، أو ما شئت مما يلامس تلك الدلالة المقصودة . وقد عبر « سيبويه » عن ذلك في بعض الأمثلة بأنه «الغلط» ولم يرتض « ابن هشام » تفسير « ابن مالك » لذلك بأنه « الخطأ » أو « اللحن » ، وقال : إن مراد سيبويه بالغلط ما عبر عنه غيره بالتوهم ، وذلك ابتغاء نفي الخطأ عن العرب الخُلَّص .

وأما الجواب عن السؤال الثالث ، وهو نسبة التعبير بالتوهم إلى النحاة في القديم والحديث ، فهو أن مقولة البناء على التوهم ليست من مقولات الخالفين من النحويين ، فما ابتدعوها ، ولكنهم اصطحبوها ، إذ هي من المصطلح النحوي الباكر . وحسبنا أن ننقل ما رواه « سيبويه » عن «الخليل» في تعليل قولهم « مصائب » : « توهموا أن مصيبة : فَعيلة » . ويقول « الجوهري » : « جمعوا مآقي على مآق على التوهم كما جمعوا مسيلا على أمسلة ومصيراً على مصران » . ويقول « الفارسي » : « توهم من قال

في جمع مسيل مسلان أنها زائدة للمد » . ويقول « ابن سيده » في تعليل « كل مُجْرٍ في الخلاء مُسِرٌ » : « إنما جاء على توهم أسرٌ » . ويقول « ابن منظور » في تعليل المثبوت : « أراد المثبت فتوهم ثبته » .

وأخبرني من يصنع فهارس الكتاب « لسيبويه » أن كلمة « التوهم » وردت في مواضع سبعة أو تزيد . فإذا كان هؤلاء النحاة واللغويون هم الذين عبر عنهم الأستاذ الباحث بأنهم الخالفون ، فَمَنْ قبلهم قدامى سابقون ؟ وإذا كان هؤلاء هم الذين عبر عنهم الأستاذ الباحث بأنهم جهلوا ما فطن إليه غيرهم وعقلوه ، فَمَنْ غيرهم أولئك الذين يعنيهم ويصفهم بأنهم فطناء عقلاء ؟ وما الذي اهتدوا إليه دون غيرهم بما لهم من فطن وعقول ؟.

وأما الجواب عن السؤال الرابع ، وهو منزلة المبني على التوهم من قاعدة العربية ، فإن الأنواع التي عددها الأستاذ الباحث ليس في نوع منها ما يساير العربية في مطرد قواعدها ومألوف أصولها ، ولو كانت مما هو مطرد مألوف لما أحوج ذلك علماء العربية وفقهاءها إلى محاولة تخريجها وتعليلها على نحو أو على أنحاء . فعلة القول بالبناء على التوهم هي أنها خرجت عن الأقيسة ، وجاءت على غير السَّنن ، فاقتضى الأمر إعمال الذهن في التأويل والتعليل . ومن ثم تخالفت الآراء وتعددت وجهات النظر . فما وجه القول بأن هذه الأنواع التي قيل فيها بالبناء على التوهم هي من سجية اللغة وفطرتها وسليقتها ونظامها الطبيعي وقانونها النفسي ، على حدّ ما حلا للأستاذ الباحث أن يكرره في مجرى بحثه الفياض ؟ أليست هي أنواعاً وردت في كل منها أمثلة مسموعة عن العرب بقدر ضئيل أو غير ضئيل في ذاته ، ولكنه القدر الذي لايبلغ مبلغ القاعدة الغالبة ، فاقتصر العلماء في توجيهها على الاجتهاد

والمعالجة ، واقفين فيها جميعاً أو في أغلبها عند حد المسموع لا يبيحون انتهاجه أو انقياسه ؟.

وهل من سنن العربية وقانونها الطبيعي ونظامها النفسي أن يُبنى مفعول من أفعل الرباعي ، فنقول : أكرمه فهو مكروم ، كما سمع أثبته فهو مثبوت ، أو أنبته فهو منبوت ، عند من لم يصح عنده سماع ثبته أو نبته متعدياً بنفسه ؟.

وهل من السنن منع صرف مثل أفياء وأرجاء ، كما منع صرف أشياء ؟.

وهل من السنن أن يجمع المؤنث أو المذكر غير العاقل جمع تذكير ، فيقال فأسون وشيئون ، كما سمع إوزون وإحرون ؟.

وهل من السنن أن يقال : تمسخر وتقلعن كما سمع تمدرع وتمسكن ؟

وهل من السنن أن يقال : سُيّاح وسُيّاس كما سمع صُيّام وقُيّام ؟.

ألا إن أنواع البناء على التوهم مما يخرج على أقيسة العربية ويجافي مأنوس أوضاعها ، على التفاوت فيما بينها قرباً وبعداً أو قلة وكثرة .

٣ - لا ننكر على الأستاذ الباحث أن يناقش فيما أورده النحاة من الأمثلة ، وأن يعالج تخريجها على وجه يردها إلى الطريق اللاحب في أصول العربية ، وإن يكن غير الطريق الذي سلكه الأسلاف . ولا ننكر عليه كذلك أن ينادي بإجازة ما ينجم من الألفاظ في الاستعمال العصري ، مناظراً للقليل أو النادر من المسموع ، سداً لحاجة التعبير عن دقائق المعاني أو جلائلها ، وابتغاءً للفصل بين المدلولات المتباينة للصيغ . ولكن علينا أن نسمي الأشياء بأسمائها ، ولا نحرّف الكلم عن مواضعه ، فما كان من قاعدة العربية التي تأدت إلينا فهو منها ، وما كان بابه القلة أو الندرة أو الشذوذ أبقينا عليه بوصفه ، حتى ينفتح في أمره رأي علمي يعدل به

عن ذلك الوصف ، مستنداً إلى إحصاء واستقراء ، ولنا مع ذلك أن نقرّ ما يشيع من المحدث على الأبنية القلائل أو النوادر أو الشواذ ، إذا مست إلى ذلك الحاجة في الأداء العصري ، ولم تَنْبُ عنه أذواق كتّاب العربية وأدباؤها الأبيناء .

٤ – وقد عرض الأستاذ الباحث لقضية الحروف الأصائل والحروف الزوائد ، في الكلم العربي ، وأفاض في القول بمراعاة الزوائد ، وقال بحرمتها وإقرارها إقرار الأصول . ولو وقف عند هذا الحد لأصاب وأطاب، ولكنه زاد عليه « أن قدامى اللغويين أقروه قانوناً من قوانين العربية » وأنهم « رعَوا حرمة الزائد وقرروا الاشتقاق منه » . وإني لأجهر بسؤال المستفيد : مَنِ الذي عرض لموضوع الاشتقاق في العربية من سالفي النحاة وخالفيهم دون أن يقرر قاعدة العربية في ذلك ، وهي أن الاشتقاق يقتضي تجريد الكلم من حروفه الزوائد ، وإجراء المشتقات على أساس الأصلي من الحروف ؟ من الذي قرر أن رعاية حرمة الحرف الزائد قانون من قوانين العربية المطردة ؟ من الذي قرر قياسية الاشتقاق من الزوائد دون توقف ؟ من الذي عارض القول بأن تجريد الكلم من زوائد حروفه شرط أساسي لصوغ المشتقات بوجه عام .

اللهم لا علم لنا إلا ما أعلمنا إياه فقهاء العربية وما تمرسنا به من مأثورها ، وهو أن الحروف منها زائد وأصلي ، وأن الاشتقاق يقوم على التجريد من الزوائد . و اللهم لا علم لي إلا بأن أهل العربية في عصرنا هذا لمسوا الحاجة إلى الإبقاء على الزائد من الحروف في بعض المشتقات ، وأن علماء اللغة المعاصرين وفي مقدمتهم المرحوم الشيخ « عبد القادر المغربي »

لاحظوا كثرةً من الأمثلة المسموعة جرى فيها الاشتقاق على أساس اعتبار الحروف كلها أصلية ، وأن « مجمع اللغة العربية » في القاهرة درس ذلك وناقش فيه ، وانتهى إلى قرارين مفادهما إجازة ذلك فيما يستحدث من تعبيرات المعاصرين .

ذلك مبلغ العلم ، فإن كان الأستاذ الباحث يعلم من وراء ذلك ما لم نعلم ، فإن بحثه على ما فيه من معارضة ونقاش ، وعلى ما انتهى إليه من نتائج لم يرشد إلى شيء يجدو على تغيير ما استقرت عليه في هذا الباب آراء نحاة العرب ولغوييها منذ نشأة البحث النحوي والتأليف اللغوي إلى يومنا المشهود .

٥ ولقد ناقش الأستاذ الباحث في غضون بحثه أمثلة للأنواع التي يخرّجها النحاة على أنها من وادي التوهم ، وسلك في تخريجها مسلكاً غير الذي سلكوا ، وفي وجوه التخريج مَنَادحُ لرأي ، والخلافُ عليها حقٌّ للباحثين من قبل ومن بعد ، ولكن التنازع في شأنها دليل على أنها جاءت على غير المطرد من قواعد العربية والمألوف من أوضاعها . ومن ثم نجمت حولها الآراء ، واصطرعت الأقوال ، ولو أردنا أن نعرض لما عرض له الأستاذ الباحث على سبيل التقصي لطال بنا نَفَس القول . ولا أحسب أننا منتهون إلى رأي جامع ، وقرار قاطع ، كشأن المسائل التي يدور القول فيها مدار الحدس والتخمين ، وتتعدد فيها وجوه الظنون . فحسبنا في هذا المقام أن نلمع إلى مواطن في البحث تحمل على التوقف ، وتدعو إلى المراجعة :

٦ — عرض الأستاذ الباحث للكلمات التي جاءت مجموعة بالواو

والنون لغير مذكر عاقل ، مثل أرضون وأوزون ، ولم يرتض تخريج النحاة لها ، وقال إنهم عمدوا إلى هذا التخريج إخضاعاً لتلك الكلمات لما أصّلوه من قصر الجمع بالواو والنون على المذكر العاقل . وعنده أن هذا الجمع ربما كان هو الأصل في العربية القديمة ، ثم جرى التطور مميزاً بين جمع التذكير وجمع التأنيث ، وبقيت تلك الكلمات شواهد على الأصل البائد ، وفي قول الأستاذ الباحث ما يشهد بأن ما جاء على خلاف القاعدة المطردة تتباين فيه وجوه التعليل بين مقبول ومرذول . أو ليس القول بأن صيغة الجمع بالواو والنون عامة للعقلاء وغير العقلاء إنما هو من قبيل « التوهم » الذي ينكره الأستاذ الباحث على أسلافه النحاة واللغويين ؟ أو لا يباح لغيري إن لم أستبح أنا لنفسي ، أن يتجاوز ذلك إلى القول بأن ذلك من قبيل « الوهم » الذي لم يتورط فيه أحدٌ من النحويين واللغويين ، والذي لا سند له في بيان أو تبيين ؟

٧ — وحين عرض الأستاذ الباحث لما قاله الأقدمون في علة منع صرف « أشياء » نقل عن أحد الباحثين المعاصرين قوله : لعل المسؤول عن ذلك وقوعها في القرآن الكريم ، إذ قال تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم » فلو صرفت أشياء لوقع تكرار المقطع « أن » . ولم يقتصر الأستـــاذ « الأثري » على نقل المقول المنسوب إلى الباحث المعاصر ، بل قال : « أوافقه فيما ذهب إليه » . وقد رابتني هذه الموافقة ، فهل منع صرف « أشياء » ابتداع في كتاب الله ؟ أو لم يجر في لغة العرب؟ أو لم يرد به شاهد في فصيح الكلام غير ما جاء في القرآن ؟ أو تلقفه النحاة من القرآن ليس غير ؟ وهل يمتنع صرف « أشياء » في كل مقام

رعياً ولورودها في القرآن ممنوعة من الصرف لعلة توالي الأمثال ؟

لو كان الأمر على هذا النحو ، لما أعوز النحاة التنبيه إليه ، والتوقيف عليه .

٨ — ولقد نوه الأستاذ الباحث بجملة في تعليل قولهم « تمسكن » و « تمدرع » منقولة عن « اللسان » غير منسوبة فيه لقائل ، وفيها « أن ذلك رعاية لحرمة الزائد » وقال الأستاذ الباحث إنه وجد هذه الجملة عينها في « التاج » منسوبة إلى « الخليل » . والحق أني قرأت الجملة ، فخامرني الشك في نسبتها إلى إمام العربية « الخليل » ، فالمأثور عنه أحكام مقتضبة ، وكلمات قصار ، وهذه الجملة فيها إشراق بيان ، ومزيد إيضاح ، وفضل إطناب ، وذهب بي الظن إلى أنها بكلام « ابن جني » أشبه ، وما زلت وراءها حتى وجدتها في « الخصائص » في باب « الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني » ، فليس « للخليل » فيها — إن كان له فيها شيء — إلا صدرها الذي يسرد الاستعمال اللغوي . وأما التوجيه والتعليل فهو « لابن جني » بأسلوبه الأدبي المطنب المعجب . وما أقول هذا توهيناً للرأي ، ولا إنقاصاً من قدر الاستئناس بقول « ابن جني » — وهو من هو — ولكني أبغي توثيق النص ، وتحقيق النسبة ، وتصحيح ما ورد في نسخة « التاج » .

٩ - والذي يتعلق بالمجمع — « مجمع القاهرة » — فيما عرض له الأستاذ الباحث قراران في توهم أصالة الحرف الزائد ، فقد نقل نص القرارين ، وعقب بقوله : « وليس الشأن في المسألة كذلك » ، « فإن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة اللغوية هو غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع » . ومع هذا التعقيب نرى الأستاذ الباحث قد استعار

في تقريره للموضوع كل ما عبر به « المجمع » فيما قرر . فالمجمع يقول : « إن هذا التوهم ضرب من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون ودعمها المحدثون » والأستاذ الباحث يقول : « إن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة اللغوية هو حرمة الزائد في الكلمة » فما معنى قوله مع ذلك : « إن ما فطن له المتقدمون غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع » ؟

محور الخلاف بين المجمع والأستاذ الباحث أن المجمع يرى « أن توهم الأصالة لم يبلغ درجة القاعدة العامة » ، ومع ذلك أجازه في المستحدث من التعبير الشائع . وأما الأستاذ الباحث فيقول : « فطن قدامى اللغويين إلى هذا النظام ... فأقروه قانوناً من قوانين العربية ، ولكن جهل الخالفون أو قلةٌ منهم هذا القانون » . ولو صح أن ذلك قانون العربية — كما يقول الأستاذ الباحث — لركن إليه « المجمع » فأراح واستراح ، ولكن قانون العربية إنما يقوم أصلًا — دون جدال — على أن التصرف في الكلمة يتطلب تجريدها من الزوائد لامحالة ، وما سمع على غير هذا الوجه قليلٌ ، خارجٌ عن مطرد القواعد والأصول ، وقد رأى « المجمع » إجازة ما يستعمله المحدثون على هذا الغرار ، إذا اشتهر ومست إليه الحاجة . وفي ذلك بلاغ .

١٠ - وكل ما قدمه الأستاذ الباحث يدور حول استنكار التعبير « بالتوهم » ، ولكن هذا الاستنكار لا يقدم ولا يؤخر في الحكم العلمي على الأنواع التي يساق في توجيهها التعبير بالتوهم ، أو ما يرادفه في الدلالة والإبانة . فما يقال فيه إنه مبنى على التوهم هو ما خرج عن محكم القواعد ومطرد الضوابط ، لا نزاع ولا دفاع .

على أن التعبير بالتوهم بمعنى التمثل والتخيل ، أو المشابهة والمشاكلة ، تعبير لا وصمة فيه ولا استنكاف منه . فهو مصطلح نحوي معرق في القدم ، استعمله « الخليل » و « سيبويه » و « الجوهري » و « أبو علي الفارسي » و « ابن سيده » وغيرهم . ولو أننا استبدلنا به غيره ، مما يرادفه أولا يرادفه لبقيت الأنواع المندرجة تحته على حالها من الحكم عليها بمجافاة القواعد العامة والأقيسة الجامعة ، وإن دار الخلاف حول أمثلتها في التوجيه والتعليل والتخريج ، وفي أن بعضها صادق على نوعه أو غير صادق ، خليق أن يؤخذ به أو غير خليق .

محمد شوقي أمين
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

بعض مراجع البحث :

١ - كتاب سيبويه : ج ١ ص ٤٥٣ - ج ٢ ص ٣٦٧

٢ - صحاح الجوهري : مادة مأق ، ومادة سال .

٣ - خصائص ابن جني : باب الرد على من ادعى عناية العرب بالألفاظ وإغفالها المعاني - باب معرفة أغلاط العرب - الكلام على صنيف وصنيفن .

٤ - مخصص ابن سيده : ج ١٤ ص ٢٠

٥ - لسان ابن منظور : مادة أسر ، ومادة نور .

٦ - شرح المفصل لابن يعيش : باب العطف .

٧ - مغني ابن هشام : باب العطف .

٨ - تاج الزبيدي : مادة درع ، وسكن ، وسال ، ومسل .

٩ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : بحوث المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي في التوهم: المجلدات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣ ، ٢٧

١٠ - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : بحوث التوهم ج ٧ ، و ج ٩ وكتاب المجمع الحاوي « لمجموعة القرارات العلمية » .
وكتابه : في أصول اللغة ، ج ١

نص مستدرك من كتاب العبر

القسم الثاني ـ الخلافات بين المصور والمطبوع

الأستاذ رياض عبد الحميد مراد

ص : س[1]	في المطبوع	في المصور
١ : ٩	قرأ على أحمد بن محمد	قرأ القراءات على أحمد بن محمد
١ : ١٣	وعبدالرحيم بن محمد بن أحمد بن محمد	وعبد الرحيم بن محمد بن حمد بن محمد
٤ :ـ ٢	الرازي وقال	الرازي فوعظه وقال
٧ : ١	محمد بن أحمد بن نصر سبط حسين	محمد بن أحمد بن نصر الأصبهاني سبط حسين
٨ : ١	ومكي بن ربان	ومكي بن ريّان
٩ : ٤	ورتبت البلاد ثم قال الخطاي	وزينت البلاد ثم قال الخطائي
١٤ : ٦	وأسمعه أبوه من القاضي أبي العباس بن أبي الحصين[2]	وأسمعه أبوه القاضي أبو العباس من ابن الحصين

(١) اشارة (ـ) قبل الرقم تعني أن عدّ الأسطر يبدأ من الأسفل .

(٢) بدت العبارة وكأنها اسم لشخص واحد ، والواقع انها شخصان الأول : =

١٥ : ٣	تَسَلَ ملك الكرج	ابواي ملك الكرج
١٦ : ٨	إلى نزل بقربهم وكان في المصاف	إلى أن نزل بقرب مكان المصاف
١٨ : ١٧	فبالغ في كرمه	فبالغ في إكرامه
١٩ : ٥	والعلاء مجد الدين	والعلامة (١) مجد الدين
١٩ : ٩	يحيى بن سعدون الفرضي	يحيى بن سعدون القرطبي (٢)
٢٠ : ٧	على ابن النجيب السهروردي	على أبي النجيب السهروردي
٢٢:٣و١٣	وسعد بن أبي الرجاء	وسعيد (٣) بن أبي الرجاء
٢٢ : ٥	تقي الدين الواسطي	تقي الدين ابن الواسطي
٢٨ : ١٢	توفي في شوال	توفي في شوال . ورثي بمراث كثيرة
٢٨ : ١٤	يوسف بن بندار الدمشقي وغيره	يوسف بن بندار وغيره

= أبو العباس أحمد بن بختيار القاضي والد صاحب الترجمة ، والثاني هبة الله بن محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحصين أبو القاسم انظر المنتظم ١٠/٢٤ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٢٥٠ ، والمختصر المحتاج إليه ١/١٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/٢٣ ، والوافي ٢٧/١٣٢

(١) كذا في الأصل . ويبدو أن لفظة العلاء ليست من ألقابه انظر معجم الأدباء ١٧/ ٧١ ، وانباه الرواة ٣/٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ٤/١٤١ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٤٠٨ وفيه سرد لمصادر أخرى كثيرة .

(٢) انظر في ترجمته معجم الأدباء ٢٠/١٤ ، ووفيات الأعيان ٩/١٧١ ، والعبر ٤/٢٠٠ ، وغاية النهاية ٢/٣٧٢ ، وبغية الوعاة ٢/٣٣٤ ، ونفح الطيب ٢/١١٦

(٣) كذا هو في العبر ٤/٨٧ ، والشذرات ٤/٩٨

٣٠ : ٨	الناصر محمد بن محمد بن يعقوب	الناصر محمد بن يعقوب (١)
٣٧ : ٨	بجاية وقسطنطينية	بجاية وقسنطينة
٣٩ : ٢	عن السلفي والموجودين وسكن	عن السلفي والموجودين ورحل سنة أربع وسبعين وكتب عن الموجودين وسكن
٣٩ : ١٥	صاحب اليمن سيف الإسلام	صاحب اليمن ابن سيف الإسلام
٤٠ : ٣	صاحب دهلة	صاحب دبلة
٤٠ : ٧	وله بضع وستون سنة	وله بضع وثمانون سنة
٤٢ : ٦	وأبي مهراة زرعة والمقدسي ابن عبد الجليل	وأبي زرعة المقدسي، وبهراة من عبد الجليل
٤٢ : ١٤	وأبو الحسن بن الصبوغ	وأبو الحسن بن الصباغ
٤٣ : ١١	والوجيه الدهان	والوجيه ابن الدهان
٤٥ : ـ٢	روى عن الكريمي	روى عن الكديمي
٤٧ : ٤	والعزيز محمد	والعز (٢) محمد
٤٧ : ١١	ذا فنون وصفة بالمروءة	ذا فنون ثم وصفه بالمروءة
٤٩ : ١	توبعته	وتبعته
٤٩ : ٢	واستحثّ العادل ملوك النواحي وتأخر	واستحثّ العادل ملوك النواحي على النجدة وتأخر

---

(١) كذا هو في الشذرات ٣٦/١ وسيرد اسم الملك الناصر على وجهة الصحيح في العبر نفسه بعد صفحات ٣٦/٥

(٢) كذا لقبه في التكملة ٢٥٢/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٧/١٣ ، ومجمع الألقاب ٣١٩/١/٤ ، وذيل الروضتين ٩٩

٤٩ : ١١ وكان متقنناً ضابطاً	وكان متقناً ضابطاً
٥٠ : ١ وصالح ابن الرحلة	وصالح ابن الرّحلة (١)
٥٠ : ٥ لقراءة القرآن	لاقراء القرآن
٥٠ : ـ ٢ الربعي الشافعي	الدمشقي (٢) الشافعي
٥١ : ٨ محمد بن جبير	محمد بن أحمد بن جبير (٣)
٥٢ : ٣ أكثر عنه ابن الأبار	أكثر عنه الابار (٤)
٥٤ : ـ٤ أجرت كل قطرة	أجرت بكل قطرة
٥٦ : ـ٤ ثم عن ابنه	ثم عن أبيه (٥)
٥٧ : ـ٢ وكتاب شرح الإرشاد	وكتاب الإرشاد
٦٠ : ٤ أبو العباس الحربي	أبو العباس الحَرِيمي (٦)
٦٠ : ١٠ وابن ملاعب زين الدين	وابن ملاعب ربيب الدين (٧)

(١) كذا هو في العبر ٤/٢١٤ ، والشذرات ٤/٢٤١ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/٢٧٥

(٢) كذا هو في التكملة لوفيات النقلة ٤/٣٠٣ ، ومعجم البلدان « حرستا» ، وذيل الروضتين ١٠٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/١٣٦

(٣) كذا هو في سير أعلام النبلاء ١٣/١٢٨ ، وطبقات القراء ٢/٦٠ ، والشذرات ٤/٢٨٨ والتكملة لوفيات النقلة ٤/٢٨٨ وفيه سرد لمصادر أخرى

(٤) وكذا في الشذرات ٥/٦١

(٥) وكذا في الشذرات ٥/٦٣ ، وانظر قضاة دمشق ٥٥

(٦) وكذا هو في المختصر المحتاج إليه ١/١٨٢ ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٤٢٤ وفيه ذكر لمصادر أخرى

(٧) كذا هو في سير أعلام النبلاء ١٣/١٣٨ ، والمختصر المحتاج إليه ٢/٦٢، الشذرات ٥/٦٧ ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٣٦٨ وفيه سرد لمصادر أخرى

٦٤ : -٦	بخارى وقتلوا	بخارى وسمرقند وقتلوا
٦٥ : ٣	ليشتوا على الساحل	نيشتوا على الساحل
٦٩ : ٧	وأبي سعد الأسعد القشيري	وأبي الأسعد القشيري (١)
٧٠ : ٨	فتقاذفت به البلاد ، ثم رمته	فتقاذفت به البلاد وألقته بالهند ثم رمته
٧٣ : -٢	الخيُوقي	الخِيُوَقِيُّ (٢)
٧٤ : ١	خيوق	وخيوق (٢)
٧٤ : ١٠	من غنيم الحوجاني	من تميم الجرجاني (٣)
٧٥ : -٦	وخليل الرازي	وخليل الراراني (٤)
٧٦ : ٥	سنة تسع عشر وست مئة	سنة تسع عشرة وست مئة
٧٨ : -٢	عن رفاعة	عن ابن رفاعة (٥)
٨٠ : ٤	بن الصلاح يقول	بن الصلاح المفتي يقول
٨١ : ٥	لم تنشر	لم تنتشر

(١) وكذا هو في العبر ١٢٥/٤

(٢) خيوق بفتح أوله . وقد يكسر ، وسكون ثانية وفتح الواو وآخره قاف : بلد من نواحي خوارزم وحصن بينها نحو خمسة عشر فرسخاً وأهل خوارزم يقولون : خيوه ، وينسبون إليه : الخيوقي . « معجم البلدان »

(٣) وكذا هو في العبر ٨٥/٤

(٤) وكذا هو في العبر ١٩١/٤ وسير أعلام النبلاء ٦١/١٣ ، والشذرات ٣٢٣/٤ ونسبته إلى راران احدى قرى أصبهان .

(٥) وكذا هو في الشذرات ٨٨/٥

٨١ : ٧	أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن	أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن (١)
٨٢ : ٢	وكان من سلم من أهلها	وكان من أسلم من أهلها
٨٣ : ٣	عبد العزيز السماني	عبد العزيز السماتي (٢)
٨٣ : ٧	وابن الحبّاب	وابن الجبّاب (٣)
٨٤ : -٨	والشيخ علي القرَنْتي	والشيخ علي القَرْفَشي (٤)
٨٥ : ١	والكبار ، وبالاسكندرية	والكبار بالاسكندرية
٨٥ : ٩	له ذكر مفرط	له ذكاء مفرط
٨٦ : ٣	محمد بن مخلفتن	محمد بن تَخْلُفتن (٥)
٨٦ : ٧	محمد بن سعدون	يحيى بن سعدون (٦)
٨٨ : ٧	وكان مشتغلا بالأمور	وكان مستقلا بالأمور
٨٩ : ١	في التفنن في العلوم وما سمعت	في اليقين وما سمعت

(١) وكذا هو في الشذرات ٥/٩٤

(٢) وانظر في ترجمته : التكملة لكتاب الصلة ٦٢٨ ، وطبقات القراء ١/٣٩٥ ، ونفح الطيب ٢/٦٣٤ ، ومعجم المؤلفين ٥/٢٥٤

(٣) تقدمت ترجمته في مجلد ٥١ ص ٥٥٠ ه ١

(٤) كذا هو في تنبيه الطـــالب ١٧٤ ، والدارس ٢/٢٠٦ ، والشذرات ٥/٩٥ - والقلائد الجوهرية ١/١٩٧

(٥) وانظر في ترجمته التكملة لكتاب الصلة ٧٥١ ، والشذرات ٥/٩٦

(٦) انظر التعليق على الصفحة ١٩ : ٩

٩٠ : ٥ الدينوري	الدميري (١)
٩٠ : -٣ بمصر والاسكندرية وتوفي	بمصر والاسكندرية وقوص وأماكن(٢) وتوفي
٩٢ : ٤ من حفدة العُطاردي	من حفدة العطّاري (٣) وسترد كذلك في ص ١٥٩ س - ٥
٩٨ : -٣ شَهْدَة	شُهدة (٤)
٩٩ : -٧ توفي في سابع عشر ذي الحجة	توفي في سابع (٥) ذي الحجة
٩٩ : -١ وحجة الدين الحقيقي	وحجة الدين الحفيفي (٦)
١٠٠ : ٣ عن الفخر الرازي النوقاني	عن الفخر النوقاني
١٠٠ : -٨ وسمع المسند كله لابن حنبل	وسمع المسند كله من حنبل (٧)

(١) كذا في الشذرات ، وانظر في ترجمتــه معجم البلدان « دميرة » ، وذيل الروضتين ١٤٧

(٢) وكذا في الشذرات ١٠١/٥

(٣) انظر في ترجمته المنتظم ٢٧٩/١٠ ، ووفيات الأعيان ٢٣٨/٤ ، والعبر ٥/٤ ، الوافي ٢٠٣/٢ ، والشذرات ٢٤٠/٤

(٤) كذا في الأصل بضم الشين وهي كذلك في سير أعلام النبلاء ٢٧٥/١٢ ، والمشتبه ٥٠٣

(٥) وكذا في الشذرات ١١٤/٥

(٦) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٣

(٧) هو حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة راوي المسند عن ابن الحصين توفي سنة ٦٠٤ هـ وانظر في ترجمته ذيل الروضتين ٦٢ « وذكر فيه سماع الملك المعظم عيسى المسند عليه بالكلامة » وسير اعلام النبلاء ٩٨/١٣ ، والعبر ١٠/٥

١٠٣ : ١ أحمد بن شرويه	أحمد بن شيرويه [١]
١٠٥ : ٨ بعد أشهر	بعد شهر
١٠٥ : -٧ شمس الدين بن الحسين	شمس الدين الحسين [٢]
١٠٦ : -٧ ومحمد بن أبي حرب	ومحمد بن محمد بن أبي حرب [٣]
١٠٦ : -٦ وهبة الله بن الشبلي	وهبة الله الشبلي [٤]
١٠٦ : -٤ وأبو نصر المهذب بن علي قتيدة [٥]	وأبو نصر المهذب بن علي بن قتيدة
١١١ : -٦ والرضي الرخّي	والرضي الرحبي [٦] وسترد كذلك في ص ١٢٧ س ٤

(١) وكذا هو في استدراك ابن نقطة — نسخة الظاهرية ١/٣٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٤/١٣

(٢) انظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٣

(٣) وكذا اسمه في سير أعلام النبلاء ١٩٢/١٣ ، والشذرات ١١٩/٥

(٤) في سير أعلام النبلاء ٢٣٦/١٢ أنه يجوز الوجهان

(٥) يفهم من هذه العبارة أن قتيدة هو علي ، والذي في سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩٨ أن قتيدة من أجداد صاحب الترجمة لأن اسمه « المهذب بن علي بن أبي نصر هبة الله بن عبد الله بن قتيدة الأزجي الخياط المقرىء أبو نصر » وانظر الشذرات ١٢١/٥

(٦) كذا في سير أعلام النبلاء ٢١٢/١٣ ، وطبقات الأطباء ١٩٢/٢ ، ونسبته إلى بلدة الرحبة لأنه ولد فيها ثم رحل مع أبيه إلى دمشق سنة ٥٥٥ ، وسيترجم له الذهبي بعد ورقات في وفيات سنة ٦٣١ ص ١٢٧ من هذا الجزء .

١١٢ : - ٧	روى عن أبي الوقت غير مرة	روى عن أبي الوقت وغيره (١)
١١٢ : -٦	زين الدين أبو الحسن	زين الدين أبو الحسين (٢)
١١٣ : -٣	فاتفق	فأنفق (١)
١١٣ : -٥	وكان إماماً متقناً	وكان إماماً متقنتاً
١١٣ : -٤	قال السيف بن المجد : لم يُرَ	قال السيف بن المجد : لم نر
١١٤ : ١	خوارزم منكوبري	خوارزم شاه منكوبري
١١٤ : ٣	ابن خوارزم شاه أتسز	ابن خوارزم شاه أرسلان بن خوارزم شاه أتسز
١١٤ : ٩	في أول حدهم وحدتهم	في أول جدهم وحدّتهم
١١٥ : ٣	ومن خليل الرازاني	ومن خليل الرارانى (٣) وسترد في ص ١٢٦ س ٥
١١٥ : -١	الطيب النسابوري الفيلسوف	الطيب الفيلسوف (٤)
١١٦ : -١	وسمع من البطي	وسمع من ابن البطي (٥)

---

(١) كذا في الشذارت ١٢٩/٥

(٢) وكذا هي كنيته في سير أعلام النبلاء ٢٠٠/١٣ ، والشذرات ١٢٩/٥

(٣) انظر الملاحظة على الصفحة ٧٥ س - ٦

(٤) وكذا في الشذرات ١٣٢/٥

(٥) وكذا هو في العبر ١٨٨/٤ ، وسير أعـلام النبلاء ٢٦٠/١٢ ، والشذرات ٢١٣/٤

١١٧ : ٦	يحيى بن يونس	يحيى بن بوش (١)
١١٨ : ٣	والدتقي الدين محمد.قيل روى	والد تقي الدين إسماعيل (٢) . روى
١١٨ : -٣	وإسماعيل بن سلمان	وإسماعيل بن سليمان (٣)
١١٩ : ١	والأوهي	والأوَقي (٤)
١٢١ : ١٠	علي بن كوجك	علي كوجك (٥)
١٢١ : -٨	اللطيف القدر	اللطيف القد (٦)
١٢٣ : ٧	ومقدم الجيش صواباً	ومقدم الجيش صواباً الخادم (٧)
١٢٥ : ٤	إلى دمشق ثم عزل	إلى دمشق ودرس بالعزيزية ثم عزل
١٢٥ : ٧	والقرطبي أبو عبد محمد بن عمر	والقرطبي أبو عبد الله محمد بن عمر

(١) وكذا في الشذرات ١٣٣/٥ وهو يحيى بن أسعد بن يحيى بن محمد بن بوش ، أبو القاسم البغدادي الأزجي الخباز ، انظر في ترجمته : العبر ٢٨٣/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥٦/١٣ ، والشذرات ٣١٥/٤

(٢) كذا في مرآة الجنان ٦٩/٤ ، والشذرات ١٣٥/٥

(٣) كذا في الشذرات ١٣٥/٥

(٤) نسبته إلى « اوَه » بكسر أوله أو بفتحه وأدخلت القاف في النسب بدلاً من الهاء . انظر معجم البلدان « اوه » وسير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٣

(٥) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٣ ، والشذرات ١٣٨/٥

(٦) كذا في سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٣

(٧) انظر الكامل لابن الاثير ٤٩٨/١٢ ، ومرآة الجنان ٨٣/٤ ، وسيترجم له الذهبي في العبر ١٢٨/٥

١٢٥ : ٨	وسمع من عبد العزيز بن الفراوي وقرأ	وسمع من عبد المنعم الفراوي وطائفة وقرأ (١)
١٢٥ : ٨	الملك العزيز مدمر دولته	الملك العزيز ومدبر دولته
١٢٨ : -٣	وابن ماسويه	وابن باسويه(٢) . وسترد كذلك في ص ٣٥٢ س — ٩، و ٣٦٠ س ١٠ و ٣٦٧ س — ٢
١٢٩ : ٨	عمر بن محمد بن التيمي	عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد التيمي(٣)
١٣٠ : ٣	ومحمد بن عبد الواحد بن أبي سعيد المديني	ومحمد بن عبد الواحد بن أبي سعد المديني(٤)
١٣١ : -٤	محمد بن أحمد بن شاذه	محمد بن أحمد بن ماشاذه (٥)
١٣١ : -٤	وأكثر عن الترك	وأكثر عن الترك وطبقته (٦)

(١) كذا في الشذرات ٥/١٤٥ وانظر ترجمه الفراوي في العبر ٤/٢٦٢

(٢) في الشذرات ٥ / ١٤٩ لابن باشويه ، وانظر ترجمته في طبقات القراء ١/٥٦٢

(٣) وكذلك هو في الشذرات ٥/١٥٣ وانظر الأعلام ٥/٢٢٣ ففيه سرد لمصادر أخرى .

(٤) كذا هو في سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٥ ، وقد وقع التصحيف ذاته في الشذرات ٥/١٥٥

(٥) ترجم له الذهبي في العبر ٤/٢١٥

(٦) الترك لقب أبي العباس أحمد بن أبي منصور أحمد بن محمد بن محمد بن ينال الأصبهاني الصوفي . توفي سنة ٥٨٥ وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩ والعبر ٤/٢٥٥

١٣٣ : بعد ٧		(*)وفيها أخذت الفرنج قرطبة واستباحوها فإنا لله وإنا إليه راجعون (١)
١٣٥ : -٦	محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سليمان الصوفي	محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سلمان (٢) الصوفي
١٣٥ -٣	محمد بن محمد بن محمد بن أبي المفاخر	محمد بن محمد بن أبي المفاخر (٣)
١٣٦ : -٣	الملك المحسن عين الدين	الملك المحسن عين الدين
١٣٧ : ٣	وأحمد بن أحمد بن محمد بن صديق	ومحمد بن أحمد بن محمد بن صُديق (٤)
١٣٨ : -٦	من أبي موسى المديني . وله	من أبي موسى المديني والترك (٥) . وله
١٣٨ : -٣	في الأصلين والشذرات «ابتسه»	في الأصلين والشذرات «أنيشة»
١٣٩ : ١	عبد القادر بن عبد الظاهر	عبد القادر بن عبد القاهر (٦)
١٣٩ : -٩	ارسلان بن سلجوق . كان	ارسلان السلجوقي وكان
١٤٠ : ٤	محمد بن عبد الملك، الظاهر غازي	محمد بن الملك الظاهر غازي
١٤١ : ١	هبة الله بن الشبلي وأمه كمال بنت السمرقندي	هبة الله بن الشبلي وكمال بنت السمرقندي

(١) سقط هذا السطر كله من المطبوع

(٢) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ٢١٩/١٣

(٣) وكذا هو في الشذرات ١٦١/٥

(٤) انظر ترجمته في تبصير المنتبه ٨٣٤/٣

(٥) انظر ماتقدم في التعليق على الصفحة ١٣١ س — ٤

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٩٨/٦ والشذرات ١٦٧/٥

١٤١ : ٢	أم عبد الله الخزعية	أم عبد الله الحريعية (١)
١٤٢ : -٨	إحدى وثمانين سنة. راو حجة	إحدى وثمانين سنة راجحة .
١٤٢ : -٦	وأبي المعالي بن النحاس	وأبي المعالي بن اللحاس (٢)
١٤٢ : -٥	وأجاز له سعيد الثقفي	وأجاز له مسعود الثقفي (٣)
١٤٣ : ٣	عبد الله بن عبد الرحمن ابن عبد العزيز بن علوان	عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان (٤)
١٤٨ : ٦	وطلب عمه ابن إسماعيل من بعلبك	وطلب عمه من بعلبك إسماعيل
١٤٩ : -٧	أبو الفضل الهمذاني	أبو الفضل الهمْداني (٥)
١٥١ : -٧	أبي بدّاس	أبي بدّاس (٦)

(١) انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ٢٤٤/١٢

(٢) هو أبو المعالي محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الحريمي العطار عرف بابن الجبان اللحاس . توفي سنة ٥٦٢ هـ وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ٢٥٦/١٢ والعبر ١٧٩/٤

(٣) انظر في ترجمته سير اعلام النبلاء ٢٥٧/١٢ والعبر ١٧٩/٤

(٤) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ١٩٥/١٣ ، والشذرات ١٧٠/٥

(٥) هو أبو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله أبي البركات بن جعفر بن يحيى بن أبي الحسن بن منير بن أبي الفتح الهمداني الاسكندراني المالكي . انظر سير أعلام النبلاء ٢٢٨/١٣ ، وطبقات القراء ١٩٣/١ . وقد وقع التصحيف ذاته في الشذرات ١٨٠/٥

(٦) اللفظة محرفة أيضاً في الشذرات ١٨٢/٥ والصحيح في سير أعلام النبلاء ٢٣٣/١٣

١٥٥ : ـ٤	وزير إربل وقاضيها	وزير إربل وفاضلها [١]
١٥٦ : ٢	عبد الوهاب بن حبة	عبد الوهاب بن أبي حبة [٢]
١٥٦ : ٥	في عشر مجلدات.وله ديوان شعر . سلم	في عشر مجلدات . سلم
١٥٨ : ـ٥	بن نصر الله بن طعان	بن نصر الله بن طُغان [٣]
١٦٠ : ٤	وإسماعيل بن مظفر	وإسماعيل بن ظفر [٤]
١٦٣ : ـ٨	محمد بن يحيى بن البغدادي	محمد بن يحيى بن مظفر البغدادي [٥]
١٦٤ : ٥	الزين بن عبد الملك	الزين أحمد بن عبد الملك [٦]

(١) كذا هي في الشذرات ١٨٦/٥ ولم يذكر الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣١/١٣ أنه كان قاضياً

(٢) كذا في سير أعلام النبلاء ٢٣٢/١٣ اثناء ترجمة ابن المستوفي . وانظر في ترجمة ابن أبي حبة سير أعلام النبلاء ٥٢/١٣ واسمه فيه « أبو يسر عبد الوهاب ابن هبة الله بن أبي يسر عبد الوهاب بن علي بن أبي حبة البغدادي الطحان ولد سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٥٨٨ ، وله ترجمة في الجزء الرابع من العبر ص ٢٦٦

(٣) كذا هي في سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٣

(٤) هو أبو الطاهر إسماعيل بن ظفر بن أحمد بن إبراهيم بن مفرج بن منصور بن ثعلب بن عيينة المندري المصري النابلسي ثم الدمشقي الحنبلي . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣٩/١٣

(٥) هو أبو بكر محمـــد بن يحيى بن مظفر بن علي بن نعيم البغدادي الشافعي القاضي المعروف بابن الحبير انظر سير أعلام النبلاء ٢٤٥/١٣ والشذرات ٥ / ٢٠٥

(٦) كذا هو في الشذرات ٢٠٧/٥

١٦٥ : -٥	وعبد العزيز بن مكي ، أبو محمد	وعبد العزيز بن مكي بن كرسا ، أبو محمد (١)
١٦٦ : -٣	محمد بن الناصر أحمد بن أحمد ابن المستضيء	محمد بن الناصر أحمد بن المستضيء (٢)
١٦٧ : -٦	ولد سنة ثلاث وثمانين	ولد سنة إحدى وثمانين (٣)
١٦٧ : -٢	والأعز بن كريم	والأعز بن كرم (٤)
١٧٠ : ١	روى عن ابن البطي وجماعة	روى عن ابن البطي وأبي زرعة وجماعة (٥)
١٧٥ : ٥	إبراهيم نبهان	إبراهيم بن نبهان (٦)
١٨٧ : -٥	علي بن منصور	علي بن أبي عبد الله الحسين بن علي بن منصور (٧)
١٨٠ : ٩	محمد بن محمود بن الحسن البغدادي	محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي (٨)

(١) كذا هو في الشذرات ٥/٢٠٨

(٢) كما في سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٨ ، والشذرات ٥/٢٠٩

(٣) كذا هو في سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤١ . وفي الشذرات ٥/٢٠٩ « سنة احدى أو اثنتين وثمانين وخمسمائة » .

(٤) وكذا في الشذرات ٥/٢١٠

(٥) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ١٤/٢٤١ ، والشذرات ٥/٢١٢ وفي كتبنا أن ابن أبي الفخار روى عن أبي زرعة المقدسي بالاضافة إلى ابن البطي وجماعة أخرى .

(٦) وكذا في الشذرات ٥/٢١٨

(٧) وكذا في سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٨ ، والشذرات ٥/٢٢٣ ، وكنية أبيه في سير أعلام النبلاء « أبو عبيد الله » .

(٨) وكذا في سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥١ ، والشذرات ٥/٢٢٦

١٨٠ : -٤	والمنتخب	والمنتجب (١)
١٨٠ : -٢	شرحاً للزمخشري	شرحاً لمفصل الزمخشري
١٨٤ : -٦	المحدث . روى	المحدث المقيد . روى
١٨٩ : ١٠	من السلفي والكثير	من السلفي الكثير
١٩٢ : ٧	وكان بها خير الدين ابن الشيخ وعسكر وملكتها	وكان بها فخر الدين ابن الشيخ وعسكر فهربوا وملكتها
١٩٢ : -٣	وساق مملوكاً حافظاً بأعلى البرية	وساق مملوكه اقطايا على البرية (٢)
١٩٥ : ١	ذا عقل وقاسى شدائد	ذا عقل ورأي ودهاء وشجاعة وكرم . سجنه السلطان سنة أربعين وقاسى شدائد،
١٩٥ : ٧	وتوفي في رجب	وتوفي في رجب عن ثمانين سنة
١٩٥ : -٤	فتحصنوا بقرية تيه ابي عبدالله	فتحصنوا بقرية مُنية (٣) أبي عبد الله
١٩٦ : -٦	تقدر بمملكة	بقدر مملكة
١٩٨ : ١	والخاصلية	والخاصكية
١٩٨ : ٤	إسماعيل بن العادل	إسماعيل بن العادل وطائفة
٢٠٣ : ٢	الربعي اليماني البغدادي	الربعي البغدادي

---

(١) وهو كذا في سير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٣ وطبقات القراء ٣١٠/٢

(٢) انظر مرآة الجنان ١١٦/٤ ، ومرآة الزمان ٧٧٤/٨ وسيترجم لأقطايا في العبر ٢١١/٥

(٣) في مرآة الجنان ١١٧/٤ « بينة » . ويبدو أنها منية أبي عبد الله القرية من دمياط في الأراضي المصرية انظر مرآة الزمان ٧٧٩/٨ وذيل الروضتين ١٨٤ ، والسلوك ٣٥٦/١

٢٠٤ : ٦	أبي الفتح المني	أبي الفتح بن المني (١)
٢٠٤ : ٩	وجمال الدين ابن مطروح المصري	وجمال الدين ابن مطروح الأمير الصاحب أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح المصري (٢)
٢٠٦ : ٦	وكان متشيعاً بليغاً	وكان منشئاً بليغاً
٢٠٧ : ٨	أقسيس الكامل	أقسس بن الكامل (٣)
٢٠٨ : ٧	المالكي . راوي صحيح مسلم	المالكي الخياط راوي صحيح مسلم
٢٠٨ ت-٨	ومن بدر الخُذاداذي	ومن بدر الخذاداذي
٢٠٩ : ٢	خيراً متميزاً وكان سرياً	خيراً متميزاً ذكياً سرياً
٢٠٩ : -٧	سمع عبد الحق بن توبة	سمع عبد الحق بن بونة (٤)
٢٠٩ : -٦	ونظر على بن أبي العباس	ونظر على أبي العباس
٢١٠ : ٧	المعز ايبك	المعز عز الدين ايبك
٢١٣ : ٤	أصحاب أبي القاسم	أصحاب الحافظ أبي القاسم

(١) هو نصر بن فتيان بن مطر ، أبو الفتح بن المني النهرواني الحنبلي وانظر في ترجمته العبر ٤/٢٥١ . وسير أعلام النبلاء ١٣/٣٢ وهو في الشذرات ٥/٢٤٦ في ترجمته ابن أخيه .

(٢) وكذا في الشذرات ٥/٢٤٧

(٣) وردت ترجمة أقسس بن الكامل في سير أعلام النبلاء ١٣/٢٠٢

(٤) وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد العبدري المالكي المعروف بابن البيطار . توفي سنة ٥٨٧ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٦٣

٢١٤ : ٤	وكيل بيت المال . ولد	وكيل بيت المال بدمشق . ولد
٢١٥ : ٧	محمد بن أبي بكر بن المقرىء بالألحان	محمد بن أبي بكر بن أحمد بن خلف المقرىء بالألحان (١)
٢١٦ : ٥	ووقع شيء كثير من الدور وأهلها	ووقع شيء كثير من الدور على أهلها
٢١٦ : -٦	وسار ناجو نوين	وسار باجو نوين
٢١٧ : -٧	أبو بكر بن عبد الله	أبو بكر عبد الله (٢)
٢١٨ : -٢	صوام قانت	صوام قوام خائف قانت
٢٢٠ : -٤	فيها صاحب مصر	قتل صاحب مصر
٢٢٠ : -٢	وفرّ أمينه	وفرامينه (٣)
٢٢١ : ١	وهو صبي مع ثقة الدين	وهو صبي ثقة الدين
٢٢٤ : ٦	محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل	محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل (٤)
٢٢٥ : -٤	ناجو	باجو
٢٢٦ : -٦	بناجو	بباجو
٢٢٧ : -٣	التميمي	التيمي (٥)
٢٢٧ : -٢	تقدم في سنة خمس	تقدم في سنة خمسين (٦)

(١) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٨/١٣ والشذرات ٢٦١/٥

(٢) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٨/١٣ والشذرات ٢٦٥/٥

(٣) فرامين جمع للفظة التركية : فرمان .

(٤) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٩/١٣ ، والشذرات ٢٦٩/٥

(٥) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣٠٤/١٣ ، والشذرات ٢٧٤/٥

(٦) تقدم في العبر ٥/٥٢٠ وهي سنة خمسين وست مئة

٢٢٨ : ٣	من أبي الفرج	من أبي الفتوح (١)
٢٢٩ : ٤	الخشوعي وطائفة	الخشوعي والقاسم (٢) وطائفة
٢٣٢ : ٨	متبحراً في علوم الحديث	متبحراً في فنون الحديث
٢٣٣ : -٨	أبو عمر عثمان	أبو عمرو (٣) عثمان
٢٣٤ : -٧	عاش ثلاثاً وثمانين سنة	عاش ثلاثاً وثلاثين سنة (٤)
٢٣٥ : ٤	وأحمد الموازيني	وأحمد بن الموازيني (٥)
٢٣٧ : -٨	ولد سنة ثمان وخمس مئة .سمع	ولد سنة ثمانين وخمس مئة (٦) وسمع
٢٣٨ : -٧	ثم كروا عليهم واشتد	ثم كروا عليهم فقتلوا خلقاً واشتد
٢٣٩ : ٥	ولد سنة ست وخمس مئة	ولد سنة ستين (٧) وخمس مئة
٢٤٤ : ٢	قريين	قريبنا
٢٤٤ : ٨	صيانتهوديانته . وناب	صيانته وديانته واشتغاله . ناب
٢٤٤ : -٧	أبو إسحاق الأدمي	أبو إسحاق الدمشقي الأدمي

(١) وكذا في سير أعلام النبلاء في ترجمة البكري ٢٠٤/١٣ ، والشذرات ٢٧٤/٥

(٢) كذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣ ، والشذرات ٢٧٥/٥ وقد بين الذهبي أنه القاسم بن عساكر.

(٣) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣٠٩/١٣ ، والشذرات ٢٧٨/٥

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٣١٢/١٣ ، وطبقات القراء ٨٠/٢ ، والشذرات ٢٨٢/٥

(٥) هو أحمد بن حمزة الموازيني ، انظر سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٣ ، والشذرات ٢٨٣/٥

(٦) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣١٦/١٣ ، والشذرات ٢٨٦/٥

(٧) انظر سير أعلام النبلاء ٣٠٥/١٣ ، والشذرات ٢٨٩/٥

٢٤٤ : -٣	تمام المسروري	تمام السروري (١)
٢٤٦ : ١	أحضر إليه بقيوده ، وخلع	أحضر إليه بقيوده فأطلقه وخلع
٢٤٨ : ١	ورأيه (١٨٩ ب) كان	ورأيه (١٨٩ ب) ودهائه وصرامته وخبرته بالحروب كان
٢٥٣ : ٥	الارتاحي أحمد	الأرتاحي أبو العباس أحمد (٢)
٢٥٥ : -٧	الزبيري ، وابن شاتيل	الزبيري وأجازله وفاء بن البهي (٣) وابن شاتيل
٢٥٦ : -٦	وسمع من الخشوعي وأبو أبيه يحيى	وسمع من الخشوعي وأبيه يحيى
٢٥٦ : ٦	صلاح الدين بن يوسف	صلاح الدين يوسف
٢٥٦ : -٢	إلى جدته حنيفة	إلى جدته الصاحبة حنيفة
٢٥٩ : -٦	وأخمرته	أو أخمرته
٢٦٠ : ٨	من عبد اللطيف	وسمع من عبد اللطيف
٢٦٠ : ١٠	وبرع في الفقه والأصول .	وبرع في الفقه والأصول والعربية .
٢٦٠ : -٨	وانتهت إليه رئاسة المذهب	وانتهت إليه معرفة المذهب
٢٦١ : -٢	توفي في العشرين	توفي بمصر في العشرين
٢٦٤ : ٩	عمر بن عبد الجيد الميانسي	عمر بن عبد الجيد الميانشي (٤)

(١) انظر الشذرات ٢٩٢/٥

(٢) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣١٠/١٣ ، والشذرات ٢٩٧/٥

(٣) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٣ ، والشذرات ٢٩٩/٥

(٤) انظر مرآة الجنان ١٥٩/٤

٢٦٥ : ٧	وسمع من الكندي وطبقته	وسمع من الكندي وطائفة
٢٦٥ : -١٠	توفي في ذي الحجة	توفي في نصف ذي الحجة
٢٧٣ : ٧	الذكوي	الزكوي
٢٧٤ : -٧	الباروقي	اليارقي
٢٧٤ : -٣	الزراري	الزرزاري
٢٧٦ : -٥	ولد سنة ثلاث وتسعين . توفي	ولد سنة ثلاث وتسعين . وسمع صحيح مسلم من منصور الفراوي وسمعه منه خلق بدمشق ومصر والثغر واليمن . توفي
٢٧٧ : ٦	كان متين الديانة	كان كبير القدر شجاعاً مقداماً عاقلاً محتشماً كثير الصدقات ، متين الديانة .
٢٧٧ : ٩	جهزه في آخر السنة	جهزه في هذه السنة
٢٧٨ : ١٠	التادفي	التاذفي (١)
٢٧٩ : ٢	الملك محمد بن غازي	الملك الكامل محمد بن غازي
٢٨٠ : ٥	وكذا ابن عمه	وكسر ابن عمه (٢)
٢٨٠ : -٤	وقرأ ... على البخاري	وقرأ ... على السخاوي (٣)

(١) وكذا هو في طبقات القراء ٢/١٠٢ ، والدرر الكامنة ٣/٣٩٤ ، والشذرات ٥/٣١٦

(٢) وكذا في الشذرات ٥/٣١٧

(٣) وكذا في طبقات القراء في ترجمة السخاوي ١/٥٦٩ ، وفي ترجمة أبي شامة ١/٣٦٥ ، وفي الشذرات ٥/٣١٨

١٨٢ : -٧	يوسف بن يحيى	يوسف بن عمر بن يوسف بن يحيى (١)
٢٨٥ : ٥	كيقباذ بن كيخسرو بن قلج	كيقباذ بن السلطان غياث الدين بن كيخسرو بن السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلج (٢) .
٢٨٦ : ١	ثم رد إلى الغربة	ثم رد إلى الحوبة
٢٨٧ : ٤	إلا والمية قد فجئته	إلا والمنية قد فجئته
٢٨٧ : ٧	مظفر بن عبد الكريم بن نجم الحنبلي	مظفر بن عبد الكريم بن نجم بن الحنبلي (٣)
٢٩٣ : ٨	والجمال البغدادي عبدالرحمان ابن سعيد الحراني	والجمال البغدادي عبد الرحمان بن سلمان ابن سعيد الحراني (٤)
٢٩٣ : -٦	وابن يونس العلامة الكبير عماد الدين عماد بن يونس	وابن يونس العلامة تاج الدين عبد الرحيم ابن الفقيه رضي الدين محمد بن العلامة الكبير عماد الدين محمد بن يونس
٢٩٤ : -٥	الدمشقي . ولد	الدمشقي المؤذن . ولد
٢٩٥ : -٥	عبد الهادي بن عبد الكريم علي	عبد الهادي بن عبد الكريم بن علي
٢٩٥ : ٤	سبع وخمسين وخمس مئة	سبع وسبعين وخمس مئة
٢٩٦ : ٨	صهيون وبرزيه	صهيون سابف وبرزيه

(١) وكذا في الشذرات ٥/٣٢١

(٢) وكذا في الشذرات ٥/٣٢٣ بلفظ « قيقباد »

(٣) انظر الشذرات ٥/٣٢٥

(٤) انظر الشذرات ٥/٣٣٢

٢٩٨ : -٦	والد المفتي	ولد المفتي
٢٩٨ : -٢	والكمال التفليسي	وكمال الدين التفليسي
٢٩٨ : -٤	عاش وما تقدمه	ولو عاش لما تقدمه
٢٩٩ : ٨	التنوخي الكاتب	التنوخي الدمشقي الكاتب
٣٠٠ : ٧	روى عن ابن ...؟ والسخاوي	روى عن ابن صباح [1] والسخاوي
٣٠١ : -٦	اشتغل عليه جماعة. وروى عن ابن طبرزد وغيره. ومات في جمادى الأولى وقد قرب الثمانين.	اشتغل عليه جماعة. وتوفي في جمادى الأولى. روى عن ابن طبرزد وغيره. ومات وقد قارب الثمانين
٣٠٢ : -٥	الجنبي	الجيتي [2]
٣٠٤ : -٦	وسيف الدين قفجق	وسيف الدين قُليجق
٣٠٥ : ٢	وتزل إليه سنقر الأشقر	وقدم سنقر الأشقر
٣٠٥ : ٦	بحث أبغا	تحتْ أبغا
٣٠٥ : -٨	فيقال إنهم قتلوا	فيقال إنه قتل
٣٠٧ : -٨	التميمي. آخر من قرأ.	التميمي الاسكندراني المقرىء الكاتب. آخر من قرأ
٣١١ : ٨	ولد سنة ست وخمسين وست مئة	ولد سنة ست عشرة وست مئة [3].

(١) سيمر الاسم في العبر ٣١٧/٥

(٢) وكذا في التبصير لابن حجر ٣٠١/١ ونسبه إلى جيت بكسر الجيم من عمل نابلس.

(٣) انظر الشذرات ٣٥٣/٥

٣١١ : -٥	(٢٠٦ ب) إبراهيم . ولد	(٢٠٦ب) إبراهيم بن عبد الواحد . ولد
٣١٣ : ٥	شهاب أبي شامة	شهاب الدين أبي شامة
٣١٦ : ٣	والصفات المجيدة	والصفات الحميدة
٣١٨ : ٣	وأفشوا نياتهم	وأفسد نياتهم
٣١٨ : ٦	فرحل الجيش وشدّ على المرج	فرحل الجيش وسار على المرج
٣١٨ : ٦	نيابة الشام	نيابة دمشق
٣١٩ : -٦	الحداد . ولد	الحداد الحنبلي . ولد
٣١٩ : -٣	خليل الداراني	خليل الزاراني (١)
٣٢٠ : ٨	عبد الله بن محمد بن علي	عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي
٣٢٠ : ٦	بلاد حلب في بلد بزاغة	بلاد حلب في إحدى الجمادين ببلد بزاعة
٣٢٤ : ٤	ومحمد بن إلياس الفقيه شمس الدين بن البعلبكي	ومحمد بن داود بن الياس الفقيه شمس الدين البعلبكي (٢)
٣٢٤ : -٤	الزاهد بن نجاح بن موهوب	الزاهد بن نجاح بن مرهوب (٣)
٣٢٥ : ٧	والنجيب أبو القاسم	والنجيب بن العود أبو القاسم
٣٢٨ : -٢	عبد الرحيم بن عبد الملك ابن يوسف	عبد الرحيم بن عبد الملك بن عبد الملك ابن يوسف (٤)

(١) انظر ماتقدم في التعليق على الصفحة ٧٥ س - ٦

(٢) وكذا في الشذرات ٣٦٤/٣

(٣) وكذا في الشذرات ٣٦٩/٥

(٤) وكذا في الوافي ١٢٨/١٨ وفيه أنه ولد سنة ٥٩٨ وسمع حنبل حضوراً والجلاجلي وحدث في ايام الحافظ ابن خليل بحلب وروى عنه الدمياطي وابن العطار والمزي والبرزالي .

٣٣٠ : ٥	أبو القاسم بن أبي بكر	أبو محمد القاسم بن أبي بكر (١)
٣٣٢ : ١٠	وابن أبي الدنية	وابن أبي الديّنة
٣٣٥ : ١	والبرهان الدوجي	والبرهان بن الدرجي (٢)
٣٣٥ : ٦	وابن المنيجي	وابن المليجي (٣)
٣٣٥ : -٦	أحمد بن المنذر	أحمد المهندز (٤)
٣٣٥ : -٥	شمس الدين الدماهي	شمس الدين الدباهي (٥)
٣٤٠ : ٣	محمد بن الدنف	محمد بن الزنف (٦)
٣٤٧ : -٤	عبد الرحمان بن نجم الدين الحنبلي	عبد الرحمان بن نجم الحنبلي
٣٤٨ : ٥	مشرف	مُشْرِق
٣٥٠ : ٥	محمد بن محمد بن الحسن	محمد بن الحسن (٧)
٣٥٢ : -٦	الحسن بن محمد بن البكري	الحسن بن محمد البكري (٨)
٣٥٨ : ٧	عبد الرحمن بن يوسف أبو محمد	عبد الرحمن بن يوسف بن محمد

(١) وكذا في الشذرات ٥/٣٦٧

(٢) وكذا في تاريخ الاسلام ، الجزء الأخير ٣

(٣) وكذا في تاريخ الإسلام ، الجزء الأخير ٤

(٤) في تاريخ الإسلام ، الجزء الأخير ٥ : « أحمد المهندس »

(٥) وكذا في تاريخ الإسلام ، الجزء الأخير ٥

(٦) وكذا في تاريخ الإسلام ١٧

(٧) وكذا في تاريخ الإسلام ٤٠ ، والشذرات ٥/٣٨٩

(٨) وكذا في الشذرات ٥/٣٩١

٣٦١ : ٥	ولد سنة خمسين وست مئة	ولد سنة ثلاثين وخمس مئة (١)
٣٦١ : ـ٥	وأخذ أمواله	وأخذ أحواله وأمواله
٣٦٢ : ٩	الدمشقي المفتي	الدمشقي الشافعي المفتي
٣٦٣ : ـ٣	محمد بن أحمد بن النجيب	محمد بن أحمد بن محمد بن النجيب (٢)
٣٦٤ : ٤	ونظر وظلم	ونظر الأوقاف وظلم
٣٦٥ : ـ٢	والطرف	والظرف
٣٦٦ : ـ٦	بعد عمه الملك وكان شهماً	بعد عمه الملك أحمد وكان شيماً
٣٦٧ : ـ٧	من حيث الايجاد	من حيث الاتحاد
٣٦٨ : ١٠	إلا أشهراً	إلا شهراً
٣٦٩ : ـ٥	أبو محمد بن الفضل	أبو محمد بن أبي الفضل (٣)
٣٧٠ : ١	والشهاب بن مزهر الأنصاري	والشهاب ابن مزهر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن مزهر الأنصاري (٤)
٣٧٣ : ١	والمطاء	والعطار (٥)
٣٧٣ : ١٠	محيي الدين بن عبد الله	محيي الدين عبد الله

(١) وكذا في تاريخ الإسلام ٨٦ ، والشذرات ٥/٤٠٨

(٢) وكذا في تاريخ الإسلام ٩٣ والشذرات ٥/٤١٠

(٣) وكذا في تاريخ الإسلام ١٠٧ ، والشذرات ٥/٤١٧

(٤) وكذا في تاريخ الإسلام ١٠٩ ، والشذرات ٦/٤١٧

(٥) تقدم اسمه هكذا في العبر ٥/٣٣٣ س – ٨ وانظر الشذرات ٥/٤١٨ س – ١

٣٧٣ : ـ٥	عبد الرحمن بن أبي عصرون	عبدالرحمن بن أبي سعد بن أبي عصرون(١)
٣٧٣ : ـ٢	الكاتب ويعرف بابن الحردان. كان لغوياً فصيحاً	الكاتب الأديب ويعرف بابن الجرْذان كان لغوياً اخبارياً فصيحاً
٣٧٨ : ٦	وصفية بنت الجبقبق	وصفية بنت الجبقبق
٣٨٦ : ٣	وتاتبه منكوتمر . وهو معتمد	وتاتبه منكوتمر مملوكه وهو معتمد
٣٨٧ : ٦	محمود أحمد البخاري	محمود بن أحمد البخاري
٣٨٨ : ٩	الصالحي المقرىء البغدادي العبد الصالح	الصالحي المقرىء العبد الصالح
٣٩٠ : ـ٦	منكوتمر	منكودمر
٣٩١ : ٩	وثبت ملكهم غزان ، وولت	وثبت ملكهم غازان ثم حصل تخاذل ، وولت
٣٩١ : ـ٦	فخار الناس	فحار الناس
٣٩٣ : ١	ومات برداً وجوعاً نحو أربعة آلاف	ومات برداً وجوعاً نحو أربع مئة نفس وأسر نحو أربعة آلاف
٣٩٦ : ـ٦	وجاعان	وجاغان
٣٩٦ : ـ٣	جمال الدين بن الحاجب	جمال الدين الحاجب
٤٠٠ : ٢	جمال الدين عبد الله	جمال الدين عبد الرحيم (٢)
٤٠٠ : ٦	وعاش نحو التسعين	وعاش نحو السبعين
٤٠٨ : ـ٤	بنحاص	بشْخاص

رياض مراد

---

(١) وهو في تاريخ الإسلام ١٤٤ « نجم الدين عبد الرحمن بن العلامة شرف الدين أبي سعيد بن أبي عصرون » ، وانظر الشذرات ٤١٩/٥

(٢) وكذا في تاريخ الإسلام ٢٢٥ ، والشذرات ٤٤٩/٥ وفيه « عبدالرحيم ابن عمرو بن عثمان »

النزعة الغربية

عند محمد كرد علي

الأستاذ حسين بيوض

في حياة المرحوم الأستاذ محمد كرد علي مسائل عديدة ، لا بد في دراسة شخصيته من الوقوف عندها، وطرحها على بساط البحث والمناقشة ؛ لما لها من أهمية وصلة بحياته ، ولارتباطها بتاريخ بلادنا وأمتنا ، ولعل بمقدوري أن أتناول واحدة من تلك المسائل بالحديث ، بمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية بدمشق بذكرى مرور مائة عام على مولده ، تلك المسألة هي موقفه من المدنية الغربية .

لو أردنا أن نتعرف إلى عمق اطلاعه على الثقافة الغربية ، والمصادر التي اكتسبها منها لوجدنا أن هذه الثقافة استقاها من منبعين اثنين :

الأول : قراءاته الطويلة للصحف والمجلات والكتب الفرنسية ، بعد أن أتقن اللغة الفرنسية في المدرسة اللعازارية بدمشق ، فقد قرأ أهم ما كتبه فولتير ، وروسو ، ومونتسكيو ، وبنتام ، وسبنسر ، وفوليه ، وتين ، ورنان ، وسيمون ، وغيرهم ، ومن ثم انتقل إلى النقل والترجمة ، فبدأ بترجمة عدد من الروايات عن الفرنسية ، طبع بعضها ، وترك بعضها ، وهو ما يزال في ريعان الشباب .

الثاني : سفره وترحاله إلى أوربا أكثر من مرة ، حيث زار معظم

دولها ، كفرنسا وسويسرا ، وألمانيا ، وانكلترا ، وإيطاليا وإسبانيا ، وغيرها. وما كان يدخل بلدة قبل أن يطالع في وصفها كتاباً أو كتباً ، حتى يتلذذ بما يشاهد ، ويستفيد من زيارته استفادة حقيقية على حد تعبيره(١) . وقد رأى بعينه وسمع بأذنه ما كان طالعه في الكتب ، واتصل عن كثب بتلك المدنية ، ولمسها لمس اليد ، وصادق عدداً كبيراً من المستشرقين ، واجتمع بهم ، فزادته الرحلة علماً ومعرفة ، ومنحته انفتاحاً وإقبالاً ، فقفل إلى بلاده بعقلية غير التي رحل بها ، وفكر جديد متنور ، وصح عزمه وقويت إرادته على تحقيق وتقليد ما رآه هناك وأعجب به ، وقد رسم لنا في كتابه (غرائب الغرب) صوراً ملونة عن المجتمع الغربي وحياته المتقدمة ، فكان فيه معجباً أيما إعجاب.

ذهل المؤلف بتلك المدنية وراعه التطور السريع الذي أحرزه الإنسان الغربي في شتى المجالات ، فأنت تقرأ في كل صفحة من صفحات كتابه « غرائب الغرب » افتتانه بما وصلوا إليه ، واستحسانه الشديد بعلو كعبهم، وارتقائهم في سلم المدنية . وهكذا أصبح يستحسن كل شيء يشاهده ، بل إنه ــ كما قال ــ بلي بداء الاستحسان : « كل هذه المشاهد كنت أختلف إليها في أوقاتها ، وأجتمع برجال العلم والأدب والسياسة ، منذ الصباح إلى ما بعد منتصف الليل ، ونفسي تتأثر بتغير المشاهد ، بحيث تملك علي مشاعري ، فلا أستطيع التفريق في الحسنات ، كأنني ابتليت بداء الاستحسان ، لاتقع عيني على شيء ، ولا تسمع أذني بشيء ، ولا يتصور ذهني أقل شيء ، إلا وأخذ به جملة ، وتغرق النفس في استحسانه وتحار في وصفه »(٢).

---

(١) المذكرات ١٨٤/١ (٢) غرائب الغرب ١٠٥/١

وأطال الحديث عن العادات والتقاليد والأخلاق في الغرب ، وصور بقلمه نفسية الأوربيين وطباعهم وسلوكهم ، وأفاض في الكلام على التقدم العلمي والتكنولوجي ، وعن المخترعات والاكتشافات التي تظهر هناك كل مطلع شمس ، فأوربا اليوم ليست كما كانت بالأمس ، لقد تبدل فيها كل شيء ، وكل ما فيها جديد مبتكر .

ولما عاد من رحلته مر بالآستانة ، وكان نزوله بها لأول مرة فداخله شعور الأسى والأسف للفارق الكبير بين بلاده وبلاد الغرب التي فتن بمرآها، فقال : « ولطالما اسودت عاصمة بلادي في عيني ، ووددت على الأقل لو كتب لي أن أزورها قبل الرحيل إلى الغرب ، وإمتاع النظر والحواس بحضارته البهجة ، حتى لا أرى الانحطاط بعد الرقي ، ولا الظلام بعد النور »[١] . قال هذا وقد تعلق قلبه ببلاد الغرب وعواصمه البراقة ، وفي مقدمتها العاصمة الفرنسية باريس التي هام بها حباً ، ومنحها وده ، وأغرم بمظهرها ومخبرها ، فراح يناجيها على أنها مرضعة الحكمة ، ومحيية المدنية ، ومعلمة العالم : «سلام عليك مرضعة الحكمة ، وربيبة الرخاء والنعمة ، وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية ، ومحيية المدنية الأصلة في الأقطار الغربية والشرقية ، ومعلمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين ، وأنّى يضرب على أيدي الرؤساء والنبلاء والمالكين » . وذكر أنه لم يتمن أن يكون فرنسي الأصل والجنس والمنشأ إلا لما رأى أن دار معونة العلماء بباريز لا تقبل في حجرها إلا الفرنسويين[٢] .

رجع الأستاذ كرد علي لينظر إلى بلاده وما هي عليه بغير النظار

(١) غرائب الغرب ١٤٢/١ (٢) غرائب الغرب ٦٨/١

الذي كان ينظر به إليها قبل ارتحاله ، التفت إلى الشرق فرأى أمته وواقعها المؤلم ، والظرف العصيب الذي تمر به ، والحالة التي آلت إليها ، صارت أمة أنهكها الضعف ، فخارت قواها ، وأحدقت عيون الأعداء بها ، يريدون تمزيقها وتشتيتها ، طال سباتها ، فزاد تقهقرها ، وآن لها أن تنهض من غفوتها ، وتنفض عنها غبار الدعة .

ملكت المدنية الغربية عليه عقله ، وأخذت عليه مشاعره ، وسلبته لبه ، فكان كثير التقييد للملاحظات والمشاهدات ، حتى مل الكتابة والتقييد ، وكاد يفقد الثقة بالشرق المسكين كما دعاه : « اللهم إني أحسد الشعب السويسري حسد غبطة على هذه الأخلاق الفاضلة ، وأطلب إليك أن ترزق شرقنا المسكين مثلها حتى لا يموت بفساد أخلاقه ، وقلة علمه ميتة جاهلية ، وقد خسر الدنيا والآخرة »[1] .

قارن حياة الغرب بحياة الشرق فبدا له البون الشاسع ، والفارق البعيد ، بين قوم ما يزالون يغطون في نوم عميق ، وقوم تنبهوا ، وراحوا يسابقون الزمن . وهذا ما حز في نفسه كثيراً ، وجعله يأسى لحالة العرب الذين كانوا بالأمس يفرضون إرادتهم على الناس ، واليوم أصابهم الضعف والتأخر ، تتجاذبهم دولة ، وتتركهم أخرى ، كل واحدة تريد أن تسلبهم خيراتهم ، وتمتص ثرواتهم ، لتبقيهم عرضة للفقر والحرمان ، غير آبهة بحياتهم أو موتهم .

لقد اعتقد جازماً — وأمته قد أقعدها الركود والتخلف — أننا لن نلحق بركب الحضارة والمدنية ، وننهض من كبوتنا ، ونحرز التقدم والرقي ، ما لم نقلد الغرب ونأخذ عنه ، ونقتفِ أثره . فكانت المدنية

---

(١) غرائب الغرب ٢٦٦/١

الغربية هي واحدة مما قضى عمره يدعو إليها ، ويحض على تقليدها ، ويرغب فيها . وكانت دعوته تلك متفاوتة ، تتأثر بوضع البلاد والقائمين عليها ، وتختلف من حين لآخر ، تشتد تارة ، وتخف حدتها تارة أخرى ، تذكو آناً ، وتخبو آناً آخر .

كان يتساءل عن رجال الأمة وأعاظمها الذين ألقيت إليهم مهمة إعادة العزة والمنعة إلى الشرق ، فيقول : « فمتى يا ترى يقوم في الشرق القريب أعاظم من أبناء هذه الأجيال يكونون في عقولهم وأعمالهم على مستوى أولئك الأبطال ، لتقوم بهم مدنيتنا على أحسن الدعائم ، كما قامت مدنية الطليان في هذه الأيام »[1] ؟ .

ويرجو لو أن كلامه يأتي بالثمار المرجوة ، وتحصل الفائدة المنتظرة ، وتتبدل الأوضاع في الشرق ، وتعود إليه الحياة ، وتنتعش بلاد العرب ، ويشرق فجرها من جديد بعد ليل دامس : « عسى أن يثمر ذلك فائدة لمستفيد ، وعبرة لمعتبر ، في شرقنا المتخدر الأعصاب ، منذ أحقاب ، الذي كادت لحاله تدمع عيون الأعداء ، بعد أن أدمى مقل الأصحاب »[2] . ويتمنى أن يأتي اليوم الذي تتحقق فيه الآمال التي تاقت إليها نفسه ، فتنشط الأمة ، وتتحول من القول إلى الفعل ، فتقتفي آثار الغربيين ، وتقلدهم في إنشاء المؤسسات التعليمية ، والمجامع العلمية ، التي اعتبرها حجر الأساس ، وتكون في بلاده مجامع كما في بلاد الغرب : « وحدثتني النفس ببلادنا الشرقية ، وقلت : هل يكتب لها في المستقبل تأليف مثل هذه المجامع ، فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين ، أو نظل كما نحن لا نعمل

(١) غرائب الغرب ٢٥٢/١ (٢) غرائب الغرب ٢٤٠/١

فرادى ولا مجتمعين ، ونكتفي بالتفاخر بأجدادنا نجعله عدتنا في شدتنا، ومثالنا في نهضتنا ، ونحن عن اقتصاص آثارهم غافلون »(١).

إنه يطلب من الشرق أن يقتدي بأخيه الغرب ، كيلا يبقى عالة عليه وتبعاً له في كل ميادين الحياة ، يخشى أن يأتي يوم نأخذ فيه لغتنا بل ديننا عن أوربا إن لم ندرك أنفسنا .

وهو لا يرى ما يمنع من تقليد الغرب ، فالغربيون أخذوا عن العرب كل ما ينفعهم يوم نهضتهم من ضروب المعارف البشرية ، وهاهم يعيدون إلينا شيئاً مما تعلموه من أجدادنا ، وزادوه بعلمهم وبارتقاء الزمن وتداول الأيام ، وهـذه سنة المدنيات التي درجت عليها أجناس البشر ، والعلم فريسة العامل ، ولقد تقلبت على الحضارة أيد كثيرة منذ دون تاريخها ، واليوم وصلت إلى هذا المظهر ، وقد ذكر ذلك في كتابه (أقوالنا وأفعالنا) فقال : « كانت للعرب عادات حسنة اقتبست بعضها الأمم الغربية ، ولما جاءنا الغربيون بهذه الحضارة الحديثة ، أصبح من اللازم اللازب أن نأخذ عنهم بعض ما ينفعنا من عاداتهم المستحبة ، سنة طبيعية في الخليقة بأخذ المتأخر عن المتقدم ، والجاهل عن العالم »(٢) . وقال في موضع آخر : « ولا غضاضة على المتأخر إذا أخذ عن المتقدم » . ولا يرى الإحجام والتردد في الأخذ من الغرب مفيداً ولا نافعاً للعرب وهم يريدون النهوض : « ولا غضاضة علينا إذا وقفنا معاشر العرب مع الغرب عند حد الأخذ من حضارته وعاداته »(٣) . بل إنه يرى حقاً على الغرب أن يرد علينا

---

(١) غرائب الغرب ١/١٠٦ (٢) أقوالنا وأفعالنا ص ٤٣

(٣) القديم والحديث ص ٣٥

بعض الذي أعطيناه يوم كنا أصحاب العلم والحضارة والمدنية ، على سبيل الوفاء أو المبادلة ، ولم لا يكون هذا والأمم كانت وما زالت تقلد بعضها ، تأخذ المغلوبة عن الغالبة ، والضعيفة عن القوية ، والمتخلفة عن المتطورة ؟ . وما على العرب وهم يجتازون هذه المرحلة الحاسمة إلا أن يقبلوا كل جديد ينير دربهم ، ويحقق لهم التقدم : « والرجاء معقود بأن يكون الدور الجديد الذي تدخل فيه العرب اليوم دور التجدد والنشوء الاجتماعي الكبير ، فننبذ كل ما لا يمس أصلا من أصولنا القديمة ، ونقبل كل جديد فيه النهوض والاعتلاء ، وأن يعطينا الغرب القدر الذي أخذه من علم أجدادنا نستعين به على قيام أمرنا ، فإن الأيام دول ، والدهر بالناس قلّب حوّل »(١) .

فنهضة العرب يتوقف قيامها على مدنية الغرب ، ولا تستوي بغير الأخذ عنهم ، ونحن ـ كما يقول ـ ما برحنا نقلدهم ، ونقتبس منهم ، ونستضيء بضيائهم : « وفي الحق أنا مدينون بكثير من أسباب نهضتنا للغرب ، ومازلنا عالة عليه ، نقتبس منه ونتمثل ، ولما يتمّ دور الأخذ والاحتذاء »(٢) .

وتغلو به النزعة الغربية فيرى أننا إنما تعلمنا حب الوطنية والوطن ، وحب القومية من الغرب ، وأنه لاعهد للعرب بذلك : « من الغرب تعلمنا معنى الوطن والوطنية ، وحب الجنس والقومية ، وهذا شيء جديد لم يعهد للعرب مثله بعد أن ذاق الناس الأمرّين من ظلم الولاة »(٣) . ويغرق أكثر من ذلك حين يجعل الفضل للغرب في إبطال القرصنة في البحار ، وتحرير الرقيق ، والقضاء على النخاسة ، فينزهه عن الوحشية

---

(١) القديم والحديث ص ٤١ (٢) أقوالنا وأفعالنا ص ١٤٦

(٣) الإسلام والحضارة العربية ١/٣٥٥

والاعتداء والسلب : « أبطل الغرب القرصنة من البحار والأنهار ، وقضى على الغزوات حتى من البراري والقفار . .. وحرر الرقيق ، فكان ذلك من موجبات فخره ، وأزال بذلك وصمة عار عن الانسانية ، وأبطل النخاسة وكانت أفظع تجارة ، وأحط عمل شائن في استعباد البشر »(١) . أليس في ذلك غمط للشريعة الإسلامية السمحاء التي سبقت الغرب بمئات السنين وعملت على القضاء على الرق والاسترقاق ، وحدّت منه ، ويسرت السبل لتحرير الرقيق ، وحثت ورغبت في إطلاقه وفكاكه ! لقد سبقت إلى منع الفساد في الأرض ، ورفعت راية السلام والعدل والأمان ، أمّا الغرب فقد استرق أمماً بعينها ، وشعوباً بأكملها ، حينما قام باستعمار الدول الأخرى ، واحتلال أراضيها ، وفرض إرادته عليها بالقوة والقهر ، لينهب خيراتها وممتلكاتها ، ويتركها متردية متخلفة تحت نيره ، وفي ظل كابوسه ، وإن في كل مجزرة ومذبحة لدليلاً كافياً على الهمجية والوحشية التي عرف بها الاستعمار الأوربي في دول العرب والشرق .

ولعل الأستاذ كرد علي كان ينتظر من الشرق إذا نهج نهْج الغرب وحث الخطا في تقليده والنسج على منواله أن يصبح صورة مماثلة ومشابهة له ، وهو الذي يدرك تمام الإدراك أنه يصعب على الشرق أن ينقاد بيسر للغرب ، أو أن يخضع له أو ينحني أمامه . فالشرق يختلف عن الغرب بطبيعته وأرضه وسكانه « ولكل عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم ومعتقداتهم» ومهما جد في تقليده واقتبس من مدنيته فسوف تبقى له شخصيته المتميزة ، وعلامته الفارقة ، وملامحه الأصيلة ، يحافظ عليها،ويتعصب لها ، ويبقى الشرق شرقاً

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ١/٢٩٠

والغرب غرباً ، وهذا ما اهتدى إليه غوستاف لـــوبون ، فقد نقل عنه قوله : « الشرقيون يتجافون عن قبول حضارة لاتلتئم مـــع أفكارهم وشعورهم وحاجاتهم ، وأي داع يكرههم على قبول مدنية تقل سعادتها . وفيها من الشقاء ألوان ، ومن العوامل المضعفة ضروب »(١) . فهو يحكم عليهم بالنفور منها « وأنهم يرون في تسربها إليهم مصيبة عظيمة ، إلا ما كان فيه خيرهم وصلاحهم ونجاحهم »

* * *

ومن هنا فلا غرو أن نجد من أخذوا عليه تحمسه الشديد للمدنية الغربية ، وانبهاره أمامها ، وإشادته بحسناتها وماقدمته من خير ونفع ، على حين كان يغض الطرف عما سوى ذلك . وكان على علم بذلك يشعر به ويعيشه ، وقد أشار إليه مرة في كتابه (أقوالنا وأفعالنا) ، فقال : « لامني بعض أصحابي لأنني دونت من مدنية الغربيين في كتابي (غرائب الغرب) كل جميل وسكتّ عن غيره ، قال : كان الأولى أن تـذكر الحسنات والسيئات . وعذري إليه وإلى من قال بقوله أني كنت أريد أن أعرف قومي بالحسنات ينسجون على منوالها ، وما كنت لأطمع في أن أشغل الأذهان بأمور لايخلو منها بلد انحط أو ارتقى ، وعندنا ما يماثلها مالاينفع تدوينه ، ونحمرّ خجلاً من ذكره ، ومن العدل أن يقال : إننا بقدر ما نرى في المدنية الحديثة من فضائل نرى فيها مايقابلها من رذائل ، والفضائل تربو على غيرها كثيراً ، فالأمثل بقومنا أن يقتبسوا الخير ويغضوا الطرف عن الشـــر »(٢) .

(١) الإسلام والحضارة العربية ١/٤٠٣

(٢) أقوالنا وأفعالنا ص ٣١٢

هكذا انتقدوا مغالاته وإفراطه في الدعوة إلى مدنية الغرب ، وإلحاحه على تقليد الغربيين والنسج على منوالهم ، ولم يرحبوا بالانفتاح المطلق على المدنية الغربية لعلمهم أنها لاتقيم للدين والقيم والأخلاق وزناً ، وتمجد المادة على حساب الروح ، ولأنهم اعتبروا فتح الباب على مصراعيه أمامها ، والتهافت عليها ، والترويج الدائب لهـا ، وإلقاء الحبل على الغارب في تقليدها ، إن هو إلا غزو الأمة في عقردارها ، ومدعاة لدخول الأجنبي البلاد ، ومسوغ للبقـاء فيها بحجة إعمارها وتمدينها . وأن ذلك سوف يؤدي - لا محالة - إلى قبول الأمة بالأمر الواقع ، والرضوخ له ، فتنقاد لما يرسم لها ، وتسلم زمام أمورها ، فيصعب عليها أن تتخلص من نيره ، فيهدد أمن بلادها ، ويصبح استقلالها في خطر .

* * *

والذي يمكن أن يقال بعد هذا إن وطأة دعوته إنما خفف منها أنها لم تكن على وتيرة واحدة ، وبنفس الدرجة من الاندفاع . فكانت تفتر وتضعف في بعض الأحيان ، فينقلب ينبه الأذهان إلى التأني والحذر في الأخذ عن المدنية الغربية ، ويدعو إلى الاقتصار على المفيد النافع ، والتعالي عن السفاسف والبهارج والقشور ، وأن ننبذ ونترك للغرب المستهجن من عاداته وتقاليده التي تقود إلى تفسخ المجتمع ، وتفشي الانحلال الخلقي فيه . ولابأس أن نعبّ من معطيات العلوم ، وما توصلت إليه من كشوفات ومخترعات ، في عصر تتسابق فيه كل أمة لتكون لها الصدارة ، وبيدها العقد والحل ، وتقريرُ المصير ، والهيمنة على أمم العالم ، فكان يقيد دعوته بالصالح من الأعمال ولا يقبل التقليد العشوائي الذي يأخذ كل مايرد إليه

من الغرب بعجره وبجره ، إنه يطرح مفاسد المدنية الغربية ومساوئها ، ويقبل محاسنها وفضائلها : « فمتى نرى أناساً من الشرقيين ينهجون هذا النهج ، ويقلدون الغرب في صالح أعماله » (١) .

وكان مما يخشاه على مصر الإسراف الزائد ، وتقليد الغربي على العمياء ، ويرى أن المتصرفين في شؤون البلاد بقدر ما يتحلون به من الوعي والعلم والتبصر ، يختارون لأمتهم ما يلائمها من مدنية الغرب ، وما يصلح شؤونها ، ويحقق رغائبها في إحراز النجاح والتقدم ، فلا تخدعهم القشور والمظاهر ، فيتعلقون بها دون اللباب والجواهر : « الأمم تقتبس بعضها عن بعض ، فإن كان قادة حركتها عقلاء تأخذ عنهم النافع ، وإن كانوا جهلاء يختلط عليهم الأمر ، وتتناول الغث والثمين » (٢) .

وهو انطلاقاً من نظرته في التحذير من خطر مدنية الغرب ، رأى أنه لابد من تسليط الضوء نحو الوجه الآخر ، والصورة المغايرة لها ، وكشف ماخفي من أضرارها ومخاطرها ومفاتنها التي تهدد الغرب أولاً ، والشرق ثانياً ، وإظهار سلبياتها ، والويلات والكوارث التي جرتها على الغربيين أنفسهم ، والأمراض التي فتكت بهم وعكرت صفو حياتهم : « انتشرت المسكرات والمخدرات ، وأدى التوسع في الحرية إلى العهر والفجور ؛ فزادت الأمراض السرية ، وتعطل النسل في بعض الرجال والنساء ، وانتشر القمار ، كذلك أدت الحرية الشخصية إلى ارتخاء السلطة الأبوية ، وضعفت سلطة الوالد على ابنه وابنته ، وبالتالي حرما الشفقة والرحمة والكرامة ، وصار المقياس

---

(١) غرائب الغرب ١٩٠/١   (٢) القديم والحديث ص ٣٠

هنالك الماديات ، فكثر التشاؤم وانحسر التفاؤل ، وعمّ الطمع والشراهة»(١).

وبين في موضع آخر الآثار السيئة التي كانت تخلفها المدنية الغربية في دول الشرق حيثما نزلت ، وماجنته على الأمم التي انجرفت في تيارها ، وتمادت في تقنيدها دون تروٍّ أو نظر ، لما يسفر عنه ذلك الانجراف من عواقب ونتائج : «وكان للمجتمع في الشرق عادات مستحسنة من جمال الأنفة ، وحسن العشرة ، وصحة العهد والوفاء ، وقوة الإيمان ، ومعرفة الجميل ، فعرض هذه الصفات بعض الفتور ، خصوصاً في البيئات التي اقتبست مدنية الغرب بعجرها وبجرها »(٢) . وإن الشرور والآثام التي تنشأ من تلك المدنية تفعل فعلها ولايحول دون وقوعها حائل ، ولا يردها عن كيدها من أحد ، والدمار والخراب من سماتها وأولى علاماتها : «وكانت أمم الغرب من أوربا والأميركتين يخترعون للتدمير والقتل أدوات من أفظع ما عرف الإنسان ... إلى أن قال : وهكذا ينشأ من هذه المدنية الشر إثر الشر ، لايحول دون وقوعه مجلس ولالجنة ولامؤتمر ولاعصبة»(٣).

لقد ظهر له أن المدنية الغربية قد جمعت الخير إلى الشر ، والنفع إلى الضرر ، فلا يتأتى لأية أمة أن تتقبلها ، وتفتح لها صدرها ، قبل أن تهذبها ، وتنفي عنها الفحش والتعقيد ، وتخلصها من الأوضار والأوشاب ، وتصقلها بما يوافقها ويناسب شعبها وأرضها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها ، وأن الاستعمار درج في كل بلد يدخله على الإساءة إلى أهله ، بما يبثه

(١) الإسلام والحضارة العربية ٣٦٥/١

(٢) الإسلام والحضارة العربية ٣٦٦/١ (٣) المذكرات ٧٢٥/٣

فيهم من انفاهيم المغلوطة ، ويضعف ثقتهم بأنفسهم ، ويوهمهم أنهم عاجزون عن مضاهاته واللحاق به : « لا علينا أن ندّعي أن الحضارة العربية كان فيها خير كثير للبشر ، وأن الحضارة الحديثة بالنسبة إلى الشرق قد خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وفيها من فاحش التعقيد ما يصعب على كل الناس تمثلها ، عبث الاستعمار الغربي عمداً أو عن غير عمـــد بشخصات المستعمرين ، فلقنهم تهذيباً فجاً بالقياس إلى عقولهم ، فنقلوا إلى غمرة الأمة المستعمرة نقلاً سيئاً غير مفيد ولا سديد » (١) .

* * *

ونتساءل بعد ذلك كله ، أكان الأستاذ محمد كرد علي في خضم دعوته مغفلاً لحضارة أمته ومدنيتها ، والدور الكبير الذي لعبته في نهضة الغرب نفسه وانبعاثه ؟ وهل كان زاهداً في تاريخها وماضيـــها ؟ فالذي يؤخذ من كتاباته أنه كان شديد الاعتزاز بالماضي ، عظيم الفخر به ، يشيد بالحضارة العربية ، ويذكر بها في كل مناسبة ، ويعرج عليها عند كل حديث ، ويبين فضلها على الحضارة الغربية ، فقد جاء في كتابه أقوالنا وأفعالنا قوله : « أنشـــأ المسلمون حضارة باهرة ، كانت أساس الحضارة الغربية المعاصرة » (٢) . ولقد كان من أكبر أمانيه ، وأسمى ما يتطلع إليه ، وأعظم ما تصبو إليه نفسه أن يتحضر العرب ، ويستعيدوا مجدهم الغابر ، وعزهم السالف ، وكان يرى أن لا سبيل إلى ذلك مالم تنظر في ماضينا ، وندرس تاريخ أمتنا وآدابها ومعارفها ، ولابد لنا من أن نقتفي أثر من سبقونا ، ونسير سيرتهم ، ونحذو حذوهم ، ونسلك الطريق التي سلكوا ،

(١) الإسلام والحضارة العربية ٣٤٢/١ (٢) أقوالنا وأفعالنا ص ١٣١

وتكون لنا الهمم العالية في كسب العلم ، وبذل الجهد والعمل ، ونبحث كما كانوا يبحثون ، ونتقدم كما كانوا يتقدمون . وجدير بنا أن نستنبط من تاريخنا الحافل بالقوة والمجد العبر والعظات ، ونتخذه شعلة ونبراساً ، يضيء لنا في الملمات والخطوب .

إنه لم ينس الماضي التليد أو يتخل عنه ، بل دعا إلى التمسك به ، والمحافظة عليه ، ونصب نفسه مدافعاً عنه ، يترصد من يشذ وينحرف عن الحقيقة - كما وصفه الأستاذ شفيق جبري - ويرد الصاع صاعين لمن ينال العرب أو الإسلام بشيء ، ولا يغضي في ذلك عن قليل أو كثير . غير أنه أراد أن يمزج ذلك الماضي العريق بخالص مدنية الغرب وروحها وجوهرها لتكون من ذلك حضارة جديدة للعرب تشي بأصالتهم وإعراقهم في المدنية فكان متفائلاً ، وهم كما قال : « يجدّون لاسترجاع حضارتهم القديمة ، يمزجونها بما يقتبسونه من الحضارات الحديثة ، فيرتفع عنهم لذلك عار الجمود وخلق الاتكال ، ويستعدون لحياة طيبة فيها جماع القوى المادية والمعنوية ، وستكون حضارتهم على اختلاف أقطارهم ، منوعة الأشكال ، كالفسيفساء ، لاتشبه حضارة العرب أيام عزهم ، ولاحضارة الغرب لعهدنا ، بل تكون شيئاً جديداً ، فيه عبقريتهم وروحهم »[1] . وهو في الوقت الذي يعيب وينكر على الذين يتحللون من القديم ، وينفضون أيديهم منه ، وينبذونه وراء ظهورهم ، لايؤيد في نفس الوقت أولئك الذين يكتفون بالقديم ، ويفخرون به ، وهم يغمضون أعينهم عما سواه ، ويريد : « أن يعلم الجامدون على مسطور القديم أن لا قيام لأمرنا بغير مدنية أوربا ،

(١) المذكرات ٣/٩٢٥

ويدرك أنصار الحديث بأن هــذه المدنية الجديدة التي بهرتهم بزخارفها وسفاسفها لا تنفعهم وتنفع بني قومهم ، إلا إذا رافقها مايجمّلها من علوم الأسلاف وآدابهم ، والأمة التي تنزع ربقة قديمها جملة واحدة ، وتنتقل إلى طور آخر دفعة واحدة ؛ قد ينعكس عليها الأمــر ، ويلتوي عليها القصد »[1] .

* * *

وإنك لتعجب أخيراً أن تراه يعتبر تقليد الأجانب مهما كان ، وكيفما حصل ، لايليق بنا ، ولاتحمد عليه ، لأنه يجلب العار على الوطنية ، فقد جاء في كتابه (غرائب الغرب) نفسه الذي صدر في أوائل العشرينات : « وتقليد الأجانب على أي صورة كانت عار على الوطنية »[2] . وهذه الجملة بعينها عاد فذكرها في كتابه (القديم والحديث) بعد أكثر من اثنتي عشرة سنة ، ليؤكد على مضمونها ، بعد أن اتسعت الصلة بالغرب ، وزاد الاحتكاك بـه : « وعسانا اليوم وقد ازداد اختلاطنا بالغرب ألا نأخذ منه إلا ماتمس إليه حاجتنا ، ونبقي على القديم ... وتقليد الأجانب على أي صورة كانت عار على الوطنية »[3] .

ولايستفاد من هـذا أنه تهـاون أو ملّ الدعوة إلى مدنية الغرب ، وتقليد الغربيين ، والأخذ عنهم ، فقد ورد في الجزء الثالث من مذكراته التي كتبها في آخر حياته : « ولا عار علينا في أخذنا عن الغرب ، فقد سبق له أن أخذ عنا كثيراً »[4] . وجاء في مكان آخر من الجزء نفسه

(١) القديم والحديث ص ٤ — (٢) غرائب الغرب ٨٢/١

(٣) القديم والحديث ص ٣٥ — (٤) المذكرات ٩٢٥/٣

قوله : « وتفانيت في الدعوة إلى الاستقلال ، وحب القومية ، ودعوت جهرة للعرب والعربية ، والإسلام ، والمدنية العربية » . فكانت على حد قوله واحدة « تفانى في الدعوة إليها طيلة حياته ، ولم يتوان عنها قليلاً أو كثيراً .

وهكذا استغرقت قسطاً كبيراً من فكره ووقته وقلمه ، وتأثر بها وتمثلها ، وجهد نفسه في الدعوة إليها ولم يقصر في حقها ، يحدوه الأمل ، ويبعثه الرجاء ، في أن ينهض العرب ، ويعيدوا بناء حضارتهم كرة أخرى ، ويستردوا مكانتهم وسيادتهم ، فيتقدموا أمم العالم ، وينالوا قصب السبق .

حسين بيوض

التعريف والنقد

موضوعات عربية واسلامية
في الدراسات التاريخية والتربوية والأدبية
للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي

Arabic and Islamic Themes, Historical, Educational And Literary Studies, By A. L. Tibawi, London, Luzac & co. Ltd. 1976. pp. 409

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

من الكتب القيمة التي يحني الإنسان قامته أمامها تقديراً والتي ظهرت في الانكليزية مؤخراً ، كتاب للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي بعنوان : « موضوعات عربية وإسلامية في الدراسات التاريخية والتربوية والأدبية » وهو كتاب مستوفٍ لكل الشروط الأكاديمية لعالم جليل يحمل لقب الدكتوراه في الفلسفة PH. D. والدكتوراه في الآداب D. Lit. ، والأخير لقب يندر أن يحصل عليه انكليزي ، ناهيك عن الأجنبي العربي.

والحق أن الكتاب مما يجب أن تفخر به دنيا الضاد ، كسائر كتب الدكتور الطيباوي ، وقد قرأته بمتعة فائقة وشعرت بتجاوب روحي – عقلي بيني وبين المؤلف الفاضل .

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام وملحق ، ويغلب على القسم الأول الطابع التاريخي ، وعلى الثاني التربوي ، وعلى الثالث الأدبي ؛ ويضم القسم

الأول ستة فصول عمادها نقد للترجمة الانكليزية لكتاب السيرة النبوية لابن إسحق ، للفقيد الفريد غيّوم Alfred Guillaume ، و « النصارى تحت حكم محمد ﷺ وخليفته » و « رأي المسلمين الأوائل في إمكان ترجمة القرآن الكريم » و « فكرة المهدى في الإسلام » و « من الاسلام إلى القومية العربية ، مع إشارة خاصة إلى مصر والشام » و « آخر فارس خاتم الخلفاء » .

أما القسم الثاني فيتألف من ثمانية فصول هي : « استعراض نقدي لبحوث قرن ونصف في إخوان الصفا ورسائلهم » ، و « بعض المصطلحات التربوية في رسائل إخوان الصفا » و « فلسفة التربية الإسلاميّة » و « إقامة الغزالي في دمشق والقدس » و « أصل المدرسة وخصائصها » و « المعلم بطرس البستاني » و « أصول الكنيسة السورية البروتستانتية ومستهل تاريخها » و « معنى الثقافة في العربية المعاصرة » .

أما القسم الثالث والأخير فيضم سبعة فصول هي : « مراجعة نقدية لتاريخ كمبردج للإسلام » و « بعض اختلاطات في مفهوم النهضة » و « تي ئي. لورنس وفيصل ووايزمان » و « وفلسطين في مؤامرة انكليزية صهيونية؛ من ميثاق ماكماهون إلى مؤتمر الصلح » و « إنكار حق تقرير المصير لعرب فلسطين والمسؤولية البريطانية » و « أحلام العودة - اللاجئون العرب الفلسطينيون في الشعر والفن العربيين » و « مدينة القدس » .

أما الملحق فمراجعات الكتب ، ويضم عشرين موضوعاً على النحو التالي :

١ – «محمد النبي» ورجل الدولة»لمونتغومري وات W. Montgomery watt

٢ – « ما الإسلام ؟ » لمونتغومري وات .

٣ « شريعة الإسلام للأمم والشعوب (سيِّر الشيبانيّ) » ترجمة م. خدّوري .

٤ – «مقدمة ابن خلدون»الترجمة الانكليزية لروزنتال F. Rosenthal

٥ – « دمشق تحت حكم المماليك » الدكتور نقولا زيادة .

٦ – « منتخبات جديدة من رباعيات عمر الخيام » ترجمة جون باون J. C. E. Bowen

٧ – الفترة الدستورية العثمانية الأولى » لروبرت ديفيرو R. Devereux

٨ – « الإصلاحات العثمانية في سوريا وفلسطين (١٨٤٠ — ١٨٦١)» لموشي ماغوز .

٩ – « مصر تبحث عن مجتمع سياسيّ » لنداف سفران Nadav Safran

١٠ – « تاريخ مصر الحديث » لفاتيكيوتس P. J. Vatikiotis

١١ – « تاريخ لبنان الحديث » لصليبي K. S. Salibi

١٢ – « الوجود الروسيّ في سوريا وفلسطين (١٨٤٣ — ١٩١٤)» لديريك هوپوود .

١٣ – « حيث يجري نهر الأردنّ » لسانكر R. H. Sanger

١٤ – « استعراض الشؤون الدولية (١٩٥٦ — ١٩٥٨) » لجيفري باراكلوف Geoffrey Bnrraclough

١٥ – « القرية الظالمة (يوم جمعة في القدس) » ترجمة كينث كراك Kenneth Cragg

١٦ – « القبة والصخرة » لكينث كراك .

١٧ – « وجهة نظر (جاثام هاوس) » دراسات أخرى عن الشرق الأوسط » لخضوري E. Kedourie

١٨ – « القومية العربية » (مجموعة مختارات) لحيّيم S. G. Haim

١٩ « إسرائيل وفلسطين » لألبرت حوراني Albert Hourani

٢٠ « المصالح الأميركية في سوريا (١٨٠٠ – ١٩٠١) » لعبد اللطيف الطيباوي ، مراجعتان : إحداهما لآربري ، والأخرى لجوزيف مالون ، مع رد للطيباوي على الثاني ، وكلّ رد للطيباوي أحسن فيه المحاجّة ، ولم يفقد الرصانة والاتزان .

وقد ازدان الكتاب بمقدمة بليغة دافع فيها عن الإسلام ولغة الضاد ضد من أسماهم « بأنبياء الشؤم » The Prophets of Doom الذين تنبأوا قبل جيل أو جيلين بأن هلاك الإسلام المحتوم أخذ يقترب ، وأن العربية الفصحى ستندحر أمام اللهجات العامة المحليّة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل على العكس فقد ازدهر الإسلام وعلا نجم العربية في كل مكان وانتشر التعليم بمختلف مراحله قوياً رصيناً ؛ وباء أعداء الإسلام والعربية بخسران مبين ، وكان بينهم الأكاديميون والعلماء أو من يدعون النزعة الأكاديمية والعلم ... ولكن التعصب يعمي البصر والبصيرة !

وكان الدكتور الطيباوي قد أشار إلى أن هذا الضرب من التعصب قد ازداد حتى شمل العرب والقومية العربية وذلك في رسالة عنوانها :

English - Speaking Orientalists - A Critioue of their Approach to Islam and Arab Nationalism (Luzac, London, 1964)

« المستشرقون الناطقون بالانكليزية – دراسة نقدية لنظرتهم إلى الإسلام والقومية العربية » .

وقد كرر في الكتاب الذي بين أيدينا نقده بصورة مباشرة وغير مباشرة لبعض الباحثين الغربيين ولواحد أو اثنين من تلامذتهم المريدين من العرب ، ورجاهم جميعاً بأن ينظروا إلى القضايا العربية والاسلامية نظرة واقعية محضة خالية من التعصب والتحيز ، وأن يحاولوا طرْق مجالات جديدة في بحوثهم غير ما طرقوه حتى الآن مراراً وتكراراً بحيث عاد كلامهم مملاً ممجوجاً .

وقد اعترف الأستاذ البحاثة بأن تقسيم كتابه إلى ثلاثة أقسام : تاريخية وتربوية وأدبية ، إنما هو تقسيم غير طبيعي لعدم وجود فارق مطلق بين التاريخ والتربية والأدب .

وقد استهل الباحث المحقق كتابه بفصل نقدي لترجمة الفريد غيّوم لسيرة ابن إسحق إلى الانكليزية ، وكان أول ما أخذ على كُتّاب السيرة النبوية الانكليز عدم رجوعهم إلى ما كتبه الباحثون العرب حول الموضوع .

والسيرة النبوية حسبما نقلت عن ابن إسحق جمعها غيّوم من عدة مصادر وقارنها ببعض المخطوطات التي عثر عليها ، ولكن المسألة ليست بهذا اليسر ، فهناك مواضع لا تستطيع بين ما كتبه ابن إسحق وما دوّنه ابن هشام (١) فيعتمد غيّوم إذ ذاك على الحدس والتخمين ، وبدلاً من أن يحسّن الترجمات التي سبقته أخطأه التوفيق فدمّرها .

(١) Tibawi, Arabic and Islamic Themes, p. 2 q

ويورد الدكتور الطيباوي عدداً غير قليل من النصوص العربية التي وَهِمَ الأستاذ غيّوم في نقلها إلى الانكليزية ، ويعقد الناقد بين الحين والحين مقارنة بين ترجمة غيّوم إلى الانكليزية وترجمة وستنفيلد Wustenfeld لنفس العبارات إلى الألمانية ، فيبرهن الطيباوي بذلك على تضلع بالألمانية واطلاع على أساليب الترجمة فيها ؛ وليس هذا فحسب بل إنه يشير كذلك إلى أخطاء وقعت في لغة المترجم الانكليزية (١) .

ومن الموضوعات المتسمة بالعمق والتي تطرق إليها الطيباوي في كتابه هو موضوع « فلسفة التعليم في الإسلام » فقد جعل القرآن والحديث نقطة ارتكاز لأي موضوع في هذا الشأن وذكر أن التعليم في الإسلام يأتي بعد الشهادتين مباشرة ، وقبل فريضة الصلاة على أهميتها ؛ وأن منزلة العلماء بعد الله والملائكة ، وقد وصلنا العديد من البحوث والدراسات التربوية منذ القرن الثالث للهجرة وهو القرن الذي اتسم بتدوين الحديث ؛ وأقدم ما كتب في نظريات التربية والتعليم كان بقلم الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في « رسالة المعلمين » وفي الفصل الذي ضمنه كتابه (البيان والتبيين) الذي يُعدُّ ذا أهمية تاريخية لتمييزه صنفين من المعلمين :

١) معلم الكتاتيب المتواضع الذي يعلِّم القراءة والكتابة لقاء أجر ، وهو أشبه بالمعلم البسيط في تاريخ الاغريق .

---

(١) راجع الصفحة ٢٩ مثلا حيث تجد العبارة : « This and the Following paragraph » ، وهذه الفقرة والتي تليها جاءتا باسم « Stands (sic) under the Name of Ibn Hisham ابن هشام » ، وصواب التعبير الانكليزي Stand وليس Stands والمزيد من ذلك راجع الصفحة ٣٤

٢) العالم المتبحر الذي إما أن يكون مدرساً خاصاً أو محاضراً عاماً ذا سمعة عالمية .

وكان ابن سحنون التونسي معاصراً للجاحظ فكتب هو الآخر رسالة في المعلمين (١) ولكن بأسلوب جاد يختلف عن الأسلوب الفكه الذي اشتهر به الجاحظ ، عالج فيها ما هو محلّل وما هو محرّم في تعليم القرآن والعلوم الملحقة به ، وقبول الأجور والمكافآت وإنزال العقوبات البدنية بالطلبة ، وكلا الباحثين لا يتطرق إلى فلسفة التعليم ، الأول لنزعته المرحة والثاني لضيق أفقه ، فأرجئت هذه المهمة إلى النصف الثاني من القرن الرابع لجماعة « إخوان الصفا » الذين تمشقوا الفلسفة فدوّنوا خمسين رسالة وجعلوا الفلسفة جزءاً من الدين لا يتجزأ ، محاولين بذلك إقامة مجتمع طوبائي تكون الزعامة فيه للعلماء ، معتبرين الأنبياء في أعلى مرتبة بين هؤلاء على أن يليهم الفلاسفة في الترتيب مباشرة .

ومن المدهش المحيّر قلة عناصر فلسفة التربية في كتابات الفلاسفة المسلمين باستثناء المتصوفة الذين كانوا هم أنفسهم في عداد المعلمين ، وعندهم أن العقل دليل التربية وهاديها ، ولم يحاول المتصوفة مع ذلك الاستعاضة عن الإيمان بالعقل ، بل بالنور الإلهي للغرض ذاته .

واستطاع الإمام الغزالي ، قبل انصرام القرن الخامس الهجري ، أن يوفق بين الاتجاه السنّي للإسلام ، والتصوف ، والأسلوب الفلسفي ، وإن لم يتضمن ذلك الفلسفة برمتها ، فكانت فلسفته التربوية ذروة التفكير الفقهيّ في الموضوع ، ومع أن التعلّم بحد ذاته فضيلة ، بالنسبة للغزالي ، فإن

---

(١) آداب المعلمين (تونس ، ١٣٤٨ هـ) .

الغرض منه شق الطريق إلى معرفة الله وعشقه ، ولا يغني هذا عن العلوم الأخرى التي هي ممهدات له .

ومع أن المعلم ، في نظام الغزالي ، لا غنى عنه ، فإن هناك تشديداً على الجهد الشخصي لا يُستهان به ، وينبغي ألا يقبل أجراً أو مكافأة لقاء التعليم ، وعلى المتعلم أن يكرس ذاته للعلم ، بعيداً عن بيته وأهله ، في أفضل الأحوال .

ولم يضف أحد شيئاً محسوساً إلى فلسفة التعليم بعد الغزالي فإن ما قيل بعده مجرد تكرار ، اللهم باستثناء ما جاء به العلاّمة ابن خلدون .

ولا بد كذلك من الإشارة إلى الزرنوجي الذي عاش في القرن السادس للهجرة ووضع كتابه : « تعليم المتعلّم طريق التعلّم » وقد تُرجم في أوائل القرن الثامن عشر إلى اللاتينية ومن بعدُ في عصرنا الحاضر إلى الانكليزية ، وليس فيه من جديد سوى بعض الطُرَف ، من نحو تحذيره العلماء من استعمال المداد الأحمر لأنه بدعة من بدع الفلاسفة لا من سبقهم من العلماء ، ونصحه بتناول المشمش في الصباح وتجنب التفاح الحامض ، إذا ما شاء العالم أن يتمتع بذاكرة قوية !.

على أن « فلسفة التعليم الإسلامية » تصل ذروتها في فصل خاص من مقدمة ابن خلدون وفيها من الآراء ما يستحق أن يوضع في مصاف أحدث الآراء التربوية وأسماها (١) .

والفصل الآخر الذي استرعى انتباهي في القسم المخصص للتربية في

(١) الطيباوي : « موضوعات عربية وإسلامية » (بالانكليزية) ص ١٨٧ – ١٩٧

الكتاب هو : « أصل المدرسة وميزتها » Origin and Character of « Al- Madrasah »[(١)] حيث يقول المؤلف الفاضل : إن تاريخ التعليم الإسلامي لايزال ، في نطاق معلوماتنا عن الثقافة الإسلامية ، أحد المجاهل المظلمة نسبياً ، ثم يتحدث عن التعليم في « الكُتّاب » وفي « المجالس » ؛ والنمط الأول هو لتعليم القراءة والكتابة والحساب والشعر واللغة والأخبار (أي التاريخ) وفوق ذلك كله القرآن الكريم . أما المجالس فكانت حلقات في المساجد يرأسها عالم أو أستاذ أو شيخ أو حكيم ، ولم يكن التدريس لقاء أجر ولو أن ابن عباس روى عن النبي ﷺ قوله : «أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » [(٢)] ؛ وكان مما يأخذه علماء بلاد ماوراء النهرين على علماء بغداد أنهم يتقاضون أجراً كفاء تدريسهم .

ووضعَ المؤلف (التأديب) و (الرحلات) جانباً على اعتبار أن (التأديب) خاص بأولاد الخلفاء والأمراء ، و (الرحلات) بأكابر العلماء الذين يتحملون مشاق الأسفار ويتيسر لهم ما تتطلبه من نفقات .

وجاءت بعد المجالس المكتبات كمراكز للدراسة والبحث حيث كانت توفر الكتب والمداد والأقلام والقراطيس ، وحاول الخلفاء وكبار رجال الدولة إنشاء مراكز ، فضلاً عن المساجد ، تحظى برعايتهم وتكون موضع اهتمامهم الخاص وقامت هذه المراكز أو المؤسسات تحت أسماء مختلفة ، منها (بيت الحكمة) أيام الرشيد والمأمون حيث قامت مكتبة وأنشىء مركز للترجمة ،

---

(١) الطيباوي : ص.ص ٢١٢ – ٢٢٧

(٢) نفسه : ص ٢١٣ هـ ٣ = صحيح البخاري (بولاق ، ١٢٩٩) جـ ٣ ص ٤٩

ومنها أيضاً (دار العلم) التي كانت أكثر شمولاً أيام الحاكم بأمر الله ؛ والحق أننا لا نعلم إلا الشيء اليسير عن (بيت الحكمة) وذلك عن طريق فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء لابن القفطي . أما (دار العلم) التي ازدهرت تحت إشراف العزيز وابن كلس ، وزودت بمقر ومخصصات للطلاب فقد ورد ذكرها في خطط المقريزي [١] . ويحسن بنا أن نشير هنا إلى مقولة الأستاذ بيدرسن pedersen بأن (بيت الحكمة) و (دار العلم) كانتا مؤسستين سائرتين حسب التقاليد القديمة المتوارثة من العصور اليونانية ، فهي مقولة ممتعة ولكنهـــا موغلة في الخيـال [٢] على ما يقول الدكتور الطيباوي .

وازداد عدد المكتبات الخاصة والعامة حيث كان يجتمع العلماء والباحثون الناشئون للنقاش والدرس ، وذلك منذ القرن الثاني للهجرة ؛ وبانتهاء القرن الرابع أصبحت مثل هذه المؤسسات مظهراً راسخاً من مظاهر الحياة العقلية في العالم الاسلامي ، ومنها تطورت فكرة (المدرسة) .

ويقول الدكتور المقدسي [٣] إن المدرسة ، ولا سيما النمط الذي

---

(١) الطيباوي ، ص ٢١٤ هـ = خطط المقريزي (القاهرة ، ١٣٢٦) ج ٢ ص ٣٣٤ — ٣٣٥

(٢) راجع بحث بيدرسن : « مظاهر من تاريخ المدرسة »
Some Aspects of the History of the Madrasa
في مجلة « الثقـــافة الاسلامية » Islamic Culture (السنة الثالثة) ج ٤ (١٩٢٩) ص ٣٥٢

(٣) مؤسسات التعليم الاسلامية ببغداد في القرن الحادي عشر للميلاد ، مجلة معهد الشرقيات بلندن ، المجلد ٢٤/١ ص ١ — ٥٦ (لسنة ١٩٦١)

أسسه نظام الملك ، كانت مؤسسة صممت لتعليم الفقه بصرف النظر عن العلوم الدينية الأخرى ، ولكنها في الواقع لم تبعد عن نطاق تعليمها إلا الفلسفة .

هذه نماذج اقتبسناها من طريقة تفكير وبحث الأستاذ الطيباوي . على أن أعمق وأروع ما كتبه الطيباوي كان عن « إخوان الصفا ورسائلهم » وهو كما يقول : « مراجعة نقدية لقرن ونصف من التتبع والاستقراء » ، استنفدت خمساً وعشرين صفحة من الكتاب مثقلة بالهوامش الطويلة ذات المصادر المتعددة ومنتهية بخمس صفحات وبعض الصفحة عن « بعض المصطلحات التربوية في رسائل إخوان الصفا » وكانت هذه في الأصل كلمة ألقيت في مؤتمر المستشرقين الرابع والعشرين المنعقد بميونخ (بألمانيا الغربية) في آب / أغسطس ١٩٥٧ [١] .

فالسنوات الأربع الأولى على رأي اخوان الصفا وكما جاء في كلمة الطيباوي [٢] هي سني التربية يتعلم خلالها الطفل بطريق الحواس والغرائز ؛ والفترة من الرابعة حتى الخامسة عشرة تقدم لنا الرسائل ثلاثة مصطلحات هي : (المكتب) أو (الكتّاب) و (المعلم) و (الصبيّ) ؛ وبعد الخامسة عشرة ، أي في سن الشباب ، تصبح المصطلحات الثلاثة : (المجلس)

---

(١) كنت ممن حضر هذا المؤتمر ، وقد ألقيت فيه موضوعاً عن « القصة العراقية الحديثة » واستمعت إلى كلمة الدكتور الطيباوي التي قوبلت في حينها بتقدير المؤتمرين وإعجابهم .

(٢) موضوعات عربية واسلامية ، ص ١٨١

و (الأستاذ) و (التلميذ) [١] أو (طالب العلم) .

ويبدو أن المصطلحات الثلاثة الأولى كانت تتعلق بمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ، في حين أن الثلاثة الآخرة خُصَّت بالتعليم العالي سواء أكان في المساجد أو المكتبات أو المدارس ، فهو متصل (بالعلم) وبرأسه (أستاذ) . وكان معظم اهتمام (اخوان الصفاء) منصباً على (الشباب) ومرحلة التعليم العالي التي يجب أن تشمل مختلف صنوف المعرفة أي العلوم النبويّة بالاضافة إلى الفلسفيّة أو بالأحرى محتويات رسائل اخوان الصفا ، فالترتيب هو (مكتب المعلم) أولاً يليه بعد ذلك (مجلس أهل العلم) ؛ وكانت عادةُ (الرحلة) في طلب العلم متعارفاً عليها ، ويشار إلى محاولات الطالب للاتصال بأستاذه (باللقاء) و (المجالسة) أو (المرافقة) العالم ؛ ويتعلم (الصبي) بطريق (الإملاء) و (والتلقين) لأن (القوة العاقلة) فيه لا تظهر قبل سن الخامسة عشرة ، ويتعلم (التلميذ) بطريق (العقل) ومن ثم بطريق (البرهان) أو المنطق ، وبطريق (البحث) و (المذاكرة) ثم يضيف جماعة اخوان الصفا ما يميط اللثام عن ميلهم الغامض إلى التصوف بذكرهم طريقاً آخر هو طريق (الالهام) !

وأستاذ « الشباب » الذين تجاوزوا الخامسة عشرة ، هو على رأي اخوان الصفا ، (حكيم) وتلميذه (محبُّ الحكمة) ، واللفظتان في مصطلح أهل السنة (عالم) و (طالب علم) ويعبرون عن إتمام الدورة التعليمية بـ (التخرّج) مشتقاً من الفعل (تخرّج) ، ويشار إلى مهنة

---

(١) لفظة (الأستاذ) فارسية و (تلميذ) سريانية ، يراجع قاموس حافا العربي – الانكليزي ، بيروت ١٩١٥ ص ص ٦١ و ٣٠٨ = الطيباوي ١٨١

التعلم بـ (صناعة المعلمين) ؛ والتلميذُ (ابنٌ نفسانيٌ) للأستاذ ، والغاية هي (تهذيب) الروح ، و (تطهير) الأخلاق ، وإن ما تصبو إليه الرسائل من وراء ذلك هي (الملكة الروحانية) ، ويلي (التهذيب والتطهير) ما يسميه الاخوان (بالتتميم والتكميل) للروح . وكل ذلك إعداد للحياة الأبدية في الدار الأخرى ؛ وهكذا ربط الاخوان بكل براعة العكوف على العلم والاستزادة منه جَهْدَ المستطاع في هذه الدنيا بالتهذيب والطهارة والتمام والكمال في الآخرة ، لكيلا يقول قائل : « ما الفائدة من التزود بالعلم الدنيويّ ما دام مصيرنا جميعاً إلى عالم آخر ؟ » ويفسر لنا هذا كيف أن بعض مشاهير العلماء كانوا يحاولون اكتساب المزيد من العلم حتى على فراش الموت ، عندما يكونون في الرمق الأخير ، فالغرض من الحياة المتمثلة في الروح أو الجزء الالهي من كيان الإنسان هو التشبع بأكبر قسط من العلم الذي كلما زاد مقداره زاد نقاء الروح قبل العودة للاندماج بالأصل الذي انبثقت منه ، ويسميها الاخوان بـ (النفس الجزئية) ، وعلى هذا فان الحياة ليست عبثاً وإنما غرضها التعلم المستمر (من المهد إلى اللحد) لتحقيق المثل الأعلى ألا وهو النقاء التام لأجزاء الروح الكبرى التي انتزعت منها ؛ وهكذا فالروح (علامة بالقوة) وتحتاج إلى تذكير لتصبح (علامة بالفعل) ؛ ويتطلب ذلك (التربية) و (التعليم) [1] .

والفضيلة الكبرى في بحوث الأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي هي أنه يعتمد في كثير مما يكتب على وثائق ومستندات لم تر النور بعدُ ، وخير مثال على ذلك بحثه عن « أصول الكلية السورية البروتستانية

(١) الرسائل ، ج ٣ ص ٣٩٣ = الطيباوي ، ص ١٨٦

ومستهل تاريخها ، والكلية موضوعة البحث هي المعروفة اليوم « بالجامعة الاميركية ببيروت » ، فقد راجع الأستاذ الباحث أوراقاً ووثائق في مكتبات عامة وشبه عامة في أربعة مراكز مختلفة في الولايات المتحدة واطلع إلى حد ما على بضعة مصادر غير مطبوعة هي بحوزة رئيس الجامعة الاميركية ببيروت ؛ والمواد التي جاء بها الطيباوي غير مذكورة أو قد تلمع إليها من بعيد في كتب ثلاثة من رؤساء الجامعة السابقين ، وهي :

١ — كتاب « ذكريات دانيال بليس » (نيويورك ، ١٩٢٠) .

The Reminiscences of Daniel Bliss (New york 1920)

٢ — وكتاب « لكيما تكون لهم حياة — قصة جامعة بيروت الاميركية » لاسطيفان پنروز (نيويورك ، ١٩٤١) .

Stephen B. L. Penrose « That They May Have Life - the Story of the American University of Beirut 1866 - 1941 » (Newyork, 1941)

٣ — وكتاب بايارد دودج : « جامعة بيروت الاميركية — تاريخ موجز » (بيروت ، ١٩٥٨) .

Bayard Dodge « The American University of Beirut A Brief History » (Beirut , 1958)

وقد ألحق بالفصل القيّم هذا قائمة باثنين وثلاثين كتاباً من الكتب غير الدينية التي طبعت بالعربية لتستعمل في الكلية خلال الفترة التي شملتها دراسة الدكتور الطيباوي ، وهي :

(١) على عهد دانيال بليس Daniel Bliss

● الدروس الأولية في الفلسفة العقلية (١٨٧٤)

(٢) على عهد كورنيليس فان دايك Cornelius Van Dyck

● أصول الكيمياء (١٨٦٩)

● رسالة الرازي في الحصبة والجدري (١٨٧٢)

● كتاب في اللوغارتمات ومساحة المثلثات (١٨٧٣)

● أصول علم الهيئة (١٨٧٤)

التشخيص الطبيعي (١٨٧٤)

أصول الباثولوجيا (١٨٧٨)

(دار الكتب المدرسية التالية التي وضعت للمدارس لا للكلية) :

المرآة الوضيئة في الكرة الأرضية (١٨٥٢)

● الروضة الزهرية في الأصول الجبرية (١٨٥٣)

كتاب الأصول الهندسية (١٨٥٧)

● محيط الدائرة في علم العروض والقافية (١٨٥٧)

النقش في الحجر (ثمانية أجزاء فيها مقالات مبسطة في العلوم (١٨٨٦)

كتاب النفائس (مجموعة القراءة العربية) (؟)

(٣) على عهد جورج بوست George Post :

كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات (جزآن)

(١٨٦٩ ، ١٨٨٢)

مبادىء التشريح والفيسولوجيا والهيجين (١٨٧٠)

● مبادىء علم النبات (١٨٧١)

المصباح الوضاح في صناعة الجراح (١٨٧٣)

الأقرباذين أو المواد الطبيّة (نشر قسماً قسماً ابتداء من ١٨٧٤ في مجلة « أخبار طبيّة » التي عرفت فيما بعد بمجلة « الطبيب ») (١٨٧٤ – ١٨٧٦)

● نباتات سوريا وفلسطين والقطر المصري وبواديها (١٨٨٤)

(٤) على عهد جون ورتابيت John wortarbet :

التوضيح في أصول التشريح (١٨٧١)

مختصر في أعضاء الجسد البشري ووظائفها (١٨٧٣)

أصول الفسيولوجيا (١٨٧٧)

أطلس في التشريح والفسيولوجيا (١٨٧٨ ؟)

كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الأسقام (١٨٨١)

(٥) على عهد هارفي بورتر Hervey Porter :

● النهج القويم في التاريخ القديم (١) (١٨٨٤)

ايضاح نحو اللغة اللاتينية وصرفها (؟)

تعليم القراءة اللاتينية (؟)

(٦) على عهد ايدوين لويس Edwin Lewis :

أصول التحليل الكيميّ (١٨٧٦)

الهواء والماء (١٨٧٩)

(٧) على عهد أسعد شادودي :

العروس البديعة في علم الطبيعة (١٨٧٣)

---

(١) الكتب المعلمة بدائرة سوداء هي وحدها التي لاتزال متوفرة في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت في الوقت الحاضر .

(٨) على عهد فارس نمر :

الظواهر الجويّة (١٨٧٦)

(٩) على عهد يعقوب صرّوف :

سرّ النجاح (١٨٨٠)

وباستعراض هذه القائمة التي وفّرها لنا البحاثة الفاضل يمكننا أن نفهم جانباً من مستوى جامعة بيروت الأميركية خلال أحد عشر عاماً من سنيّ الجامعة في القرن التاسع عشر ، وما قدمته من خدمات في مجالي الآداب والعلوم وتوفير المصطلحات العلمية في التشريح والباثولوجيا والفيسيولوجيا ، وعلم الأمراض ، وحفظ الصحة ، والجراحة ، والحيوان ، والنبات ، والكيمياء ، والجبر ، والهندسة ، والمثلثات ، وعلم الهيئة ؛ فضلاً عن تشجيع دراسة هذه العلوم بالعربية ، غير أن هذا الاتجاه ، للأسف ، توقف في السنة الدراسية ١٨٧٩ — ١٨٨٠

يصور لنا الأستاذ الطيباوي الصعوبات التي جابهها المبشرون الأميركيون في اختيار مقرّ للجامعة الأميركية في الشرق الأوسط فترددوا بين « سميرنه » Smyrna ومالطة واليونان والقدس وبيروت ، حتى استقر رأيهم على الأخيرة وجلبوا إليها مطبعتهم العربية في أيار / مايو ١٨٣٤ بعد أن كان مقرها في مالطة ؛ وقد سمحت لهم الحكومة العثمانية بالتبشير بين اليهود والأرمن ومختلف الطوائف المسيحية لجذبهم إلى المذهب البروتستانتي ؛ وكان من أهداف المبشرين الأميركيين الاضطلاع بإخراج ترجمة عربية جديدة للكتاب المقدس ، أي العهدين القديم والجديد ، فعهدوا بالأمر إلى لجنة مؤلفة من ايلي سميث Eli Smith وبطرس البستاني (الذي اعتنق المذهب البروتستانتي

وأصبح من أشد أنصاره) وقاصيف اليازجي ، فلما توفي ايلي سميث خلفه فان دايك Van Dyck ، وفي ربيع سنة ١٨٦٠ أعلن فان دايك الفراغ من ترجمة العهد الجديد .

وأخيراً افتتحت الكلية الأميركية ، وهو الشكل الذي بدأت به الجامعة الأميركية ، يوم الاثنين الثالث من كانون الأول / ديسمبر ١٨٦٦ .

ويمضي الأستاذ الطيباوي في سرد قصته الأكاديمية الممتعة ، مدعمة بالوثائق والمستندات ليلقي أضواء على مؤسسة لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الشرق العربي ، فيضيف إلى معلوماتنا أشياء كثيرة كنا نجهلها ويرفع النقاب عن أمور لم يفطن إليها من سبقوه ممن أرّخوا للجامعة الأميركية .

إن أقل ما يمكننا أن نقدمه للطيباوي الباحث الدؤوب في هذه المراجعة هو امتناننا العظيم له وإعجابنا بالكتاب الفذ الفريد الذي خدم به أمته في لغة تعد اليوم أوسع لغات الدنيا انتشاراً .

صفاء خلوصي

معجم شواهد العربية
تأليف عبد السلام محمد هارون

عاصم بهجة البيطار

الأستاذ عبد السلام محمد هارون غني عن التعريف ، فهو العالم المحقق الذي قضى من حياته المباركة عشرات السنوات عاكفاً على تراثنا العربي الخصب ، ينفض عن كثير من كنوزه غبار الأيام ، ويقدمه نصوصاً مقوّمة ، وطباعة أنيقة ، وفهارس تعين على الانتفاع بما ينشر ، يسعفه في ذلك إيمان عميق ، واطلاع واسع ، وصبر محمود ، وخبرة ممتدة مثمرة . فكان عمله المبرور مدرسة جرى في ميدانها الكثيرون انتفعوا بما قدم ، ونهجوا منهجه فيما عمل ، وقدّموا لأمتهم صوراً مشرقة وآثاراً رائعة مما تركه سلفنا العظيم .

وقد نشر الأستاذ عبد السلام هارون كتابه « معجم شواهد العربية » في مجلد واحد ذي جزأين مسلسلي الصفحات طبع أولهما عام ١٩٧٢ وثانيهما عام ١٩٧٣ في مؤسسة الخانجي في مصر وبلغت صفحاتهما مع الفهارس (٦٣٢ص)(١) وهو معجم ضخم جمع فيه مؤلفه تسعة آلاف شاهد إلا قليلًا « وبسط فيه ما استشهد به العلماء في النحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وخصائص اللغة وأسرارها وما يتعلق بها من بحوث نجدها منثورة في مراجع شتى ، ومن العسر بمكان أن يهتدي إليها الباحث » (المعجم ص : ٥) .

---

(١) جمع المؤلف في الجزء الأول الأشعار ، وفي الجزء الثاني الأرجاز وأنصاف الأبيات والإحالات ، وألحق ذلك بفهارس للأعلام والمراجع ، ثم استدراكات وإضافات ثم صواب أخطاء الطبع . وقد أشار المؤلف في (ص : ٥٨٣) إلى أنه أتم تبييضه للمرة الثانية عام ١٩٦٨ ، وأنه راجعه للمرة الأخيرة عام ١٩٧٠

وقد كان الأستاذ المؤلف يحس بالصعوبة البالغة في التنقيب عن شاهد نحوي أو صرفي أو بلاغي ، ورأى ما ينشره بعض الجاحدين من « الشك في شواهد العربية والطعن في توثيقها » فعقد العزم على صنع هذا المعجم ، يقول الأستاذ المؤلف : « وحين عقدته ألفيتني في حيرة قلقة بين المراجع التي لا حد لها ولا حصر ، ثم وجدت من صواب الرأي أن أختار من ذلك كله ما هو أعلى قدراً ، وما هو أجمع من غيره وأشمل ، وما هو آصل في الفن وأجزل في الفائدة ، فاستقر الأمر على اختيار ثلاثين مرجعاً جعلنا المهاد الأول لهذا المعجم ، مضيفاً إليها مئات المراجع الأخرى الثانوية من كتب الأدب والاختيارات والحماسات واللغة والبلدان والتاريخ والنسب والتفسير والحديث والسير ودواوين الشعر مطبوعها والمخطوط ، وقد أوضحتها في ثبت المراجع معيناً طبعاتها » (ص ٥ ـ ٦) .

وقد بسط المؤلف أسماء المراجع الثلاثين التي جعلها أصلاً لمعجمه ورتبها ترتيباً تاريخياً على الشكل التالي :

١ ـ كتاب سيبويه (ـ ١٨٠ هـ) .

٢ ـ النوادر لأبي زيد الأنصاري (ـ ٢١٥ هـ) .

٣ ـ المقتضب للمبرد (٢١٠ ـ ٢٨٥ هـ) .

٤ ـ مجالس ثعلب (٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ) .

٥ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٤٦ ـ ٣٢٧ هـ) .

٦ ـ الجمل للزجاجي (ـ ٣٤٠ هـ) .

٧ ـ أمالي الزجاجي .

٨ ـ مجالس العلماء للزجاجي .

٩ – المصون في الأدب للعسكري (– ٣٨٢ هـ)

١٠ – الخصائص لابن جني (٣٢١ – ٣٩٢ هـ)

١١ – المنصف لابن جني .

١٢ – المحتسب لابن جني .

١٣ – دلائل الإعجاز للجرجاني (– ٤٧١ هـ)

١٤ – أسرار البلاغة للجرجاني .

١٥ – الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (٥١٣ – ٥٧٧ هـ)

١٦ – شرح المفصل لابن يعيش (– ٦٤٣ هـ)

١٧ – المقرب لابن عصفور (٥٩٧ – ٦٦٣ هـ)

١٨ – خزانة الأدب للبغدادي (١٠٣٠ – ١٠٩٣ هـ)

١٩ – شرح الشافية للرضي (– ٦٨٨ هـ) وشواهده للبغدادي .

٢٠ – مغني اللبيب لابن هشام (٧٠٨ – ٧٦١ هـ)

٢١ – شذور الذهب لابن هشام .

٢٢ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني (٧٦٢- ٨٥٥ هـ) وقد جمع فيه مؤلفه شواهد أربعة شروح معتمدة لألفية ابن مالك هي : شرح ابن الناظم بدر الدين محمد ، وشرح المرادي ، وشرح ابن هشام ، وشرح ابن عقيل .

٢٣ – التصريح بمضمون التوضيح للأزهري (٨٣٨ – ٩٠٥ هـ)

٢٤ – همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ)

٢٥ – الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي (١٢٨٩ – ١٣٣١ هـ)

٢٦ - منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني (- ٩٠٠ هـ)

٢٧ - حاشية الصبان على شرح الأشموني (الصبان ١٢٠٦ هـ)

٢٨ - معاهد التنصيص للعباسي (٨٦٧ - ٩٦٣ هـ) وهو شرح لشواهد التلخيص للقزويني (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ)

٢٩ - حاشية يس على التصريح (١٠٦١ هـ)

٣٠ - الكافي في علمي العروض والقوافي لأبي العباس القنائي (متوفى ٧٥٩ هـ) ومعه حاشية محمد الدمنهوري .

وما أشك في أن الكتاب سيكون في متناول يد كل باحث وطالب معرفة ، يجد فيه ما تفرق في المصادر المختلفة مجموعاً ميسّراً ، وفي ذلك ما يذلل صعوبـــات شتى ، ويجعل التحقيق أكثر يسراً وأقرب إلى الصورة المرضيّة .

وكنت أجد عسراً شديداً في الرجوع إلى شرح المفصل بأجزائه العشرة ، فوضعت له فهارس تحصي شواهده من آيات وأحاديث وأمثـال وأشعار ، وتدل على مواضع أبحاثه ، غير أني رأيت فروقاً بين هذا المعجم وما أثبته عندي ، فعملت على موازنة ما صنعت بما نشره صاحب المعجم ، فهالني ما رأيت ، وكنت كلما مضيت في الموازنة أشعر بأن ما وقـع في المعجم من خطأ في الطباعة أو في سواها يوشك أن يعصف بالفائدة المرجوة من هذا السفر النفيس ، فآثرت أن أضع بين أيدي المراجعين ما سجلته من ملاحظات تقوّم ما وقع من خطأ أو وهم أو نقص فيما أحصاه المعجم من شواهد شرح المفصّل لابن يعيش ، وهو واحد من مراجع ثلاثين جعلها المؤلف المحقق أساس كتابه كما قدمنا .

وإني لأسأل الله أن يمد في عمر الأستاذ المؤلف ، وأن يهبه القوة والعون ليعيد النظر في معجمه بصبرٍ أثر عنه ، ودقةٍ وصف بها ، ليأخذ الكتاب مكانه بين المراجع التي يطمأن إلى ما فيها .

١ — شواهد شرح المفصل التي سقطت من المعجم

١ – عاود هراة وإن معمورها خربا ٩/١٠

٢ – تضحي إذا شدها للرحل جانحةً حتى إذا ما استوى في غرزها تثب
ذو الرمة ٤/٩٧ ، ٧/٤٧

٣ – هل في القضية أن إذا استغنيتم وأمنتم فأنا البعيد الأجنب
وإذا تكون كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
رجل من مذحج ٢/١١٠

٤ – يا ابن الأباطح من أرضٍ أباطحها في ذروة المجد أعلى من روابيها
البحتري ١/٧

٥ – يا ذا المخوفنا بمقتل شيخه ٢/٧

٦ – تجمع منها شملها وهو ستة وأفقد من أحببته وهو واحد ١/٤١

٧ – وأورث جساس بن مرة غصة إذا ما اعترتني حر هاغير بارد ٨/١١٧

٨ – أما ابن طوق فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها ١/٤٢

٩ – فقلت لها : فاها لفيك فإنها قلوص امرىء قاريك ما أنت حاذره
أبو سدرة ١/١٢٢

١٠ – رب رامٍ من بني ثعل متلج كفيه في قتره
امرؤ القيس ١٠/٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

١١ – لو أن عصم عمايتين ويذبلٍ سمعا حديثك أنزلا الأوعالا ١/٤٦

١٢ ـ جزى الله بالإحسان مافعلا بكم فأبلاهما خير البـــلاء الذي يبلو
زهير ٤/٥٦

١٣ ـ فاذهبي ما إليك أدركني الحـــلم عـــداني عن هيجـــكم أشغال
الأعشى ٤/٣٣

١٤ ـ يقول المجتلون عروس تيم سوى أم الجبين ورأس فيل ١/٣٧

١٥ ـ فبيني بها إن كنت غير رفيقة فما لامرىءبعد الثلاثة مقدم ١/١٢

١٦ ـ تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم
١٢٨/٣ ، ١٩/١٠

١٧ ـ وإنّ خويلداً فابـكي عليه قتيل الريح في البلد التهامي ١/٤١

١٨ ـ يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن إساءة أهل السوء غفرانا
قريط ٦/١٠٢

١٩ ـ ألا لا يجهلن أحـد علينـا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ابن كلثوم ٨/١١٥

٢٠ ـ وابـــذل سوام المال إن سواءها دهمـــاً وجونا ٢/٤٤، ٨٣

٢١ ـ لعمرك إنـــني وأبا رباح على طول التجاور بعد حين ٤/١٥٣
لأبغضه ويبغضني وأيضـــا يراني دونـه وأراه دوني
فلو أنا على حجرٍ ذبحنـــا جرى الدميان بالخبر اليقين

نسبت الأبيات الثلاثة في شرح المفصل إلى مرداس بن عمرو ، وقيل للأخطل أو الفرزدق ، وقد نسب صاحب المعجم البيت الأول إلى أبي الغول الطهوي ، والثالث إلى علي بن بدال ، وأسقط البيت الثاني فلم يذكره .

٢٢ - رب ضيفٍ طرق الحي سرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى ٩/٧٦

٢٣ - لكل دهر قد لبست أثوبا العجاج ١٠/١١، ٧٩

٢٤ - حتى بدت أعلام صبحٍ أبلجا ٨/١

٢٥ - قد جمل القين على الدف إبر ٩/٦٩

٢٦ - لو ان قومي حين أدعوهم حَمَلْ على الجبال الصم لارفض الجبل ٩/٨٠

٢٧ - إن الشقيّ وافد البراجم ٣/١٩

٢ - الأبيات المشتركة الموضوعة بقافية واحدة

١ - قافية : بيترب للشماخ أو الأشجعي (معجم ص : ٥٤) ، وهما بيتان وردا في (١/١١٣) من ابن يعيش :

وواعدتني ما لا أحـــاول نفعه مواعيد عرقوب أخاه بيترب الشماخ

وعدتِ وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيترب

علقمة الأشجعي

٢ - قافية : بداد لعوف بن عطية أو حسان أو النابغة الجعدي (معجم ص : ١٢٧) والقافية لبيتين وردا في (٤/٥٤) من شرح المفصل :

كنا ثمانية وكانوا جحفلاً لجباً فشلّوا بالرماح بدأد حسان

وذكرت من لبن المحلق شربة والخيل تعدو بالصعيد بداد النابغة أو عوف

٣ - قافية : الفرس لطرفة من المنسرح (معجم ص : ٢٠٢)

وبيت طرفة الذي أشار إليه المعجم من الكامل وهو في (١/١٥) من شرح المفصل ونصه :

أصواتهم كتراطن الفرس

وذكر المحشي أن صدره :

فأثار فارطهم غطاطا جثما

وقد استشهد صاحب الكتاب ببيت آخر من المنسرح ولم ينسبه وهو قول الشاعر : (٦/١٠٧ ، ٩/٤٤)

أضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

٤ — قافية : رجوعها لم ينسب (معجم ص : ٢٢٤) وهما بيتان :

قضت وطراً واسترجعت ثم آذنت ركائبها أن لا إلينا رجوعها
٣/١١١ ، ١١٢

تذكرت أياماً مضين من الصبا فهيهات هيهات إلينا رجوعها
٤/٦٥ ، ٦٦

وقد ذكر المحشي أن هذا الشاهد الثاني هو للأحوص نقلاً عن اللسان.

٥ — قافية : مفاصله لزهير (معجم ص : ٢٨٧) .

وبيت زهير هو :

فلأيا بلأي ما حملنا وليدنا على ظهر محبوك ظماء مفاصله

وليس في ابن يعيش ، وهو من شواهد سيبويه (١/١٨٦) ، أما ما ذكر في المعجم فهو لذي الرمة ونصه :

لقد خط رومي ولا زعماته على ظهر محبوك ظماء فواصله

وقد ذكره ابن يعيش (٢/٢٧) كما استشهد به سيبويه (١/١٤١) برواية : مفاصله .

٣ ـ الأبيات التي سقطت الإشارة إلى مواضعها (١)

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٢٣	الولاء	خفيف	الحارث بن حلزة	٧/٦٥، ٦٦
٢٨	معذبا	طويل	—	٨/٧٥
٣٠	الطنبا	بسيط	مرة بن محكان	١٠/١٧
٣٤	وتحلب	طويل	أسدي	١/٢٨
٥١	مطلب	منسرح	ابن قيس الرقيات	١٠/١٠١
٥٧	التجارب	طويل	القطامي	٥/١٢٨
٥٨	بمصائب	»	النابغة الذبياني	١/٦٨
٨٣	الطوائح	»	الحارث بن نهيك	١/٨٠
٨٥	سحاح	بسيط	جرير بن عبد الله	١/١٠٠، ١٠٣
١٠٦	فسديد	وافر	زيد الخيل	٦/٧٣
١١٧	الجلد	بسيط	النابغة الذبياني	٢/٨٠، ٨/١٢٩
١٣٠	اليد	متقارب	امرؤ القيس بن عابس	١/٢١
١٣٦	أفر	»	امرؤ القيس	١/١٠
١٤٧	جارا	»	الأعشى	٧/١٠٨

(١) كان من حق هذه الشواهد أن تذكر مع القسم الأول من شواهد شرح المفصل التي أغفلها المؤلف فلم يذكرها ، غير أن تلك لم تذكر مطلقاً ، وهذه ذكرت في المعجم وأحيل إلى بعض المراجع التي استشهدت بها ولم ينبه إلى مواضعها من شرح المفصل .

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
١٥٦	المصادر	طويل	مضرس بن ربعي	١٠/٤٢
١٥٨	مصادره	«	مضرس أو طفيل	٨/١١٨
١٦١	الزفر	بسيط	أعشى باهلة	١/٤٥،٦٢
١٧٩	بالسور	«	الراعي	٨/٢٣
١٨١	عار	«	سالم بن دارة	٢/٦٤
١٨٤	الحمار	وافر	يزيد بن مفرغ	٣/١٥
١٨٧	لا يفري	كامل	زهير	٩/٧٨،٧٩
٢٠١	متعيس	«	المرار الأسدي	٢/١٢٠
٢٠٢	الأحاوصا	طويل	الأعشى	١/٢٩
٢٠٨	الرباع	سريع	السفاح بن بكير	١٠/٤
٢٣٤	مجمع	متقارب	العباس بن مرداس	١/٦٨
٢٣٩	وكف	منسرح	قيس بن الخطيم	٢/١٢٤
٢٤٥	يترقرق	طويل	ذو الرمة	٤/١٨٦
٢٤٦	دقيق	«	قيس بن الملوح	٨/٧٩،٩٠/٨/٤٨،١٠٠/٨
٢٦٦	سبالها	«	الشماخ	٢/٦٣
٢٩٢	تندخل	بسيط	الكميت	٧/١٥٩
٣٠٤	بأمثل	طويل	امرؤ القيس	١/٦٤
٣٠٨	وناتل	«	أبو الطمحان القيني	٥/٣٢
٣١١	وآجال	«	الشماخ	٨/١١٤،١١٥
٣١٤	حمال	بسيط	—	٧/١٤٣

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٣١٩	المحمل	كامل	أبو كبير الهذلي	٩/٥٠
٣٢١	الشمال	رمل	عبيد بن الأبرص	٩/١٧
٣٢٤	جاله	خفيف	جميل	٣/٢٨، ٧٩، ٨/٥٣
٣٣٦	الطعاما	وافر	ابن الصعق	٣/١٨
٣٤٤	سلامها	طويل	أبو الغمر الكلابي ونسب لذي الرمة	١٠/٩١، ٩٣
٣٤٦	هضم	بسيط	زياد بن حمل	٦/٤١
٣٤٩	حوم	〃	علقمة الفحل	٥/١٥٢
٣٤٩	مسموم	〃	〃 〃	٥/١٢٨
٣٧١	مستقيم	وافر	كثير	١/١٧
٣٧٣	واسلمي	كامل	عنترة	٣/٢٤
٣٧٣	وتكرمي	〃	〃	٩/١٥٦
٣٧٤	لم تحرم	〃	〃	٤/١٢
٣٧٥	من الأيام	〃	جرير	٤/٣٦، ٦٧
٣٨٢	لانا	بسيط	قريط بن أنيف	١/٨٢، ٩/١٣، ٩٦
٣٨٣	ومينا	وافر	عدي بن زيد	١/١٠
٣٨٦	آخرينا	〃	فروة بن مسيك	٥/١٢٠، ٨/٥، ١١٣، ١٢٩
٣٩٢	ضننوا	بسيط	قعنب بن أم صاحب	٣/١٢
٣٩٣	المساكين	بسيط	حميد الأرقط	٧/١٠٤
٤٢٨	الداوية	مربع	عمرو بن ملقط	١٠/١٩

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٤٣٧	هيهاؤه	رجز	رؤبة	٤/٦٨
٤٥٤	تولجا	«	جرير	٦/٣، ١٠/ ٣٨
٤٦٤	المجودا	«	—	٤/١٢٠
٤٦٤	مسمودا	«	—	٤/١٢٠، ١٢١
٤٧٩	واصفري	«	طرفة	١٠/١١٩
٤٩٠	خالصا	«	—	٩/٢٣، ٣٦
٤٩٠	الأبارصا	«	—	٩/٢٣، ٣٦
٤٩١	تقضى	«	رؤبة	١/٢٥، ٩/٣٣
٤٩١	بعضا	«	رؤبة	١/٢٥، ٩/٣٣
٥٠٣	ازدهاف	«	«	١٠/٤٩
٥١٢	مباركا	«	أبو خالد القناني	١/٢٤
٥١٥	مشمعل، الكسل	«	جبار بن جزء	٢/٤٦، ٣/٢٠
٥٢٦	عن قل	«	أبو النجم	١/٤٨، ٥/١١٩
٥٣٧	فيعجمه	«	رؤبة	٧/٤٠، ٥٥
٥٤٤	أنهجن	«	العجاج	١/٦٤
٥٥٨	دلوا ، غدوا	«	—	١/٢٤، ٥/٨
٣١	أصابا	وافر	جرير	١/٢٥، ٩٤

٤ - الأبيات التي سقطت الإشارة إلى بعض مواضعها من شرح المفصل

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٣٩	لغريب	بسيط	ضابىء البرجمي	١/٩٣
٤٠	فركوب	طويل	علقمة الفحل	٧/٣٩
٤٦	مطلوب	بسيط	امرؤ القيس	٢/١٤٤
٨١	فأستريحا	وافر	المغيرة بن حبناء	٧/٥٥

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٩٣	فاعيدا	طويل	الأعشى	٥٦/٢
١٣٠	بالمزود	متقارب	رجل من بني الحارث	١٣٨/٨
٢٢٠	البلاقع	طويل	ذو الرمة	٣٣/٦
٢٢٢	وازع	"	النابغة الذبياني	٢٥/١ ، ١٣٢/٩
٢٢٧	مصرع	كامل	أبو ذؤيب	٣١/٣
٢٧٨	تقتل	طويل	الأخطل	١٣٨/٧ ، ١٤١
٣٠٢	فحومل	"	امرؤ القيس	١٢٨/٢
٣١٥	طوال	وافر	الأعلم الهذلي	١٠٢/٥
٣١٦	الدخال	"	لبيـــد	٨٥/٦
٣٣٠	وأنعما	طويل	ضمرة بن ضمرة	٨٤/٥
٣٦٥	فخاصم	"	—	٤/٢ ، ١٥
٣٦٩	لأقوام	بسيط	النابغة الذبياني	١٠/٢ ، ٢٤ ، ١٠٥ ١٠٤/٥،٣٦/٤،٦٨/٣
٣٩٦	بأرسان	طويل	امرؤ القيس	٣١/٧
٣٩٨	يصطحبان	"	الفرزدق	١٣/٤
٤٤٠	القصبا	رجز	رؤبة	٣١/٨
٤٤٣	شهربه	"	"	٢٣/٨
٤٤٧	الجحفت	"	سؤر الذئب	٨٩/٥ ، ٤٥/١٠
٤٦٦	قدي	"	أبو نخيلة	١٣١/٢
٤٦٩	جزر	"	عمرو بن العاص	٨٠/٧ ، ١٥٩

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٤٧٢	سطرا	رجز	رؤبة	٩/١
٤٨٣	أسيرها	«	—	٣٨/١
٤٨٥	أقعسا	«	العجاج	١١٩/٥
٤٨٧	أنيس	«	جران العود	٢٧/٣
٥٠٤	المخترق	«	رؤبة	٣٤/٩
٥١٣	أوعسا كا	«	«	١١٨/٣، ٨٧/٨، ٩٠/٣
٥٢٠	لا فعله	«	شهاب العبدي	١٠٨/٨
٥٢٦	وأشمل	«	أبو النجم	٣٦/٨
٥٢٨	حطم	«	الحطم القيسي	٦٢/١

٥ ـ تقويم الخطأ في أرقام الأجزاء والصفحات

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٢٩	ذهبا	بسيط	ابن أحمر	٤٧/٤
٣١	المصابا	وافر	جرير	١١٠/٣
٣٥	وألبب	طويل	الكميت	٣٤/١ ، ٥٤
٥٤	مذهب	«	طفيل الغنوي	٧٧/١ ، ٧٨
٥٥	يضرب	«	الفرزدق	١٣٤/٨
٦٦	العلب	منسرح	جرير	٧٠/١
٧٩	القراريج	بسيط	ذو الرمة	١٣٢/٤
١٠١	تبدوا	طويل	عمر بن لجأ	٢٤/٣
١٠٣	أعميد	«	—	٦٢/٨ ، ٦٤ ، ٦٩

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
١١٥	ووالدي	طويل	هجرس بن كليب	١١٧/٨
١٢٠	والنادي	بسيط	صخر الغي	٣٣/٤
١٣٠	اليــــد	متقارب	امرؤ القيس بن عابس	٢١/١
١٣٨	فنعذرا	طويل	امرؤ القيس	٢٢/٧ ، ٣٣
١٤٩	نصر	»	أوس بن حجر	١٣٤/٩
١٥٠	الأمر	»	أبو صخر	ي : ١١٤/٨ ، ١١٥
١٦٤	وإدبار	بسيط	الخنساء	١١٥/١
١٦٥	لمغرور	»	—	٩٣/٥
١٦٥	الكبار	مخلع البسيط	الأعشى	٣/١
١٧١	والدبور	خفيف	عدي بن زيد	ي : ١٠٤/٧ ، ١٠٥
١٩٢	جابر	سريع	الأعشى	٣٧/٤ ، ٦٨
١٩٤	الخزباز	كامل	—	ي : ١٢٢/٤
١٩٧	وأعراس	بسيط	مالك بن خويلد	ي : ١٢٣/٤ ، ٣٥/٥ ...
٢٠٨	مدفعا	طويل	امرؤ القيس	٧/٩ ، ٩٤
٢٢٢	وازع	»	النابغة الذبياني	٨٠/٣ ، ١٣٦/٨
٢٣٠	أربع	»	عمرو بن حممة	٢٣/٦
٢٣١	الرباع	وافر	أبو حنبل الطائي	٦٠/٤
٢٣٢	فاجزعي	كامل	النمر بن تولب	٨٢/١
٢٣٧	المتقاذف	طويل	النابغة	٤٦/٤
٢٤٠	الصياريف	بسيط	الفرزدق	١١١/٥ ، ١٠٦/١٠

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٢٤٥	سملق	طويل	جميل بن معمر	٧/٣٦ ، ٣٧
٢٤٦	لاتق	ـ	طريف بن تميم	١٠/١٤١ ، ١٤٢
٢٦٤	أعقلا	ـ	القلاخ بن حزن	٦/٦٩ ، ٧٠
٢٦٥	عجلا	ـ	النابغة الجعدي	٤/٤٧
٢٦٧	الرجله	مديد	—	٥/٩٨
٢٦٩	تبالا	وافر	الأعشى	٧/٣٥
٢٦٩	قذالا	ـ	ذو الرمة	ي : ٦/٩٦
٢٧٢	تبديلا	كامل	الراعي	٢/١٠٤
٢٧٤	مهلا	منسرح	الأعشى	٨/٨٤
٢٧٥	قليلا	متقارب	أبو الأسود	٢/٦ ، ٩/٣٤ ، ٣٥
٢٨٨	طيالها	طويل	أنيف بن زبان	٥/٤٥
٢٨٨	خيالها	ـ	الفرزدق	٨/١٠٢
٢٩٠	ويشتعل	بسيط	الأعشى	٨/٧٤ ، ٧٦
٢٩٥	جدال	وافر	يزيد بن الحكم	٦/٢٩
٢٩٥	أويزيل	ـ	أبو حية النميري	١/١٠٣ فحسب
٢٩٩	أفضل	متقارب	غسان بن وعلة	٤/٢١ ، ٧/٨٧
٣٠٥	هيكل	طويل	امرؤ القيس	٢/٦٦ ، ٦٨ ، ٣/٥١ ...
٣١٥	ما أبالي	وافر	غوية بن سلمي	ي : ٨/٣٤ ، ٩/١٠٠ ، ١٠١
٣١٦	بالرجال	ـ	مسكين الدارمي	٢/٤٨ ، ٥٠
٣١٧	الخليل	ـ	جرير	١/٣٧

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٣٢١	الحلال	رمل	عبيد بن الأبرص	١٧/٩
٣٢٥	السلم	طويل	ابن صريم اليشكري	٨٢/٨
٣٣٥	السناما	وافر	حميد بن بحدل الكلبي	٨٤/٩
٣٤٠	أشأم	طويل	—	١٢/١ برواية : آلأم
٣٤٥	قدمه	مديد	طرفة	٩٢/٤
٣٥١	الخيام (١)	وافر	جرير	١٥/٤، ٣٣/٩، ٧٨
٣٥٤	وندام	كامل	لبيد	٦٢/٦
٣٥٧	تميم	خفيف	عبد الرحمن بن حسان	١٢٣/٢، ١٢٤
٣٥٩	مسهم	طويل	أوس بن حجر	١٠٤/٦
٣٦٦	وسلام	«	ذو الرمة	٨٢/٤
٣٦٧	تميم	«	قطري بن الفجاءة	١٥٤/١٠ ، ١٥٥
٣٧٢	علم	كامل	أبو صخر الهذلي	٧٦/٨
٣٧٣	توءم	«	عنترة	١٥٣/٨
٣٧٥	حذام	«	امرؤ القيس	٧٩/٨
٣٧٥	أولئك الأيام	«	جرير	١٢٦/٣ ، ١٣٣ ، ١٢٨/٩، ١٢٩فحسب
٣٧٩	أنكرن	متقارب	الأعشى	٨٣/٩
٣٨٠	شنآنا	بسيط	الأعلم بن جرادة	١١٠/٩
٣٨٧	وجفانا	وافر	جميل بن معمر	٤٢/١٠

(١) ورد البيت : الخيامو ، الخيامِ .

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٣٨٩	وأومهنه ، إنه	كامل	ابن قيس الرقيات	٣/١٣٠
٣٩١	وعاجن	طويل	الأعشى	١/١٤، ٦/٧
٣٩١	متاين	«	المعطل	٤/٤٠
٣٩٤	ملآن	هزج	الفند الزماني	٢/٦٧
٤٠٠	بلبانها	طويل	أبو الأسود	٣/١٠٧
٤٠٤	فليني	وافر	عمرو بن معد يكرب	٣/٩١
٤٠٦	أوعساني	«	عمران بن حطان	٣/١٢٠، ١٢٢
٤٠٨	الأربعين	«	سحيم بن وثيل	٤/١١ ...
٤٠٩	بلين	«	أبو الغول الطهوي	٦/١٠٠، ١٠٢
٤١١	حقان	هزج	—	٨/٨٢
٤١٦	ذووها	وافر	كعب بن زهير	١/٥٣، ٣/٣٦، ٣٨
٤١٨	دوي	طويل	يزيد بن الحكم	ليس هذا البيت في ابن يعيش أصلاً وما أحال عليه من أرقام فهو لقافيتي منهوي ، بمستوي للشاعر نفسه
٤٢١	جائيا	«	زهير	٢/٥٢ ، ٧/٥٦ ، ٨/٦٩
٤٢١	غاديا	«	«	٨/٩٦
٤٢٤	كفانيا	«	منظور بن سحيم	٣/١٤٨
٤٢٨	عليّا	خفيف	عمرو بن الإطنابة	٨/٥٦
٤٤٠	القصبّا	رجز	رؤبة	٣/٩٤ ، ١٣٩ ...
٤٤٥	خلبِ	رجز	«	٨/٨٢ ، ٨٣

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٥٠١	وفا	رجز	العجاج	٩٨/٦
٥١٣	أوعساكا	«	رؤبة	١٣٢/٧
٥٢١	ومنهله	«	أبو النجم	٩٢/٨
٥٢٣	التدلدل	«	خطام المجاشعي	١٤٣/٤
٥٢٨	حطم	«	الحطم القيسي	١١٣/٦
٥٣٣	دائما	«	رؤبة	١٤/٧ ، ١٢٢
٥٦٢	والنويْ	«	العجاج	١٠٩/٦

٦ ـ ملاحظات مختلفة

١ ـ حار بن كعب ألا أحلام تزجركم

ذكره صاحب المعجم في أجزاء الأبيات (ص : ٥٧٣) ولم ينسب ، وذكر ابن يعيش البيت كاملاً في (١٠٢/٢) ونسبه إلى حسان وعجزه :

عني وأنتم من الجوف الجماخير

٢ - في قافية : جار لعدي بن الرقاع (معجم ص : ١٧١) ذكر في تخريجه أنه من شواهد ابن يعيش (٢٧/٦) ولم أعثر عليه في هذا الموضع ، وهو ليس من شواهد شرح المفصل .

٣ - أقسم بالله وآلائه   والمرء عما قال مسؤول

ذكره صاحب المعجم (ص : ٢٩٨) في المنسرح وهو من السريع .

٤ ـ وآخذ من كل حي عصم . ذكره صاحب المعجم (ص : ٣٢٧) في المتقارب وهو من السريع .

٥ - قافية : ضروب (معجم ص : ٤١) لم ينسب ، ونسبه ابن يعيش في (٦/٧٠، ٧١) لأبي طالب .

٦ - مسهدا (معجم ص : ٩٢) للأخطل ، ونسبه ابن يعيش في (١٠/١٠٢) للأعشى .

٧ - بفرصاد (معجم ١٢٠) لعبيد بن الأبرص ، وفي ابن يعيش نقلاً عن الأعلم أنه لعبيد أو شماس الهذلي .

٨ - فقصرن الشتاء بعد عليه وهو للذود أن يقسمن جار

ذكره المعجم (ص : ١٧١) ونسبه إلى عديّ بن الرقاع وجعله في التخريج من شواهد شرح المفصل (٦/٢٧) وليس فيه .

٩ - قافية : إصبعا للكلحبة (معجم ص : ٢١٠) نسبه ابن يعيش الأسود بن يعفر (٣/٣١)

١٠ قافية : تقتل للأخطل (معجم ص : ٢٧٨) نسبه ابن يعيش لحسان (٧/١٤١)

١١- قافية : يا رجل لكثير (معجم ص : ٢٩٢) نسبه ابن يعيش للأعشى (١/١٢٩)

١٢- فإن له عندي يديا وأنعما (معجم ص : ٣٣٠) لضمرة ابن ضمرة .

ذكر المحشي في (١٠/٥٦) أن هذا لضمرة أو النابغة أو الأعشى ، والأبيات ثلاثة صدورها مختلفة وعجزها واحد ، وقد استشهد ابن يعيش بالعجز وحده .

١٣ - إلا سلامها (معجم ص : ٣٤٤) لأبي الغمر الكلابي ، ونسب في شرح المفصل له أو لذي الرمة (١٠/٩٣)

١٤- عفانا كثير بن عبد الله (معجم ص : ٣٨٢) ونسب في ابن يعيش لحسان وقيل لكثير (١٣١/٧)

١٥- حمالين (معجم ص : ٤٠٢) ولم ينسب ، وقد نسبه المحشي إلى عمرو بن المداء الكلبي (١٥٣/٤) وذكر قصته وسابقاً له .

١٦- الفرقدان لعمرو بن معديكرب أو حضرمي بن عامر (معجم ص : ٤٠٦) وفي الحاشية نقلا عن الأعلم أنه لعمرو أو سوار بن المضرب (٣ / ٨٩)

١٧- عيناها لذي الرمة (معجم ص : ٤١٦) ينقل إلى قسم الأرجاز .

١٨- ذووها لكعب بن زهير (معجم ص : ٤١٦) وفي ابن يعيش أنه لكعب وقيل للكميت (٥٦/٣)

١٩- التفت (معجم ص : ٤٥١) لم ينسب ، ونسبه ابن يعيش إلى جحدر بن ضبيعة (٩٦/٤)

٢٠- أسيرها (معجم ص : ٤٨٣) لم ينسب ، ونسبه ابن يعيش إلى أبي النجم (٤٤/١)

٢١ رواجما للعجاج (معجم ص : ٤٩٧) ونسبه ابن يعيش إلى رؤبة (١٠٤/١)

٢٢ أسل — الأجل — الأمل (معجم ص : ٥٩٧) ولم تنسب ، ونسبها ابن يعيش إلى عروة بن حزام (٤٧/٩)

وبعد فهذه ملاحظات عرضتها كما دُوّنت في أوراقي ، وقد دفعني إلى نشرها حرصي الصادق على حسن الاستفادة من المعجم ، والرغبة المخلصة في أن ينهض أناس من تلاميذ المؤلف ومريديه — وهم كثر بحمد الله —

بإعادة النظر في المعجم كله ، وتصحيح ما فيه من خطأ في الطبع أو نقص في التخريج أو وهم في الدلالة ، ليكون جديراً بأن يحتل مركزه اللائق به بين المراجع الأساسية لكل من يتجه إلى كتب التراث في اللغة وعلومها .

ويؤسفني أن أشير إلى أن ما ذكرته من ملاحظات حول شواهد شرح المفصل وقع أيضاً في شواهد المراجع الأخرى ، فقد لاحظت بعض الخطأ والنقص في ذكر شواهد كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والجمل للزجاجي ، غير أن الوقت لم يتسع للاستقصاء .

جزى الله المؤلف المحقق خيراً عن العربية وأبنائها ، وأرجو أن نرى الطبعة الثانية للكتاب أكثر ضبطاً وأوفر دقة .

كلية الآداب ـ جامعة دمشق عاصم بهجة البيطار

ملاحظات على كتاب اللمع

صنعة أبي عبد الله الحسين بن علي النمري (ـ ٣٨٥ هـ)
تحقيق : وجيهة أحمد السطل
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م)

الأستاذ عبد الإله نبهان

كتاب اللمع لأبي عبد الله الحسين بن علي النَّمَري المتوفى ٣٨٥هـ وموضوعه ألفاظ الألوان في اللغة .

وهو كتاب لطيف الحجم يقع في حوالي مائة صفحة ونيف مع تعليقات التحقيق ، اضطلعت بتحقيقه اعتماداً على نسخة فريدة الأستاذة وجيهة أحمد السطل ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

والكتاب ممتع وغني جداً بالشواهد الشعرية والآراء اللغوية ، ولم تدخر المحققة الفاضلة جهداً - كما هو ظاهر - في عزو الشواهد إلى أصحابها والأقوال إلى قائليها بقدر المستطاع .

وأثناء قراءتي للكتاب وجدت نفسي مضطراً لمراجعة بعض الأمور في مظانها ، فعلقت بعض التعليقات اعتماداً على مراجعاتي ، ثم رأيت نشرها لتعمّ بها الفائدة اعتقاداً مني أن العمل في التراث لن يكتمل إلا بتضافر الجهود على إغناء هذا العمل بإعادة النظر واستدراك ما يجب استدراكه إضافةً أو تعديلاً أو تصحيحاً . وسأسرد ما تجمع لدي من التعليقات منسوقة بحسب أهميتها في نظري دون مراعاة لتسلسل صفحات الكتاب :

١ - جاء في « باب الصُفْرة » ص ٩٧ ما يلي :

« يقال : أصفرُ فاقع وفُقاعيٌ . قال الله تعالى : ﴿ صفراءُ فاقِعٌ لونُها تسُرُّ الناظرين ﴾ . زعم ابن قتيبة وأبو عبيدة أنّ الصفراء هاهنا السوداءُ . وأن الأصفر عندهم الأسود .

قال أبو رياش — رحمه الله — غلط ابن قتيبة وأبو عبيدة ، فأين هما من قول ذي الرمة : [من الطويل] .

وَجِيدٍ وَلَبّاتٍ تَواصيعَ وُضَّحٍ إذا لم تكن مِنْ نَضْحِ جاديّة صفراء »

قلت : إن المؤلف نسب إلى ابن قتيبة رأياً صريحاً في تفسير الصفرة بالسواد في الآية الكريمة على خلاف الظاهر (١) ، ثم أتى بقول لأبي رياش في تخطئة ابن قتيبة ، وهذا كتاب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٢) بين أيدينا فلنحتكم إليه :

قال ابن قتيبة ص ٥٣ :

﴿ صفراء فاقع لونها ﴾ أي : ناصع صاف .

وقد ذهب قوم إلى أنّ الصفراء : السوداء . وهذا غلط في نعوت البقر . وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل . يقال : بعير أصفر ، أي أسود . وذلك أنّ السود من الإبل يشوب سوادها صفرة قال الشاعر :

تِلكَ خَيلي منهُ وتلكَ رِكابي هُنَّ صفرٌ أولادُها كالزبيب

أي سود . انتهى كلام ابن قتيبة .

---

(١) قال القرطبي ٤٥٠/١ : جمهور المفسرين أنها صفراء اللون ، من الصفرة المعروفة .
(٢) بتحقيق السيد أحمد صقر .

فابن قتيبة إذاً في تفسيره ينفي أن تكون البقرة سوداءَ على خلاف ما نسبه إليه صاحب الملمّع .

أما فيما يتعلق بنسبة هذا الرأي إلى أبي عبيدة فيقتضي أن نذكر أنّ أبا عبيدة لم يقطع به وإنما قال :

« إن شئت صفراء ، وإن شئت سوداء كقوله : ﴿ جمالات صفر ﴾ أي سود[1] » .

٢ — في ص ٨ قال المؤلف : وقال أعشى فارس — واسمه سليمان ابن مسلم —

قالت الأستاذة المحققة : لم أجد في أسماء الأعشين من يحمل هذا الاسم — تعني أعشى فارس .

قلت : إن المؤلف قد ذكر المعنيّ عنده بهذا اللقب وهو سليمان ابن مسلم المذكور في كتب التراجم . قال الصفدي في كتابه نكت الهميان على نكت العميان ص ١٦٠ :

« سليمان بن مسلم بن الوليد ، كان سليمان المذكور ضريراً ، وزعم الجاحظ أنه من العُمْي الشعراء ، في كتابه الذي ذكر فيه ذوي العاهات . وسليمان هذا هو ابن مسلم صريع الغواني المشهور ، وكان سليمان المذكور

(١) قول أبي عبيدة أثبته السيد أحمد صقر في تعليقاته على تفسير غريب القرآن ٥٣ نقلاً عن مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٤٤

قال الإمام القرطبي معلقاً على تفسير الصفرة بالسواد ١/٤٥٠ :

وهذا شاذ لا يستعمل مجازاً إلا في الإبل ، قال الله تعالى : « كأنه جمالة صفر » وذلك أن السود من الإبل سوادها صفرة .

شديد الإلمام ببشار والأخذ منه وكان متهماً في دينه » . ثم أورد له بعض الأبيات .

وترجم له ياقوت أيضاً في معجم الأدباء[1] ١١/٢٥٥

وقد ذكره الجاحظ في كتابه الحيوان ٤/١٩٥ باسم سليمان الأعمى وقال : « كان أخا مسلم بن الوليد الأنصاري . وكانوا لا يشكون بأن سليمان هذا الأعمى كان من مستجيبي بشار الأعمى ، وأنه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدين .

فالجاحظ يجعل من سليمان هذا أخاً لمسلم بن الوليد ، بينما جعله ياقوت والصفدي ابناً لمسلم . وقد ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/٦١ باسم سليمان الأعمى . فهل تصحفت كلمة أعمى إلى أعشى عند صاحب اللمع ، وأن الرجل نبزه بهذا اللقب اعتماداً على كون المذكور فارسياً وأعمى ؟! والله أعلم .

٣ ـ قالت الأستاذة المحققة ص ٤٢ :

« ذكر ابن سيدة في المخصص ٧/٥٦ نقلاً عن ابن دريد : « العيس : البياض الخالص » .

قلت : قال ابن دريد في الجمهرة ٣/٣٥ :

« والعَيَسُ لونٌ من ألوان الإبل وهو بياضٌ تخالطه حمْرةٌ كُدرةٌ يسيرةٌ . وقال قوم : بل البياض الخالص هو العيس » .

---

(١) ذكر محقق معجم الأدباء في حاشيته أن لسليمان بن مسلم ترجمة في طبقات القراء ج ١ — ولدى مراجعتي لترجمة سليمان بن مسلم في طبقات القراء لابن الجزري ١/٣١٥ وجدت أن المعني هناك غير المعني عند أهل الأدب . فسليمان عند ابن الجزري هو : سليمان بن مسلم بن جماز وقيل سليمان بن سالم بن جماز ـ بالجيم والزاي مع تشديد الميم ـ أبي الربيع الزهري مولاهم المدني مقرىء جليل ضابط .

٤ – قال المؤلف ص ٧٧ :

قال عروة بن جُلْهُمة :

كأنَّ الرَّبابَ دُوينَ السَّحابِ نَعامٌ يُعلَّقُ بالأرْجُلِ

قلت : هذا البيت لزهير السَّكْب ، وهو زهير بن عروة بن جُلهمة المازني ، جاهلي من أشراف بني مازن وأشدائهم وفرسانهم وشعرائهم . والبيت من قصيدة أوردها أبو الفرج في الأغاني ٢٢/٢٧٠ ، طبع الهيئة المصرية العامة ، وأولها :

إذا الله لم يسقِ إلاّ الكرامَ فسقّى وجوهَ بني حنْبَلِ
مُليثاً أحمَّ دواني السحاب هزيمَ الصلاصلِ والأزْملِ

وقد أنشد البيت المذكور المبرِّد في الكامل ٣/٩٢ منسوباً إلى المازني ، وهو كما رأينا زهير السكب . كما أن ابن أبي عون أورد في كتابه التشبيهات ص ١٦٢ الأبيات المذكورة دون نسبتها إلى شاعر معين ، مكتفياً بقوله : وأنشدنا المبرد .

هذه بعض الملاحظ التي وفقنا إلى تسجيلها . والله من وراء القصد .

عبد الإله نبهان

آراء وأنبـاء

اتحـاد المجامع اللغـوية العلميـة العربية

١ — ندوة الجزائر

كان مجلس الاتحاد قرر في جلسته التاسعة عقد ندوة عربية تبحث في أمر « تيسير تعليم النحو العربي » يدعى للاشتراك فيها علماء مختصون من جميع البلاد العربية وترك للسـيد رئيس الاتحاد تعيين موعدها ومكان عقدها مع ترجيح عقدها في إحدى عواصم دول المغرب العربي .

وعقدت الندوة بدعوة من حكومة الجزائر في مدينة الجزائر من تاريخ الـسادس والعشرين من حزيران (يونيو) حتى الأول من تموز (يوليو) سنة ١٩٧٦ اشترك فيها علماء ومعلمون من كل من **الجزائر وتونس ومصر والسودان والعراق والكويت وسورية** .

وانتهت الندوة بعد أن اتخذت مقررات هامة في سبيل تيسير تعليم النحو ستطبع وتوزع على جميع الهيئات المسؤولة في الوطن العربي وعلى المعنيين بالحفاظ على الفصحى وتعليمها .

٢ — الجلسة العاشرة في مدينة الجزائر

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية جلسته العاشرة يوم

الخميس في الثالث من شهر رجب سنة ١٣٩٦ هـ الموافق الأول من تموز (يوليه) سنة ١٩٧٦ في مبنى وزارة الاعلام في مدينة الجزائر ، واعتذر عن الغياب كل من الأستاذ محمد خلف الله أحمد الأمين العام والدكتور أحمد عبد الستار الجواري ممثل مجمع العراق والدكتور محيي الدين صابر ممثل جامعة الدول العربية .

افتتح الدكتور إبراهيم مدكور رئيس الاتحاد الجلسة وعرض خطة عمل لعقد ندوات خلال السنوات الخمس القادمة وبعد مناقشتها تقررت الموافقة على الخطة التالية :

١ - عقد ندوة في المغرب سنة ١٩٧٧ وموضوعها (**المصطلح العلمي وتوحيده في العالم العربي**) .

٢ - عقد ندوة في بغداد سنة ١٩٧٨ وموضوعها (**عوامل النهوض بالفصحى ووسائل نشرها في العصر الحاضر**) .

٣ - عقد ندوة في دمشق سنة ١٩٧٩ وموضوعها (**التدريس والبحث العلمي باللغة الفصحى**) .

٤ - عقد ندوة في القاهرة سنة ١٩٨٠ وموضوعها (**النقد الأدبي المعاصر وصلته بالقيم النقدية العربية الأصيلة**) .

ثم تدارس المجلس الوضع المالي للاتحاد واتخذ قراره برفع مبلغ اشتراك كل مجمع في ميزانية الاتحاد إلى ٢٠٠٠ جنيه بدلاً من ألف .

وختمت الجلسة بعد أن تقرر تسجيل شكر الاتحاد للجزائر حكومة وشعباً والسيد وزير الاعلام والثقافة الذي شمل ندوة الاتحاد برعاية فائقة .

٣ ـ الجلسة الحادية عشرة في القاهرة

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية جلسته الحادية عشرة يوم الاربعاء الثاني عشر من ربيع الأول ١٣٩٧ الموافق الثاني من آذار (مارس) ١٩٧٧ في مبنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، واعتذر عن الغياب كل من الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ممثل مجمع العراق والدكتور محيي الدين صابر ممثل جامعة الدول العربية .

افتتح الدكتور إبراهيم مدكور رئيس الاتحاد الجلسة وعرض على الأعضاء جدول الأعمال وبعد مناقشته اتخذت القرارات التالية :

١ ـ الموافقة على طلب مجمع اللغة العربية الاردني الانتساب إلى الاتحاد .

٢ ـ تكليف الأمين العام المساعد الدكتور عدنان الخطيب بإعداد تقرير مفصل عن موضوع استبدال الأرقام الغبارية بالأرقام الهندية، تلبية لطلب مؤتمر مجمع اللغة العربية وبعض الدول العربية المهتمة بالموضوع .

٣ ـ الموافقة على الموازنة الختامية للاتحاد عن عام ١٩٧٦ .

٤ ـ الموافقة على عقد ندوة الاتحاد المقبلة وموضوعها « المصطلح العلمي وتوحيده في العالم العربي » على أن يتم تعيين زمانها ومكانها بمشاورات يجريها الرئيس .

ع . خ .

تقـــرير
عن مؤتمر مجمع اللغة العربية
في دورته الثـــالثة والأربعين

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثالثة والأربعين في المدة الواقعة بين الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ الموافق الحادي والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٧٧ م والسابع عشر من ربيع الأول ١٣٩٧ هـ الموافق السابع من آذار (مارس) ١٩٧٧ م وذلك في تسع جلسات عمل بالإضافة إلى جلستي الافتتاح والختام، كما أنه عقد جلسة استثنائية لتأبين أحد أعضائه الراحلين (١) .

وفيما يلي موجز لأهم ما عرض على المؤتمر وما انتهى إليه :

أولاً : جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى من مبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث من ربيع الأول ١٣٩٧ هـ الموافق للحادي والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٧٧ م واستمع المؤتمرون والمدعوون لهذه الجلسة من رجـــال الفكر والأدب إلى كلمات كل من :

---

(١) هو الأستاذ الفقيد أنيس المقدسي عضو المجمع من لبنان . توفي في بيروت في السابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧٧ م

١ — الأستاذ عبد المنعم الصاوي وزير الإعلام والثقافة في جمهورية مصر العربية .

٢ — الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في مصر .

٣ — الدكتور أحمد عمار نائب رئيس المجمع .

٤ — الأستاذ أحمد توفيق المدني عضو المجمع من الجزائر نيابة عن أعضاء المجمع الوافدين من البلاد العربية .

وختمت الجلسة على أن تعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى مجمع القاهرة نفسه .

ثانياً : المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش ، خلال الجلسات التي عقدها ، المصطلحات العلمية التي وضعتها اللجان المختصة ورفعت إليه بعد إقرارها من قبل مجلس المجمع في القاهرة وقد أقر المؤتمر معظمها بالإجماع ما عدا بعض التعديل الذي أدخل على بعض منها ، كما أعاد إلى اللجان نزراً منها لاستيفاء الدراسة .

وبلغ عدد المصطلحات التي أقرها المؤتمر في دورته هذه ١٠٦١ مصطلحاً موزعاً على مختلف العلوم والفنون التالية :

ا — ٣٣ مصطلحاً في فن التصوير .

ب — ٤٣ مصطلحاً في فن النحت .

جـ — ٥٢ مصطلحاً في الرياضة البدنية .

د — ٢١٦ مصطلحاً في علم النبات .

هـ — ١٠٢ مصطلح في علم الحيوان .

و — ٧٣ مصطلحاً في جيولوجية النفط ،

ز ١٢٤ مصطلحاً في الفيزياء (الفيزيقا) .

ح – ٩٦ مصطلحاً في التربية وعلم النفس .

ط – ٤٢ مصطلحاً في التاريخ الحديث والمعاصر .

ي - ١١٦ مصطلحاً في الكيمياء والصيدلة .

ك – ١٦٤ مصطلحاً في القانون المدني .

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون إلى خمسة عشر زميلاً لهم ألقوا بحوثاً أو دراسات تدور حول اللغة العربية المعاصرة في مختلف الأقطار وحول القضايا المتصلة بها والمشكلات التي تتردد الآراء فيها وتتباين ، وضاق وقت المؤتمر عن الاستماع إلى بحوث أخرى قدّمت إليه فقرر الاكتفاء بنشرها .

وتناقش المؤتمرون فيما سمعوه من آراء ، احتدم النقاش في بعضها ، وفيما يلي البحوث والدراسات التي ألقيت في المؤتمر مع الإشارة إلى أهم المناقشات التي دارت حول بعض الآراء الواردة فيها :

١ – « العربية حاضرها ومستقبلها » بحث ألقاه الأستاذ أحمد توفيق المدني عضو المجمع من الجزائر ، عرض فيه الصعوبات التي تواجه الناشئة في إتقان العربية ، ودعا إلى تضافر جهود جميع الهيئات في سبيل تسهيل تعليم العربية والحفاظ على سلامتها وتوحيد المصطلح العلمي في مختلف الأقطار وإصلاح حروف الطباعة ، وعلق على البحث الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع مبيناً جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في القضايا التي أثارها الباحث ، كما علق على البحث أيضاً الأستاذ محمد الفاسي مشيراً إلى الاقتراح الذي تقدمت به المملكة المغربية إلى مؤتمر نيروبي ١٩٧٦ لمنظمة (اليونسكو)

باعتماد مشروع الأستاذ أحمد الأخضر الإبراهيمي بشأن الحرف العربي والطباعة العربية بعد أن أقرته الدول العربية المشتركة في المؤتمر وكل من افغانستان والنيجر والسنغال ونيجريا ، فوافق المؤتمر عليه (١) .

وعلق على البحث أخيراً الدكتور عبد الله الطيب مبدياً حذره الشديد من كل حديث يدعو إلى تبسيط النحو تبسيطاً يتجاوز طرق تدريبه للناشئة ، لأن الالحاح على هذا الحديث كأنما يخفي تحته الدعوة إلى ترك النحو ؛ وليس نحو العربية بأعسر من نحو بعض اللغات المعاصرة .

٢ – « العامية والكلمات الدخيلة واللهجات في قلب الجزيرة العربية » بحث ألقاه الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس عضو المجمع المراسل من السعودية وكان البحث جيداً ممتعاً ، وإن لم يخل من إشادة ببعض ما تلوكه الألسن في قلب الجزيرة بحجة فصاحته أو انتسابه إلى لهجات محلية ضيقة الانتشار .

---

(١) يشير الأستاذ الفاسي إلى التوصية التي اتخذها مؤتمر وزراء الدول العربية المتضمنة دعم معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمملكة المغربية حتى يتمكن من الاستمرار في تجربته المغربية الرائدة في الاصلاح الطباعي وادخال اللغة العربية المشكولة في الإعلاميات والاعتماد على الشفرة العربية الموحدة في هذا المجال إلى أقصى حد تمكن عند وضع الترتيبات الخاصة بإنشاء مصرف (بنك) الكلمات ونشر المصطلحات.

وقد أدت هذه التوصية إلى اعتماد المؤتمر التاسع عشر لليونيسكو (نيروبي ١٩٧٦) نظام الحروف العربية المعيارية والمشكولة يعرف بال A S V والترميز الثنائي لهذه الحروف سمي بالـ Codar (الترميز العربي) .

انظر الوثيقة ١٩ م / ٥ الصادرة عن المؤتمر العام في دورته التاسعة عشرة ،

٣ - « اللغة العربية المعاصرة » بحث ألقاه الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان ، عرض فيه حياة اللغة العربية الواحدة خلال العصور المتعاقبة عليها منكراً دعوة القائلين بتطويرها لتساير الزمن ، حاثاً على ضرورة العمل الجاد لايقاف ما منيت به من ضعف في العصور المتأخرة نجم عن ضعف السليقة ، والتقاعس عن تيسير تعليمها ، والتساهل في الحفاظ عليها من قبل المسؤولين .

وجرى نقاش هادىء حول هذا الحديث ، كان أبرز ما فيه قول الدكتور مدكور في تعليقه : « .. إن اللغة ظاهرة اجتماعية ذات حياة ولا بد أن تعيش عصرها وتتطور بتطوره مع احتفاظها بخصائصها المميزة وإلا كان التطور مسخاً لها ، وقد كان الهدف من إنشاء المجامع اللغوية أن تسير باللغة العربية مع ركب الحياة ، ومتطلبات العلم والحضارة ، مع الاحتفاظ لها بخصائصها الأصيلة » .

وختم النقاش - قبل إحالة البحث وما فيه من مقترحات على اللجان المختصة - بتوضيح من صاحب البحث قال فيه : « لا بد من التفريق بين التطور الأدبي وتطور اللغة ، فالتطور الأدبي موجود الآن ، ولكن تطور اللغة يجب أن ينظر إليه بحذر ، ولا سيما ونحن نعيش عصر تدهور للعربية ، ولا مناص من مصارحة أنفسنا بهذا فقد أصبحت هناك أقلام تنكر النحو والصرف وتسخر منه ، ولتطوير اللغة يلزمنا أن نصفي النحو من المشكلات التي يتعسر فهمها مع عدم جدواها ، وبعد أن تنتشر عربيتنا السليمة السهلة ندع الناس يضمون ما يشاؤون من أساليب ، فحسهم اللغوي آنذاك سيكون عربياً . وما دعاني إلى هذا البحث إلا إحساس بتدهور اللغة

تدهوراً شديداً ، وعلى سبيل المثال قلّ من ينطق الذال نطقها الصحيح بل تحولت زاياً ، وكذلك الثاء والظاء . ولذلك يجب على المؤسسات المسؤولة أن تضطلع بدورها في هذا المقام ».

٤ – « بين الفصحى والعامية » بحث ألقاه الأستاذ علي النجدي ناصف عضو المجمع من القاهرة ، عرض فيه الواقع الذي يهيمن على مصر منذ أن احتلها الانكليز ، مبيناً أن سائر الأقطار العربية ليست خيراً من مصر في ذلك وتطغى فيها العامية على الفصحى في جميع المجالات ولدى مختلف الطبقات ، ثم داعا إلى ضرورة تكاتف أنصار الفصحى لإنقاذها مما يحيق بها من مخاطر والداخلي منها ليس أقل خطراً من الحرب الخارجية التي يتزعمها أعداء العربية.

لقي بحث الأستاذ النجدي ناصف صدًى يستحقه من الإعجاب العظيم والتقدير الكامل من المؤتمرين كافة ، لما تضمنه من أفكار عميقة واقتراحات مفيدة ، ولا أدل على هذا الإعجاب والتقدير من موجة عارمة من التعليقات الفورية واللاذعة ، وكان من أبرز التعليقات التي أثارت الحماس في نفوس بعض أعضاء المؤتمر قول الدكتور عز الدين عبد الله : « .. إن الأستاذ النجدي نسب هذا الطغيان إلى عهد الاحتلال البريطاني وحده ، ولكن بالرجوع إلى أبعد من تاريخ هذا الاحتلال يثبت أن طغيان العامية على الفصحى سببه الرئيسي هو عهد الحكم العثماني الذي كانت اللغة التركية فيه هي التي تصدر بها القوانين واللوائح .. » وعلق الأستاذ عبد الله عنان على هذا قائلاً : « .. إن جريدة الوقائع حين صدرت في عهد محمد علي صدر منها عددان أو ثلاثة باللغة التركية ، ولما لم يتحقق إقبال الشعب عليها في الوقت الذي تحمل فيه رفاعة الطهطاوي مسؤوليتها استبدل بالعربية لغتها

التركية وتصدى لحمل مسؤوليتها رجال الأزهر ودار العلوم وبعد فترة وجيزة تحولت إلى العربية تماماً » .

وتصدى الدكتور محمد أحمد سليمان للبحث مقراً بأن الاحتلال الأجنبي قد يكون له أثر في الحدّ من انتشار الفصحى ، غير أنه تساءل عن التدهور المتفاقم في لغة الناس حتى بعد الاستقلال فقد ضعفت اللغة كثيراً عن ذي قبل ؟ ونسب ذلك إلى أناس تسلموا مراكز قيادية تملقوا العامة ولجأوا إلى العامية والألفاظ المبتذلة لإيصال ما يريدون إلى الجماهير ، ثم قال : « إنهم قدوة ، ولو استعملوا الفصحى ، فسيفهمهم الناس وسيسيرون على نهجهم ، ويكون للعربية أن تزدهر وتتطور بعد أن ضعفت وأهملت ».

واستثار التعليق الأستاذ مصطفى مرعي فضرب بكلمات بليغة على الوتر نفسه وختم أقواله بمطالبة « مَن هم قدوة الاهتمام بالعربية الفصحى وعدم التذرع بالعامية ، لأن الواقع يدحض هذه الذرائع فأئمة المساجد وخطباؤها في قرى مصر من أسوان إلى الاسكندرية — وكذلك الأمر في سائر قرى بلاد الاسلام — يحدثون الناس بالفصحى ويفهمهم الناس ، ثم إن القرآن الذي يُتلى على الناس ، وهو قمة الفصاحة والبيان العربي ، يفهمه العامّة حين يتلى ويتأثرون به ، فما حجة أولئك القادة وقد أبطلها الواقع » .

وكان ختام التعليقات دفقة من الاطمئنان ألقاها على المؤتمرين الأستاذ محمد بهجة الأثري وكان مما ورد فيها : « .. كنت قبل أيام في مؤتمر علمي لتوجيه الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة ، وقد اشترك فيه أكثر من ثلاثمئة عالم من مختلف بلدان العالم الإسلامي ، وكان جميعهم يتحدث بالفصحى برغم سيادة لغات أجنبية في بلادهم وألقوا بها كلمات غاية في الفصاحة والبيان .

وقد خرجت من المؤتمر منشرح الصدر مطمئن القلب على جلالة اللغة الفصحى ، وتوارد على ذهني لتوها قول الله تعالى (**إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنا له لحافظون**) .

٥ - « **اللغة السواحلية وأثر العربية فيها** » بحث ألقاه الأستاذ محمد الفاسي عضو المجمع من المغرب ، تحدث فيه عن لغة أهل بلاد إفريقيا الشرقية وما تركته العربية فيها من أثر واضح لمسه وسمعه أثناء انعقاد الدورة التاسعة عشرة لمؤتمر العام للاونيسكو في نيروبي عاصمة كينيا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٦ ، ودلّ البحث على تتبع دقيق واستقصاء لطيف شكر المؤتمرون زميلهم من أجلها وتمنوا عليه لو تابع بحثه فيما يتعلق بلغة أهل الصومال .

وعلق الدكتور عبد الله الطيب على ذكر « **الصومال** » بما أقرته حديثاً من كتابة اللغة السواحلية بالحرف اللاتيني ، والدوافع الكامنة وراء الدعوة إلى استبدال هذا الحرف بالحرف العربي في كثير من بلاد الإسلام ؛ وانتهت التعليقات بإقرار المؤتمرين توصية توجه إلى جامعة الدول العربية لتعنى بنشر اللغة العربية في الصومال ، وهو أحد أعضائها ، **حتى لاتكون العربية غريبة في دولة عربية** .

كما أقر المؤتمرون توصية توجّه إلى كلٍ من الجامع الأزهر ووزارة الأوقاف في مصر والجامعة الإسلامية ومؤتمر توجيه الدعوة وإعداد الدعاة بالمملكة العربية السعودية .

٦ - « **دور المغرب الأقصى في الحفاظ على اللغة العربية** » بحث ألقاه الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع المراسل من المغرب مشيداً

فيه بجهود العلماء المغاربة في الحفاظ على العربية وفي تسهيل تعلمها وكتابتها ودعم انتشارها واختصار حروف طباعتها، مقترحاً دعم تلك الجهود في سبيل النهوض بالعربية. وبعد أن عرض الرئيس الدكتور مدكور ما بذله مجمع القاهرة واتحاد المجامع في هذا الشأن قرر المؤتمرون إحالة البحث على لجنة تيسير الكتابة التي ينبغي لها عقد مؤتمر عربي خاص لدراستها.

٧ - **« محنة إلى زوال »** بحث ألقاه الأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع المراسل من سورية كشف فيه المؤامرات التي حاكها ويحيكها أعداء العربية للقضاء عليها بتشتت وحدة المتكلمين بها وتغليب العامية في الأقطار المختلفة على الفصحى بالوسائل المعروفة من مسرح وصحافة وإذاعة وبالدعوات إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي مبيناً كيف انجرف في تيار الدعوات الهدامة بعض ذوي الشأن في المجتمع وأثر هذه الدعوات. وبرغم روح التفاؤل التي شملت البحث فقد تضمن صيحات تحذيرية تدعو إلى الانتباه للأخطار التي ما زالت محيقة بالفصحى في مختلف أقطار العروبة.

وأثار البحث عاصفة من التعليقات الملهبة رغم الكلمة الندية التي افتتح بها الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور التعليق على البحث، داعياً إلى نبذ التشاؤم لانقضاء عهد المستشرقين ذوي المقولات المغرضة وزوال الاستعمار البغيض وموت الدعوات الهدامة الطارئة، أما مسألة الإذاعة فأشار الدكتور مدكور إلى الشكاوى المتكررة منها وكيف أن الناس يتمنون على المسؤولين أن تكون الإذاعة في الوطن العربي على مستوى اذاعة القسم العربي في بعض الاذاعات الأجنبية، ثم ختم تعليقه بقوله: « إن المشكلة الحقيقية هي تربية الأبناء منذ الصغر على الفصحى، في البيت والمدرسة

وفي كل مكان يقضون وقتهم فيه ، ونحن نعيش على خطوات بدأها أناس في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات ، وقد نشطت بعض الهيئات المسؤولة اليوم في شمالي افريقية في العمل لتطبيق ذلك ، وأرجو أن يعود الحال بالأقطار المشرقية إلى تقاليدها القديمة ، وأرجو أيضاً أن يكون من بين مقررات المؤتمر توصية توجه إلى العالم العربي مباشرة يدعو فيها الهيئات القائمة على التعليم إلى العناية بتدريس اللغة العربية وبمدرسيها وبالكتاب العربي ».

وبين الدكتور عبد الله الطيب أن ما أشار إليه الأستاذ الأفغاني هو في غاية الخطورة ، لأن أكثر المحاولين هدم العربية كأنما هم يصدرون عن عقيدة كما أن أكثر البانين كأنما يتكلفون ذلك تكلفاً ثم دافع عن الشعر العربي الذي يتعرض لمؤامرة (التحديث) وأنهى تعليقه قائلاً : « لا ينبغي أن نهنىء أنفسنا على ما نبذله من جهد في مجال العربية إنه ضئيل جداً — والواجب أن ننتبه بقوة إلى هذا الخطر المحيط بنا » .

وهاجم الدكتور محمد أحمد سليمان السكوت عن وجود بعض موظفين كبار من أعداء العربية في وزارات مسؤولة عن سلامة العربية وأهاب بالمجمع « أن يتصدى بحزم لمحاولات الهدم التي تتعرض لها اللغة أو التي وصلت إلى حد الدعوة إلى كتابة القرآن بالحرف اللاتيني ، وخدع بها المسؤولون في الهيئات الدينية وأحالوها على الجهات المختصة لدراستها وكأنها موضوع علمي » .

ولفت الأستاذ مصطفى مرعي الأنظار إلى أن المسألة ليست مسألة وزارة بعينها أو مسألة موظفين ولو كانوا كباراً ، إنما المسألة مسألة القادة والرؤساء الذين يحترمون مراكزهم ويتكلمون بالعامية غير مبالين بالفصحى

ولا بأبسط قواعدها لا همّ لهم إلا التسلط على الجماهير ، وأنهى تعليقه المطول داعياً إلى الاهتمام بالفصحى والعمل على فرضها حتى على رجال السياسة لأن « للفصحى أدب ، ولها سحر بيان يستطيع من يريد أن يسيطر معها على العقول ، حتى على عقول العامة ويكفي أنها تمنع من الابتذال » .

٨ — « اللغة والحضارة » بحث ألقاه الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع المراسل من العراق ، عن مراحل التطور اللغوي بصورة عامة ، ومراحل تطور اللغة العربية بصورة خاصة ، مبيناً كيف تدفع الضرورات الاجتماعية والحاجات البشرية للتعبير عن أفكار طارئة ، إلى ابتداع كلمات جديدة من حروف ألفاظ ذات دلالات معينة قديمة ، وذلك للارتباط الذهني بين المعنى القديم وبين المعنى الجديد .

وقد استمتع المؤتمرون بطرافة البحث فقدروا صاحبه وشكروا له جهوده فيه .

٩ — « تيسير النحو » بحث ألقاه الدكتور شوقي ضيف عضو المجمع من مصر ، وقد وازن فيه بين مذاهب النحويين في أمور كثيرة ، داعياً إلى الأخذ بأبسط الآراء منها وأقربها لتسهيل تعلم النحو ، مقترحاً الحلول التي يرى أن اعتمادها يعين على تيسير النحو وتبسيطه ، وقد أثار البحث موجة من التعليقات المفيدة في هذا الموضوع الهام الذي يأخذ حيزاً كبيراً من تفكير المهتمين بالعربية ، صدقت نياتهم في خدمتها أو زافت .

وكان الدكتور عبد الله الطيب ممن علق على البحث وأشاد به ، وقال إن خبرته في التعليم تدعوه إلى ذكر هاتين الملاحظتين :

الأولى : إن الإعراب من باب التمرين والتطبيق ، وله فوائد تربوية

إذ يثير ذهن الناشىء ، واعطاء القواعد جافة مهما تكن مبسطة من غير متابعتها بالتطبيق واشرابه روح ما يشوق ويثير ليس بجيد حقاً . ومن أجل هذا نمل من الاعراب وتمارينه خيراً كثيراً .

الثانية : وضعت في تيسير النحو وتعليمه كتب كثيرة ، ولعلنا إن نظرنا فيها نجد ما يصح فيه المثل « مرعىً ولا كالسَّعْدان ، وماء ولا كصدّاء »[1] .

وقال الدكتور الطيب : « وعندي أن كتاب قواعد اللغة العربية لحفني ناصف وزملائه ... أجود ما وضع . أما كتاب النحو الواضح فهو ، على جودته ، يتضمن من التطويل الفلسفي ما قد يُعجز التلاميذ .. وأكثر ما يحتاج إليه تيسير النحو في نظري : هو المدرس القوي المخلص البصير » .

وكان مما قاله الدكتور عمر فروخ : « لا اعتراض على تيسير النحو العربي ولا على تيسير الموسيقى العربية أو تيسير علم الفلك مثلاً .. ولكن الاعتراض على ما يراد أحياناً بتيسير النحو .. ثم قال : « ولكن لي في هذا المقام عدداً من الملاحظات :

ا ـ إن النحو العربي ليس صعباً صعوبة النحو الألماني مثلاً ، فلا مبرر لهذه الشكوى الملحة من اللغة العربية ونحوها .

ب ـ اقترح الزميل الكريم ضم عدد من أبواب النحو أو تفريق عدد منها وتبديل عدد من المصطلحات ، وهو بما اقترحه لم يحل المشكلة إنما نقلها من مكان إلى مكان .

---

(١) مثلان عربيان . وسعدان : نبت ترعاه الإبل ، وصداء : ماء للعرب . انظر جمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ رقم ١٦١٩

جـ - إن الذي نشكو نحن منه ليس صعوبة النحو العربي بل هو تعقيد التأليف فيه وتعقيد تعليمه على يد نفر من المؤلفين والمعلمين ، ومردّ ذلك عندي إلى الأسباب التالية :

١ - إن كثيرين من المؤلفين يزجون في التأليف بين النحو الذي هدفه إعراب الكلمات في مواضعها من الجملة وبين فقه اللغة في التخريج الجدلي للإعراب وافتراض الأحوال التي يمكن أن تكون للإعراب في تلك الكلمات .

٢ - إن كثيرين من المعلمين لا يدركون أن النحو علم آلي وأنه وسيلة لا غاية وأن عليهم أن يعلّموا منه ما يحتاج إليه تلاميذهم في المرحلة التي يعهد إليهم فيها بتعليم هـذا الفن ، بل تراهم يحاولون أن يفرضوا على التلميذ كل ما يعرفونه هم من أقوال النحـاة ، ولقد كان ابن خلدون قد تنبه إلى هذه النقطة واقترح أن يعلم التلميذ من النحو ما يحتاج إليه ، وأن يكون التوسع في الموضوعات وفي تخريج الإعراب قاصـــراً على الذين يريدون الاختصاص في علم النحو لا في معرفة الضروري منه ، لإقامة ألسنتهم في قراءة اللغة .

٣ - في النحو عامة - أو في الصرف والنحو معاً - أوجه بعضها يحسن تعليمه مباشرة كالإعراب للعمدة من فاعل ومبتدأ ، وللفضلة من حال وتمييز ، ثم إن بعض هذه الأوجه تحسن الإشارة إليه في أواخر مراحل التعليم كالتنازع والاشتغال . وإذا أهملت هذه الأبواب فلا ضرر من إهمالها لأنها غير ضرورية في كلامنا ولأننا نستطيع أن نعتاض عنها بأوجه أقرب إلى المنطق وإلى الصحة ، أما الإقلاب والإعلال مثلاً فهما في الحقيقة من

فقه اللغة ومن تاريخ التطور اللغوي ، قلما يحتاج الطالب إلى تعلمها واستجماع ما فيها من الشاذ أو النادر .. » .

وأنهى الدكتور فروخ تعليقه قائلاً : « إن الصعوبة ليست في « النحو العربي » ولكن في طرق التعليم والتأليف ، فالتيسير يجب أن يتناول هذين لا ذاك . أما تيسير النحو كما أراده أنيس فريحة أو تبديل مصطلحات النحو كما دعا إليها يوسف السودا في لبنان فلا يحلان المشكلة ولكنهما يزيدان في تعليم النحو عدداً من المشاكل » .

وعلق الأستاذ مصطفى مرعي بقوله : « .. إن الارتجال مجازفة ، وإن جازت المجازفة في كل المجالات فلا تجوز في حقل العلم والنحو على وجه خاص » ثم اقترح بأن يؤخذ في تعليم النحو بالمنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الجمل المركبة ، واعداً بتوضيح المنهج الذي يقصد في مؤتمر السنة القادمة .

ومما قاله الأستاذ محمد بهجة الأثري : « .. والحق أن الذي أدى بالنحو إلى هذه الصعوبة اتخاذ النحو غاية لا وسيلة ، والذي تسبب في هذا التحول اهتمام نحويينا القدامى بالتخريجات والتعليقات فوضعوا بذلك عوائق عديدة ، وعلى النحاة أو المشتغلين بالنحو أن يخففوا من كل هذا ويبقوا ماله أهمية بالنسبة للطالب . هذا ويجب أن يحجب تدريس النحو عن تلاميذ المرحلة الابتدائية لأنه فوق مداركهم » .

وعلق الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبان بقوله : « .. أدهشني تصدي مجمع اللغة العربية لتبسيط النحو ولفصل ما يجوز أن يعلم للتلاميذ مما لا يجوز ، ولا أفهم المقصود بذلك ، وما يعلم للتلاميذ مسألة تربوية لا تدخل في نطاق

أعمال المجمع ، وقد درّست في كل مراحل التعليم طرق تدريس اللغة في معهد التربية بالجامعة واستطعت أن أكوّن رأياً متواضعاً مؤداه في تبسيط النحو مسألة لها جانبان :

الأول — هو الجانب التربوي وهذا يترك لرجال التربية فهم أقدر الناس على اختيار منهج اللغة العربية الذي يتناسب ومراحل النحو .

الثاني — هو الجانب العلمي وهذا ما يخص المجامع العلمية ، لكن يجب أن يسير على أساس دراسة قواعد اللغة دراسة اختبار ، ولا يجب أن يظن أن التيسير هو التعميم فقد ينقلب التيسير عقبة في سبيل الفهم ».

وعلق الأستاذ محمد شوقي أمين على ما أثاره الأستاذ فكان مما قاله : « .. إن الشقّ الآخر — من تيسير النحو — علمي بحت ، وهو من أخص مهمات المجمع الأساسية ، إذ يتناول الأحكام النحوية وتوجيهها وهذا ما لا يفصل فيه التربوي ، بل عالم النحو ، وأريد المجامع اللغوية وما يستقر عليه رأيها في تيسير أحكام النحو وتطويعها للتطور اللغوي والتعبير العصري. إن الدراسات الحديثة والقرارات المجمعية قد يسرت كثيراً من أحكام النحو التقليدية ، ولكن المعلمين العرب لا يملكون الخروج على هذه الأحكام إلا بتوجيه من السلطة العليا للتعليم بناء على رغبة المجامع » ..

ثم انتهى المؤتمرون إلى إحالة البحث إلى لجنة الأصول لدراسة المقترحات الواردة فيه .

١٠ — « تكامل العلم واللغة » بحث ألقاه الدكتور محمود مختار عضو المجمع من القاهرة عرض فيه للتقدم العلمي في العصر الحديث وللعقبات التي تواجه علماء البلاد العربية في وضع المصطلحات العلمية ، مقترحاً الحلول

التي يراها ملائمة لإغناء العربية بالمصطلحات عن طريق الترجمة والتعريب .

وعلق الدكتور محمد أحمد سليمان على البحث داعياً المجمع إلى حفز همم رجال العلم في أقطار العروبة من أجل التأليف باللغة العربية ، وبذل الجهود إلى إقرار تعليم جميع العلوم في جميع الجامعات باللغة العربية .

وعلق على البحث الأستاذ محمد بهجة الأثري وأفاد المؤتمرين بأن العراق قرر فرض اللغة العربية على التعليم بالجامعات ابتداء من العام الحاضر .

وعلق الدكتور حسني سبح على المناقشة بأن سورية قد تغلبت على مشكلة لغة التعليم في الجامعات وأقرت التعليم بالعربية منذ تأسيسها وكانت ناجحة في تجربتها الرائدة .

١١ — « **اللغة العربية في الصحافة المصرية في نصف قرن** »
بحث ألقاه الأستاذ محمد عبد الله عنان عضو المجمع من القاهرة ، عرض إلى لغة الصحف في مطلع هذا القرن وكيف تدرج مستواها فبلغت الأوج في قوة التحرير ونصاعة الأسلوب ، معدداً أسماء كبار أدباء العصر الذين شاركوا في رفع مستوى الصحافة العربية ، والعوامل الحالية التي تشارك في تدهور لغتها .

وعلق كثير من الأعضاء على البحث القيم ، منددين بإهمال القائمين على صحافة اليوم التجويد في الأسلوب ، وشيوع الأخطاء النحوية والإملائية في كتاباتهم ، وترجمة البعض منهم الأساليب الافرنجية دون مراعاة قواعد العربية في البيان .

١٢ — « **إحياء التراث وأثره في لغتنا المعاصرة** » بحث ألقاه الأستاذ عبد السلام هارون عضو المجمع من القاهرة ، عرض فيه تاريخ الاهتمام

بالتراث وفضل الذين أولوه العناية وبذلوا جهداً مشكوراً لاحيائه بالنشر والتحقيق ، ودور المستشرقين في هذا السبيل داعياً إلى ضرورة تنظيم عملية التحقيق والنشر .

وعلق الدكتور إبراهيم مدكور على البحث مشيراً إلى دور الجامعات في جميع الأقطار العربية في المشاركة بإحياء التراث لا سيما بعد أن بدأ الجامعيون يؤمنون بأن هذه المشاركة عمل جامعي يستحق التقدير .

وكان مما علق به الدكتور إسحاق موسى الحسيني مناشدة المؤتمر أن يهيب بالحكومات العربية إلى تخصيص اعتمادات مالية كافية لجمع المخطوطات والعمل على نشرها داعمة بذلك معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية الذي يُعتز به لما قدمه للتراث من خدمات جليلة .

وعلق الدكتور مهدي علام مؤكداً بخبرته الشخصية على اهتمام المستشرقين باللغة العامية ودوافعهم إلى تشجيع انتشارها وإطلاق اسم « العربية الحديثة » عليها

ودعا كل من الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور محمد يوسف حسن إلى مناشدة الحكومات العربية والجامعات الاهتمام اللائق بإحياء التراث العربي وبخاصة التراث العلمي منه .

١٣ - « اللغة العربية المعاصرة وفساد الطرق الحديثة في تعليمها »

بحث ألقاه الدكتور عمر فروخ عضو المجمع من لبنان ، عرض فيه لحال العربية بعد أن سادت الطرق الحديثة في تعليمها للأطفال من يوم دعا الأستاذ ساطع الحصري إلى اتباع الطريقة الصوتية في تعليم الألفباء ، مما نجم عنه انحطاط في اللغة واضح بين التلاميذ وجماهير المتعلمين ، مؤكداً بأن هذه

الطرق التي يحاكي أصحابها بها طرق تعليم اللغات الأجنبية هي من أسباب التدهور الذي أصاب العربية في الوقت الراهن ، لأنها لم تدرس دراسة كافية تتناسب مع طبيعة العربية وخصائصها ، معتمداً في كل هذا على خبراته الشخصية مقترحاً الاهتمام بهذا ودراسته من قبل المتخصصين في التربية والتعليم .

وعلق بعض المؤتمرين على البحث تعليقات مفيدة ، كان من أهمها تعليق الدكتور عبد الله الطيب قال فيه : « .. وعندي أن آخر أمر تعليم اللغة لا يصلح إلا بما صلح به أوله وهو البدء بالقرآن ، لا أدعو إلى ذلك يدفعني إليه روح ديني فقط ولكن أدعو إليه بدافع تربوي » ثم قال « وأنا لا أدعو إلى الرجوع ، لأن الرجوع غير ممكن ، ولكن أدعو إلى النظر من جديد في اقتباس المسائل المفيدة الحسنة التي كانت في تدريس القرآن .. » .

١٤ « التجربة الأدبية والجو الأدبي المعاصر » بحث ألقاه الأستاذ إبراهيم اللبان عضو المجمع من مصر عرض فيه المسائل التي تكتنف الأجواء الأدبية بصورة عامة داعياً إلى التمسك بالجوهر واللآلىء والإعراض عن السفاسف والأصداف .

١٥ – « النزعة العلمية في شعر أبي العلاء المعري » بحث ألقاه الدكتور محمد يوسف حسن تخل فيه شعر المعري وأتى بما وقع عليه من شعر يتصل بأفكار علمية غدا أكثرها في العصر الحاضر من الحقائق التي يقرها العلم الحديث .

وعلق بعض المؤتمرين بالشكر على طرافة الموضوع وشاركهم في

تقدير البحث الأستاذ محمد بهجة الأثري وأبدى ملاحظة يقول فيها : « إن البحث وضع أبا العلاء موضع العالم في كل دقيقة من دقائق العـلم ولست اعتقده كذلك ، لكنه كان رجلا لماحاً ذكياً جداً يفيد مما يقرأ ومما يسمع أكبر الإفادة » .

١٦ – « الإفادة من المقطعية في تدريس العربية » بحث ألقاه الدكتور إسحاق موسى الحسيني عضو المجمع من فلسطين بيّن فيه أهمية المقطع المعروف في تدريس اللغات الأجنبية وفي بناء الشعر وضرورة الإفادة منه في تدريس العربية .

واعترف الباحث بعد مناقشة مع بعض المؤتمرين بأن العرب القدامى عرفوا المقطع وتنبهوا إليه دون أن يذكروا أو يفيدوا منه ، وإنه إنما يدعو إلى الافادة من فكرة المقاطع في تعليم العربية .

١٧ – « الدراسات العربية في الولايات المتحدة » بحث ألقـاه الدكتور محسن مهدي عضو المجمع المراسل من العراق ، عرض فيه تاريخ الدراسات العربية في البلاد الأجنبية ، وسيطرة أساليب المستشرقين عليها ، وأهم هذه الأساليب الرجوع إلى تاريخ الحضارة العربية والجذور العميقة للأدب العربي . ثم تحـدث عن الدراسات العربية المعاصـرة في جامعات الولايات المتحدة الأميركية والتهافت عليها لتعلم العربية المعاصرة واللهجات العربية المختلفة بعد أن تحررت من تقاليد المستشرقين الذين عجزوا عن ملاحقة تقدم العالم العربي ونجحت في منهجها الحديث لسهولته ، داعياً إلى ضرورة الاهتمام بتأسيس معاهد في العالم العربي على النمط ذاته لدراسات متخصصة عن مختلف مناطق العالم الأخرى .

وأثار البحث تعليقات هامة أبرزها تعليق الدكتور عبد العزيز السيد ،

وكان مما جاء فيه : « .. ولكني لاحظت شيئاً خطيراً يجب أن ننتبه له ، هو سيطرة اليهود على هذه المراكز والغرض واضح بالطبع وهو التشويه ، وقد وجدت ذات مرة وأنا أزور مركزاً للدراسات الشرقية في أمريكا أن كل المهيمنين عليه من اليهود ، فلا يجب أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا النفوذ وأمام هذه السيطرة التي تستهدف النيل من مكانتنا والعمل على تشويه حضارتنا .. » .

وكان مما علقه الدكتور إسحاق موسى الحسيني قوله : « إن عدم عناية أمريكا بالقديم يعود إلى ثلاثة أسباب :

الأول : أن أمريكا ليس لها قديم تعتد به .

الثاني : أن العالم الحديث تشعبت حضارته وتفرعت .

الثالث : أن العقلية الأمريكية عقلية عملية وهذا شيء عرفناه في دراساتنا وزياراتنا » ثم أردف يقول : يجب علينا نحن العرب أن نركز اتجاه دراستنا « على الحضارة الاسلامية وعلى العبقرية العربية بالذات لأن هذا هو تراثنا الحضاري وهو ما لا يوجد في الغرب .. » .

وأنهى صاحب البحث المناقشة بالرد على مختلف التعليقات ، ومما قاله : « .. إننا تتذمر دائماً مما يعمله الآخرون في خدمة أغراضهم ومصالحهم كما يرونها ولا أعتقد أن هناك فائدةً من هذا التذمر ، إذ هو ليس إلا شكوى الضعيف وغير القادر . والذي يجب أن نركز عليه اهتمامنا وجهدنا هو العمل الجاد المتواصل في خدمة أغراضنا ومصالحنا كما نراها ، وهذا هو الذي لم نعمله إلى الآن » .

رابعاً : المعجم الكبير

عرض على المؤتمر ما أنجزته اللجنة المختصة من مواد المعجم الكبير ،

وهي من أول حرف التاء والثاء وما يتلوهما إلى آخر الثاء واللام ومايتلوهما.
فقدم كل من الأستاذ محمد بهجة الأثري والأستاذ حمد الجاسر والدكتور حسني سبح والدكتور عبد الله الطيب والدكتور محمد أحمد سليمان والدكتور عدنان الخطيب والأستاذ عبد الله بن خميس ملاحظاته عليها فأحيلت على اللجنة المختصة للنظر فيها قبل دفع المواد إلى المطبعة .

خامساً : أعمال لجنة الألفاظ والاساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة على المؤتمرين من قبل مجلس مجمع القاهرة . وقد دار نقاش حول بعضها فقبل أكثرها ورفض بعضها وأعيد بعضها الآخر إلى اللجنة لدراسته مجدداً .

وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر وما انتهى إليه :

أ ـ الالفاظ

١ ـ عديدة بمعنى كثيرة

كان مجلس المجمع وافق على قرار لجنة الألفاظ والأساليب المتضمن :
« يشيع في الكتابات المعاصرة نحو قولهم : كتب عديدة بمعنى كثيرة ، ويوحي هذا التعبير أن عديدة مؤنث عديد ، غير أن المعجمات ذكرت لفظ العيد اسم مصدر بمعنى الكثرة . وبناء على ما سبق للمجمع إقراره من جواز استكمال المادة اللغوية ، يمكن أن نشتق من العيد وصفاً على صورة (عديد وعديدة) بمعنى كثير وكثيرة .

على أن هذه الصيغة الوصفية يمكن أن تكون مأخوذة من عدّ الشيء فهو معدود وتحويل مفعول إلى فعيل قياسي عند بعض النحاة ولا يُعترض على هذا بأن التاء لا تدخل على فعيل بمعنى مفعول فقد سبق للمجمع إجازة ذلك في دورته الثلاثين .

ومما يستأنس به للاستعمال المعاصر وروده في مقدمة **المخصص** في قول ابن سيده : « فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة وأوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاء » .

لهذا كله ترى اللجنة أن قول القائل « كتب عديدة » قول صحيح لا حرج فيه على متحدث أو كاتب » .

وبعد مناقشات هادئة **أجمع المؤتمرون بالموافقة** على هذا القرار .

٢ ـ استجمع في قولهم : استجمع قواه

أحال مجلس المجمع إلى المؤتمر مع الموافقة قرار اللجنة المتضمن « يشيع استعمال هذا اللفظ ـ استجمع ـ كثيراً في لغة المعاصرين في مثل قولهم استجمع فلان أفكاره ، وهو ما يعترض عليه بأن صيغة استجمع لم ترد في معجمات اللغة إلا لازمة . يقال : « استجمع السيل » أي تجمع من كل صوب » .

درست اللجنة هذا ثم انتهت إلى أن اللفظ يمكن قبوله ، على أساس أن السين والتاء فيه للطلب المجازي أو التقديري ، فكأن فلاناً يستدعي أفكاره أو قواه لتجمع ، وقد أثبت فريق من كبار النحاة أن الطلب يكون بهذا المعنى الذي تستند اللجنة إليه في توجيه اللفظ ، كما أن دلالة السين والتاء على الطلب قياسية في قرارات المجمع .

هذا إلى أن صيغة استفعل تأتي بمعنى فعل ، ومن أمثلة ذلك علا واستعلى ـ فتح واستفتح ـ نسخ واستنسخ .

ولهذا كله ترى اللجنة أن استعمال هذا اللفظ صحيح في المعنى الذي يستعمل فيه .

وبعد مناقشات حول هذا القرار تبين أن أكثرية المؤتمرين لا اعتراض لهم عليه فأعلن قبول المؤتمر له .

٣ – استعرض

كان مجلس المجمع قد وافق على قرار اللجنة القائل : « يشيع في لغة العصر استعمال هذا اللفظ كثيراً في مثل قولهم : استعرض القائد جنده ، وهو معنى لم تثبته المعجمات اللغوية .

درست اللجنة هذا ثم انتهت إلى أن الفعل « استعرض » مشتق على صيغة استفعل من الثلاثي عرض لإفادة الطلب المجازي ، بناء على قياسية دلالة السين والتاء على الطلب كما سبق للمجمع إقرار ذلك ، وعلى أن الطلب يكون غير حقيقي في كثير من أمثلة هذه الصيغة كما جاء في أقوال الكثير من العلماء القدماء .

ولهذا ترى اللجنة أن استعمال هذا اللفظ صحيح في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه » .

وبعد مناقشة سريعة وافق المؤتمرون على القرار .

٤ – استقطب

جاء في قرار اللجنة المحال من المجلس : « شاع استعمال هذا اللفظ كثيراً في لغة العصر في مثل « استقطب الأستاذ طلابه » بمعنى اجتذبهم نحوه ، وصيغة الفعل بهذه الصورة وهذا المعنى لم ترد في معجمات اللغة ، ولهذا درسته اللجنة ، ثم انتهت إلى أن كلمة (استقطاب) وهي صيغة المصدر الذي أخذنا منه صيغة الفعل استقطب – مأخوذة من اللفظ العربي (قطب) لافادة الطلب ، ولا يقال إن القطب اسم ذات لأن المجمع قد أجاز ذلك ، في إقراره الاشتقاق من أسماء الأعيان .

ولهذا ترى اللجنة إجازة لفظ استقطب في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه .

« وبعد المناقشة وافق المؤتمرون على قرار اللجنة على أن يذيّل عما يلي : « على أن من استعمل استقطب على أنها استفعل من قطب بمعنى : جمع ، صح تعبيره » .

٥ ــ استَعْوَض استِعْواضاً واستَبْيَن استِبْيانا

قرىء قرار اللجنة المحال على المؤتمر وفيه : « يجري على أقلام الكاتبين في هذه الأيام مثل قولهم : استعْوض استِعْواضاً واستبْين استِبْياناً ، وهذه صورة ينكرها جمهور الصرفيين ، إذ يرون نقل حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله لتصير الصيغة استَعاض استِعاضة واستَبان استِبانة ولكن فريقاً من اللغويين والنحاة منهم الجوهري وابن مالك قد نقلوا عن أبي زيد جواز مثل (استَعْوَض) دون إعلال على أنه لغة قوم يقاس عليها . وقد عثر على نحو عشرين مثالاً جاءت بالتصحيح ومنها : استجوب ، واستصوب ، واستحوذ ، واستروض . ولهذا ترى اللجنة جواز قول القائل : استَعْوَض استِعْواضاً واستَبْيَن استِبْياناً ، لشيوع استعمالها » .

وجرت مناقشات حادة بين أنصار قبول قرار اللجنة وبين من يرى مخالفة ما فيه للقواعد دون ضرورة ، وانتهى المؤتمر إلى الموافقة على إحالة اللفظين على لجنتي القانون والاحصاء لتبين مدى الحاجة إليها .

٦ المشترَك والمأذون

جاء في قرار اللجنة المعروض على المؤتمر : « يخطّىء بعض النقاد (١) استعمال المعاصرين لهاتين الصيغتين في مثل قولهم :

---

(١) للأستاذ أحمد الأخضر غزال من المغرب كتاب مطبوع يفند فيه القواعد النحوية واللغوية التي تضبط حركة الراء في لفظة المشترِكة نعتاً للسوق ، هل هي بالفتح على أنها اسم مفعول أم بالكسر على صيغة اسم الفاعل .

القضية المشتركة والمأذون الشرعي ، بناء على أن كلا منها قد اشتق من فعل يتعدى بالحرف ، فيجب إتباع صيغة اسم المفعول فيها بالجار والمجرور ، يقال : المشترك فيها والمأذون له .

درست اللجنة هذا ثم انتهت إلى إجازة هاتين الصيغتين وما يجري مجراهما ، لأن الكلام فيها على الحذف والايصال ، أي حذف حرف الجر واستتار الضمير في اسم المفعول وهو ما أجازه ابن جني في خصائصه واستشهد له بقول لبيد : « الناطق المبروز والمختوم » أي المبروز به ، كما قال ابن جني .

ومثله قول بشر بن أبي خازم : « إلى غير موثوق من الأرض تذهب » أي موثوق به .

هذا إلى أن السماع قد ورد نصاً في استعمال لفظ المشترك كما استعمله المعاصرون وذلك ما ذكره صاحب الأساس من قول زهير :

ما إن يكادُ يُخلّيهم لوجهتهم   تخالجُ الأمرِ إنّ الأمرَ مشتركُ

وأورد الميداني :

يا ذا البجاد الحلكه   والزوجـــة المشتركة

عش رويدا ابلكه   لست لمن ليست لكه (*)

ولهذا كله ترى اللجنة إجازة استعمال المشتركة والمأذون في المعنى الذي يستعملان فيه لدى المعاصرين » .

وبعد سماع المؤتمرين الحجج التي استندت إليها اللجنة وافقوا على قرارها المذكور .

(*) انظر مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٠٨ ، بيروت ١٩٦١

ب - الاساليب

١ - وصد مالاً

قرئ قرار اللجنة المتضمن : « يشيع في هذه الأيام قولهم : رصد مالاً بمعنى أعده لشيء بعينه ، على حين أن الثابت في معجمات اللغة لهذا المعنى هو (أرصد) الرباعي .

درست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى أن في التعبير المعاصر نوعاً من المجاز ذلك أن (رصد) الثلاثي في بعض دلالاته المعجمية يعني الحفظ والحراسة ، وعلى هذا يكون معنى قولهم رصد مالاً أنه حفظه وخصصه لغرض ما .

ويستأنس لذلك بما جاء في أساس البلاغة من قوله :

(فلان يرصد الزكاة في صلة اخوانه أي يضمها فيها . وبما جاء في اللسان من قوله : « وروي عن ابن سيرين أنه قال : كانوا لا يرصدون الثمار في الدين وينبغي أن يرصد العين في الدين) .

ولهذا ترى اللجنة إجازة قول القائل : « رصد مالاً » وكذلك إجازة قولهم رصيد فلان كبير ونحو ذلك على أنه فعيل بمعنى مفعول » .

٢ - سارت المفاوضات خطوة خطوة أو خطوة بخطوة ونوقشت سياسة الخطوة خطوة

قرئ قرار اللجنة المتضمن : « تشيع هذه العبارات الثلاث في اللغة المعاصرة ، وقد درستها اللجنة ثم انتهت إلى أن الأولى والثانية منها صحيحتان على أن تكون خطوة خطوة في العبارة الأولى حالاً مؤولة بمشتق أي مرتبة أو متتابعة . مثلها كمثل قولهم : دخلوا رجلاً رجلاً أي متتابعين .

وفي العبارة الثانية تكون خطوة حالاً أيضاً ، وبخطوة بعدها صفة لها والمعنى : خطوة متبوعة بخطوة ، أو خطوة بعد خطوة فالباء بمعنى بعد ويؤيده قول امرىء القيس :

فلأيا بلأي ما حملنــــا غلامنا على ظهر محبوك السراة محنّب

قال الأعلم الشنتمري : لأيا بلأي : أي جهداً بعد جهد

أما العبارة الثالثة وهي « سياسة الخطوة خطوة » فإنها لا تُقبَل إلا بحملها على الأعداد المركبة وهي الأحد عشر واخوته ، فتكون : الخطوةَ خطوةَ بفتح الجزئين ولهذا تفضل اللجنة أن يقال : سياسة الخطوة بخطوة : تجر كلمة الخطوة بالاضافة وخطوة بعدها حال منهـا أي سياسة الخطوة متبوعة بخطوة » .

وقرىء قرار مجلس مجمع القاهرة المتضمن الموافقة على قرار اللجنة بعد تعديل التعبير الثالث فيقال فيه « سياسة الخطوة بخطوة » .

وبعد المناقشة وافق المؤتمرون على التعبيرين الأولين من قرار اللجنة ورفض تعليل التعبير الثالث بحمله على الأعداد المركبة .

٣ ــ صاروخ أرض جو أو جو أرض

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : صاروخ أرض أرض ، أو أرض جو ، أو جو جو ، أو جو أرض ، وهو تركيب يخفى وجه ضبطه وتخريجه .

درست اللجنة هذا التركيب وانتهت إلى أنّ المعنى فيه : أنه صاروخ ينطلق من الأرض إلى الجو ، أو من الجو إلى الأرض .. الخ

كما انتهت إلى أنه من أساليب الاضافة : فالكلمة الأولى هي صاروخ — تضبط على حسب موقعها في الجملة ، وهي مضافة إلى كلمة جو أو أرض التي هي أيضاً مضافة إلى ما بعدها .

لهذا ترى اللجنة إجازة هذا التعبير في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه » . وافق المؤتمرون على هذا القرار مع ملاحظة أن الإضافة في التعليل على معنى اللام أي صاروخ أرض لأرض .

٤ — سمعنا قصف المدافع وقصفت المدافع مواقع العدو

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع هذان الأسلوبان كثيراً في اللغة المعاصرة ويقصد بالأول منها مجرد سماع صوت المدافع ، أما الثاني فإنه يعني أن المدافع أطلقت قذائفها على المواقع .. وظاهر هذا يعد مخالفاً لما أثبتته المعجمات من معاني مادة (قصف) التي تدور في جملتها حول معنيين : شدة الصوت ، والكسر أو الهدم .

درست اللجنة هـذا ، ثم انتهت إلى إجازة الأسلوب الأول وهو (سمعنا قصف المدافع) لأنه مأخوذ من الفعل اللازم (قصف) الذي يعني شدة الصوت .

أما الأسلوب الثاني وهو (قصفت المدافع مواقع العدو) فيمكن قبوله على أحد توجيهين :

الأول : أن إثبات القصف للمدافع نوع من المجاز ، لأن إطلاق القذائف من شأنه في الغالب أن يحدث الهدم والتكسير .

الثاني : أن يكون الكلام على تضمين قصف معنى قذف أو رمى .

لهذا ترى اللجنة أن قول المعاصرين : قصفت المدافع مواقـع العدو جائز في المعنى الذي يستعمل فيه » .

وفي أثر مناقشة حول التضمين والمجاز وافق المؤتمرون على قرار اللجنة.

٥ – فوض فلاناً في الأمر

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع هذا الأسلوب كثيراً في اللغة المعاصرة ومعناه : أنبتُ فلاناً ، أو وكلته في أمر من الأمور. وقد يبدو هذا الاستعمال مخالفاً لما ورد في اللغة ، إذ الفصيح فيها أن يقالَ : فوضتُ أمري إلى فلانٍ بمعنى تركته له ، وأسلمته إليه ومنه قوله تعالى : « وأفوِّض أمري إلى الله » .

درست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى أنّ الأسلوب المعاصر يمكن أن يجاز ، إمّا على أن الكلام فيه من قبل نزع الخافض ، وهو كثير في اللغة العربية ، منه قول الشاعر : تمرُّونَ الديارَ .. أي تمرون بها .

وإمّا على تضمين فوّض معنى أناب أو وكل .

ولهذا ترى اللجنة إجازة من يقول : « فوضت فلاناً » وما يصاغ منه في لغة السياسة من قولهم : الوزير المفوض ونحو ذلك » .

وبعد مناقشة التعليلين اللذين استندت إليها اللجنة وترجيح بعضهم الثاني منها قبل قرار اللجنة .

٦ – لم يكد الضيف يدخل حتى عانقه صاحب الدار

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيـــع مثل هذا الأسلوب في العصر الحديث والمراد به أن الترحيب بالضيف تمّ مع أشد الشوق والتلهّف ، فكأن زمن الدخول قد اقترن بزمن العناق أو كأن الحدثين قـد وقعا في آن واحد !

درست اللجنة هذا الأسلوب ورجعت إلى أقوال أئمة النحاة في(كاد)

المنفية ، ثم انتهت إلى أنه يمكن قبوله على أساس القول بأنّ نفي كاد إثباتٌ لخبرها ، فمعنى الأسلوب على هذا أنه بمجرد دخول الضيف عانقه صاحب الدار ، فالترتيب بين الحدثين مع القصر الشديد في الفرق الزمني بينها قد تم طبيعياً ، أي دخل الضيف فعانقه صاحب الدار مباشرة وبسرعة.

هذا إلى أن الأسلوب بصورته المعاصرة قد ورد فيما يحتج به من مأثور الكلام وهو ما جاء في حديث عمر بن الخطـــاب أنه قال يوم الخندق : « ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب » .

ولهذا ترى اللجنة أن هذا الأسلوب صحيح لا حرج في استعماله » .

وبعد مناقشة سريعة وافق المؤتمر على القرار .

٧ - خرجوا سوياً

قرىء قرار اللجنة — بعد دراستها الموضوع مجدداً ، إذ كان المؤتمر قد أعاده إليها في العام الماضي - المتضمن : يشيع في لغة العصر نحو قول القائل : خرجنا سوياً أو خرجوا سوياً بمعنى معاً أو مصطحبين .. وهو - في ظاهره - خلاف ما نصت عليه المعجمات في معاني السوي التي تدور حول الصحة واستقامة الخلق ونحو ذلك .

درست اللجنة هذا وانتهت إلى أنّ التعبير العصري يمكن قبوله على أساس أنّ لفظ (السوي) فيه فعيل بمعنى المفاعل أي المساوي . أو أنه فعيل بمعنى المفتعل أي المستوي .

والمعنى — على الدلالة الأولى – أنهم خرجوا مساوين أي على سواء، فبينهم مساواة في الخروج . وعلى الدلالة الثانية — وهي المستوي - يكون المعنى أنهم ساروا باستواء ، فلا تقدم لأحدهم ولا تأخر للآخر في زمن الخروج.

والمعية التي يدل عليها التعبير العصري ملحوظة في لفظ السوي بدلالته، لأن المعية نوع من المساواة أو الاستواء .

وعلى كلتا الحالين ، يكون سوياً في هذا التعبير : إمّا حالاً يستوي فيه المذكر وغيره والواحد وغيره ، وإمّا مفعولاً مطلقاً إذا اعتبرناه وصفاً للمصدر ، أي : خرجوا خروجاً سوياً .

وقد يستأنس للتعبير العصري بأن شوقي – وهو من أكبر شعراء هذا العصر – قد استعمله في قوله :

مشينا أمس نلقاهـــا سوياً ونحن اليوم نلقاهـا فرادى

كذلك مما ينسب إلى الإمام الشافعي قوله :

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعه
وأكره مَن تجارتُه المعاصي وإن كنا سوياً في البضاعـه

ولهذا كله ترى اللجنة أنّ قولَ القائل في لغة العصر : « خرجوا سوياً جائز لا بأس في استعماله » .

وبعد مناقشة القرار ومعارضة كل من الأستاذ **محمد بهجة الأثري والدكتور عبد الله الطيب قبل بالأكثرية .**

٨ – مدحه مدحاً لا يفيه حقه

قرىء قرار اللجنة – بعد دراسة الموضوع مجدداً ، وكان المؤتمر قد أعاده إليها في دورته الماضية – المتضمن : « يخطىء بعض اللغويين ما تجري به أقلام المعاصرين من نحو قولهم : مدحه مدحاً لا يفيه حقه ، على أساس أنّ الفعل (وفى) هنا تعدى إلى مفعولين على حين أنه لم يرد في المعجمات إلا لازماً أو متعدياً إلى واحد في مثل : وفى الدرهم المثقال : عدله ، وفى فلان نذره : أداه .

درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى أنّ الأسلوب تمكن إجازته على أساس أنّ الأصل في قولهم لا يفيه حقه : لا يفي حقّ فلان ، وعلى هذا تكون (حقه) بدل اشتمال من الاسم السابق الواقع مفعولاً به في الأسلوب المعاصر .

ولهذا ترى اللجنة إجازة قول القائل : مدحه مدحاً لا يفيه حقه ، في المعنى الذي يقال فيه » .

ووافق المؤتمر على القرار .

سادساً : أعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمرون فيما أحيل عليهم من مجلس مجمع القاهرة من أعمال لجنة الأصول وقراراتها ، وفيما يلي نص القرارات وموجز ما دار حولها من مناقشات وما انتهى إليه المؤتمر بشأنها :

١ ـ كلمة « الطمّي » صياغة ودلالة ونسبة

في المصطلحات النفطية التي سبق أن عرضت على مجمع القاهرة ودرست كلمة (رواسب طمْيّة) نسبة إلى لفظة (طمْي) فأحالها مجلس المجمع على لجنة الأصول نظراً لأن كتب اللغة لم تذكر المصدر الشائع على ألسنة الناس (طمى يطمي طمْياً) .

واتخذت اللجنة بعد دراسة الموضوع قراراً يتضمن : « إجازة كلمة طمي على وزن فعْل بفتح الفاء وسكون العين ، باعتبارها مصدراً لطمى الثلاثي اللازم جرياً على قول لبعض النحاة ، وورد السماع بنظائرها ، والنسب إليها طمْيي . ورأت أيضاً قبول الكلمة بدلالتها العصرية في الطين الذي يحمله السيل حملاً على المجاز » .

وجرت مناقشات حول كلمة (طمي) الشائعة في مصر للدلالة على (الغرين) وما إذا كان يجب إدخـال هذا المعنى الجديد على المعجمات . فعارض الأستاذ سعيد الأفغاني هذا ، ولكن المناقشة انتهت إلى موافقة الأكثرية على قرار اللجنة .

٢ - النسب إلى كلمة « بِنْيَة » و « بِنْيات »

في مصطلحات التربية وعلم النفس التي سبق أن عرضت على مجمع القاهرة وردت كلمة شائعة على ألسنة العلماء وهي بنيوي نسبة إلى بِنْيَة، فأحال مجلس المجمع هذه النسبة إلى لجنة الأصول فاتخذت هـذا القرار : « إن النسبة القياسية إلى بِنْيَة هي (بِنْيِي) ويستعمل كثير من المحدثين في الميادين العلمية كلمة بِنْيَوي ، وترى اللجنة جواز قبولها على أساس أنها منسوبة إلى بنيات جمعاً » .

وجرت مناقشات عارض خلالها كل من الدكتور عبد الله الطيب والأساتذة محمد بهجة الأثري وسعيد الأفغاني وعبد السلام هارون قرار اللجنة في مخالفة قاعدة النسب ، وانتهت المناقشات إلى موافقة الأكثرية على القرار .

٣ - حتى - في بعض تعبيرات عصرية

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « تجيء - حتى - في بعض التعبيرات المصرية ، غير مسبوقة بمذكور يصح أن يكون ما بعد حتى غاية له ، ومن أمثلة ذلك :

ا - الهزيمة اليوم تهدد إسرائيل ، يعترف بذلك حتى المتعاطفون معها.

ب - مجلس الأمن ينعقـــد وينفض دون أن يعرض عليه حتى مشروع قرار »

جـ – لم يقرأ حتى الصحف .

د – لم ينجح في أن يكون حتى عضواً في مجلس القرية .

هـ – ترك الخلاف أثره حتى على الملاقات الثقافية بين البلدين .

وقد رأت اللجنة أن (حتى) في الأمثلة السابقة عاطفة والمعطوف عليه محذوف مفهوم من المقام » .

وجرت في المؤتمر مناقشات حادة حول هذا القرار ، وكان من بين المعارضين له الأستاذ سعيد الأفغاني والدكتور عمر فروخ ومن المدافعين عنه الدكتور شوقي ضيف والأستاذ مصطفى مرعي والأستاذ محمد شوقي أمين وعارض في التعليل الأستاذ عباس حسن لأنه يرى أن (حتى) في الأمثلة المعروضة ابتدائية وليست عاطفة ، وأيد الدكتور عبد الرزاق محيي الدين التخريجين ، وتمت الموافقة على ذلك بالأكثرية .

٤ – ما دام – في بعض تعبيرات عصرية

قرىء قرار مجلس مجمع القاهرة القاضي بتعديل قرار لجنة الأصول بشأن (ما دام) على الشكل التالي :

ا – ما دام علي مجتهداً في دروسه فسيكتب له النجاح

ب – ما دام صاحب الاقتراح قد حضر فلنناقش الموضوع

رأت اللجنة قبول التعبيرين وتخريجها على أحد الوجهين الآتيين :

ا – أن تكون جملة ما دام مقدمة من تأخير

ب – أن تكون « ما » في « ما دام » زمانية شرطية كما في قوله تعالى: (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) .

وطال النقاش بين المؤتمرين حول تقدم ما دام ، خلافاً لما قال به

النحاة من وجوب تأخرها عما يكون مظروفاً أو جملة ، وحول ما إذا كان من الممكن تقديمها بنيّة التأخر ، أو اعتبار (ما) في (ما دام) مصدرية مشربة معنى الشرط .

واختلف المؤتمرون حول الأساليب العصرية وفيها البين الخطأ والسهل تخريجه وما هو بين ذلك ، وكان من رأي الدكتور عبد الله الطيب أن لا سبيل لتخريج الأسلوب المعروض ، أما الأستاذ عباس حسن فرأى أن (دام) في الأمثلة المعروضة تامة بمعنى (بقي) وتخريج الأسلوب عندئذ يصبح سهلاً .

وعرض الأمر على التصويب فقبل قرار اللجنة بالأكثرية بعد أن طلب كل من الأساتذة محمد بهجة الأثري وسعيد الأفغاني وأحمد الحوفي تسجيل مخالفتهم لهذا القرار .

٥ – بناء اللغة على التوهم

قرىء ما انتهت إليه لجنة الأصول في دراستها للبحث الذي ألقاه الأستاذ محمد بهجة الأثري في الدورة الماضية تحت عنوان « تحقيق معنى بناء اللغة على التوهم ونفي مزاعم الوهم عنه » (١) .

وعلق الأستاذ الأثري على مذكرة اللجنة تعليقاً مسهباً فنّد فيه ما ورد فيها مدافعاً عن الرأي الذي أملى عليه بحثه السابق في سبيل حماية العربية من شرور تهددها ، وأراد الأستاذ محمد شوقي أمين الرد عليه ولكن ضيق الوقت حال دون ذلك فتقرر إعادة الموضوع إلى اللجنة لعرضه على

(١) سبق لمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أن نشرت هذا البحث في الصفحة ٧١٩ من المجلد ٥١ سنة ١٩٧٦

المؤتمر في دورة قادمة (٢) .

سابعاً ـ اقتراحات مختلفة

نظر المؤتمر في اقتراحات مختلفة قدمها بعض أعضائه وقد قرروا إحالتها إلى مجلس المجمع واللجان المختصة للنظر فيها وأهم المقترحات :

١ ـ اقتراح ورد للأستاذ إبراهيم القطان يطلب فيه : توصية المسؤولين في البلاد العربية بالعناية بنشر الفصحى .

٢ ـ اقتراح الدكتور محمود مختار ويتضمن :

ا ـ تشكيل لجنة خاصة من العلميين واللغويين لوضع نهج أو دستور لاختيار المصطلحات العلمية وتعاريفها تلتزمه الهيئات العلمية التي تعمل في ميدان تعريب العلوم .

ب ـ دراسة موضوع انشاء مطبعة خاصة للمجمع لتواكب انتاجه المتزايد وإخراجه في معاجم متخصصة يسهل تداولها ونشرها في الوطن العربي الكبير .

٣ ـ اقتراح الدكتور محمود حافظ ويتضمن التساؤل :

هل يمكن أن تنبثق من المؤتمر العام مؤتمرات فرعية خلال العام في المجالات المختلفة مثل مؤتمر فرعي للمصطلحات العلمية وآخر للمصطلحات الفنية وهكذا ، وهذه فرصة للقاء العلماء المختصين مجتمعين ، وبذلك تدفع حركة التعريب والترجمة خطوات سريعة إلى الأمام ؟

٤ اقتراح الدكتور محمد أحمد سليمان وجاء فيه :

---

(١) كتب الأستاذ محمد شوقي أمين رداً على بحث « تحقيق معنى بناء اللغة على التوهم وتقصي مزاعم الوهم عنه » نشرته مجلتنا في الصفحة ٣٦٠ من هذا الجزء .

سبق أن تحدثنا في جلسات المؤتمر عن الفصحى ورجونا وألححنا في الرجاء أن نجد عند القادة في كل المواقع النيّة الصادقة في استعمال اللغة الفصحى ، فالناس كما يقولون على دين ملوكهم ، ولذا فإني اقترح أن يوجه المؤتمر توصية إلى الملوك والرؤساء العرب يرجوهم فيها ضرورة التمسك بالعربية الفصحى في أحاديثهم وخطبهم .

ثامناً - ختام المؤتمر والمقررات والتوصيات التي اتخذها

عقدت جلسة المؤتمر الختامية صباح يوم الاثنين في السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ الموافق السابع من آذار (مارس) سنة ١٩٧٧ م واستمع المؤتمرون خلالها إلى بعض كلمات ترحيبية ووداعية ، ثم اتخذوا المقررات والتوصيات التالية :

١ - حياة اللغة في البيت والمدرسة وينبغي تعهد الجانبين معاً ، وعلى الكتاب والمعلم العبء الأكبر ، وفي تدريس العربية اليوم نقص لا شك في أن القائمين على أمره معنيون بتداركه .

٢ - لوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية شأن في نشر اللغة ، وتضييق مسافة الخلف بين اللهجات ، وبرغم ما بذل في سبيلها من جهد لا تزال في بعض جوانبها دون المستوى ، ولا يرضى لها عربي أن تكون دون نظائرها في اللغات الأجنبية .

٣ - العربية المعاصرة كفيلة بأن تسد حاجة الفن والمسرح ، وفي وسع الفنين والمسرحين أن يحققوا ذلك إن اتجهوا إليه ولهم فيه فعلاً أمثلة رائعة .

٤ - خففت ما أمكن صور صندوق الطباعة (أشكال حروفه) مع المحافظة على طابع الخط العربي وأوضاعه ، ولكنا نأسف لتلك التشكيلات

الغربية لكتابة العربية في بعض الصحف وعلى شاشة الإذاعة المرئية. وندعو إلى تجنب هذا الانحراف والتشويه.

٥ - هناك نشاط ملحوظ شرقاً وغرباً لاحياء التراث العربي، ولكنه في حاجة ماسة إلى التنسيق منعاً للتكرار وتوفيراً لجهود ضائعة، وفي حاجة إلى أن يوكل أمره إلى أهله، وإلى من هم أهل للقيام به احتراماً للماضي ووفاء بحقه.

٦ - للغة العربيـــة شأن في تكوين لغات أمهات في القارة الإفريقية واللغة السـواحلية خير شاهد على ذلك، وفي وسع الجامعات ووزارات التعليم والثقافة والإعلام في العالم العربي أن تسهم في ذلك.

٧ - تبلغ قرارات المؤتمر وتوصياته للمجامع اللغوية والعلمية واتحاد المجامع والجامعات وجامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووزارات التعليم والثقافة والإعلام في العالم العربي جميعه.

ثم أعلن الرئيس ختام المؤتمر.

عدنان الخطيب	**حسني سبح**
نائب الرئيس	رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

تعقيب على رسالة الكندي

في كتاب الشعاعات

الأستاذ محمد حميد الله

قرأت في العدد الثـــاني من المجلد الحادي والخمسين (ص ٣٤٤) مقالة الأستاذ الفاضل مختار الدين أحمد عن كتاب الشعاعات واستفدت منها. وفيما يلي بعض التعقيبات :

١ ــ قال صاحب المقال : (ص ٣٥٢) : « وفيما يخص هذه الترجمات اللاتينية لا أعرف هل هي ترجمات للرسالة في مطرح الشعاع أم للرسالة في الشعاعات ». تأذنون لي أن أذكر أن الآنسة ماري تيريس دالفيرني M. Th. d ' Alverny وهي من كبار المستشرقات في باريس ، نشرت في هذه الرسالة اللاتينية مقالاً ضافياً سمته Al - Kindi , De Radiis وصدر في Archives d,histoire doctrinale et littéraire du Moyen - âge , vol 41 (1974) , p . 140 s . وعندها أيضاً عكوس شمسية للمخطوطة العربية من باقي فور (المحوَّب إلى بانكي فور) . وتؤكد أن لا صلة بين النصين العربي واللاتيني .

٢ ــ وعلى ص ٣٥٥ ، يقول الأستاذ مختار الدين أحمد : « أنثاميوس ولعله أنثانيوس Athinaeis . وحققت الآنسة دالفيرني أنـــه أنثاميوس Anthemius (وفي المخطوطة العربية سهو الكاتب) ، فراجعوا لمعرفة تفاصيل حياة هذا المؤلف اليوناني انسائكليديا بريتانيكا أو ما شاكلها من كتب المراجعة .

٣ ـ الأستاذ مختار الدين لا يذكر هل هو يريد نشر هذه المخطوطة أو قد نشرها وانتقال من مقدمته . على كل حال لا بد من ملاحظة أن الأستاذ محمد يحيى الهاشمي من حلب قد نشر المخطوطة نفسها في ١٩٦٧ ، تحت العنوان : « مطارح الشعاع » ، وهذا على أساس مخطوطة كانت عند صديق له هو الأستاذ زكي الدين . وقد طبع في الكتاب نص المخطوطة بطريق الاوفست . بما أن الصور الشمسية لأصل المخطوطة من باقي فور موجودة عند الآنسة دالفيرني أمكن لي المقارنة ، فوجدت أن ما نشره الأستاذ الهاشمي هو مخطوط صديقه وليس فوتوغرافات الأصل الهندي .

٤ ـ ومما يجب أن يزاد هو أن هذه المخطوطة نشرتها مجلة « العلم » من تونس عدد ٩ - ١٤ في سنة ١٩٧٢ — ١٩٧٣ في ستة أعداد متوالية ، نجماً نجماً . ولكن مع الأسف بدون أدنى ذكر مأخذه ولا بحث في محتوى الكتاب مع أن تلك المجلة مختصة بالعلوم الطبيعية يديرها كبار أهل العلم من تونس .

٥ . وترجم الكتاب من العربية إلى الفرنسية ، مع مقدمة ، ولكن لم ينشر بعد .

والكندي يرجع بنسبه إلى آل الأشعث . وعند محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥ ﻫ) في كتابه : المحبر (طبع حيدرآباد الدكن ١٣٦١ ﻫ / ١٩٤٢ م) تفاصيل عن هذه الأسرة (ص ٢٤٤ - ٢٤٥) . ويتممها ما كتبه الأستاذ مصطفى عبد الرازق في مجلة كلية الآداب من الجامعة المصرية (١ ، ٢ ديسمبر ١٩٣٣ ص ١٠٧ — ١٤٨) .

٤ شارع طورنون ـ باريس
١٦ من ذي القعدة ١٣٩٦ محمد حميد الله

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
التقفية في اللغة	أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي تحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية	بغداد ١٩٧٦
ديوان أبي الأسود الدؤلي	تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	« ١٩٧٤
ديوان الصاحب بن عباد	تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	« «
المحيط في اللغة : الجزء الأول	الصاحب إسماعيل بن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	« ١٩٧٥
ملحق ديوان أبي الأسود الدؤلي	الشيخ محمد حسن آل ياسين	« «
ديوجين الحكيم (مسرحية شعرية)	عدنان مردم بك	بيروت ١٩٧٧
فقيد العروبة الخالد عارف النكدي		« «

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
دانتي امرؤي العبقري	ترجمة الياس سعد غالي	جونية ١٩٦٧
ابن الأيهم الإزار الجريح (مسرحية شعرية)	سليمان العيسى	دمشق ١٩٧٦
أجراس بلا رنين (مسرحية)	وليد مدفعي	« «
أحلام ساعة الصفر (قصص)	عادل أبو شنب	« ١٩٧٣
الأدب والموقف القومي	محيي الدين صبحي	« ١٩٧٦
أوراد وحلم آخر في العيون (شعر)	الدكتور أحمد سليمان الأحمد	« ١٩٧٧
الأزمنة الحديثة (قصص)	محمد كامل الخطيب	« ١٩٧٤
استراتيجية للغد (التقرير الثاني إلى نادي روما)	ميهاجلو ميزاروفيك وادوارد بيستل . ترجمة عيسى عصفور	« ١٩٧٦
اشتياق لأجل مدينة مسافرة (مجموعة قصص)	وليد معماري	« ١٩٧٦
أغنية الدمية (قصص)	عز الدين نجيب	« ١٩٧٤
الله والفقر (قصص)	صدقي إسماعيل	« ١٩٧٠
إلى مدينة العشق (شعر)	صباح الدين كريدي	« ١٩٧٥
أناشيد للصغار (شعر)	سليمان العيسى	« «
أنداء وظلال (شعر)	أحمد علي حسن	« ١٩٧٤
أنهار من زبد (شعر)	علي كنعان	« ١٩٧٠
أوراق مهملة (شعر)	رشيد ياسين	« ١٩٧٢
بيادر الريح (شعر)	جلال قضيماتي	« ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
بين الوسادة والعنق (شعر)	شوقي بغدادي	دمشق ١٩٧٤
تحت النافذة (قصص ومسرحيات)	مراد السباعي	» »
التحولات (قصص)	سالمة صالح	» ١٩٧٥
التعريب في الجزائر (ماضياً وحاضراً ومستقبلاً)	عبدالرحمن سلامة « ابن الدواية »	» ١٩٧٦
التقرير (قصص)	وليد إخلاصي	» ١٩٧٤
تلويحة الأيدي المتعبة (شعر)	ممدوح عدوان	» ١٩٧٠
الجدل في منتصف الليل (شعر)	خالد أبو خالد	» ١٩٧٤
الجزيرة المجزأة (حكاية)	ليف اوستينوف . ترجمة جابر أبي جابر	» ١٩٧٦
الجوع والقمر (شعر)	محمد عفيفي مطر	» ١٩٧٢
جيران البحر (قصص)	محمد كامل الخطيب	» ١٩٧٦
حبيبتي يا حب التوت (رواية)	أحمد داوود	» »
حصاد الشمس (شعر)	عبد الكريم الناعم	» ١٩٧٢
حكاية الظمأ القديم (قصص)	جورج سالم	» ١٩٧٦
حوارية الموت والنخيل (شعر)	نزيه أبو عفش	» ١٩٧٢
حين تموت المدن (قصص)	صلاح دهني	» ١٩٧٦
الخطا التي تتحدر (مسرحية)	أحمد يوسف داوود	» ١٩٧٢
دخان الأقبية (مسرحية)	يوسف مقدسي	» ١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الدخول في شعب بوان (شعر)	محمد عمران	دمشق ١٩٧٢
الدعوة إلى القنيطرة (قصة)	كوليت خوري	» ١٩٧٦
دمشق الجميلة (رواية)	أحمد يوسف داود	» »
دوائر عدم الإمكان (قصة)	مجيد طوبيا	» ١٩٧٢
رأس المال (١ و ٢)	كارل ماركس ترجمة أنطون حمصي	» ١٩٧٦
الرؤى العجاف (شعر)	الياس طعمة	» ١٩٧٣
الرحيل إلى مدن الحلم دراسة ومختارات من شعر البياتي	اختيار وتقديم صبري حافظ	» »
الرمزية والأدب الاميركي	تشارلز فيدلسون الابن ترجمة هاني الراهب	» ١٩٧٦
رهائن (شعر)	صلاح فائق	» ١٩٧٥
سامراء الجديدة (شعر)	سهيل إبراهيم	» ١٩٧٣
السجين ٩٥ (مسرحية)	علي عقلة عرسان	» ١٩٧٤
سقوط الفرنك (رواية)	نسيب الاختيار	» »
السلطة الشعبية	أحمد سيكوتوري. ترجمة إحسان الحصني	» ١٩٧٤
سهرة مع أبي خليل القباني (مسرحية)	سعد الله ونوس	» ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
السهم الأخضر (قصص)	الأستاذ ليان ديراني	دمشق ١٩٧٦
سوسيولوجية المسرح دراسة على الظلال الجمية : الجزء الأول	جان دوفينيو . ترجمة حافظ الجمالي	« ١٩٧٦
السيران ولعبة أولاد يعقوب (قصص)	عبد الله عبد	« ١٩٧٢
السيل (مسرحية شعرية)	علي كنعان	« ١٩٧٤
شعراء وأدباء من الشرق والغرب	سعد صائب	« ١٩٧٦
الشعر العربي الحديث.الأصول الطبقية والتاريخية	جلال فاروق الشريف	« «
شعر هدبة بن الخشرم العذري	جمعه وحققه د . يحيى الجبوري	« «
الشمس والعنقاء	خلدون الشمعة	« ١٩٧٤
الشيخ ومغاورة الدم (رواية)	نذير عظمة	« «
الصدفة والبحر (قصتان)	نيروز مالك	« ١٩٧٧
صراخ في ليل طويل	جبرا إبراهيم جبرا	« ١٩٧٤
الصراط (مسرحية)	وليد إخلاصي	« ١٩٧٦
الطريق إلى كوجو (مسرحية)	الياس زحلاوي	« ١٩٧٦
عبر الليل نحو النهار (قصة)	محمد الراوي	« ١٩٧٥
عراضة الخصوم (مسرحية)	علي عقلة عرسان	« ١٩٧٦
عرق وقصص أخرى	جبرا إبراهيم جبرا	« ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
عصي الدمع (مجموعة قصصية)	ألفة الأدلبي	دمشق ١٩٧٦
عندما ترقص الورود (مسرحية بلغارية)	فاليري بيتروف . ترجمة حسين أدلبي وعلي كنعان	« «
عينا حبيبتي والاغتراب (شعر)	عبد الكريم الناعم	« «
عيون في الحلم (قصص)	الأستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي	« ١٩٧٤
الفرزدق	الدكتور شاكر الفحام	« ١٩٧٧
في انتظار المصير (قصص)	الأستاذ مظفر سلطان	« ١٩٧٦
قد يكون الحب (قصص)	أديب النحوي	« ١٩٧١
القطار (مسرحية)	عبد العزيز هلال	« ١٩٧٦
القلعة الخامسة (رواية)	فاضل العزاوي	« ١٩٧٢
كالغزالة كصوت الماء والريح	بندر عبد الحميد	« ١٩٧٥
كتاب الانتظار (شعر)	فايز خضور	« ١٩٧٤
الكتابة على جذوع الشجر القامي (شعر)	عبد الكريم الناعم	« «
كلمات أخيرة (شعر)	محمد جنيدي	« ١٩٧٣
كلمات من لهب (شعر)	الدكتور صابر فلحوط	« ١٩٧٤
مختارات من الشعر المعاصر في جمهورية ألمانيا الديمقراطية	ترجمة الدكتورين أحمد حيدر وأحمد الحمّو	« ١٩٧٥
مدرسة القلق (قصص وحكايات للأطفال)	ترجمة عيسى فتوح	« ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مذكرات شهيد فلسطيني (شعر)	محمود مفلح	دمشق ١٩٧٦
المذنبون (رواية)	فارس زرزور	« ١٩٧٤
المرأة ، الثقافة ، والمجتمع	اعداد ميشيل زمبلست روزالدو ولويز لامفير ترجمة هيفاء هاشم	« ١٩٧٦
المسافة (قصة جديدة)	يوسف الصائغ	« ١٩٧٤
المسرح العربي من أين والى أين	الدكتور سلمان قطاية	« ١٩٧٢
المطر يبدأ العزف (شعر)	صالح هواري	« ١٩٧٧
مع قوافل الفكر	اورخان ميسّر	« ١٩٧٤
المغامرة الروائية دراسات في الرواية العربية	جورج سالم	« ١٩٧٣
المغامرة المعقدة	محمد كامل الخطيب	« ١٩٧٦
ملكوت البسطاء	خيري الذهبي	« «
من يحب الفقر (رواية)	عبد العزيز هلال	« ١٩٧٤
المهزاهد(حكاية شعبية ممسرحة)	حسيب كيالي	« «
الموت بفرح (قصص)	سحبان سواح	« ١٩٧٦
موجز حياة شريف نادر(قصص)	عبد الستار ناصر	« ١٩٧٥
ميسون وقصائد أخرى	سليمان العيسى	« ١٩٧٣
نجمة أغسطس (رواية)	صنع الله إبراهيم	« ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
نحن الملك (مسرحية)	محمد خير الدين . تعريب قاسم الشواف	دمشق ١٩٧٣
نداءات إلى صقر قريش (شعر)	عمر صبري كتمتو	» ١٩٧٢
نظرة في أدبنا الشعبي	ألفة الأدلبي	» ١٩٧٤
الهرب إلى المدن	عادل أديب آغا	» ١٩٧٦
الوحش (مسرحية)	خالد محيي الدين البرادعي	» »
وردة الصباح (رواية)	عادل أبو شنب	» »
وقائع الحفل التأبيني الذي أقامته جامعة دمشق للفقيد الراحل الأستاذ الدكتور جميل صليبا		» »
ومر الصيف (رواية)	كوليت الخوري	» ١٩٧٥
ويبقى الحب علامة (رواية)	محيي الدين زنكنه	» »
ويطرح النخل دماً (شعر)	بيان صفدي	» ١٩٧٦
القصص الإسلامية (١و٢) في عهد النبوة والخلفاء الراشدين	أحمد بن حافظ الحكمي باشراف عبد الرحمن رأفت الباشا	الرياض »
تيسير تعليم اللغة العربية (سجل ندوة الجزائر)		القاهرة ١٩٧٧
مؤتمر الدورة الحادية والأربعين	أشرف على إخراجها الدكتور إبراهيم بيومي مدكور	» ١٩٧٦
الأنوار ومحاسن الأشعار القسم الأول	أبو الحسن علي بن محمد بن المطهّر العدوي المعروف بالشمشاطي تحقيق الدكتور محمد يوسف	الكويت ١٩٧٧

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والخمسين